النصرانية

دراسة عقدية تاريخية تفصيلية

السحبة الرابعة ٣٠ أكتوبر ٢٠١٨

السحبة الرابعة ٣٠ أكتوبر ٢٠١٨

النصرانية

دراسة عقدية تاريخية تفصيلية

إعداد

د . عبد الرحمن غالب عواجي

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

دار ابن الجوزي

للنشر والتوزيع

استدراك السحبة الرابعة ٣٠ أكتوبر ٢٠١٨

بسم الله الرحمن الرحيم

السحبة الرابعة ٣٠ أكتوبر ٢٠١٨

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا ونبينا محمد عليه وعلىٰ آله أفضل الصلاة وأتم التسليم.

وبعد: تعتبر دراسة الأديان وتاريخها ومقارنتها وأصول مثيولوجياتها وتعاليمها من أهم الدراسات التي ينبغي أن يتضلع منها طالب العلم الشرعي بوجه عام، ومختص علم مقارنة الأديان بوجه خاص، ولا يمكن الاطلاع علىٰ كل تلك الأمور من غير الرجوع إلىٰ مصادر تلك الديانات، والبحث في أصول شرائعها وعقائدها، والتعمق في فهم مصطلحاتها وقواعدها، والرجوع إلىٰ كتابات أقدميها؛ إذ عليهم المعوّل في نقل الديانة التي ينتسبون إليها علىٰ الأغلب -أيّ ديانة-.

وقد بَيَّنَتْ هذه الدراسة عن النصرانية أصولها وعقائدها وشرائعها وقواعدها وأسسها وكتبها وتقاليدها ومصادرها ومقارنتها بالديانات السابقة، في دراسة تاريخية عقدية شاملة، تجمع شتات مباحث هذه الديانة، وتضم تاريخها وعقائدها للدارسين والمختصين وغيرهم.

ومما دعاني بحق إلىٰ تشمير ساعد الجد في إظهار هذه الدراسة للوجود، هو ما رأيته من حرص طلاب الجامعة -أثناء تدريسي لمادة الأديان- علىٰ النهل والاستزادة من معين هذا العلم، خصوصا في مباحث النصرانية لعظم انتشارها في أصقاع المعمورة، ولما ذاقوه من مرارة التنصير الذي لا يكل ولا يمل في الدعوة إليها.

كل ذلك، أدّىٰ إلىٰ شعوري بأهمية خوض غمار هذا الميدان، معتمدا في موارد النقل علىٰ مصادر النصرانية المعتمدة ونقل أقوال أساطينها المعتبرين، وذلك حتىٰ تبنىٰ هذه الدراسة علىٰ أسس قائمة علىٰ العدل، وعلىٰ تحري الدقة والصدق في النقل، ابتداءً بتاريخ المسيحية وذلك من عهد المسيح عليه السلام ثم عهد الحواريين والتلاميذ، ثم عهد الاضطهادات ثم عهد قسطنطين، ثم عهد المجامع النصرانية، ثم القرون الوسطىٰ ثم عهد الإصلاح البروتستانتي ثم عهد الإصلاح الكاثوليكي ثم العداء الديني بين الكاثوليك والأرثوذكس، ثم العداء الديني بين الكاثوليك والبروتستانت، ثم عهد انحسار نفوذ الكنيسة وظهور الثورة الفرنسية، ثم تطرقت هذه الدراسة ثانيا الىٰ البحث في مصادر النصرانية وذلك بدراسة الكتاب المقدس بقسميه وبيانهما وإثبات تحريفهما، ثم بيان مصادر التقليد الكنسي وكتابات آباء الكنيسة، ثم عرض أهم المجامع النصرانية الأولىٰ التي قننت قوانين الإيمان المسيحي، وأما من ناحية دراسة العقائد النصرانية فقد تطرقت هذه الدراسة ثالثا إلىٰ العقائد الأصيلة والشرائع الدخيلة في كل مرحلة من مراحل تطور الديانة النصرانية، وإفراد العقائد الأساسية بالمناقشة والمحاورة، والرد والبيان مبتدأ في الرد بالنصوص المقدسة من كتبهم ثم الرد ببيان حكم العقل ونظرته إلىٰ دعاواهم، فالعقول وإن اختلفت إلا أن هناك حدًّا وثيقًا إذا وصلت إليه تكاتفت علىٰ مجّ الباطل ومقته، وآمنت بعدم معقوليته، ثم عرضت الأدلة المختلفة في تدعيم ذلك، ثم انتهت هذه الدراسة رابعا ببيان عوامل انحراف النصرانية ثم عقد المقارنات بين الديانة النصرانية من جهة، وبين الديانات والفلسفات الهندوسية والبوذية واليونانية والمصرية والفارسية من جهة أخرىٰ، باذلًا الطاقة والجهد في كل ذلك، والله تعالىٰ أسأله العون والسداد.

وفيما يلي بيان كل ذلك في خطة البحث:

خطة البحث:

الباب الأول: تعريف النصرانية وتاريخها، وفيه أربعة فصول:

تمهيد: تعريف النصرانية والأسماء المرادفة لها.

الفصل الأول: حياة المسيح عند أهل الكتاب والمسلمين، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المصادر المعتمدة عند المسيحيين في نقل سيرة المسيح.

المبحث الثاني: ولادة المسيح ونشأته وحياته من مصادر النصارىٰ.

المبحث الثالث: المسيح عليه السلام في المصادر الإسلامية.

الفصل الثاني: تاريخ النصارىٰ بعد المسيح عليه السلام، وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: عصر الحواريين.

المبحث الثاني: عصر الاضطهاد.

المبحث الثالث: عصر تفرق النصارىٰ.

المبحث الرابع: عصر الملك قسطنطين.

المبحث الخامس: عصر انقسام الكنيسة.

الفصل الثالث: عصر القرون الوسطىٰ وعصر الإصلاح الديني، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: عصور القرون الوسطىٰ.

المبحث الثاني: عصر الإصلاح الديني، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الدعوات الإصلاحية البروتستانتية.

المطلب الثاني: الدعوات الإصلاحية الكاثوليكية.

الفصل الرابع: عصر العداء الديني بين الكنائس الكبرىٰ وانحسار نفوذ الكنيسة، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث السابع: تقديس يوم الأحد

المبحث الثامن: الرهبنة.

الباب الرابع: عوامل انحراف الديانة النصرانية

الفصل الأول: أثر بولس والاضطهادات والإمبراطور قسطنطين علىٰ الديانة المسيحية:

المبحث الأول: بولس وأثره علىٰ الديانة المسيحية.

المبحث الثاني: الاضطهادات.

المبحث الثالث: الإمبراطور قسطنطين.

الفصل الثاني: أثر الفلسفات والديانات الوثنية علىٰ المسيحية:

المبحث الأول: المصدر الهندوسي.

المبحث الثاني المصدر البوذي.

المبحث الثالث: المصدر اليوناني.

المبحث الرابع: المصدر المصري القديم والفارسي.

الخاتمة.

وقد سرت في عرض كل تلك المباحث علىٰ سبيل التدرج في فهمها وعرضها حتىٰ يتسق فهمها للقاريء، مع تنويعي أحيانا في ذكر المصادر بين المذاهب المسيحية الكبرىٰ عند اتفاقهم علىٰ بعض المسائل.

وقد ختمت كل مبحث من الباحث السابقة بخلاصة خاتمة له في بضعة سطور تبدأ بقول (**فتبين من هذا**) تضم أهم ماجاء في كل مبحث من مباحث هذا الكتاب.

والله تعالىٰ أسأل أن بنفع به، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم، إنه سميع مجيب.

تمهيد

إن دراسة علم الأديان بوجه عام ودراسة الديانة النصرانية علىٰ وجه الخصوص والبحث في عقائدها أمر جاءت به نصوص الكتاب والسنة، فقد بين الله تعالىٰ أنه خلق الخلق لعبادته وتوحيده، ولذلك أنزل كتبه وأرسل رسله، وأخبر عن كل رسول أنه جاء ليدل أُمَّتَه علىٰ توحيده ويحذرهم من عبادة ما سواه؛ فقال تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦] ومن هؤلاء الرسل المسيح عيسىٰ عليه السلام فقد جاء إلىٰ قومه بالتوحيد الخالص وعبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه؛ فقال داعيًا قومَه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ﴾ [آل عمران: ٥١] وهو ما نُسب إليه أيضًا في الأناجيل فقد ورد أنه قال: «الرب إلهنا، رب واحد فتحب الرب من كل قلبك». (مرقس ١٢/ ٣٤) وقوله مخاطبا الله تعالىٰ: «وهذه الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته». (يوحنا ١٧/ ٣).

وقد جاء المسيح متبعا للتوراة مصدقا بها، فقد ذكر الله تعالىٰ عن المسيح قوله: ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ ﴾ [الصف: ٦] وهذا هو ما نسبته إليه نصوص الأناجيل في قوله: "ما جئت لأنقض الناموس وإنما لأتمّمه" (متىٰ ٥/ ١٧) وهو في ذلك متبع لشريعة التوراة التي جاءت بالتوحيد الخالص في أصلها الأول -إلا ما عبثت به أيدي المحرفين - فقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾ [المائدة: ٤٤] فقد جاء في التوراة منسوبا إلىٰ الله تعالىٰ أنه قال: «أنا الأول وأنا الآخر لا إله غيري» (إشعيا ٤٤/ ٦). وجاء منسوبا إلىٰ موسىٰ في دعوته إلىٰ قومه حيث يقول: " اسمع يا إسرائيل، الرب إلهنا رب واحد فتحب الرب من كل قلبك ومن كل قوتك.." (تثنية ٤/ ٩).

وقوله "الرب هو الإله ليس آخر سواه" (تثنية ٤/ ٣٥) وغيرها من النصوص التي تدل علىٰ الوحدانية.

وقد أخبر أنه رسول من عند الله فقال: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [آل عمران: ٤٩] ويؤكد الإنجيل أيضا هذه الحقيقة فينسب إلىٰ المسيح أنه قال: "لم أرسل إلا إلىٰ خراف بني إسرائيل الضالة" (متىٰ ١٥/ ٢٤) وقال "من يقبلني يقبل الذي أرسلني" (متىٰ ٤٠/ ١٠) وغيرها من النصوص التي تبين أنه رسول مرسل من الله تعالىٰ، لدلالة قومه علىٰ توحيد الله وهدايتهم إليه.

وهذا هو ما سار عليه أتباعه الحقيقيون من الذين آمنوا به، فقال تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ﴾ [المائدة: ١١١] وهو ما شهدت به الأناجيل من أن أتباعه علىٰ الحق، آمنوا به رسولا نبيًّا، في حياته وبعد مماته، ويدل علىٰ ذلك قصة الشاب الميت المحمول علىٰ النعش، حيث تذكر الأناجيل أن المسيح تقدم و لمس النعش فوقف الحاملون، فقال أيها الشاب، لك أقول: قم، فجلس الميت، و ابتدأ يتكلم، فدفعه إلىٰ أمه، فأخذ الجميع خوف، ومجدوا الله قائلين، قد قام فينا نبي عظيم " (لوقا ٧/ ١٤-١٦) فلو كان إلها لمجَّدوه وشهدوا بألوهيته، ولو كان فعلهم خاطئا لنهاهم هو وبيَّن أنه إله وليس نبيًّا.

ولكن بعد أن رفعه الله إليه بفترة وجيزة تاه أتباع الديانة النصرانية في مهامه الضلال، وادلهمت عليهم الخطوب، وغاب عنهم الحق، واندثر الهدىٰ الذي جاء به عيسىٰ عليه السلام، فدخل في هذه الديانة من ليس من أهلها، بقصد تشويهها وتحريفها، واضطُهد أتباعها بين قتيل وشريد، واندمجت تعاليمها مع كثير من التعاليم الوثنية، وفُقد الأصل الذي ترتكز عليه، وهو كلام الله في الإنجيل وكلام المسيح، فتكونت ديانة شوهاء من شتَّىٰ الفلسفات والديانات المختلفة، وشرَّعوا لأنفسهم عقائد جديدة، وعقدوا المجامع التشاورية لتقرير عقائدهم وشرائعهم.

فقد عُقد أول مجمع لهم عام ٣٢٥م ويسمىٰ مجمع "نيقية" وقرروا فيه أسس العقائد التي ترتكز عليها الديانة النصرانية، ويعتبر هذا المجمع هو رأس المجامع

وأساسها الذي ارتكزت عليه الديانة النصرانية الجديدة، فقد تقرر في هذا المجمع "قانون الإيمان المسيحي النيقوي"[1] ثم أكمل هذا القانون في مجمع القسطنطينية عام ٣٨١م[2]، ووضعت مقدمته في مجمع أفسس عام ٤٣١م[3]، وهذا القانون يؤمن به جميع النصارىٰ وجوبا حتميا، ولا يصح إيمان من لا يؤمن به في نظر النصارىٰ، بل يكون مرتدا عن الديانة النصرانية من أنكره، أولم يؤمن به.

يقول البابا كيرلس السكندري ٤٤٤م في تقرير قدسية قانون الإيمان:" هو أساس وقاعدة ثابتة تسند نفوسنا.. قدم لنا مفاهيم إيمانية صادقة"[4].

ولا زال هذا الاعتقاد متوارث في عرف الإيمان والكنيسة المسيحية، يقول البابا شنودة الثالث - بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية المعاصر ٢٠١٢م- "قانون الإيمان المسيحي هو أساس عقيدتنا المسيحية، وتؤمن به كل الكنائس المسيحية في العالم أجمع، والذين لا يؤمنون به لا يعتبرون مسيحيين"[5] ويعتبرونه أيضا "هو القانون المعبر عن الإيمان المسيحي الحقيقي، وبناء علىٰ ذلك، فمن

---

(١) انظر: حوار حول الثالثوث، البابا كيرلس، ص١٠وانظر: Describe the contribution - and impact of The Council of Nicea to the Church. Emberson, I., 2009.p.3

(٢) انظر: مجموعة الشرع الكنسي، الأرشمندريت: حنانيا إلياس كساب ص٢٤٦ وعلم اللاهوت النظامي، للقس جمس أنس ص١٧٠.

(٣) انظر: Christian theology: An introduction. McGrath, A. E.John Wiley & - Sons, 2nd edition, (2016). P. 282

(٤) حوار حول الثالوث ، البابا كيرلس، ص٩.

(٥) انظر: مقدمة كتابه "قانون الإيمان المسيحي"، البابا شنودة الثالث و The Blackwell Companion to the New Testament, David E. Aune, A John Wiley & Sons, Ltd., 2010, First Edition.p.6-9

يخالف تعاليم هذا القانون يخالف الإيمان المسيحي ويجب حرمه"[(١)]، وهذا ما ذكره علماء المسلمين أيضا من اتفاق جميع طوائف النصارىٰ علىٰ الإيمان به[(٢)].

فقد جمع هذا القانون جل العقائد الأساسية التي ترتكز عليها الديانة النصرانية، وهذا نصه كما جاء في مجمع "نيقية": "نؤمن بإله واحد ضابط الكل، خالق السماء والأرض، كل ما يرىٰ وما لا يرىٰ، وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد، المولود من الآب قبل كل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساو للآب في الجوهر الذي كان به كل شيء، الذي من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء، وتجسد من الروح القدس، ومن مريم العذراء، وتأنس وصلب عنا علىٰ عهد بيلاطس البنطي، وتألم، وقبر، وقام في اليوم الثالث علىٰ ما في الكتب، وصعد إلىٰ السماء، وجلس عن يمين الآب، وسيأتي بمجد ليدين الأحياء والأموات، الذي لا فناء لملكه" ثم أكمل في مجمع "قسطنطينية": "ونؤمن بالروح القدس، الرب المحي، المنبثق من الآب، الذي هو مع الآب، والابن مسجود له وممجد، الناطق بالأنبياء، وبكنيسة واحدة مقدسة، جامعة رسولية، ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا، ونترجىٰ قيامة الموتىٰ، والحياة في الدهر الآتي، آمين" ثم وضعت مقدمة هذا القانون وضعت في مجمع "أفسس" وهي "نعظمك يا أم النور الحقيقي، ونمجدك أيتها العذراء المقدسة، والدة الإله، لأنك ولدت لنا مخلص العالم، أتىٰ وخلص نفوسنا، المجد لك يا سيدنا وملكنا المسيح، فخر الرسل، أكليل الشهداء، تهليل الصدّيقين، ثبات الكنائس، غفران الخطايا، نبشر بالثالوث المقدس، لاهوت واحد، نسجد له ونمجده، يا ربّ ارحم، يا ربّ بارك

---

(١) تاريخ الفكر المسيحي للقس حنا جرجس ١/ ٦٣٢.

(٢) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٣/ ٣٠ وهداية الحيارىٰ في أجوبة اليهود والنصارىٰ ص٢٣٦ وتثبيت دلائل النبوة، للقاضي عبد الجبار ١/ ١١٠ والنصيحة الإيمانية، عبد الله الترجمان ص٦٨.

آمين". وبهذا اكتملت الديانة الجديدة، التي تنتسب زورًا إلىٰ المسيح عليه السلام.

وعند إمعان النظر في هذا القانون يتبين أن ما عليه النصارىٰ منذ إقراره إلىٰ اليوم، هو نتيجة حتمية لهذا القانون الظالم، فقد قُرّرت فيه العقائد المحرفة(١)، واضطُهِد أهل الحق والتوحيد، وجُبر النصارىٰ قسرا علىٰ الإيمان به، ثم تسلطت الكنيسة بموجب هذا القانون الذي نص علىٰ سلطة الكنيسة، واعتبر ما تصدره الكنيسة من أوامر ونواه هي في الحقيقة صادرة عن الله(٢)، ودخل النصارىٰ في عصور الظلام، وأسموها " العصور المظلمة" أو "العصور الوسطىٰ" ثم ضاق النصارىٰ ذرعا بتلك الكنسية الجامعة التي جمعت النصارىٰ تحت حد السيف، فانقلبوا علىٰ الكنيسة، وأضرموا النار في وجوه سلاطينها، فتفتَّت عضد الكنيسة، وظهرت الثورة الفرنسية التي تلاحقت عقيبها الثورات علىٰ الكنيسة ودينها ونشأت المذاهب الفلسفية، والاقتصادية، والاجتماعية، التي تقصي الدين، بل وتمقته مقتا شديدا، كمقتهم لرجال الدين النصارىٰ، أو أشد.

---

(١) يلخص الباب شنودة الثالث العقائد التي يشتمل عليها قانون الإيمان المسيحي فيقول: "ويشمل قانون الإيمان الحقائق الأساسية وهي: ١- وحدانية الله. ٢- عقيدة الثالوث المقدس ولاهوت كل أقنوم وعمله.٣ - عقيدة التجسد والفداء والخلاص. ٤- عقيدة المعمودية لمغفرة الخطايا. ٥- عقيدة قيامة الأموات والحياة الأخرىٰ في الدهر الآتي. ٦- عقيدة المجيء الثاني للمسيح حتىٰ تتم الدينونة. ٧- الكنيسة الواحدة المقدسة الجامعة الرسولية. انظر: قانون الإيمان المسيحي للباب شنودة الثالث ص١.

(٢) انظر: مجموع الشرع الكنسي، الأرشمندريت: حنانيا إلياس كساب ص٣٦.

الباب الأول

تعريف النصرانية وتاريخها

وفيه أربعة فصول:

تمهيد: تعريف النصرانية والأسماء المرادفة لها

الفصل الأول: حياة المسيح عند أهل الكتاب والمسلمين

الفصل الثاني: تاريخ النصارى بعد المسيح عليه السلام

الفصل الثالث: عصر القرون الوسطى وعصر الإصلاح الديني

الفصل الرابع: عصر العداء الديني بين الكنائس الكبرى وانحسار نفوذ الكنيسة

تمهيد

التعريف بالنصرانية

أ- أصل هذه التسمية: (النصارى):

يظهر من خلال نصوص العهد الجديد أن أول اسم أطلق عليهم هو تسميتهم بالنصارىٰ، حيث نُسبوا إلىٰ الناصرة أو نصرانة[1]، فقد ورد أن المسيح نفسه نُسب إليها، كما جاء في إنجيل متىٰ: "وأتىٰ وسكن في مدينة يقال لها ناصرة، لكي يتم ما قيل بالأنبياء إنه سيدعىٰ ناصريا" (متىٰ، ٢/ ٢٣)، وسموا أيضا بلفظ (شيعة النصارىٰ) (أعمال الرسل ٢٤/ ٥، الترجمة العربية المشتركة).

وتسميتهم بالنصارىٰ كانت من قِبَل اليهود علىٰ سبيل التحقير لهم، كما يقول مفسرو الكتاب المقدس عن هذا الاسم بأنه كان اسم تحقير لتابعي المسيح، باعتبار الناصرة بلد صغير في الجليل "ممتلئ بالأمم الوثنية"[2]، مع اللمز بأن الناصرة لم يكن يتوقع أن يخرج منها شيء صالح[3].

ويرىٰ بعض الباحثين أن سبب إطلاق اليهود عليهم هذا الاسم هو بسبب تقديسهم لاسم المسيح، حيث كانوا يعتبرون أتباع المسيح أنهم خارجون من

---

(١) لسان العرب ٦/ ٤٤٤٠. وتهذيب اللغة مادة، ن ص ر، ١٢/ ١١٢.

(٢) الموسوعة الكنسية لتفسير العهد الجديد، كنيسة مار مرقص القبطية الأرثوذكسية، إعداد وتفسير مجموعة من كهنة وخدام الكنيسة، ٣/ ٢٢٩.

(٣) انظر: التفسير الكامل للكتاب المقدس، العهد الجديد، متىٰ هنري، ٤/ ٥٧٤ ووردت إشارة إلىٰ ذلك في يوحنا، ١/ ٤٦.

اليهودية، فاكتفوا بأن دعوهم (ناصريين) نسبة إلىٰ يسوع الناصري[(١)].

ولكن اصطلح بعد ذلك علىٰ تسميتهم بالنصارىٰ واشتهروا به، وأصبح المعنىٰ العام للنصارىٰ بأنهم هم الذين يزعمون أنهم أتباع المسيح عيسىٰ عليه الصلاة والسلام وكتابهم الإنجيل.

ب- من الأسماء التي تطلق عليهم: (المسيحيون):

وهي نسبة إلىٰ المسيح، ويظهر أن هذا اللفظ قد أُطلق عليهم متأخِّرًا عن لفظ النصارىٰ، حيث أطلق عليهم بعد عصر المسيح، وذلك في أنطاكية حيث ورد في أعمال الرسل: "ودُعي التلاميذ مسيحيين في أنطاكية أولا" (أعمال الرسل، ١١/ ٢٦)

وهذا يشير إلىٰ أنهم عُرفوا باسم المسيحيين أولا في أنطاكية، في عام ٤٢م تقريبا، أما أتباع المسيح قبل ذلك الوقت فقد كانوا "يدعون أنفسهم أخوة أو تلاميذ أو مؤمنين"[(٢)].

ويرجّح بعض النصارىٰ أن لقب المسيحيين أطلق في بادئ الأمر شتيمة عليهم أيضا، ويعزز هذا قول بطرس في رسالته: " هنيئا لكم إذا عيروكم من أجل اسم المسيح... ولكنه إذا تألم لأنه مسيحي فلا يخجل، وليمجد الله بهذا الاسم" (بطرس الأولىٰ ٤/ ١٤-١٦) ويدل تعييرهم به وخجلهم منه علىٰ استنقاص ذلك الوصف لهم.

---

(١) انظر: An Introduction to Christian Theology. The Boisi Center Papers on Religion in the United States. The Boisi Center for Religion and American Public Life. P. 2

(٢) انظر: The life and ministry of Jesus' 12 Disciples. Rose Publishing, (2008).

ومما يدل على هذا المعنى ما ذكره بعض المؤرخين القدماء، يقول أغريباس الأول – أحد ملوك الرومان على فلسطين ٧٠م –: "بقليل تقنعني أن أصير مسيحيا" ويقول المؤرخ تاستيس ١٢٠م: "إن تابعي المسيح كانوا أُناسًا سفلة عاميين"[١]، ولذلك يقول الأب أسطفان شربنتيه: "أصل هذه الكلمة موضع جدال على كل حال"[٢].

ويبدو لي – والله أعلم – أن اسم المسيحيين هو الاسم الذي أطلقه النصارى على أنفسهم، نسبة إلى المسيح، غير أن اليهود كانوا لا يرتضون تسميتهم بهذا الاسم إنكارا لهم لعدم إيمانهم بمسيحية المسيح، ولما اشتهروا بهذا الاسم أصبح الرومان واليهود مضطرين إلى شتم النصارى باسم المسيحيين للتنفير منهم ومن عقائدهم.

ج- أيهما أسبق، لفظ النصارى أم المسيحيين:

لفظ النصارى أسبق من لفظ المسيحيين، حيث أُطلق على أتباع يسوع الناصري، في فجر المسيحية في بلاد الشام، إلا أنها تلاشت في القرن السابع الميلادي، وذلك لرغبة النصارى استبدال تسميتهم بالنصارى إلى تسميتهم بالمسيحيين[٣].

وإذا نظرنا إلى القرآن الكريم باعتباره المصدر الموثوق لدى المسلمين، فإننا نجد أن القرآن الكريم ورد فيه تسميتهم بالنصارى، وقد ورد على نواحي مختلفة: فمنها ما ورد على سبيل الذم لهم كقول الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ﴾ [التوبة: ٣٠].

---

(١) قاموس الكتاب المقدس، ص٩٤٦.

(٢) دليل إلى قراءة الكتاب المقدس، الأب أسطفان شربنتيه ص١٤٢.

(٣) انظر: An Introduction to Christian Theology. The Boisi Center Papers on Religion in the United States. The Boisi Center for Religion and American Public Life. P. 2

ومنها ما ورد علىٰ سبيل الإخبار كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠]، وقوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ [البقرة: ١١٣] ومنها ما ورد في بيان أن حكم من آمن منهم حكم غيرهم من المؤمنين، كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ [البقرة: ٦٢] وورد تسميتهم بالأنصار علىٰ سبيل المدح كقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الصف: ١٤].

فأُطلق هذا الاسم عليهم علىٰ سبيل الذم تارة، وعلىٰ سبيل المدح تارة، وعلىٰ سبيل الإخبار عنهم تارة أخرىٰ، فلم يرد مدح مطلق لهذا الاسم ولا ذم مطلق له، فتبين أن الحكم علىٰ أفعالهم وليس علىٰ مسمياتهم، إذ التسمية لا تغير شيئا من الحقيقة الواقعة من الناحية الشرعية.

ولكن يبدو أن بعض النصارىٰ لا يحبذون هذه التسمية، ويفضلون تسميتهم بالمسيحيين، كما يقول الكاتب المسيحي صفاء جميل بهنان: "إن هذه التسمية – النصارىٰ–ليست لها أية صلة بوجودنا وبإيماننا، ويجب رفضها رفضا قاطعا، والذي يطلقها علينا يستوجب منا تعليمه بعدم عائديتها علينا لا من قريب ولا من بعيد، وكفىٰ القول " إننا مسيحيون"، وهو الاسم الحسن الذي نحافظ عليه إلىٰ الأبد، لصفائه وخصوصيته لنا فقط"(١).

ولا شك أن ميلهم إلىٰ تسميتهم باسم المسيحيين نابع من محبة التصاقهم بالمسيح، ولكن العبرة بمدىٰ اتباعهم له وليس بمجرد التصاقهم باسمه وهذا قانون عام ينسبر علىٰ كل أتباع نبي ورسول.

(1) http://www.bakhdida.com/SafaJamil/Nasara.htam

الفصل الأول

حياة المسيح عند أهل الكتاب والمسلمين

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المصادر المعتمدة عند المسيحيين في نقل سيرة المسيح

المبحث الثاني: ولادة المسيح ونشأته وحياته من مصادر النصارى

المبحث الثالث: المسيح عليه السلام في المصادر الإسلامية

الفصل الأول

حياة المسيح عند أهل الكتاب وعند المسلمين

لدراسة سيرة المسيح عليه السلام أهمية عظيمة عند دراسة الديانة المسيحية، إذ يُعتبر بيان سيرة المسيح عليه السلام ودعوته، هي الركيزة الأولىٰ عند دراستها دراسة عادلة، حتىٰ يتبين مدىٰ صحة ارتباط المسيحيين بالمسيح وبتعاليمه ودعوته، ويتبين ما حلَّ بأتباع هذه الديانة، وما طرأ عليهم من أحداث، خلَّفت موروثا مسيحيا غير متماسك، أتاح فيه للدُّخلاء تغيير ما أمكن تغييره من رسالة المسيح.

وقد جاءت سيرة المسيح وتعاليمه في كتبهم المقدسة وتواريخهم المعتمدة، مختلط فيها الحق بالضلال، والنور بالظلام، ولهذا فسرد سيرة المسيح وتعاليمه خالية من تعصب الآراء وتدخل الأهواء أمر في غاية الأهمية.

وفيما يلي نستعرض المصادر التي يمكن الاعتماد عليها عند المسيحيين، ثم المصادر المعتمدة في الإسلام، ومن ثم الكلام عن مولده ونشأته وسيرته ودعوته، وذلك كما يلي:

المبحث الأول

المصادر المعتمدة عند المسيحيين في نقل سيرة المسيح

تنوعت المصادر المسيحية في الحديث عن سيرة المسيح ونشأته، ما بين كتابات مطولة عن حياة المسيح، وما بين أحاديث مقتضبة عنه كذلك، إلا أنه يمكن أن يقال: إن هناك اتجاهين للباحثين المسيحيين في ذلك، وذلك كما يلي:

الاتجاه الأول: اتجاه من يرى انعدام المصادر الموثقة، التي يمكن الاعتماد عليها كمصادر علمية، ويرى أنه من المستحيل أن تكتب سيرة المسيح الحقيقية أبدا، وذلك لما يلي:

أ - أنه لم يُكتب شيء من سيرته:

يرى أصحاب هذا الاتجاه أنه لم يُكتب أي شيء من سيرة المسيح، لأن المسيح لم يوصِ بتدوين مواعظه أو سيرة حياته، ويرون أنه لم يبقَ من أعمال السيد المسيح شيء ولا كلمة واحدة مكتوبة(١).

تقول دائرة المعارف البريطانية: "يجب أن نترك سعينا وراء كتابة سيرة يسوع، ذلك لأن المادة الموثقة والمعتمدة لهذا الغرض لا توجد، أما ما يوجد لدينا من وثائق عن حياته، التي يمكن الاعتماد عليها، فهي لا تزيد عن بيان سيرته لخمسين يوم فقط"(٢).

ويقول دليل كامبردج إلى تاريخ المسيحية: " يمكن استخدام العديد من

(١) انظر: W.R.inge: christian ethics and modern problems (london,1930) P43

(٢) دائرة المعارف البريطانية مقال: يسوع المسيح (jesuschrist)
وencyclopaediabritannica (1958) vol.13,pp.16-17.

النماذج المختلفة لملء الصورة المتفرقة والمتناقضة في كثير من الأحيان، التي تقدمها أقدم التقاليد عن يسوع وأتباعه"(١).

ب - أنها غير موثوقة:

يرىٰ أصحاب هذا الاتجاه أن المصادر المعتمدة في نقل مجمل سيرة المسيح، حتىٰ المقدسة منها، غير موثوقة النقل في سردها لسيرة المسيح، وهذا أصبح في حكم المعترف به، حتىٰ إن الطبعة المسكونية للكتاب المقدس تقول في مقدمة العهد الجديد: "إن نص العهد الجديد قد نسخ، ثم نسخ طوال قرون كثيرة، بِيَد نساخ صلاحهم للعمل متفاوت، وما من أحد منهم معصوم.. وهكذا أدخلوا إلىٰ النص قراءات جديدة تكاد تكون كلها خطأ"(٢).

ويشكك دليل كامبردج إلىٰ المسيحية في صحة أو مصداقية الأخبار التي نقلت في المصادر الإنجيلية عن المسيح، حيث يعتبر أن كل تلك القصص أعيد صياغتها وتشكيلها بعد صلب المسيح، حيث تحول كتاب الأناجيل إلىٰ " عملاء ووكلاء إعلام لطارد للأرواح الشريرة [يعنون المسيح] " ثم يقول: "ومع الأخذ في الاعتبار أن كل قصص يسوع التي وصلتنا في مصادرنا قد تحولت عن طريق إعادة التفسير بعد وفاته"(٣).

---

(1) The Cambridge History of Chritianity, Edited by; Margaret Mary M. Mitchell and Frances M.YOUNG, Assistant Editor;k. Scott Bowie, UK, Cambridge University Press 2006,p144

(٢) الكتاب المقدس، طبعة الرهبانية اليسوعية للكتاب المقدس، عام ١٩٨٤م.

(3) The Cambridge History of Chritianity, Edited by; Margaret Mary M. Mitchell and Frances M.YOUNG,p146-147

ويسير علىٰ هذا الاتجاه كثير من علماء الكتاب المقدس المعاصرين، كما نشرت ذلك مجلة التايمز البريطانية، في عددها الصادر يوم ٥/ ١٠/ ٢٠٠٥م، حيث ذكرت أن الهيئة الكهنوتية في الكنيسة الكاثوليكية الرومانية أصدرت وثيقة باسم "هبة الكتاب المقدس"، كان من ضمن ما جاء فيها قولهم: " يجب علينا ألا نتوقع العثور علىٰ كلام علمي دقيق، وإحكام تاريخي بالغ الدقة أو تام في الكتاب المقدس".

وقد نشرت مجلة (تايم) الأمريكية ملفا تحت عنوان (البحث عن يسوع)، في عددها الصادر يوم ٨/ إبريل/ ١٩٩٦م، تضمن تشكيكا كبيرا في كثير من نصوص الكتاب المقدس التاريخية وغيرها.

ومنهم من اقتنع واعتقد أن المسيح لم يكن نبيا أصلا، وإنما كان ثائرا اجتماعيا كما يقول ذلك أستاذ علم مقارنة الأديان الإمريكي المعاصر أصلان بجامعة أيوا بكالفورنيا Reza Aslan في كتابه Zealot; The Life and Timess of Jesus of Nazareth الذي صدر في عام ٢٠١٣م من Random House.

والذي أحدث ضجة كبيرة بين المجتمع اللاهوتي؛ حيث اشتمل علىٰ القول بأن المسيح كان ثائرا اجتماعيا وأنه صلبه كان لأجل الخروج علىٰ النظام العام، وأن بولس هو من حرَّف قوانين المسيح الاجتماعية وخربها من داخلها.

ج- الشك في وجود المسيح:

عندما تطرَّق الشك إلىٰ نصوص العهد الجديد - لدىٰ أصحاب هذا الاتجاه - ولا سيما الأناجيل التي تعد مصدرا مهما، بل أهم المصادر في سيرة المسيح، تطرق الشك بطبيعة الحال أيضا إلىٰ وجود من تحدثت عنه تلك الأناجيل، فأصبح بعض مؤرخي الأديان من النصارىٰ من أصحاب هذا الاتجاه بين فكي الرحىٰ، فلا هم مقتنعون بالأناجيل، وليس لهم مصادر غيرها، ولا هم مصدقون بها، وقد ظهر أوج هذا الرأي في عصر ما بعد عصر التنوير الأوروبي.

ومن الأعاجيب، أن بعض المؤرخين للمسيحية يعقد الفصول الطويلة، في نشأة المسيح، وسيرته، ودعوته، ولاهوته، ثم يختم حديثه بالسؤال عن وجود المسيح، هل هو حقيقة أم خيال؟

وقد انتشر هذا الرأي بكل قوته، منذ القرن الثامن عشر للميلاد، حتىٰ عُدّت "الكتب والمقالات التي رفضت وجود المسيح وبشدة أكثر من مائة كتاب ومقالة في المائتي عام المنصرمة".

ومن أبرز الذين نفوا وجود المسيح في مؤلفاتهم "برونو بور" ١٨٠٩م وأعضاء المدرسة الهولندية الراديكالية، في سبعينات القرن التاسع عشر، والبريطاني "جون روبيرتسون" ١٩٠٠م، والأمريكي "وليم سميث" ١٩٣٤م، والألماني "آرثر دروز" ١٩٣٥م، و"جورج أي ويليمز" ١٩٢٦م [١].

ومن أمثلة أولئك ذلك القس حنا جرجس، حينما يقول بعد أن ذكر ترجمة مطولة عن سيرة نشأة المسيح ولاهوته، ثم ختمها بقوله: "والسؤال الذي يفرض نفسه فرضا علىٰ الباحث في التاريخ، هو السؤال الذي سأله الأستاذ موريس جوجل (Maurice Gugel)، الذي كتب عدة مؤلفات عن حياة المسيح، محاولا الإجابة علىٰ السؤال الآتي: هل يسوع هو شخصية حقيقية لحما ودما ؟ وهل عاش في منطقة ما علىٰ الأرض وفي وقت معين؟ أم هو مجرد حقيقة روحية رمزية أسطورة؟".

ثم يقول القس حنا جرجس معقبًّا: "هذا السؤال الذي سأله جوجل ونسأله ويسأله الكثير من المؤرخين، هل يسوع الناصري حقيقة أم خيال؟"[٢].

(١) انظر: يسوع المسيح خارج العهد الجديد، روبيرت فان فورست، ص١٧-٢٣.
(٢) تاريخ الفكر المسيحي، القس حنا جرجس ١/ ١٤٧.

وتصادق على ذلك المؤرخة أ.س.سنفنسيسكايا فتقول: "ومن حق المؤرخين أن يرتابوا في صحة رواية مولد يسوع في بيت لحم"(١).

ويعرض كتاب مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، الذي أُلّف لغرض تعليم الاعتقاد المسيحي، سؤالا مهما من وجهة نظرهم حيث يقول: "هل كان للمسيح جسد حقيقي؟"(٢).

ومنشأ هذا التضارب هو وجود نتائج عقدية غير مستساغة عقليا حسب رأيهم، فنزول المسيح ابن الله متدرعا بدرع اللاهوت متجسدا به ثم موته وارتفاعه إلى السماء فداء لخطأ لم يقترفه مثار استفهامات عقلية كبيرة.

وقد طرح أصحاب هذا الاتجاه عدة تساؤلات من قبيل: هل سيكون معيَّنا لنا ثانية؟ هل رحمته ذهبت إلى الأبد؟ هل يخلف وعوده إلى الأبد؟ هل نسي الرب أن يكون رحيما؟ هل أغلق الرب أبواب رحمته بسبب غضبه؟ هل يعتقد الفرد أن الرب قد نبذ شعبه الذين كان يعرفه مسبقا؟(٣).

يقول دليل كامبردج إلى المسيحية: "وقد بدا الشك هو الحالة المناسبة لمؤرخ ما بعد الإصلاح وما بعد التنوير، فلم يعتقد كثير منهم بالوثائق التي كان يتاجر فيها باباوات الكنيسة في فترة القرون الوسطى" (٤).

(١) المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية، أ.س.سنفنسيسكايا ص٧٠.

(٢) مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ص٣٨.

(٣) انظر: Reasons for doubting Christ. A sermon delivered by Spurgeon, C. at the Metropolitan Tabernacle, Newington (1905).p2

(4) The Cambridge History of Chritianity, Edited by; Margaret Mary M. Mitchell and Frances M.YOUNG, p3

ومع أن بعض أتباع هذا الاتجاه يُعقّب بالأدلة والبراهين التي تبرهن علىٰ وجود المسيح، ويستدل بأقوال الوثنيين واليهود علىٰ وجوده، إلا أنه مع ذلك، يوحي بأن الشك متجذر في نفوس أصحاب هذا الاتجاه في حقيقة وجود المسيح، ويوحي كذلك بأن تلك البراهين ما هي إلا لدفع ذلك الشك.

الاتجاه الثاني: اتجاه من يرى وجود المصادر الموثوقة في نقل سيرة المسيح وهي كما يلي:

أ - اعتماد الأناجيل كمصدر موثوق:

يرىٰ أصحاب هذا الاتجاه أن الأناجيل تعتبر مصدرًا مهمًا ومعتمدًا في نقل سيرة المسيح، حيث أن كُتَّابها هم أول من كتب عن المسيح عن مشاهدة منهم له، أو نقل لأخباره عن مشاهديه -في نظرهم-.

ولهذا فإنهم يعتبرون المصدر الرئيس المعتمد في سيرة المسيح هي الأناجيل الأربعة(١)، بل هي العمدة الوحيدة في كتابة ذلك التاريخ، ومواطن الاختلاف بينها ظاهرة، ويرون أن رفضها علىٰ الجملة أصعب من قبولها.

ويرون أن الواجب أن يدخل في الحسبان أنها هي العمدة التي اعتمد عليها قوم، هم أقرب الناس إلىٰ عصر المسيح، لأن الآباء والرسل والتلاميذ كانوا معاصرين لحوادث العهد الجديد، ويرون أنه ليس لدينا نحن بعد أكثر من ألفي سنة عمدة أحق منها بالاعتماد(٢).

---

(١) انظر: An Introduction to Christian Theology. The Boisi Center Papers on Religion in the United States. The Boisi Center for Religion and American Public Life. P. 2

(٢) وممن قال بهذا الرأي: الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة، يوحنا بن زكريا المعروف بابن سباع، ص٤١ والمدخل إلىٰ الكتاب المقدس، حبيب سعيد، ص١٣ وكيف نفهم علم =

غير أن هناك جملة من أتباع هذا الرأي -أي الذين ذهبوا إلىٰ اعتماد سيرة المسيح من خلال الأناجيل- اتفقوا علىٰ أن تلك الأناجيل لم تذكر سوىٰ النزر اليسير عن نشأته وحياته، يقول قاموس الكتاب المقدس: "لا نجد في العهد الجديد الكثير عن طفولة الرب يسوع، ما عدا الإشارات البسيطة"(١).

وقد اعتذر بعضهم عن سبب قلة الموارد لسيرة المسيح في الأناجيل بأن تلك الكتب لم تهدف إلىٰ سرد سيرة المسيح، بل إلىٰ ذكر المواعظ والتعاليم، ومنهم من اعتذر بأن هدفها ديني وليس تاريخي(٢)، وهذا العذر بيّن التهافت، وإلا فلماذا اتخذوه ربًّا معتمدين في ذلك علىٰ سيرة حياته ومعجزاته؟

ب- وجود المصادر الأخرى في نقل سيرته:

من الأسباب التي دعت أصحاب هذا الاتجاه إلىٰ قبول سيرته من خلال المنقول، هو أن هناك مصادر أخرىٰ لسيرة المسيح غير الأناجيل المقدسة، وهذه المصادر علىٰ نوعين:

النوع الأول: المصادر المسيحية: وذلك مثل كتب المؤرخين القدماء، وكتب الأدب المسيحي غير الملهم، أي غير المعصوم.

= اللاهوت، رت كندل، ٣/ ٨ وميزان الحق، كارل فاندر، ص٤٣٩-٤٤٠ والتعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ص٢٤ ويسوع المسيح خارج العهد الجديد، روبيرت فان فورست، ص١٦٠.

(١) قاموس الكتاب المقدس، ص٨٦٦.

(٢) انظر: يسوع المسيح خارج العهد الجديد، روبيرت فان فورست، ص١٨ وتاريخ الفكر المسيحي، القس حنا جرجس ١/ ١٤٥. والمسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية، إ.س. سفينسيسكايا ص٦٤.

النوع الثاني: المصادر غير المسيحية: هناك من المؤرخين من يرىٰ أن هناك نوعا من المصادر غير المسيحية يمكن الاعتماد عليها، كقرائن تعضد ما نُقل عن المسيح، وهي علىٰ قسمين وذلك كما يلي:

١- **المصادر اليهودية والرومانية**: كشهادة يوسف فلافيوس اليهودي وهو مؤرخ وقائد يهودي ١٠٠م وويلس اليهودي، وكذلك كُتَّاب الرومان الذين أشاروا إلىٰ وجود المسيح مثل: سوتونيوس١٤٠م، وتاسيتوس٩٦م، وبليني الأصغر١١٣م، ومارا بار٧٣م، وثالوس ٥٦م، والفيلسوف لوشيان٢٠٠م، وسيلسوس ١٧٥م، والمصادر اليهودية كالأدب العبري الحاخامي، وغيرها[١].

ولكن الحقيقة هي أن هذه المصادر ليست بذات أهمية حتىٰ عند النصارىٰ، بل يرجح البعض دخول بعض الأيدي المسيحية في تعديل وتحوير تلك الكتب، بغرض إثبات العقائد المسيحية علىٰ لسان غير المسيحيين[٢]، مع أنها تحوي كثيرا من القدح في مريم العذراء وابنها المسيح.

وتذكر اللاهوتية باربارا ووكر أنه لا يوجد إنسان متعلم في عصر المسيح قد ذكر المسيح في شكل من أشكال الكتابة المعروفة وأن جميع أعمال المؤرخ اليهودي المشهور جوزيفس والتي تتكون من مئات الصفحات توجد فقرتان فقط تشيران إلىٰ المسيح[٣].

ويَرد عليها أيضا أن كتّاب تلك المصادر – لو فرضنا صحتها –عن المسيح هم في حقيقتهم نقلة لما يقوله النصارىٰ عن المسيح، وليسوا مقررين لما جاء به المسيح

(١) انظر: يسوع المسيح خارج العهد الجديد، روبيرت فان فورست، ص٢٩ وما بعدها.

(٢) انظر: The Origins of Christiaity and the Quest for the Historical Jesus Christ, Acharya, S,2011. P.12

(٣) نفس المرجع.

من اعتقادات ومعجزات لأنهم لا يؤمنون بها، ولو آمنوا بها لآمنوا بالمسيح، خصوصا وأنهم كلهم لم يعاصروا المسيح.

٢ - **المصادر الإسلامية**: لجأ بعض النصارىٰ إلىٰ اعتماد القران الكريم كمصدر أساسي في سرد سيرة المسيح، فأصبح للقرآن الكريم مكانة علمية في الأوساط النصرانية المعتدلة، التي تجردت عن سلطان الهوىٰ والتعصب. فنجدهم يقرون -مع كفرهم به -بجودة مصدريته ودقة أخباره، وبتواتره المنقطع النظير، وخلوه من التناقضات والتغييرات.

يقول المستشرق الفرنسي ديمومبين: "إن المنصف لا مناص له من أن يقر بأن القرآن الحاضر هو القرآن الذي كان يتلوه محمد"(١).

ويقول السير وليم موير في كتابه (حياة محمد)": "كان الوحي المقدس أساس أركان الإسلام، فكانت تلاوة ما تيسر منه جزءا جوهريا من الصلوات اليومية عامة وخاصة...لذلك وعت القرآن ذاكرة كثرة المسلمين الأولين، إن لم يكونوا جميعا".

ويقول الدكتور داود رياض إرسانيو: "ورد ذكر المسيح في ثلاث وتسعين آية قرآنية، وإلىٰ هذه الآيات يرجع التفكير الإسلامي، كلما تناول مسلم شخصية المسيح بالبحث، ومجمل الآيات التي تكلمت عن المسيح وأمه أحدهما أو كليهما ٢٨٦ آية"(٢).

ويقول واشنطن إيرفنغ: "كانت التوراة في يومٍ ما هي مرشد الإنسان وأساس سلوكه، حتىٰ إذا ظهر المسيح اتبع المسيحيون تعاليم الإنجيل، ثم حل القرآن مكانهما، فقد كان القرآن أكثر شمولا وتفصيلا من الكتابين السابقين، كما صحح القرآن ما قد أدخل علىٰ هذين الكتابين من تغيير وتبديل".

---

(١) أثر التفكير الفلسفي في الإسلام، د. عبدالحليم محمود، ص ٤٤.

(٢) من هو المسيح، داود رياض إرسانيو، ص٣.

بـل عقـد القـس عـوض سـمعان فـصلا كـاملا في كتابـه (الله)، حيـث يقـول فيـه "الفصل الثالـث: الكلمـة المسيح وصـفاته وأعمالـه " ثـم جاء بنـصوص القـرآن عـن المسيح عليه السلام، وقسمها حسب البشارة به ومولده وسيرته وأعماله[1].

وما شهاداتهم لجودة مصدرية القرآن الكريم في آياته ونـصوصه إلا لأجـل إثبـات الحقيقـة التـي توصـلوا إليهـا، ويتوصـل إليهـا مـن كـل مـن رمـىٰ عنـه رداء التعـصب والهوىٰ، ولو دخله ما دخل الكتاب المقدس لشاع ذلك وانتشر، خـصوصا وأن كثيـرا من اليهود والنصارىٰ كانوا معايـشين للمـسلمين منـذ خلافـة الخلفـاء الراشـدين فمـن بعدهم.

فتبين من هذا أن النصارىٰ وقفوا علىٰ اتجاهين في مصادر سرد سيرة المسيح ونشأته ودعوته، فذهب اتجاه منهم إلىٰ نفي وجود المصادر التي يمكن الاعتبار بها في نقل سـيرة المسيح؛ وذلك لانعدام المصادر الموثوق بها، ولأن المسيح لم يوص بكتب سيرته ولـم تكتب في حياته، ثم تطور الشك عند بعض أصحاب هذا الاتجاه إلىٰ التشكيك في وجـود المـسيح جسدا بـين النـاس، وهنـاك اتجـاه ثـاني وهـم مـن يـرون لـزوم الأخـذ بالمـصادر المعتبرة في سرد سيرة المسيح، وذلك بما جاء في الأناجيل،لأن كتبتهـا هـم أقـرب النـاس إلىٰ المسيح، ولأنها المصادر الوحيدة أصلا، ولوجود ما يعـضدها مـن أقـوال المـؤرخين غير المسيحيين، كالمؤرخين من الرومان واليهود، ونصوص القرآن الكـريم مـن مـصادر المسلمين، وأكثر تلك المصادر إطنابا في سرد سـيرة المـسيح ودعوتـه هـي الأناجيـل مـن مصادر النصارىٰ والقرآن الكريم من مصادر المسلمين.

وفيما يلي نستعرض سيرة المسيح عليه السلام مـن خـلال مـصادر النـصارىٰ ثـم نعقبـه باستعراض سيرته من القرآن الكريم

(١) الله، ذاته ونوع وحدانيته، عوض سمعان، ص٥٢ فما بعدها.

المبحث الثاني
ولادة المسيح ونشأته وحياته
من مصادر النصارى

نستعرض فيما يلي سيرة المسيح عليه السلام، من خلال ذكر ولادته ونشأته ودعوته، ومن ثم اضطهاده ونهايته، وذلك من خلال ما جاء في مصادر النصارىٰ ثم نتبعها بما جاء في مصادر المسلمين، وذلك كما يلي:

أوّلاً: البشارة به وولادته:

أ- البشارة به في كتب العهد القديم:

مما لا شك فيه أن النبي السابق من أنبياء الله تعالىٰ يبشر بالنبي اللاحق، ويحث الناس علىٰ تصديقه والإيمان به[1].

والمسيح عليه السلام أحد أولئك الرسل العظام الذين بشر بهم أنبياء الله تعالىٰ السابقين، ولكن النصارىٰ غلوا في تلك البشارات، وأنزلوا كثيرا منها في غير منزلها، فحوّلوا كثيرا من النصوص الواردة في غير المسيح علىٰ أنها واردة فيه، إلىٰ جانب اختراع كثير من النصوص المحرفة التي لم توجد أصلا، كل ذلك بغية إثبات ألوهية الفادي المخلص – في نظرهم – بشتىٰ الطرق والأساليب.

وهذا الغلو يصوّره كثير من لاهوتيي الكنيسة، حينما يصرحون بأن: "ليس في كتب التوراة جزء تغرب عنه شمس المسيح، اسمه، وشخصه، وصفاته، وأعماله، وظروفه، وأحواله، في التوراة وكتب الأنبياء، وفي ثنايا سطورها نجد المسيح في كل

(١) انظر: أدلة الوحدانية في الرد علىٰ النصرانية، للإمام القرافي، ص٥٧. وانظر: تثنية ١٨/ ١٥. وإشعيا ٧/ ١٤ وإشعيا، ٩/ ٦. والمزامير، المزمور الأول، فقرة ١-٢والمزمور ٧٢/ ١.

جملة، وفي كل إصحاح، وفي كل سفر من أسفارها"[١].

فهم يرون أن الكتاب المقدس كله يتحدث عن المسيح، بإشارات ورموز وتصريحات في عهديه القديم والجديد، ففي القديم تظهر النبوءات والرموز، وفي العهد الجديد تتحقق هذه النبوءات بتتميم تلك الرموز.

وهذا المفهوم الرمزي الفلسفي للكتاب المقدس هو مفهوم قديم تبناه بعض آباء الكنيسة، مثل يوستنيانوس ١٦٣م، وهو أحد آباء الكنيسة الأقدمين حيث يقول: "يجب أن ندرك هذه النصوص من كلمة الله بحسب معناها الرمزي"[٢] ثم ذكر قصص وحكايات وبعض الأساطير من العهد القديم، كلها ترمز إلىٰ المسيح - باعتقاده -.

وتبعه علىٰ ذلك البابا كيرلس الأول ٤٤٤م حيث أول كثير من النصوص التوراتية علىٰ أنها رموز وإشارات تدل علىٰ المسيح[٣].

ومن الأمثلة علىٰ اعتقادهم بأن نصوص العهد القديم رموز وإشارات ودلالات وبراهين، ترمز إلىٰ ألوهية المسيح وما يتعلق به، فمثلا في قصة العليقة التي رآها موسىٰ تشتعل دون أن تحترق (سفر الخروج، ٣/ ٢) قالوا بأنها ترمز إلىٰ التجسد والعذراء، وفي عبور البحر بموسىٰ وقومه (سفر الخروج، ١٤/ ١٦) قالوا بأنه رمز لسر المعمودية، وفي المن الذي نزل علىٰ بني إسرائيل (سفر الخروج، ١٦/ ٣٥)، قالوا بأنه يرمز إلىٰ سر تناول

(١) هل تنبأت التوراة عن المسيح، القمص سرجيوس، ص٦ والمسيح مركز النبوات، القس: إسبر عجاج، الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل، www.arabicbible.com. ص٨ وما بعدها، وكيف نفهم علم اللاهوت، رت كندل، ١/ ١٢٠. والموسوعة الكنسية لتفسير العهد القديم للكنيسة الأرثوذكسية، ١/ ٤٦ حيث أوَّلوا نصوص التوراة بدلالات رمزية ترمز إلىٰ المسيح- بزعمهم-.

(٢) المسيحون الأوائل، إبرهارد آرنولد، ص٣٤١.

(٣) انظر: حوار حول الثالوث، البابا كيرلس ص٢٣

جسد المسيح، وعصا موسىٰ (سفر الخروج، ٣/ ٣) ترمز إلىٰ خشبة الصليب برأيهم، ورفع موسىٰ يديه للصلاة رمز للمصلوب المسيح بفهمهم، وغير ذلك من الرموز الكثيرة بزعمهم.

وهذه التفسيرات الرمزية أقل ما يقال عنها أنها محاولات دؤوبة من قبل النصارىٰ، لتكثير المصادر التي تحدثت عن المسيح وعن لاهوته وربوبيته.

والواقع أن هذه الرموز لا يمكن أن تعتبر رموزا حقيقية تتحدث عن المسيح، لأنه لا دليل ولا مستند لهم علىٰ ذلك، وإلا لاعتبر العهد القديم بأكمله رموزا لا حقيقة لها، ويسري ذلك علىٰ نصوص العهد الجديد أيضا، مما يبطل شرائع العهدين وتعاليمهما.

وعلىٰ كل حال، لا شك أن هناك نبوءات تنبأ بها أنبياء العهد القديم لمبعث المسيح عليه السلام، غير أن النصارىٰ لم يكتفوا بها، وإنما جعلوا نصوص العهد القديم كله رموزا تهدف وإشارات بل دلائل وبراهين، تدل علىٰ ألوهية المسيح المخلص، فأوَّلوها إلىٰ معانٍ باطنية، تؤدي إلىٰ تعطيل دلالات النصوص التوراتية، وهذا مما لا يوافقهم عليه نقل صريح أو عقل صحيح.

ب- البشارة به وولادته في كتب العهد الجديد:

١- **البشارة به:** تحدثت نصوص الأناجيل عن ولادة المسيح عليه السلام، وعن بشارة أمّه العذراء مريم بأنها ستحبل بابن، فقد جاءها الملاك جبرائيل مبشرا، حينما كانت تسكن في الجليل في مدينة الناصرة، وسلم عليها وطمأنها وبشرها بأنها ستحبل، وستلد ابنا، يسمىٰ يسوع، يقول إنجيل لوقا: "جاءها الملاك فبادرها بالبشارة، سلام لك أيتها المنعم عليها، الرب معك مباركة أنت في النساء" (لوقا، ١/ ٢٨).

ويبدو أن مريم بحسب رواية الأناجيل قد خافت في بادئ الأمر، ولهذا طمأنها الملاك بأنها ستحبل بابن، يكون ملكا ويملك كملك دواد، بقوله: " لا تخافي يا مريم،

لأنك قد وجدت نعمة عند الله، وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا، وتسمينه يسوع، هذا يكون عظيما، وابن العلي يدعىٰ، ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه، ويملك علىٰ بيت يعقوب أبيه إلىٰ الأبد، ولا يكون لملكه نهاية" (لوقا، ١/ ٣٠-٣٣).

ثم حاول أن يخبرها بأسرار ذلك الحدث، وهي حملها من غير زوج قائلا لها: "الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظلك"(لوقا، ١/ ٣٥).

مع أنها كانت آنذاك مخطوبة من يوسف النجار، الذي كانت خطبته من مريم مشتهرة بين اليهود، ولهذا قالوا للمسيح بعد ذلك: "أليس هذا هو يسوع ابن يوسف الذي نحن عارفون بأبيه وأمه" (يوحنا، ٦/ ٤٢).

وهذه البشارة بمضمونها لمريم فيها طمأنة لها، وتسكين لنفسها الخائفة من هذا الحدث الغريب، الذي لم يخطر لها علىٰ بال، بل لم تسمع به من قبل، ولكن تسكينها بأنها مباركة من بين نساء العالمين، فيها بشارة عاجلة لها في الدنيا، وأن قوة الله ومجده تظللها، فيها تسكين لنفسها الخائفة بتكليل الله لها وعنايته ورعايته لها.

وأما تبشيرها بملك داود الذي سيحصل عليه لم يقع، ولم يملك إلىٰ الأبد، بل لم يتولَّ الملك قط، وإنما مات مصلوبا علىٰ خشبة-بزعمهم-.

٢- ولادته:

بعد تلك التطمينات الملائكية لمريم العذراء، ولد المسيح عليه السلام في بيت لحم[(١)] (متىٰ ٢/ ١ و ١/ ١٨) ويبدو أن كُتَّاب الأناجيل أرادوا إهالة شيء من العظمة والقوة

(١) ولا نريد أن نذكر سنة ولادته، لعدم جدوىٰ تحديد سنة ميلاد المسيح علىٰ العقائد النصرانية، وقد أكد عدد من الباحثين علىٰ أن التقويم الحالي الميلادي غير صحيح، ولا يحدد ميلاد المسيح تحديدا صحيحا، مع أن بعضهم قد رجح سنة ٤ ق م أو ٥ ق م، انظر: تاريخ الفكر المسيحي، القس حنا جرجس ١/ ١٦٥. والمسيح حياته وأعماله، للأب متىٰ المسكين، ص٣٧ -٣٨.

لميلاده، فذكروا أن المجوس جاؤوا إليه وسجدوا له (لوقا، ٣/ ٢٣).

ثم يذكر لوقا في إنجيله أن يوسف النجار صعد من مدينة الناصرة إلىٰ بيت لحم، ومعه امرأته المخطوبة مريم وهي حبلىٰ "فولدت ابنها البكر، وقمطته وأضجعته في المذود، إذ لم يكن لهما موضع في المنزل" (لوقا، ٢١/ ٧).

ثم لما تمت أيام تطهير مريم بعد ولادة المسيح صعدوا به إلىٰ أورشليم (لوقا، ٢/ ٢٢)، ثم هربوا إلىٰ مصر كما يذكر متىٰ في إنجيله، فيقول: "إن ملاك الرب ظهر ليوسف في حلم قائلا: قم وخذ الصبي وأمه، واهرب إلىٰ مصر، وكن هناك حتىٰ أقول لك.." (لوقا، ٢/ ١٣) وذلك خوفا من هيردوس ملك اليهودية (متىٰ ٢/ ٧، و٢/ ١٣).

ويعلل بعض النصارىٰ سبب اختيار يوسف النجار لأرض مصر بأنها كانت وستظل حلم اليهود[1]، ولا شك أن هذه أحد أماني اليهود.

ثم مكث إلىٰ أن أمره ملاك الرب في حلم أن يرجع إلىٰ أرض إسرائيل، إلا أن يوسف خاف علىٰ الابن، فانصرف إلىٰ نواحي الجليل، وأتىٰ وسكن مدينة يقال لها ناصرة (متىٰ ٢/ ٢٣).

فتبين من هذا أن النصوص الإنجيلية قد بينت أن مريم العذراء قد تمت بشارتها بمولدها قبل أن تلد به، ثم إنها هربت به بعد ولادته خوفًا عليه إلىٰ بيت لحم.

(١) المسيح حياته وأعماله، للأب متىٰ المسكين، ص٤٧.

ثانيا: نشأته:

يمكن أن تقسم نشأته إلىٰ ثلاثة مراحل وذلك كما يلي:

١- **نشأته كصبي:** بعد أن ذكرت مصادر النصارىٰ ولادة المسيح في بيت لحم، لم تخبرنا تلك المصادر عن أي تفصيل لحياة المسيح، سوىٰ أنه "كان الصبي ينمو ويتقوىٰ بالروح، ممتلئا حكمة، وكانت نعمة الله عليه" (لوقا ٢/ ٤٠).

وهذه العبارة هي في الحقيقة لا فائدة منها البتة في توثيق سيرة أحد، فضلا عن سيرة الرب يسوع حسب اعتقادهم، وكأن كاتب الإنجيل أراد أن يسد ذلك الخلل الواضح في توثيقه لسيرة المسيح، فأراد أن يكمله بتلك الجملة.

٢- **بلوغه سن الثانية عشر:** لم تذكر الأناجيل شيئا عن المسيح إلا بعد أن بلغ سن الثانية عشرة من العمر، حيث ذكر أنه: "لما كانت له اثنتا عشرة سنة صعدوا إلىٰ أورشليم كعادة العيد"، وأنه ضاع منهما، ولقياه بعد ثلاثة أيام بين معلمي الهيكل (لوقا ٢/ ٤٦).

ثم صمتت الأناجيل عن سرد سيرته بعد سن الثانية عشر، حيث أطبق كُتّاب العهد الجديد إطباقا تاما علىٰ السكوت عن سيرة المسيح بعد هذه الحادثة، وهذا أحد الأمور المزعجة في سرد سيرة المسيح في العهد الجديد، ولهذا يقول الأب متىٰ المسكين ١٩٤٨م أحد آباء كنيسة الاسكندرية: "سؤال يملأ وجدان كل من ارتبط بالمسيح بالمحبة: ماذا كانت أيام صبوته الأولىٰ وشبابه الغض ورجولته اليافعة؟ لأنه منذ أن كان وهو في الثانية عشرة، عندما قص علينا لوقا زيارة العائلة والمسيح معهم إلىٰ أورشليم في عيد الفصح -لم نسمع عنه شيئا".

مع أننا لا نعتقد أن هذه السنين التي حجبت عنا تماما – كما يقول الأب متىٰ المسكين – أنها انقضت دون حركة داخلية، ودون امتداد بالمعارف التي أبداها وهو

صبي، فلا بد أن هذه السنين الطوال، والتي هي زهرة العمر في المعرفة والاستيعاب، وانفتاح الوعي على الواقع المحيط، وما فوق الواقع، وما فوق الطبيعة، كانت له مدرسة كمدرسة الأنبياء[(١)].

يقول القس حنا جرجس في معرض ذكره كَتَبَةَ الأناجيل الذين سردوا سيرة المسيح: "علىٰ أن هؤلاء الكُتّاب الذين كتبوا لنا عن ميلاد يسوع وموته وقيامته لا يتكلمون عن حياة يسوع كطفل وشاب.. يسدلون ستارا يكاد يكون ستارا كثيفا، لا نرىٰ من خلفه إلا خيوطا باهتة جدا علىٰ طفولة وشباب يسوع"[(٢)].

وهذا الإهمال لسيرته في هذه المرحلة قد أغفل مقطعا كبيرا من حياة المسيح، حتىٰ قاربت عقدين من الزمان. ثم سردها للقصة التي حدثت له في الهيكل، وهو ابن اثني عشر عاما لا يمكن أن تعد نموذجا لسيرته، في الوقت الذي ألهوا فيه المسيح اعتمادا علىٰ سيرته، إذ إن تلك الواقعة لا تكاد تختلف اختلافا يذكر عن قصة أي طفل يفقده أبواه في خضم الزحام الذي يعج به الهيكل.

٣- بلوغه سن الثلاثين: بعد صمت الأناجيل عن سرد سيرة المسيح، مذ أن كان عمره اثني عشر عاما إلىٰ أن بلغ الثلاثين من العمر حدث أمر دوَّنته نصوص الأناجيل وهي حادثة اعتماد المسيح علىٰ يد يوحنا المعمدان، فتقول: "حينئذ جاء يسوع من الجليل إلىٰ الأردن، إلىٰ يوحنا ليعتمد منه...فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء، وإذا السماوات قد انفتحت له، فرأىٰ روح الله نازلا مثل حمامة وآتيا عليه، وصوت من السماء قائلا: هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت" (متىٰ، ٣/ ١٦)

(١) المسيح حياته وأعماله، للأب متىٰ المسكين، ص٥٤ -٥٥

(٢) تاريخ الفكر المسيحي، القس حنا جرجس ١/ ٢٠٠.

وهذا التعميد الذي كان يُعمّد به يوحنا كان لإزالة الخطايا والذنوب التي غشيها بنو إسرائيل، فهي علامة علىٰ التوبة والتطهير، ولهذا فتعميده للمسيح حسب وصف بعض النصارىٰ بأنه (أمر مبهم)(١)، ولذا لا يفهم منه سوىٰ أن المسيح كان حاملا للخطيئة، وهذا يتعارض مع مبادئ الديانة النصرانية، التي تنص علىٰ أن المسيح ليس حاملا للخطيئة، بل هو مَنْ حرّر الإنسان مِنَ الخطيئة- وهذا التعميد يدعو إلىٰ الحيرة والشك، فلماذا يتعمد وهو لم يحمل خطيئة، وإذا كان التعميد لأجل البشر فلماذا أمروا أن يتعمدوا بعده، ولم يؤمروا بصلب أنفسهم بعده، مع أنهما لنفس الغرض-.

ولهذا فلا يمكن أن تُعرَف سيرة المسيح معرفة حقيقية تفصيلية من خلال أسفار العهد الجديد، الذي هو المصدر الوحيد المعتمد في إثباتها عند النصارىٰ، التي يصرح المؤرخ لوكسيان فايبفر (LUCCIAN VEBVER) بأن روايات الإنجيل عن المسيح جمعت تجميعا هامشيا لأحداث ومعطيات متناقضة، تحيط بفراغ لا يكاد يسكنه سوىٰ ظل يكاد لا يدرك.

وبعيدًا عن نظرة النصارىٰ، يمكنني القول بأن إهمال تلك الأناجيل سرد سيرة المسيح هو بسبب أن المسيح قبل بعثه بالرسالة كان لا يختلف عن بقية الناس، حيث كان من ضمن يهود بني إسرائيل، ولم يعمل معجزة تُذكر قبل ذلك، وذلك لعدم بعثه بالرسالة، ولم يشتهر بدعوة يشتهر بها، ولهذا فلا ضير أن تهمل تلك الأناجيل سيرته منذ طفولته إلىٰ حين بعثه بالنبوة - والله أعلم -.

---

(١) المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية، إ.س.سفينسيسكايا ص٧٣.

ثالثًا: دعوته:

١- بدأ دعوته:

تذكر الأناجيل أنه بعد نزول روح القدس كهيئة حمامة على المسيح، بعد تعمّده في نهر الأردن على يد يوحنا المعمدان، دخل في تجربة مريرة مع إبليس، بعد أربعين يوما من صيام المسيح بعد التعميد، وذلك أن إبليس تحدَّى المسيح ثلاث مرات تجربة له، ولكن المسيح في كل مرة يرد عليه بأن ذلك مخالف لشريعة الله، مستدلا على ذلك بنصوص التوراة، ففي المرة الأولى قال له: "إن كنت ابن الله فقل لهذه الحجارة أن تصير خبزا"، وفي المرة الثانية اقتاده إلى شرفة الهيكل، وأوقفه عليه، وأمره بأن يلقي نفسه إن كان هو ابن الله، وفي المرة الثالثة أمره إبليس بأن يسجد له، ليعطيه مقابل ذلك كل ممالك الدنيا، ولكن صمود المسيح على الإيمان، جعله يقول لإبليس: " ابتعد عني يا شيطان، لأن الكتاب يقول: للرب إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد" (مرقس، ٨/ ٣٣).

ويعلل النصارى لهذه القصة الغريبة بأن المسيح عندما جربه الشيطان كان أعزلا من سلطانه الإلهي، إذ قد تخلى عمدا عنه، لكي يستطيع أن يقف موقف البشر ويأخذ دورهم[١]، وأي إله يتخلى يطيب له أن يتخلى عن سلطان ألوهيته؟!

وعلى أية حال، فبعد خروجه من تلك التجربة المريرة ابتدأ يسوع المسيح مرحلة جديدة، وهي مرحلة التبشير، حيث بدأ يبشر في الجليل (متى، ٤/ ١٢).

وابتدأ دعوته بحسب الأناجيل بالدخول إلى مجامع اليهود، فدخل المجمع في الناصرة يوم السبت، وأعلن بينهم دعوته قائلًا: "روح الرب عليّ لأنه مسحني لأبشر

(١) المسيح حياته وأعماله، الأب متى المسكين ص٧٦.

المساكين، أرسلني لأنادي للأسرىٰ بالحرية، وللعميان بعودة البصر عليهم، لأُحرِّر المظلومين" (لوقا، ٤/ ١٨)

ثم بدأ دعوته في أنحاء المدن اليهودية، فبعد أن خرج من الناصرة توجه إلىٰ كفر ناحوم، ونزل إلىٰ كفر ناحوم وهي مدينة في الجليل، وأخذ يعلم الناس في السبت (لوقا، ٤/ ٣١) ويتنقل في المجامع المختلفة (مرقس، ١/ ٢١).

وقد كانت للمسيح أسس يسير عليها في دعوته بين الناس، ومنهج معين يقوم عليه ويدعو إليه، وإبراز ذلك المنهج الذي سار عليه المسيح يعد أمرا مهما جدا، عند الحديث عن دعوة المسيح عليه السلام، فمن خلالها يتبين مقدار موافقة النصارىٰ بعد عصر المسيح عليه السلام له، ومدىٰ صحة ارتباط نسبتهم إليه، وبيان لصدق أو كذب ما نسب إليه أو افتري عليه.

وفيما يلي نريد أن نسلط الضوء علىٰ الحق الذي نقلته الأناجيل في دعوته، وأما ما نسبته الأناجيل إلىٰ دعوته بالباطل، فمحله في ذكر العقائد النصرانية، التي سنعقبها بالإبطال والرد.

٢- أبرز معالم دعوته:

يمكن أن نذكر أبرز معالم دعوة المسيح عليه الصلاة والسلام الحقة، والتي قام بها مُبشِّرًا في أنحاء اليهودية، وذلك من خلال الأناجيل وكتب العهد الجديد، وذلك كما يلي:

١ – أنه جاء بتوحيد الله تعالىٰ:

جاء المسيح عليه السلام بتوحيد الله تعالىٰ الخالص كسائر إخوانه الأنبياء، الذين دعوا إلىٰ عبادة الله وحده، ولذلك نجد بين ركام النصوص المختلفة في الأناجيل بعض النصوص المنسوبة إلىٰ المسيح، والتي تدعو إلىٰ التوحيد الخالص، فمن نصوص

الوحدانية قول المسيح في إجابة السائل عن أعظم الوصايا: " فأجابه يسوع: إن أول كل الوصايا هي: اسمع يا إسرائيل، الرب إلهنا رب واحد"(مرقس، ١٢/ ٢٩)

وفي إنجيل يوحنا ورد عن المسيح في مخاطبته لربه قائلا: "وهذه الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته" (يوحنا، ١٧/ ٣)

وقوله: "ليس أحد صالحا إلا واحد وهو الله". (لوقا، ١٨/ ١٨)

وقوله: "إني أصعد إلىٰ أبي وأبيكم إلهي وإلهكم". (يوحنا، ٢٠/ ١٧)

وقد بين المسيح أنه جاء مُتَّبِعًا لشريعة موسىٰ، وليس ناقضا لها، ولذلك استدل بكثير من نصوصها، وبين أنه لم يأت لينقض الناموس (متىٰ،٥/ ١٧) وإذا رجعنا إلىٰ ذلك الناموس وجدناه يحوي كثيرا من النصوص التوحيدية الخالصة، فقد ورد في سفر التثنية قول موسىٰ عليه السلام: "اسمع يا إسرائيل، الرب إلهنا رب واحد، فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل قوتك..". (تثنية،٤-٩/ ٦)

وفي سفر أشعيا أن الله تعالىٰ قال: "أنا الرَّبُّ صانع كل شيء، ناشر السماوات وحدي، باسط الأرض من معي" (أشعيا، ٤٤/ ٢٤) وقوله: "أنا الأول وأنا الآخر لا إله غيري" (أشعيا، ٤٤/ ٦) وكذلك قوله: "الرب هو الإله ليس آخر سواه". (تثنية، ٤/ ٣٥) وقوله: "أنا هو هو وليس إله معي". (تثنية، ٣٢/ ٣٩)

وورد في سفر نحميا أنه يخاطب الله تعالىٰ بقوله: "أنت الرب وحدك، أنت صنعت السماوات وسماء السماوات وكُلَّ جُندِها، والأرض وكلَّ ما عليها، والبحار وكلَّ ما فيها، وأنت تُحييها كلَّها، وجندُ السماء لك يسجد" (نحميا، ٩/ ٦) وأيوب يقول: "الباسط السماوات وحده، والماشي علىٰ أعالي البحر" (أيوب، ٩/ ٨)

بل قد ورد النهي عن اتخاذ الصور والتماثيل المؤدية إلىٰ الشرك بالله، فقد جاء في سفر الخروج: "لا تصنع لك منحوتا، ولا صورة شيء مما في السماء من فوق، ولا

مما في الأرض من أسفل، ولا مما في المياه من تحت الأرض، لا تسجد لها ولا تعبدها، لأني أنا الرب إلهك إله غيور" (خروج، ٢٠/ ٤)

وكل تلك المَنهيَّات لم ينسخها المسيح بل أقرَّها، ولهذا يصرح بعض علماء النصارىٰ بأن المسيح لم يناقض قط الإيمان بالله الواحد[١].

وهذه التعاليم تقف موقفًا مُضادًّا مما أقرَّه النصارىٰ بعد ذلك من التثليث والوثنية، تقول دائرة المعارف الأمريكية: " لقد بدأت عقيدة التوحيد حركة لاهوتية بداية مبكرة جدا في التاريخ، وفي حقيقة الأمر أنها سبقت عقيدة التثليث بعشرات السنين... إن عقيدة التثليث التي أقرت في القرن الرابع للميلاد لم تعكس بدقة التعليم المسيحي الأول فيما يتعلق بطبيعة الإله، بل كانت علىٰ العكس انحرافًا عن هذا التعليم"[٢].

ويقول دليل كامبردج إلىٰ تاريخ المسيحية: " كان الإيمان بالله الواحد صانع السماء والأرض شرطًا مُسبقًا للرسالة المسيحية"[٣]

وتقول المؤرخة أ.س.سفنسيسكايا: "من كان يسوع يرىٰ نفسه؟ إنه السؤال الذي لا نقف علىٰ إجابة له في المصادر المكتوبة، فإذا عدنا إلىٰ الأناجيل فإنه يصعب كثيرا أن تفصل بين رؤية أنصاره التي نشأت لديهم عنه بعد حدوث الصلب، وبين أقوال يسوع الحقيقية، يسوع لم يدع يوما أنه المخلص"[٤].

(١) مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ص٤٥.

(٢) دائرة المعارف الأمريكية(Encyclopedia Americana)، ٢٧/ ٢٩٤.

(3) The Cambridge History of Chritianity, Edited by; Margaret Mary M. Mitchell and Frances M.YOUNG,p435

(٤) المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية، أ،س.سفنسيسكايا ص٨٢.

ويقول القس عوض سمعان: "إن المتفحِّص لعلاقة الرُّسل والحواريين بالمسيح يجد أنهم لم ينظروا إليه إلا علىٰ أنه إنسان، ولم يتصوروا علىٰ الإطلاق أنه إله"[(١)].

٢ – أنه كان يعمل المعجزات بقدرة الله ليؤمن به بنو إسرائيل: وعند الحديث عن معجزات المسيح من خلال الأناجيل لابد أن نفرق بين نظرة الأناجيل إلىٰ معجزات المسيح وبين نظرة المسيح نفسه إلىٰ معجزاته، فهناك فرق مهم بينهما يغفل عنه كثير من اللاهوتيين المسيحيين.

ويمكن إلقاء الضوء علىٰ ذلك فيما يلي:

أ- نظرة الأناجيل إلىٰ معجزات المسيح:

تحدثت الأناجيل بإسهاب عن معجزات المسيح، وتنافست في إيراد أغرب تلك المعجزات، حتىٰ إن الناظر في نصوص تلك الأناجيل، يوقن بأن تلك الأناجيل لم تكتب إلا لتدوين معجزات المسيح فقط، فلم تحز أقوال المسيح وتعاليمه إلا بالنزر اليسير من بين نصوصها، وقد ألمحت الأناجيل وصرحت بأن تلك المعجزات هي براهين علىٰ ألوهيته[(٢)].

وقد أقر بذلك بعض اللاهوتيين الغربيين، حيث ذكروا أن مقاصد كتاب الأناجيل ليس نقل بعثة يسوع وإنما جمع التقاليد، فيقول عن إنجيل مرقص مثلا: "مارك لم يكن مهتمًّا بتصوير التطور الواقعي لبعثة يسوع العامة، بل تجميع التقاليد

(١) في كتابه: الله، طرق إعلانه عن ذاته، ص١٤.

(٢) وقد استدل النصارىٰ المؤلهة لعيسىٰ بمعجزاته كدليل علىٰ ألوهيته، انظر مثلا: كيف نفهم علم اللاهوت، رت كندل ٢/ ٧٥. والتعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ص٧٢. وقاموس الكتاب المقدس، ص٨٦٥.

الموجودة سابقًا بترتيب زمني وجغرافي إلىٰ سرد متماسك"[١].

ولهذا نجد أن الإنجيل المنسوب إلىٰ يوحنا يؤكد هذه الفكرة حين يتحدث عن آيات المسيح فيقول: "وآيات أخرىٰ كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه، لم تكتب في هذا الكتاب، وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله، ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه" (يوحنا، ٢٠/ ٣٠-٣١).

وكان قد ألمح لذلك في بداية إنجيله عندما قال: "في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله" (يوحنا، ١/ ١) ثم تدرج قليلا فقال: "والكلمة صار بشرا وعاش بيننا فرأينا مجده"(يوحنا، ١٤/ ١)

ثم أطنب كثيرا في ذكر آيات مجد المسيح، وهو يقصد بها معجزاته التي يعتبرها أدلة ألوهيته، ولا تكاد تخلو قصة من قصصه أو مواعظه إلا وفيها ذكر شيء من معجزاته، إلىٰ أن يقول في آخر الإنجيل: "وهناك أمور كثيرة عملها يسوع، لو عملها أحد بالتفصيل لضاق العالم كله علىٰ ما أظن بالكتب التي تحتويها"(يوحنا.)

وهي نفس النتيجة التي توصل إليها لوقا في إنجيله بغرض الوصول إلىٰ تقرير تأليه المسيح، وذلك بعد أن ذكر كثيرا من المعجزات في حديثه عن صعود يسوع: " ثم خرج بهم إلىٰ بيت عنيا، ورفع يديه وباركهم، وبينما هو يباركهم انفصل عنهم ورُفع إلىٰ السماء، فسجدوا له ورجعوا إلىٰ أورشليم" (متىٰ، ٢١/ ١٧)

وهي أيضا نفس نتيجة مرقس أيضا في إنجيله عندما قال: " ثم إن الرب بعد ما كلمهم ارتفع إلىٰ السماء، وجلس عن يمين الله، وأما هم فخرجوا وكرزوا في كل مكان، والرب يعلمهم ويثبت الكلام بالآيات التابعة آمين"(مرقس، ١٦/ ١٩)

(١) انظر: The Blackwell Companion to the New Testament, David E. Aune, A John Wiley & Sons, Ltd., 2010, First Edition.p.272

ب- نظرة المسيح ﷺ إلىٰ المعجزات التي كان يعملها:

مما لا شك فيه أن للمسيح ﷺ معجزات باهرة، تخرج عن مكنون قدرة البشر كسائر معجزات أنبياء الله تعالىٰ، كشفاء المرضىٰ من المجانين والمصروعين والمفلوجين وغيرهم، وإحياء الموتىٰ، وعمل كثير من المعجزات (متىٰ ٤،/ ٢٤ ومرقس، ١/ ٢٤.ولوقا، ٤٠/ ٤١).

ولكن من هو المُسبِّب الحقيقي لهذا لمعجزات؟

هناك جملة من النصوص الإنجيلية لعل أيدي التحريف لم تمسها، والتي تنص علىٰ أن معجزات المسيح كانت بقدرة الله وقوته، فقد وردت بعض النصوص التي تثبت تضرع المسيح إلىٰ الله تعالىٰ، ودعاءه له، وطلبه منه أن يستجيب له ما سأله، وشكره له بعد إجابته، وذلك ليؤمن به اليهود، ومن تلك الأدلة ما يلي:

- جاء في إنجيل يوحنا أن المسيح قال في الرجل الذي أقامه من الموتىٰ: "يا أبي أشكرك علىٰ استجابتك دعائي.. لكن أسألك من أجل هذه الجماعة ليؤمنوا بأنك أنت أرسلتني" (يوحنا، ١١/ ٤١)

ففي هذا النص أعظم الدلائل علىٰ أن تلك المعجزات كانت بإرادة الله وقدرته، لا بإرادته هو، فشكر الله تعالىٰ علىٰ استجابته دعاءه، مبيِّنا منة الله عليه، وهو أنه متىٰ طلب إجراء معجزة علىٰ يديه، فإن الله تعالىٰ لا يخذله، معللا ذلك برجائه أن يؤمن به من أرسل إليهم.

- من ذلك أيضا قول المسيح فيما نسبه إليه يوحنا، وذلك عندما أحيا رجل يدعىٰ لعازر من الموت: "ورفع يسوع عينيه إلىٰ فوق وقال: أيها الأب أشكرك لأنك سمعت لي، وأنا علمت أنك في كل حين تسمع لي، ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت: ليؤمنوا أنك أرسلتني" (يوحنا، ١١/ ٤١-٤٢).

– بين المسيح أنه لم يفعل شيئا من نفسه، بل كل أعماله كانت بقدرة الله تعالىٰ فقال: "ولست أفعل شيئا من نفسي"(يوحنا، ٨/ ٢٨) وقال أيضا: "الأعمال التي أنا أعملها باسم أبي هي تشهد لي" (يوحنا، ١٠/ ٢٥).

– فهِم المشاهدون لمعجزات المسيح قولَ المسيح وفعله، فعلموا أنها من عند الله تعالىٰ، وأنها ليست من قدرة المسيح، وقد شهد بذلك متىٰ وبطرس، حيث يقول بطرس – رئيس تلاميذ المسيح – لليهود: " أيها الرجال الإسرائيليون، اسمعوا هذه الأقوال، يسوع الناصري رجل قد تبرهن من قِبل الله، بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده" (أعمال الرسل، ٢/ ٢٢) ويقول متىٰ: "فلما رأىٰ الجموع تعجبوا، ومجدوا الله الذي أعطىٰ الناس سلطانا مثل هذا"(متىٰ، ٩/ ٨) فقد فهمت تلك الجموع أن تلك العجائب كانت بقدرة الله، فلذلك مجدوه ولم يمجدوا المسيح، ولو كانت من عنده لأنكر عليهم المسيح فهمهم هذا وبين لهم أنها من عنده.

فتبين أن المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ وأتباعه الحقيقيون لم يعتقدوا في المسيح بأكثر من أنه رسول مؤيد بالمعجزات، وأن الأمر مرجعه كله في النهاية إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ، فقد عرفت الجماهير هذه الحقيقة، فردت السلطان إلىٰ أصله ومنشئه وهو الله، وهذه المعجزات التي أجريت علىٰ يد المسيح،كان الغرض منها هو حمل الناس علىٰ التصديق به وبرسالته، فيعبدوا الله الذي أرسله.

وهذا المفهوم مضاد للنصوص الأخرىٰ التي تجعل من معجزاته براهين علىٰ ألوهيته، والتي لا شك أنها لم تسلم من أيدي التحريف.

٣ – أن رسالته كانت إلىٰ بني إسرائيل خاصة:

كان المسيح عليه الصلاة والسلام من جملة أنبياء بني إسرائيل خاصة، ويتبين ذلك من خلال نصوص الأناجيل، والتي نصّت بوضوح علىٰ قصر دعوة المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ علىٰ

شعب اليهود دون غيرهم، منذ البشارات التي بشرت بمولد المسيح، ومن الدلالات علىٰ ذلك ما يلي:

- تنسب الأناجيل عن الله أنه قال: "وأنتِ يا بيت لحم أرض يهوذا، لست الصغرىٰ بين رؤساء يهوذا، لأن منك خرج مدبر يرعىٰ شعبي إسرائيل"(متىٰ،٢/٦) فقوله: (يرعىٰ شعبي إسرائيل) إشارة واضحة إلىٰ أن دعوة المسيح ستكون لشعب اليهود فقط.

- لما جاء الملاك إلىٰ مريم العذراء، وبشرها بولادة يسوع، أخبرها بأنه يكون علىٰ بيت يعقوب، وبيت يعقوب المقصود به بنو إسرائيل: " فقال لها الملاك: لا تخافي، لأنك قد وجدت نعمة عند الله، وها أنت ستحبلين ابنًا وتسمينه يسوع...ويعطيه الرب كرسي داود أبيه، ويملك علىٰ بيت يعقوب إلىٰ الأبد" (لوقا، ١/ ٣٢)

- نسبت الأناجيل للملاك الذي ظهر ليوسف النجار أنه قال له: "فستلد ابنًا، وأنت تسميه يسوع، لأنه هو الذي يخلص شعبه من خطاياهم"(متىٰ، ١/ ٢١)، فقول الملاك: (يخلص شعبه) فيه الدليل علىٰ خصوصية دعوة المسيح بشعبه.

- ابتدأ دعوته مبيِّنًا أن رسالته لبيت إسرائيل خاصة، فقال: "لم أرسل إلا إلىٰ خراف بيت إسرائيل الضالة"(متىٰ، ١٥/ ٢٤)

- تصريح المسيح بأنه أراد أن يجمع سكان أورشليم من اليهود، فيقول: "يا أورشليم يا أورشليم، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين، إليها كم مرة أن أجمع أولادك، كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا"(متىٰ، ٢٣/ ٣٧) وأورشليم هي في ذلك الوقت العاصمة السياسية ليهوذا وفلسطين لزمن طويل[١]. ولو كانت ديانته عامة لجمع كل الأمم، ولم يقتصر علىٰ جمع سكان أورشليم.

---

(١) انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص١٢٩.

- أوصىٰ تلاميذه الاثني عشر عندما أرسلهم لدعوة اليهود بألّا يدخلوا إلىٰ بيوت غير اليهود قائلًا: "إلىٰ طريق الأمم لا تمضوا، وإلىٰ مدينة للسامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحري إلىٰ خراف بيت إسرائيل الضالة"(متىٰ، ١٠/ ٥)

- ما فهمه تلاميذه من خصوصية دعوة المسيح بين بني إسرائيل، حيث يقول بطرس كبير التلاميذ: "الكلمة التي أرسلها إلىٰ بني إسرائيل يبشر بالسلام يسوع المسيح" (أعمال الرسل، ١٠/ ٣٦).

ولهذا شهد كثير من المنصفين من النصارىٰ بذلك؛ يقول ول ديورانت: "ولقد ظل المسيح زمنا طويلا لا يرىٰ في نفسه إلا أنه أحد اليهود، يؤمن بأفكار الأنبياء، ويواصل عملهم ويجري علىٰ سنتهم، فلا يخطب إلا في اليهود"[(١)].

فالمسيح كانت دعوته مقتصرة علىٰ دعوة بني إسرائيل،كما تبين ذلك من خلال النصوص الإنجيلية.

٤- أنه كان متَّبعًا لشريعة التوراة:

من المعلوم أن التوراة التي أنزلت علىٰ موسىٰ عليه السلام، كانت مشتملة علىٰ التوحيد والشرائع والأحكام الدينية والدنيوية، وأما الإنجيل فإن الغالب عليه الموعظة والعناية بالإنسان من الناحية الروحانية. ولذلك يعتقد بعض النصارىٰ أن المسيح عليه السلام لم يأتِ بدين جديد، وإنما ديانته اليهودية وشريعته التوراة، ولكنه كان مصلحًا واعظا[(٢)].

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ١١/ ٢٢٩.

(٢) انظر: An Introduction to Christian Theology. The Boisi Center Papers on Religion in the United States. The Boisi Center for Religion and American Public Life. P. 2

وهذا صحيح بإجمال؛ وذلك لأن اليهود جمدوا على ظواهر الشريعة، حتى صاروا كالماديين، فأرسله الله إلى خراف إسرائيل الضالة، ليهديهم إلى الروحانية، ويبالغ فيها بمقدار ما بالغوا في الظواهر والماديات.

وهذا ما تجده جليًّا في الفرق بين نصوص الإنجيل، التي تأمر بالزهد في الدنيا، وترك السعي خلفها، والحث على الدخول في ملكوت الله[1]، وبين نصوص التوراة التي ترى من خلال تعاليمها السعي خلف الرزق والملك، بل إنها ترتب كثيرا من جزاء الأعمال الصالحة في الحياة الدنيا، كطول البقاء على قيد الحياة، وتكثير الرزق، والتمكين للملك، والفتك بالأعداء في حالة النصر عليهم (مثلا: سفر التثنية ٥/ ١٢)

فلم يحتج المسيح أن يقرر شرائع جديدة، وذلك لاتِّباعه للتوراة، وإنما جاء بالمواعظ حتى يرد بني إسرائيل إلى العمل بأحكام التوراة ولإقامتها، ومما يدل على اتِّباع المسيح لشريعة التوراة جملة وتفصيلا ما يلي:

– أنه لم يخالف التوراة إلا في تيسير بعض ما شُدِّد عليهم في التوراة، ولم يأتِ بما يخالف التوراة، فقد جاء على لسان المسيح في الأناجيل قوله: "ما جئت لأنقض الناموس وإنما لأتمه" (متى ٥/ ١٧) وكذلك قوله: "ولكن زوال السماء والأرض أيسر من أن تسقط نقطة واحدة من الناموس" (متى ٥/ ١٨)

(١) الأظهر أنها بمعنى الدخول في المغفرة الموجبة للجنة إن صحت العبارة، ولكنها عند النصارى كلمة غامضة؛ إذ إن ملكوت الله عندهم هو كل شيء خلقه الله من ظواهر الحياة، لذلك فإن لها عدة معانٍ مختلفة، فمن معانيها: حياة التقوى في القلب، متى ٦/ ٣٣، والنظام الذي أتى المسيح لينظمه، متى ٤/ ١٧ و١٣/ ١١، وتفضل شعب الله حسب اختيار الرب، متى ٢١/ ٤٣، ومجد المسيح وتسلطه متى ١٦/ ٢٨، وسلطان الله على الكل، متى ٦/ ١٠، والحالة السماوية، متى ٨/ ١١، ورسالة بطرس الثانية، ١/ ١١، كل ذلك يشير إلى اختلافهم في مفهوم هذه الكلمة. انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص٩١٩.

- مما يدل علىٰ إيمان عيسىٰ عليه السلام بالتوراة، أنه كان يوصي بها ويستشهد بها في كثير من أقواله، كما ورد في إنجيل متىٰ أنه قال: "إن أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا: لا تقتل، لا تزن، لا تسرق، لا تشهد بالزور، أكرم أباك وأمك، أحب قريبك كنفسك"(متىٰ ١٩/ ١٨)

والمقصود بالوصايا هي الوصايا العشر التي ذكرت في التوراة وهي: " أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك في الأرض، التي يعطيك الرب إلههم إياها، لا تقتل، لا تزن، لا تسرق، لا تشهد علىٰ قريبك شهادة زور..." (خروج ٢٠/ ١٢-١٦)

- أمْره لتلاميذه بدراسة كتب التوراة، فيقول لتلاميذه: "فتِّشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية، وهي التي تشهد لي" (يوحنا ٥/ ٣٩)

- عمل تلاميذه الحقيقيين وأتباعه: فقد سار أتباع المسيح الأوائل علىٰ ما سار عليه المسيح عليه السلام، من التزامهم بأحكام الشريعة الموسوية، تقول مقدمة الرهبانية اليسوعية للكتاب المقدس: " وقد كان الكَتبة المسيحيون الأولون يستشهدون بجميع أجزائه، علىٰ وجه التقريب استشهادهم بوحي الله"[(١)].

وهذا يتضح جليًّا في بعض نصوص العهد الجديد، في الأخذ بسُنة الختان (سفر أعمال الرسل، ١٥/ ١٥)، وتقديس السبت (متىٰ، ٢٤/ ٢٠) ويحتفلون مع سائر اليهود بالأعياد اليهودية (كولوسي، ٢/ ١) ويلتزمون بأحكام الطلاق (غلاطية، ٢/ ١٢) ويشاركون في أداء العبادات في المعبد اليهودي.

يقول دليل كامبردج إلىٰ المسيحية: "ينظر إلىٰ اليهودية والمسيحية علىٰ أنه متضادتان، لكن من البداية لم يكونا كذلك، كان يسوع وتلاميذه الأوائل

(١) مقدمة الرهبانية اليسوعية، العهد الجديد، ص٨.

من اليهود[١].

ومما يدل علىٰ ذلك، ما يذكره علماء النصارىٰ وكتابهم، من أن أتباع المسيح عليه السلام الأوائل لم يعرفوا ما يسمىٰ بالعهد الجديد، لسنوات كثيرة بلا كتاب مقدس سوىٰ العهد القديم [٢].

٥ - أنه جاء بالإنجيل:

ورد لفظ الإنجيل في نصوص العهد الجديد بأكثر من مسمىٰ أطلق عليه، فقد ورد بلفظ إنجيل الله، وإنجيل المسيح، وإنجيل نعمة الله، وإنجيل السلام، وإنجيل خلاصكم، وإنجيل مجد المسيح، وإنجيل الملكوت، أو بشارة الملكوت[٣].

ومما يدل علىٰ وجود ذلك الإنجيل قبل فقده ما يلي:

- ورد ذكره في رسالة بولس إلىٰ أهل غلاطية ما نصه: "إني أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعا عن الذي دعاكم بنعمة المسيح إلىٰ إنجيل آخر، غير أنه يوجد قوم يزعجونكم ويريدون أن يحولوا إنجيل المسيح" (غلاطية، ١/ ٦) فدل علىٰ وجود إنجيل، ووجود أناجيل أخرىٰ.

- ورد لفظ إنجيل المسيح في إنجيل مرقس بلفظ البشارة: "بشارة يسوع المسيح ابن الله" (مرقس، ١/ ١) ومثل ذلك ما ورد في رسالة بولس إلىٰ رومة: "وأنا لا أستحي بإنجيل المسيح" (رومة، ١/ ١٦).

---

(١) انظر: The Cambridge History of Chritianity, Edited by; Margaret Mary M. Mitchell and Frances M.YOUNG,p87

(٢) انظر: Jordan,louis HENRY: 1986 COMPARATIVE RELIGION. ITS GENESIS AND CROWTH, SCHOLARS PRESS, ATLANTA GEORGIA

(٣) انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص١٢٠.

- ورد بلفظ إنجيل الله، كما ورد في رسالة بولس إلىٰ تيموثاوس الأولىٰ: "ولكل من يخالف التعليم الصحيح، الذي يوافق البشارة التي ائتمنت عليها، بشارة الله المبارك" (تيموثاوس الأولىٰ، ١/ ١١).

- ورد في نصوص العهد الجديد بلفظ إنجيل السلام (أفسس، ٦/ ١٥) وإنجيل مجد المسيح (كورنثوس الثانية، ٤/ ٤) وإنجيل الله (مرقس، ١/ ١٤).

- ورد بلفظ كلمة الله، حيث كان المؤمنون به يأتون إليه ليسمعوا كلمة الله، كما ورد في "كان الجمع يزدحم عليه ليسمع كلمة الله" (لوقا٥/ ١)

ومن الملاحظ أن نصوص العهد الجديد قد ذكرت لفظ الإنجيل بلفظ المفرد، ولم تذكره بلفظ الجمع.

رابعا: نهاية أمره:

تذْكر الأناجيل أن المسيح كانت نهايته الموت علىٰ أيدي اليهود والرومان، وعلق علىٰ خشبة الصليب، ثم طعن وخارت قواه، ومات وأسلم الروح، في قصة تناقلتها الأناجيل وصدقها النصارىٰ[1]، واتُّخذت عقيدة أساسية ترتكز في قلب الإيمان المسيحي[2].

هذه أبرز معالم دعوة المسيح الحقة من خلال نصوص الأناجيل والتي تبين منزلته اللائقة... وتبين دعوته في نبذ الشرك ودعوته إلىٰ توحيد الله تعالىٰ.

---

(١) هذا الاعتقاد يؤمن به اليهود والنصارىٰ من قتل المسيح وصلبه، لكن المسلمون ينزهون المسيح عن هذا ويعتقدون برفعه إلىٰ السماء، وسيأتي بيان اعتقادهم في المبحث التالي.

(٢) انظر: The Cambridge History of Chritianity, Edited by; Margaret Mary M. Mitchell and Frances M.YOUNG,p1

فتبين من هذا أن المصادر المسيحية تحدثت عن المسيح عليه السلام، وذلك بدءًا من البشارة به في كتب العهد القديم، فقد أَوَّلوا كثيرًا من نصوص التوراة علىٰ أنها بشارات وإشارات تدل علىٰ المسيح، وأما الأناجيل فقد تحدَّث عن المسيح بدءًا من البشارة بأمه بأنها ستضع مولودها من غير أب، ثم تحدثت عن ولادته في بيت لحم ثم صعوده مع أمه وخطيبها يوسف النجار إلىٰ مصر خوفًا من هيرودوس ملك اليهودية، ثم رجوعه إلىٰ الناصرة مع أمه، ثم تحدثت عن نشأته كصبي وأوردت حادثة وحيدة وهي عندما كان عمره اثني عشر عاما عندما ضاع من أمه في الهيكل ثم سكتت الأناجيل عن سيرته فلم تذكر شيئا إلىٰ أن بلغ الثلاثين من عمره، وذلك عند تعميده علىٰ يد يوحنا المعمدان في نهر الأردن، ثم ذكرت البدء بدعوته بعد أن عمد.

وقد اقتصرنا علىٰ معالم دعوته الصحيحة هنا، لوجود فصل فيما بعد يتحدث عن أسس العقائد الباطلة عند النصارىٰ، ومن أبرز معالم دعوته حسب ما تذكر الأناجيل أنه دعا إلىٰ توحيد الله وإثبات أنه نص علىٰ أنه كان يعمل المعجزات بقدرة الله وإرادته وحده، وأن رسالته كانت خاصة إلىٰ بني إسرائيل وأنه كان متَّبعا لشريعة التوراة، وأنه جاء بالإنجيل من عند الله، ثم ذكرت نهاية أمره وذلك بصلبه وموته علىٰ خشبة الصليب قبل أن يبعث مرة أخرىٰ من الموت ليصعد إلىٰ السماء.

المبحث الثالث

المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ في المصادر الإسلامية

جاءت المصادر الإسلامية متمثلة في القرآن الكريم في عرض ولادة المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، ونشأته ودعوته وذكر معجزاته، ومحاربة بني إسرائيل له، وذكرت قصة نهايته علىٰ الأرض في مواضع كثيرة مقتضبة أحيانا، ومستفيضة أحيانا أخرىٰ.

وما ذلك إلا لبيان عظم دعوته عَلَيْهِ السَّلَامُ علىٰ الأرض، واصطفاء الله تعالىٰ له، وبيان غلط من حرَّف دعوته، وحوَّر عقائده إلىٰ عقائد وثنية، اختلط فيها الحق بالباطل.

فقد تحدث القرآن الكريم عن عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ حديثًا واضحًا، عن مولده، وعن معجزاته، وعن دعوته، وعن الخصائص التي أكرمه الله تعالىٰ بها، وعن جهاده من أجل إعلاء كلمة الحق، وصبره علىٰ الأذىٰ، وعلىٰ الشبهات الباطلة التي أثارها أعداؤه حوله، وعن بشارته بالنبي ﷺ، وعن تكريم الخالق له في الدنيا والآخرة، وذلك كما يلي:

أوَّلا: أمه والبشارة به ومولده:

جاءت نصوص القرآن الكريم مبينة ما كان من أمر أُمِّ المسيح قبل ولادته وأثناء مخاضها به، وما كان من أمرها مع الملاك المبشِّر لها بالمولود الذي حبلته في بطنها من غير أب.

لقد تحدث القرآن في ذكر قصة أم المسيح بتفاصيل دقيقة رغم إيجازها، فتحدث عن خطاب متبادل بين الملاك وبين أم المسيح، ظهر بمظهر منطق الإقناع لأم المسيح بما سوف يحصل لها، من ولادة معجزة لم تُعرف في تاريخ البشر، وهذا الإقناع رأفة بها ورحمة، لأنها لا تملك حق الرفض أصلا، في أمر قد نفذت فيه إرادة الله، فنجد أن الله

يخبرنا في القرآن ما كان من أمر الملاك الذي جاءها: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧].

ففزعت منه هذه المرأة الطاهرة، لكمال شرفها وعفَّتها وطهارتها، مذكرة له بالله العظيم، مستعيذة بالله قائلة له: ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ١٨]، وهنا أفصح لها الملاك عما أرسله الله به قائلا لها: ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ [مريم: ١٩]، فتعجبت من أنه يبشرها بغلام، رغم أنه لم يمسسها بشر، ولكمال حيائها ودينها عبرت عن ذلك بالمساس، ونفت عن نفسها أي تهمة قد ترد إلىٰ بعض أذهان البشر، فنفت أيضا أن تكون من البغايا الذين يَلِدون سِفاحا في قولها: ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٠].

فأجابها الملاك بأن هذا أمر الله، وقدرته القاهرة التي تفوق تصوَّرات البشر جل جلاله، ثم أخذ يلين قلبها ويبعث فيها روح الأمومة في تصوير رهيب أخذ مجامع لُبِّها، ومكنون فطرة الأمومة في قلبها، مرغبا لها بابن عظيم وآية للناس، قائلا لها: ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٢١]، وأخبرها أيضا أنه سوف يكون: (سيدا وحصورا ونبيا من الصالحين ويكلم الناس في المهد وكهلا)، وهذه الأمور التي أخبرها بها سكّنت فؤادها، وطيبت خاطرها، وبعثت روح الأمومة في كيانها، فعاجلها المخاض وولدت به، وأتت تحمله إلىٰ قومها.

وهنا، حدث ما كان في حسبانها، وهو معاجلة الظنون السيئة قبل الظنون الحسنة – وهذه سنة البشر – فمن غير تردُّد ولا حتىٰ استفسار بشأن ما حصل لها ألبسها قومها تهمة هي منها براء، وأخذوا ينصحونها ويذكِّرونها بمنبتها الطاهر، وأنها من نسل الأنبياء والصالحين: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٨]، وهنا حدثت مفاجأة لم تكن في حُسبان قومها، وهي أن تكلم ذلك المولود بكلمات أسكتت الأفواه، وشدهت العقول قائلا: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي

مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣٠-٣٣].

هذه قصة مولده كما يصورها القرآن، نزّه أم المسيح فيها عن كل نقص، وبرأها من كل عيب، دون أدنىٰ افتراء وإفك، كما هو حال اعتقاد اليهود، وبين كيفية ولادة المسيح، ومعجزة كلامه في المهد، دون أدنىٰ مبالغة وتهويل يمجُّه العقل كما هو حال الإنجيل.

ثانيا: معجزاته:

تحدث القرآن الكريم عن معجزات المسيح، ليبين جلالة قدره، وعظيم منزلته، وقربه من الله، وتأييد الله له، وأحقية رسالته بالتصديق والإيمان، لمن أرسله الله إليهم، فقد جاء ذكر كثير من المعجزات التي حدثت علىٰ يد المسيح، وقد نقل القرآن تلك المعجزات علىٰ لسان المسيح فقال: ﴿أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْۚ﴾ [آل عمران: ٤٩].

وهذه المعجزات ورد ذكر بعضها في العهد الجديد وبعضها لم يرد وتتمثل في الآتي:

أ- يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا.

ب- يبرئ الأكمه.

ج- يبرئ الأبرص.

د- يحيي الموتىٰ.

هـ- ينبئ الناس بما يأكلون.

حقا إنها معجزات باهرة، جعلها الله حجة علىٰ عباده الذين أرسل إليهم، ولكن ما هي القوة التي استعملها المسيح للحصول علىٰ تلك المعجزات، هل هي قوة

الألوهية في ذاته كما يقول الإنجيل؟ أم هل هي قوة الشياطين كما يعتقد اليهود؟

لقد نص القرآن على أن تلك القوة هي قوة الله وقدرته، التي أيد بها المسيح في معجزات، ولهذا نجد أن الآيات السابقة، التي وردت على لسان المسيح في تعداد معجزاته، يتبعها بقوله: ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾.

إذن، لقد كانت تلك هي قوة الله وقدرته، التي أيد بها عبده ورسوله، كما أيد بها سائر الأنبياء، فشق القمر لمحمد ﷺ، وشق البحر لموسى، وجعل عصاه حية تسعى، وأغرق الأرض لنوح وجعلها طوفان، وغير ذلك من المعجزات لأنبياء الله.

ثالثا: دعوته وتعاليمه:

ذكر القرآن الكريم أبرز معالم دعوة المسيح، وهي كالتالي:

١- أنه عبد لله، ورسول من عند الله، قال تعالى على لسان المسيح: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مريم: ٣٠].

٢- أنه دعا إلى عبادة الله وحده، قال تعالى: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة: ١١٧].

٣- أن الله آتاه الإنجيل، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٦].

٤- أنه بشَّر برسالة محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦].

٥- أنه كان متَّبِعا لشريعة التوراة ونسخ بعض أحكامها، قال تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠].

٦- أنه أمر بالنهي عن المنكر، ولذلك لُعن بنو إسرائيل على لسانه، قال تعالى:

﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴾ [المائدة: ٧٨].

رابعا: اضطهاده ونهاية أمره:

يذكر القرآن قصة انتهاء وجود المسيح علىٰ الأرض في موقف مشرف، فلم تمتد إليه أيدي المعتدين، ولم يهنه الصليب، ولم تقتله الرماح كما يعتقد اليهود والنصارىٰ، فقد رفعه الله إليه، ليبين حفظ الله له، وكرم منزلته عنده، فلم يصلب ويقتل كما يعتقد اليهود والنصارىٰ: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾ [النساء: ١٥٨]، كما يقول القرآن الكريم.

هذه أبرز معالم قصة المسيح في القرآن، تبين منزلته اللائقة به، وتبين دعوته الحقة في نبذ الشرك ودعوته إلىٰ توحيد الله تعالىٰ.

فتبين من هذا أن المصادر الإسلامية متمثلة في القرآن الكريم قد تحدثت عن عيسىٰ عليه السلام في مواضع كثيرة، حيث ذكر أمه والبشارة به، وتثبيتها وأنها ولدته من غير أب في قصة سردية تبين إكرام أم المسيح وإجلالها وإرسال الملاك لها ليطمئن قلبها، ثم تذكر كلامه في المهد لقوم أمه ليدفع عنها تهمة الوقوع في الخنا، ثم تحدثت عن معجزاته الباهرة كإحياء الموتىٰ وإبراء الأكمه والأبرص وشفاء الأعمىٰ وكل ذلك بإذن الله وقدرته، وقد عرّج القرآن علىٰ ذكر معالم دعوة المسيح عليه السلام متلخصة في إثبات أنه عبد لله ورسول مرسل من عنده وأنه بشّر برسالة محمد عليه السلام وأنه كان متَّبِعًا لتعاليم التوراة وأنه كان يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر، ثم خُتمت بقصة رفعه إلىٰ السماء ونجاته من أيدي أعدائه.

الفصل الثاني

تاريخ النصارى بعد المسيح عليه السلام،

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: عصر الحواريين

المبحث الثاني: عصر الاضطهاد

المبحث الثالث: عصر تفرق النصارى

المبحث الرابع: عصر الملك قسطنطين

المبحث الخامس: عصر انقسام الكنييسة

الفصل الثاني

تاريخ النصارى بعد المسيح عليه السلام

من المناسب بعد عرض عصر المسيح عليه السلام ودعوته أن يُعرض هنا العصر الأول لما بعد المسيح عليه السلام، وذلك للتدرُّج الذي يهدف إلىٰ بيان كيفية انحراف المسيحية عن أصلها الأول، بدءًا من دراسة العصر الذي اصطلح علىٰ تسميته لدىٰ النصارىٰ بعصر الرسل.

فالدراسة التاريخية لعصرٍ ما بعد المسيح عليه السلام لها أهمية كبيرة، حتىٰ عند المسيحيين أنفسهم، ولذا يصرحون بأن "عصر الرسل هو المرجع الأساسي لنا في كل شيء... إنه يعطينا صورة للكنيسة كما تسلَّمها الرسل من السيد المسيح نفسه"[(١)].

وكما يقول الأنبا يوأنس: "ومن يدرس تاريخ الكنيسة فإنما يدرس المسيحية ذاتها في كل أوجهها"[(٢)].

ودراسة هذا التاريخ المسيحي يقوم علىٰ معرفة الأحداث التي جرت علىٰ النصارىٰ، بعد رفع المسيح عليه السلام، والتي أثرت في سلوكهم الديني ومنهجهم العقدي، وبيان ذلك فيما يلي:

(١) الكنيسة في عصر الرسل، للأنبا يوأنس، ص١٢ و An Introduction to Christian Theology. The Boisi Center Papers on Religion in the United States. The Boisi Center for Religion and American Public Life. P. 2

(٢) المرجع نفسه، ص١٨.

المبحث الأول

عصر الحواريين

حدثت كثير من الأحداث بعد رفع المسيح عليه السلام، ونحن هنا نحاول أن نجمل المنعطفات العامة التي حصلت للديانة النصرانية، والتي نقلها لنا التاريخ عن عصر الحواريين، ويمكن إبراز ذلك فيما يلي:

أولا: دعوة النصارى لعالمية الديانة النصرانية:

بعد أن رُفع المسيح من بين أظهر بني إسرائيل، لم يكن هناك من أتباعه سوىٰ جماعة قليلة، خلّفها المسيح عليه السلام، وقد نمت هذه الجماعة التي تركها بعده نموًّا سريعا[١]، بعد أن كانوا اثني عشر رجلا، وانضم تحت لوائها يهود ممن عاشوا في الشتات، ومن مواطني الجليل واليهودية (مرقس، ١/ ١٤-٢١. متىٰ، ٢٨/ ١٦)

ولهذا يعتقد عموم النصارىٰ أن المسيح بعد أن صعد إلىٰ السماء لم يترك خليقته التي أتىٰ ليفديها بدون رعاية، بل اختار اثني عشر تلميذا وسبعين رسولا، وقال لهم: "أقيموا في مدينة أورشليم إلىٰ أن تلبسوا قوة من الأعالي" (لوقا،٢٤/ ٣٦)

ويعتقد النصارىٰ أن هؤلاء الرسل قد انتشروا في كثير من البلدان للتبشير بالإنجيل، اعتمادا علىٰ ما نسب في إنجيل متىٰ إلىٰ المسيح من أنه قال: "اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم". (متىٰ، ٢٨/ ١٩).

وراح الرسل بعد أن نالوا موهبة الروح القدس، وامتلئوا من قوة العلاء يجوبون البلدان، وينادون باسم المسيح وإنجيله -حسب اعتقادهم- ويدعون الناس إلىٰ

---

(١) انظر: The Cambridge History of Chritianity, Edited by; Margaret Mary M. Mitchell and Frances M.YOUNG,p103

الانضواء تحت راية المخلص بقلب واحد، ونية صالحة واحدة، وعزم ثابت، لرد الضالين من الرعية الناطقة، إلىٰ راعيها الصالح الحقيقي[(١)].

وقد بين الأسقف ديوسقورس أسقف المنوفية ١٩٧٦م أن انتشار الرسل الإنجيليين، بحسب أشهر مناطق تبشيرهم التي ذهبوا إليها، وهي كما يلي:

الفرقة الأولىٰ: التي عملت في اليهودية وتخومها، وتتكون من الرسل: بطرس ويعقوب البار، ومتياس الذي حل محل يهوذا الإسخريوطي.

الفرقة الثانية: التي عملت في آسيا الصغرىٰ وما حولها، وتتكون من الرسل: فيلبس وبرتولوماوس ويوحنا، وينسب إلىٰ الأخير إنجيل وثلاث رسائل وسفر الرؤيا.

الفرقة الثالثة: التي ذهبت إلىٰ إيران والهند، وتتكون من: يهوذا وسمعان القانوني وتوما.

الفرقة الرابعة: التي ذهبت إلىٰ أقاليم أوروبا المختلفة، وتتكون من: أندراوس ويعقوب الكبير وبولس ولوقا الإنجيلي.

الفرقة الخامسة: التي ذهبت إلىٰ مصر وأثيوبيا بإفريقيا، وتكون من متىٰ ومرقس[(٢)].

ومنهم من ذهب كذلك إلىٰ بلاد الفرات وما وراءها، حيث يرىٰ بعض المؤرخين أنه قد انتشر الإيمان بالمسيح المخلص، في هذه الفترة نفسها في ما وراء الفرات، ويرون أن الفضل يعود في ذلك إلىٰ الرسول توما، وإلىٰ تلميذه أو أخيه أدي[(٣)].

---

(١) انظر: The life and ministry of Jesus' 12 Disciples. Rose Publishing, (2008). ودليل إلىٰ قراءة تاريخ الكنيسة، الأب جان كمبي، ص١٢.

(٢) انظر: موجز تاريخ المسيحية، للأسقف ديوسقورس، ص١٦، والدليل الصحيح في تأثير دين المسيح، القس منسي يوحنا، ص٩٤.

(٣) انظر: كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمىٰ، أسعد رستم، ١/ ٢٥.

ويرىٰ بعضهم أن توما جاوز النهرين إلىٰ بلاد الفارس[١]، ويرىٰ آخرون أن النصرانية دخلت أولًا في حاضرة حوران بصرىٰ، فيتفانىٰ بعض مؤرخي النصارىٰ في إثبات تبشيرهم في بلاد العرب، وانتشار النصرانية فيها، ويزعم بأن التقاليد القديمة تتواصل وتتفق علىٰ أن بعض الرسل تلمذوا أمم العرب وقبائلهم من جهات مختلفة[٢].

لقد انتشر أتباع النصرانية – في نظر النصارىٰ–في شتىٰ البلدان بغرض التبشير بالمسيحية، وكان هدفهم كما يقول الأسقف إيريناوس أسقف الإسكندرية ١٩٠م أنه هو خلق: "الكنيسة الكاثوليكية المنتشرة في جميع أرجاء العالم كله، حتىٰ إلىٰ نهاية الأرض". [٣]

إن انتشار النصارىٰ للتبشير بعد عصر المسيح تعد خطوة هامة في تاريخ الديانة النصرانية، وأمرا جديدا علىٰ الديانة، لم يعرف في عهد المسيح ﵇، وهي بذلك تعد أولىٰ الأمور الطارئة التي حدثت لأتباع المسيح بعد رفعه، ولهذا يسمي مؤرخو الكنيسة بدايات عصر الدعوة لعالمية النصرانية بالعصر الرسولي، وهي عندهم بدايات التبشير[٤]، وهذا هو رأي عموم النصارىٰ، وغرضنا من ذكره هنا هو بيان ما تواطأ عليه النصارىٰ من اعتقاد تبشير التلاميذ بالمسيحية بين الأمم.

---

(١) ويُذكر أن توما ذهب إلىٰ بلاد الفرثيين، وهي بلاد فارس. انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص٢٢٧ و٧٦٦.

(٢) النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية، ص٢٢. ودليل إلىٰ قراءة تاريخ الكنيسة، المجلد الثاني، الأب جان كمبي ص١٠.

(٣) نقلا عن الجانب المظلم في التاريخ المسيحي،هيلين إليبريص ٢٩.

(٤) تاريخ العالم الغربي، ل ج شيني، ص٨٣. وزمن العهد الجديد، جمسو إرمازنغر، ص٩٥ ومختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ص٣٤.

تعقيب: من تولى نشر المسيحية خارج بنو إسرائيل؟

في الحقيقة إن مثل هذه الدعاوىٰ التي ألصقت بتلاميذ المسيح عليه السلام لا ينبغي أن تمر مرور الكرام علىٰ التاريخ، ولا علىٰ العقل ولا علىٰ النقل، فالتاريخ المسيحي لا يتسم بالنزاهة فيما يتعلق بذكر تلاميذ المسيح الحقيقيين، ولا يتورع أن يصف تلاميذ المسيح الحقيقيين بأبشع الصفات، فلا يبعد أن ينسب إليهم ما يخالف تعاليم المسيح، فقد وصف تلاميذ المسيح بأنهم "سوف يخيبون آمال المسيح ويهجرونه ويتنكرون له ويخونونه"

ولذلك نضم صوتنا إلىٰ صوت الباحث اللاهوتي ديسكبلس روس حينما يتساءل فيقول: ولا شك أن الدعوة النصرانية قد نُشرت خارج تخوم اليهودية، بل أبعد من حدودها بكثير، ولكن يحق لنا أن نتساءل: **من نشر الديانة النصرانية وسعىٰ في نشرها بين الأمم من خارج بني إسرائيل؟**(1)

فالأقرب إلىٰ الحق والحقيقة أن مثل هذه النصوص التبشيرية بين الأمم لا تنطبق إلا علىٰ تلاميذ بولس، لا علىٰ تلاميذ المسيح، لأن تلاميذ المسيح كانوا يسيرون علىٰ خطىٰ المسيح وذلك لما يلي:

١- **لم يعتمد في نقل هذه الأخبار عن انتشار التلاميذ سوىٰ ما سطره لوقا وبولس،** في كتبهم في العهد الجديد، فسفر أعمال الرسل للوقا كان بالحري أن يسمىٰ سفر أعمال بولس.

فقد ملأ لوقا سفره بأعمال بولس، وأسفاره في سبيل نشر ديانته، مع أنه لم يذكر شيئا عن سَفر فرقة من تلاميذ المسيح للتبشير بالمسيحية، سوىٰ بعد أن اهتدىٰ بولس

(1) The life and ministry of Jesus' 12 Disciples. Rose Publishing, (2008).

إلىٰ المسيحية. (أعمال الرسل، ٩/ ١٠)

وهذا محل شبهة، أراد من خلالها لوقا أن يلصق بتلاميذ المسيح مشاركة بولس في نشر الديانة، ولتعزيز دعوة بولس في الدعوة لعالمية المسيحية، فقد أطنب لوقا في ذكر أسفار بولس التبشيرية، حيث ذكر ذهاب بولس إلىٰ دمشق وقبرص، وإلىٰ نيابوليس وفيلبي وتسالونيكي وبيرية وأثينا وكورنثوس وأفسس ومكدونيا واليونان وروما ومالطة. (أعمال الرسل،٩/ ٢ و١٣/ ٤ و١٦/ ١١و١٧/ ١٠ و١٨/ ١ و١٩/ ١ و٢٠/ ١ و٢٧/ ١)

وأما قبل اهتداء بولس إلىٰ المسيحية فكل ما ذكره عن تلاميذ المسيح أنه قال: "وكان كلام الله ينتشر، وعدد التلاميذ يزداد كثيرا في أورشليم، واستجاب للإيمان كثير من الكهنة" (أعمال الرسل، ٦/ ٧)

٢- **لم يرد دليل واحد أو برهان واحد علىٰ صحة دخول التلاميذ لمنطقة مابين النهرين**، التي ذكرها العهد الجديد، وعدم الثقة فيما نقل منه يفضي إلىٰ الشك في كل النقول، خصوصا وأنه لا يوجد بين أيدينا مُرجِّحات، ولهذا لما تفطّن بعض النصارىٰ لعدم الثقة في هذا المصدر الوحيد، شكك في صدق هذا المصدر وصحة أخباره، حيث يقول الأب ألبير أبونا في دخول تلاميذ المسيح لبعض المناطق: "إن دخول المسيحية إلىٰ مابين النهرين موضوع بحث ونقاش، فليس ثمة براهين قاطعة تؤكد أو تنفي دخولها إلىٰ هذه المنطقة منذ القرن الأول الميلادي، أي منذ عهد الرسل أو تلاميذهم"[(١)].

وما بين النهرين منطقة واسعة، تشمل ما بين دجلة والفرات، وجبال كردستان، وجبال زاغروس، وبادية الشام، وزاغروس هذه تشمل غرب إيران ومضيق هرمز[(٢)]،

(١) الكنيسة الشرقية، الأب ألبير أبونا، ص٥.

(٢) المنجد في اللغة والأعلام، ص٢٧٦.

وهذا يكذّب ما نسب إلىٰ التلاميذ من ذهابهم إلىٰ تلك المناطق، ويكذب ما نسب إلىٰ توما الرسول من ذهابه إلىٰ بلاد الفرس والعراق للتبشير، مع العلم بأن توما يوصف بأنه ذو مزاج سوداوي(١).

٣- **لم يرد دليل واحد يؤيد ذهاب بطرس إلىٰ روما،** مع العلم أن النصارىٰ يرون أن بطرس قد ذهب لتأسيس كنيسته التي سميت بالكاثوليكية، ولذلك يرون أن أسقف روما يتمتع بتسلسل بركة رسولية لا غش فيها ولا جدال.

ولكن عدم وجود البرهان علىٰ صحة هذه الدعوىٰ، يضطرنا إلىٰ الحكم بكذب هذه السلسة الرسولية، فلم يثبت أنه ذهب إليها، ولا إلىٰ بلاد اليونان، ولا إلىٰ مصر، ولا إلىٰ روما، ولا حتىٰ قريب منها – كما يرىٰ أصحاب الكنيسة الأرثوذكسية – أن تلك الادعاءات "ليست إلا من صنع المسيحيين ليجعلوا من بطرس كارزا للعالم أجمع، ومبشِّرًا كل الخليقة"(٢).

ووافق في تكذيب ذلك أيضا أتباعُ الكنيسة البروتستانتية، ولهذا يردُّ أتباع المذهب البروتستانتي علىٰ أتباع المذهب الكاثوليكي بقولهم: "أين هو البرهان علىٰ الاعتقاد برئاسة بطرس؟

إن هذا الصمت يوضح أن بطرس لم يكن في وقت ما في روما، لأنه لو وجد هناك فلا بد من ذكر الأمر في أحد كتب العهد الجديد، فالقديس بولس كتب رسالة مطوَّلة إلىٰ أهل روما، ولكنه لم يذكر شيئًا عن وجود بطرس فيها، وبولس نفسه عاش في روما سنتين، وأثناء إقامته فيها كتب عدة رسائل، لكنه لم يأت علىٰ أي ذكر لوجود

---

(١) قاموس الكتاب المقدس، ص٢٢٦.

(٢) الكنيسة في عصر الرسل، الأنبا يوأنس، ص٤١٢.

بطرس في المدينة"[١].

٤- **محاولة كل كنيسة أن تلحق شرف ترؤُّس بطرس لها،** بل انتسابه إليها، فالكنيسة السريانية الأنطاكية[٢] الأرثوذكسية تنسب إلىٰ بطرس افتتاحها وترؤسه لها، بل يصرّ آباؤها علىٰ أن "بطرس الرسول هو الذي أسس الكنيسة في أنطاكية"[٣].

وادعىٰ مثلهم كذلك الصوريون والصيداويون والطرابلسيون وأهل قيصرية فلسطين وغيرهم، بأن بطرس افتتح كل تلك الكنائس[٤].

وأقل ما يقال عن ذلك: إن هذا دليل علىٰ عدم تحري الدقة في منشأ كل تلك الكنائس، بل هو دليل علىٰ الجهل بمؤسسيها الحقيقيين، وكلٌّ يدعي وصلًا ببطرس، وبطرس لا يقرُّ لهم بذاكا!

٥- **أن ما اشتهر عن تلميذ المسيح يعقوب من أنه ذهب إلىٰ إسبانيا، قول عارٍ عن الصحة، ولا يعضده دليل ولا برهانٌ،** ولهذا يصرِّح بعض من قرب من الحقيقة منهم عن يعقوب فيقول: "أما عن جهوده في الكرازة فمعلوماتنا عنه ضئيلة، لكن

(١) انظر: العقائد الكاثوليكية في الكتاب المقدس، صموئيل بندكت، ترجمة القس يعقوب قاقيش، موقع كلدان للمسيح، www. Chaldeanllmaseh.com. وانظر: المباحث في اعتقادات بعض الكنائس، لمؤلف بروتستانتي مجهول، تحت الباب الثامن بعنوان: في المفاتيح، ص٣٦.

(٢) الكنيسة السريانية الأرثوذكسية بالسريانية: ܥܕܬܐ ܣܘܪܝܝܬܐ ܐܪܬܕܘܟܣܝܬܐ ويعتقد السريان أن كنيستهم تأسست في القرن الأول للميلاد علىٰ يد تلاميذ المسيح. انظر: تاريخ المسيحية الشرقية، القس عزيز سوريال عطية، ص٢٣٧، وكنيستي السريانية، المطران إسحاق ساكا، ص٢٥.

(٣) كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمىٰ، أسعد رستم، ١/ ١٩.

(٤) نفس المرجع ١/ ٢١.

التقاليد تجمع على أن ميدانه في التبشير كان في اليهودية والسامرة، أما القول بأنه كرز بالإنجيل في إسبانيا، فقول ليس له أسانيد تاريخية"[1]، ثم قِس على ذلك كل ما اتهم به التلاميذ والرسل من نشر المسيحية خارج تخوم اليهودية.

٦- **أن ذهاب تلاميذ المسيح يفضي إلى القول بعصيانهم لأوامر المسيح،** خصوصا وأنه قد علمهم ذلك أثناء مكوثه بينهم، فالمسيح حسب رواية الأناجيل أمرهم أن يدينوا أسباط إسرائيل فقط (متى، ١٩/ ٢٨) ولم يأمرهم بأن يدينوا شعوب العالم، وهذه كناية أو إشارة إلى أن رسالته قاصرة على شعب اليهودية المتفرع من أسباط الاثني عشر -إن صحت هذه العبارة-.

وأكّد عليهم ذلك عندما أرسلهم لينشروا دعوته بين اليهود، بأن يقصروا الدعوة على اليهود، بل وحذَّرهم من دخول مدن الأمم الأخرى. (متى ١٠، ١/ ٥)

ويدلك على أخذ تلاميذ المسيح بوصية المسيح في دعوة اليهود فقط ما جاء في الدسقولية أو تعاليم الرسل التي نسبت إليهم، والتي هي موضع تبجيل وتقديس لدى عموم النصارى، حيث قالوا فيها في وصاياهم لعموم أتباع المسيح: " تحفظوا أيضا أنتم من أن تتفرغوا لما فيه هلاككم، أي أن تجتمعوا مع الأمم في مجامعهم، فإنه هلاك لكم وغوية... يجب أن يهرب المؤمنون من الحنفاء لينالوا النجاة لأنفسهم"[2]. وهذا يشير إلى اهتمامهم بعدم دعوة غير اليهود، بل وعدم المكوث والاجتماع معهم.

كل هذا يدل دلالات واضحة على أن دعوة المسيح عليه السلام كانت مقتصرة في أصلها على بني إسرائيل، وتبعه على ذلك تلاميذ المسيح الحقيقيون[3]، وعدم

---

(١) الكنيسة المسيحية في عصر الرسل، الأنبا يوأنس ص٤١٦.

(٢) الدسقولية، تعريب القمص مرقس داود، ص١٠٣.

(٣) انظر: The Cambridge History of Chritianity, Edited by; Margaret Mary M. Mitchell and Frances M.YOUNG,p103-104

التسليم بما جاء في رسائل بولس ولوقا وغيرهم من نسبة الدعوة لعالمية النصرانية من قبل المسيح، أو من قبل تلاميذه، ولا شك أن هذه النصوص التي تدّعي ذهاب تلاميذ المسيح للتبشير بين الأمم إما محرفة أو زائفة.

ثانيا: عقد أول مجمع تشاوري منسوب إلى تلاميذ المسيح:

تذكر نصوص العهد الجديد أنه قد اجتمع تلاميذ المسيح، وقرَّروا فيه إسقاط جميع أحكام التوراة عن الذين يهتدون من الوثنية إلىٰ دين المسيح، سوىٰ أربعة أشياء، وهي ذبائح الأصنام والميتة والدم والزنىٰ،كما جاء في رسالة ذلك المجمع إلىٰ الوثنيين المهتدين حيث يقول: "فقد حسن لدىٰ الروح القدس ولدينا ألا يلقىٰ عليكم من الأعباء سوىٰ ما لابد منه، وهو اجتناب ذبائح الأصنام والدم والميتة والزنىٰ، فإن احترستم منها تحسنون عملا" (أعمال الرسل، ١٥/ ٢٩)

هذا هو رأي المؤرخين في صحة وقوع ذلك المجمع، الذي عقد بعد اثنتين وعشرين سنة من رفع المسيح.

ولكن الحقيقة - من وجهة نظري - هي أنه إن صح وقوع ذلك المجمع، فلا شك أن الذي حضره أو رضي به هو بولس وأتباعه، وليسوا تلاميذ المسيح، فلو افترضنا حضور تلاميذ المسيح في ذلك المجمع، فإنه من المؤكد أنهم لم يوافقوا علىٰ تعاليم هذا المجمع، وهذا ما ذهب إليه المطران السرياني إسحاق ساكا حينما يقول: "إن الكنائس المسيحية الأممية رضيت بحكم المجمع، واعتبرته نصرًا لها وقرارا نهائيا بالنسبة لحياتها، وأما الجماعة اليهودية المتنصرة، والتي بقيت متأثرة بيهوديتها وبالناموس، لم تقبل قرارات مؤتمر القدس، واعتبرت ذلك بمثابة هزيمة"[1].

(١) كنيستي السريانية، المطران، إسحاق ساكا، ص٢٠.

وينضم إلينا أيضا الباحث اللاهوتي الكاثوليكي مارجريتم ميتشل حيث يقول: "رعىٰ شخص بارز له أهمية لا مثيل لها في المسيحية وهو يهودي يدعىٰ بول اجتماعا في القدس بينه وبين الدعاة الآخرين المؤمنين بالمسيح لمناقشة طبيعة ومصدر جهودهم أيًّا كانت"(١).

وبغض النظر عن أعضاء هذا المؤتمر، وعن زعمائه الذين رأوا أن لهم حق التشريع، هل هم تلاميذ المسيح الحقيقيين - كما يستبعد - أم هم بولس وتلاميذه - كما يترجح -.

فقد أحدث مفهومًا جديدا في المسيحية، وفتح بابا لن يُغلق، وهو إباحة نسخ وإلغاء بعض التشريعات التي جاء بها المسيح.

فتبيَّن من هذا أن عصر الحواريين أو تلاميذ المسيح وهو العصر الرديف لعصر المسيح حصلت فيه جملة من الأمور من أبرزها هو الدعوة لعالمية النصرانية وانتشار التبشير بها بين الأمم، فقد ذكر التاريخ المسيحي أن المبشرين انتشروا في أماكن كثيرة منها من كان يبشر في تخوم اليهودية ومنهم من ذهب إلىٰ آسيا الصغرىٰ ومنهم من ذهب إلىٰ إيران وتاهند ومنهم من ذهب إلىٰ مصر وأثيوبيا، وقد رجَّحنا خلال هذا البحث أن الذي تبنىٰ تقنين ونشر هذه المهمة هو بولس وتلاميذه وليس تلاميذ المسيح، وأوردنا جملة من البراهين المبرهنة علىٰ ذلك، منها أن الَّذين نسبوا نشر المسيحية لتلاميذ المسيح هو بولس وتلميذه لوفا في كتبهم، وبيَّنا أنه لا يمكن الأخذ بآرائها لأنهم خصوم تلاميذ المسيح، ومنها انعدام الدليل الصحيح الثابت علىٰ صحة نشر تلاميذ المسيح للمسيحية خارج بنو إسرائيل، ومنها أن كل كنيسة تريد أن

(1) The Cambridge History of Chritianity, Edited by; Margaret Mary M. Mitchell and Frances M.YOUNG,p103

تثبت شرف إنشائها إلىٰ بطرس الحواري، مما يعني تضارب الأقوال فيه مع تكذيب كل كنيسة للأخرىٰ، ومنها أن إثبات نشرهم المسيحية فيه عصيان لأوامر المسيح بعدم دعوة غير اليهود إلىٰ تعاليمه.

ومن الأحداث التي وقعت في هذا العصر هو عقد أول مجمع للتشاور وقُرِّر فيه أمر خطير، وهو نسخ جميع أحكام التوراة سوىٰ الدم والزنىٰ والميتة والذبح للأصنام، ورجحنا أن إقامة هذا المجمع كان علىٰ يد بولس وشيعته، لموافقته لآراء بولس ولعدم نقل أي مصدر إنجيلي أحداث هذا المجمع سوىٰ تلميذ بولس لوقا، ولمخالفته تعاليم المسيح وتلاميذه.

المبحث الثاني
عصر الاضطهاد

لقد حلّ بالنصارىٰ بعد المسيح عليه السلام بلايا وكوارث عظام، جعلتهم يَستخفُون بعقيدتهم ويفرّون بها أحيانا، ويصمدون أمام المضطهدين أحيانًا أخرىٰ، صامدين في سبيل الحفاظ علىٰ عقيدتهم.

وفي كل تلك الحالات لا شوكة لهم ولا حيلة ولا قوة تحميهم أو تحمي ديانتهم وكتبهم التي يذكرون أنها كتبت خلال تلك الاضطهادات(١).

فالاضطهاد علىٰ المسيحية نشأ منذ عصر المسيح، الذي جاء مصدقا للتوراة ومخفِّفا عليهم، فقد ذاق المسيح وأتباعه من الاضطهاد والنكال علىٰ أيدي اليهود في عصره، ثم تلاميذه من بعده، وكذلك ما ذاقه النصارىٰ بعد ذلك من الاضطهاد من قبل الرومان الوثنيين، الذين أوقعوا كثيرا من النكبات عليهم، كان لكل ذلك أبلغ الأثر في انحراف المسيحية، ويمكن تقسيم تلك الاضطهادات إلىٰ مرحلتين، ذلك كما يلي:

المرحلة الأولى: الاضطهاد على أيدي اليهود:

استمرت عداوات اليهود لأتباع المسيح وتلاميذه من بعده، ولاقىٰ أتباعه أنواع الاضطهادات علىٰ أيدي اليهود.

---

(١) انظر: An Introduction to Christian Theology. The Boisi Center Papers on Religion in the United States. The Boisi Center for Religion and American Public Life. P. 2

يقول يوسابيوس القيصري ٣٥٠م وهو أقدم مؤرخ كنسي: "إن اليهود بعد صعود مخلصنا لم يكتفوا بجريمتهم ضده، بل دبَّروا الكثير من المؤامرات ضد رسله علىٰ قدر استطاعتهم"[(١)].

ويمكن إيجاز أبرز تلك الاضطهادات ما يلي:

أ- **إيداعهم في السجون والمعتقلات: ومن أبرز الأمثلة علىٰ ذلك هو ما حصل لبطرس ويوحنا**: أول تلك الاضطهادات من اليهود علىٰ تلاميذ المسيح بعد عصر المسيح هو ما حصل لبطرس ويوحنا عندما صعدا إلىٰ الهيكل، فأخذا يَعِـظَان اليهود، ويُذكِّرانهم ببشارة موسىٰ التي قال فيها: "سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم، له تسمعون كل ما يكلمكم به... وبينما هم يخاطبان الشعب أقبل عليهم اليهود متضجرين من كلامهما، فأمسكوا الرسل وألقوهم في السجن العام" (أعمال الرسل ٤/ ١٥)

ب- **إيقاع عقوبة القتل عليهم والتشريد: فقد تدرج اليهود في اضطهادهم للمسيحيين، وذلك من السجن إلىٰ القتل**، فقد حصل هذا التطور الخطير من قبل اليهود في اضطهادهم لأتباع المسيح، وذلك بعد إقامة التهمة بالتجديف، علىٰ من قرروا قتله من أتباع المسيح، ولكن التطور الملحوظ هنا هو أنه لم يعد اليهود يستشيرون الرومان في قتل أحد[(٢)]، بل هم يقررون ذلك بمجرد إقامة الدعوىٰ علىٰ المتهم، ولعل ذلك لملاحظة اليهود بأن الرومان قد أعطوهم الموافقة، وإن كانت تلك الموافقة هي السكوت عن جرائمهم ضد أتباع المسيح.

---

(١) تاريخ الكنيسة، يوسابيوس القيصري ص١٠٠.

(٢) يقول شارل جنيبير: ويبدو أن الرومان استشعروا انفصال المسيحيين عن اليهود، بعد أن كانوا يعدون المسيحيين فرقة من فرق اليهود، انظر: المسيحية نشأتها وتطورها، ص١٦٩.

فيذكر سفر أعمال الرسل أن التلاميذ انتخبوا من بينهم سبعة للقيام بمهمة متابعة الصدقات اليومية، التي تجري علىٰ أرامل اليهود اللاتي يتكلمن باليونانية، واللاتي كن يتكلمن بالعبرية، وكان من بين أولئك السبعة (استفانوس)، الذي كان يخطب بين اليهود ويوبخهم، وكان من بين ما قاله لهم: "ياقساة الرقاب، وغير المختونين بالقلوب والآذان، أنتم دائما تقاومون الروح القدس،كما كان آباؤكم كذلك، أنتم أي الأنبياء لم يضطهده آباؤكم، وقد قتلوا الذين سبقوا فأنبئوا بمجيء البار.." (أعمال الرسل ٧/ ٥١-٥٣)

وكان مصيره نهاية الأمر هو أنهم "هجموا عليه بنفس واحدة، وأخرجوه خارج المدينة ورجموه، والشهود خلعوا ثيابهم عند رجلي شاب يقال له: شاول". (أعمال الرسل ٧/ ٥٩)

وقتل في تلك الاضطهادات يعقوب أخا يوحنا بحد السيف، وسجن بطرس (أعمال الرسل ١٢/ ٢).

ويذكر مؤرخ الكنيسة يوسابيوس قصة قتل بطرس، حيث أن اليهود اقتادوه، وطلبوا منه أن ينكر الإيمان بالمسيح أمام كل الشعب، فازداد جرأة وتكلم بالإيمان بالمسيح، فطرح من فوق جناح الهيكل، وضرب بعصا حتىٰ مات[1]. ونتيجة لذلك تشتتوا في كور اليهودية في تلك الاضطهادات (أعمال الرسل ٨/ ١).

ج- **الهجوم علىٰ بيوت المسيحيين**: وهكذا نرىٰ الاضطهاد اليهودي للنصارىٰ وصل إلىٰ الذروة حينما بلغ الهجوم علىٰ بيوتهم والسطو عليهم، وتسليمهم إلىٰ السجون والمعتقلات، بل وقتلهم أيضا.

(١) تاريخ الكنيسة، يوسابيوس، ص٨٥.

فقد وجدت السلطات اليهودية الشجاعة الكافية لاضطهاد المسيحيين علنا، وكان الشخص الذي تزعم هذه الحملة المروعة هو شاول الطرسوسي، وشاول هو بولس قبل دخوله المسيحية، فقد نشر الاضطهاد في أورشليم، والبلاد التي حولها ووصل إلىٰ دمشق(١).

واستمر ذلك الحال حتىٰ بعد عصر بولس، ففي سنة ١٠٧م أثار اليهود الشغب علىٰ المسيحيين في مدن فلسطين، ووشىٰ بعضهم بسمعان، أسقف أورشليم الثاني بعد يعقوب، وقالوا: إنه مسيحي من سلالة داود، فأمر حاكم فلسطين بتعذيب سمعان وصلبه، وسيق أغناطيوس مصفَّدًا بالأغلال إلىٰ رومة، وطرح أمام الوحوش الضارية(٢).

ويبدو - والله أعلم - أن تلك الاضطهادات أوجدت نوعًا من ردة فعل مضادة لدىٰ المسيحيين، حيث كان اليهود يهدفون من وراء تلك الاضطهادات إلىٰ حلحلة إيمان النصارىٰ بالمسيح، بل بالكفر به، مما جعل النصارىٰ يضطرون إلىٰ التعلق بالمسيح، تعلُّقا داخله الغلو والجهل، وأسهم في ذلك تخفِّي النصارىٰ، وعدم نشر التعليم الصحيح فيما يجب الإيمان به تجاه المسيح، وخصوصا بين عوامِّهم، أو المؤمنين الجدد، نتيجة تلك الاضطهادات.

واستمر الحال كذلك، إلىٰ أن جاءت المرحلة الثانية من الاضطهادات، وهي لا تقل عن المرحلة الأولىٰ، إن لم تكن أدهىٰ وأمر.

---

(١) المدخل إلىٰ العهد الجديد، د/ فهيم عزيز، ص٩.

(٢) موجز تاريخ المسيحية، للأنبا ديوسقورس ص١٤١. وتاريخ الحضارات العام، روما وإمبراطوريتها، إشراف موريس كروزيه، ٢/ ٥٦٠

المرحلة الثانية: الاضطهاد على أيدي الرومان:

إن نشأة المسيحية في أجواء بيزنطية رومانية عريقة في تقاليدها الوثنية عرَّضت المؤمنين الأوائل بالنصرانية إلىٰ حملات اضطهاد مروعة، طيلة القرون الثلاثة الأول من تاريخها، فقد مرّت علىٰ النصارىٰ مراحل عصيبة، ذاقوا خلالها أنواع الخوف والهلع، وذلك من قِبَل الرومان الوثنيين بعد أن أدركت الإمبراطورية الرومانية أنها أمام فرقة ليست كاليهودية، متقوقعة علىٰ نفسها، وإنما أمام فرقة جديدة لها طموح التوسع والانتشار(1).

وقد ظهرت أعنف أنواع العداوة للكنائس المسيحية لدىٰ أقوىٰ أباطرة الرومان، وأكثرهم إخلاصا لواجبات منصبهم، أي حسب التعبير الحديث: أكثرهم وطنية.

فنجد بعض الأباطرة من أمثال ديس وفاليريان (٢٥٧م) والإمبراطور ديوكلتيانوس (٣٠٥م)، يعقدون النية الصريحة علىٰ القضاء قضاء مبرما علىٰ الكنيسة، وكل أَثرٍ للدين الجديد، فيحملون الناس علىٰ الارتداد عنه مستخدمين التعذيب أو التهديد به، ولم يتورَّعوا في سبيل تحقيق أهدافهم عن أقسىٰ وسائل العنف، بل وعن القتل في كثير من الأحيان (2).

وقد أسهم ذلك العداء في محاولة بعض النصارىٰ التقريب بين المسيحية وبين ديانة الأباطرة، بقصد التزلُّف إلىٰ أولئك الأباطرة، أو علىٰ وجه التأثر بديانتهم، بسبب

---

(١) انظر: Christians in the Roman Empire in the first three centuries. Fredriksen, P., in: A companion to the Roman Empire, Potter, D.(Ed.), P. 601،Wiley- Blackwell, Blackwell Publishing Ltd, 2006.

(٢) انظر: The Cambridge History of Chritianity, Edited by; Margaret Mary M. Mitchell and Frances M.YOUNG,p503

الجهل الذي عَمَّ وطَمَّ بين أتباع النصرانية، الذي كان هو نتيجة الاضطهادات العنيفة المتلاحقة، مما أسهم إسهاما لا ينكر في تكوين العقائد النصرانية المحرفة الجديدة.

ويمكن إجمال أهم الأسباب التي أسهمت بشكل كبير في اضطهاد الرومان للنصارىٰ ثم ذكر أبرز تلك الاضطهادات فيما يلي:

أولا: أسباب اضطهاد النصارى من قبل الرومان:

١ - مكر اليهود بالنصارىٰ والوشاية بهم إلىٰ السلطات الرومانية:

فقد كان الرومان في بداية الأمر لا يعتبرون النصارىٰ إلا امتدادا للديانة اليهودية[١] أو يعتبرونها مذهبا أو شيعة من الشيع اليهودية، كما يدل علىٰ ذلك سفر أعمال الرسل في صدد حديثه عن غاليلو والي أخائية[٢]، وذلك أنه رفض التدخل ليحكم بين اليهود والنصارىٰ، وكان يردد في خضم تلك الخلافات قوله: "لا أشاء أن أكون قاضيا لهذه الأمور" (أعمال الرسل، ١٨/ ١٥) إلا اليهود أبوا أن يتمتع النصارىٰ بامتيازاتهم الخاصة، فأبانوا الفروق بينهم وبين أتباع المسيح، فتفتَّحت أعين السلطات، وبدا الارتياب والظن.

ولكن جاءت عواصف الرومان بما لا تشتهي سفن اليهود، حيث لم تستثنِ هجماتهم اليهود في أغلبها، لكن النصارىٰ كان لهم نصيب الأسد من تلك الاضطهادات، كما كان في عهد الإمبراطور سبتيموس سفيروس ١٩٤-٢١١م، الذي

---

(١) انظر: Christians in the Roman Empire in the first three centuries. Fredriksen, P., in: A companion to the Roman Empire, Potter, D.(Ed.), P. 601، Wiley- Blackwell, Blackwell Publishing Ltd, 2006.

(٢) وهي إقليم من بلاد اليونان، ثم أصبحت ولاية رومانية وعاصمتها كورنثوس. انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص٣١.

أوقع الاضطهاد علىٰ اليهود والنصارىٰ جميعا، لأنهم رفضوا الذبائح لتماثيل الإمبراطور، فتعرضوا للحرق والضرب وقطع الرقاب، فقد كان يكفي لإيقاع العقوبة عليهم مجرد اتهامهم بأنهم "تغافلوا عن الإكرام الواجب للقيصر، لأنه بينما أقام كل رعايا روما مذابح وهياكل إلىٰ كايوس، وعاملوه في كل النواحي الأخرىٰ معاملة الآلهة، فإنهم وحدهم اعتبروه أمرا مشينا أن يكرموه بإقامة التماثيل ويحلفوا باسمه"(١).

٢- انتشار النصرانية في كثير من أرجاء الإمبراطورية:

وذلك أن الاضطهادات التي ذاقها النصارىٰ علىٰ أيدي اليهود أسهمت في تشتُّت المسيحيين إلىٰ مناطق عديدة وتفرقهم، "فالذين تشتتوا جالوا مبشرين بالكلمة" (أعمال الرسل، ٨/ ٤) فتخطّوا حدود القدس - بغض النظر عن من كان له قدم التبشير خارج اليهودية -.

المهم، أن النصرانية الجديدة وصلت إلىٰ عدة مدن، منها: دمشق ولدة ويافا وقيصرية وأنطاكية وإيقونية وقبرص، بل عرفت حتىٰ في قلب مدن الإمبراطورية مثل: ترواس وساموثراكي ونيابوليس وفيلبي وأمفيبوليس وأبولونية وأريوس باغوس وأثينا. (أعمال الرسل، ٩/ ١٠ و٩/ ٣٣ و٨/ ٣٦ و١٠/ ٢٤ و١١/ ٢٢)

يقول تاسيتوس: إنه لم تأتِ سنة ٦٠ للميلاد إلا وكانت رومية مليئة بالمسيحيين، حتىٰ إنه لما أثار نيرون الدموي اضطهاده استطاع بسهولة أن يقبض علىٰ كثيرين منهم.

ومما يُذكر أن الوالي الروماني علىٰ بنطس وبيثينية في رسالة له سنة ٧٠م، يذكر فيها أن المسيحية قد انتشرت في هاتين الولايتين، مع أنهما كانتا بعيدتين جدا عن

---

(١) تاريخ الكنيسة، يوسابيوس، ص٥٨.

أورشليم، وأن كثيرين من كل عمر ودرجة ذكورا وإناثا، يساقون من وقت لآخر إلىٰ محافل القضاء، حيث يُشتكىٰ عليهم من جهة عقيدتهم[1].

وهكذا أخذت المسيحية تنتشر انتشارا حثيثا، بحيث لم يكد ينتهي القرن الأول، إلا وكانت كل ولاية رومانية من ولايات الإمبراطورية تضم بين جوانبها جالية مسيحية، الأمر الذي عرضهم لنقمة الأباطرة.

٣- اعتقاد النصارىٰ بقرب اليوم الآخر وزوال الإمبراطورية:

من أسباب اضطهاد النصارىٰ علىٰ يد الرومان، هو اعتقاد النصارىٰ بقرب زوال العالم، وذلك عندما كانوا يصرحون باقتراب ملكوت الله، وبقرب مجيء المسيح، وآمنوا بأن نهاية العالم وشيكة الوقوع، وتطلعوا بآمالهم إلىٰ يوم القيامة، فقلّ اهتمامهم بالواجبات الدنيوية، فأثّر ذلك سلبا في المصالح السياسية، في نظر الحكومة الإمبراطورية.

فكان النصارىٰ يبدون أمام الرومان في ذلك الزمان وكأنهم يبغضون الجنس البشري، إذ كانوا يتطلعون إلىٰ عودة المسيح من فورهم، ليقضي علىٰ الناس جميعا.

يقول المؤرخ باروسلاف تشرني: "كانت الفكرة الثابتة بقرب القدوم الموعود لملكوت الله تحتل عقول المسيحيين الأوائل"[2].

ولذلك اعتبرت السلطات الرومانية النصارىٰ مواطنين يملؤهم الشر، وعنصرا خطرا في المجتمع، لا بد من خضوعه للدولة، فأشعلت نار الاضطهاد عليهم.

---

(1) The Cambridge History of Chritianity, Edited by; Margaret Mary M. Mitchell and Frances M.YOUNG,p103

(٢) الديانة المصرية القديمة باروسلاف ص٢٠٤ والمسيحيون الأوائل، إبرهارد آنولد، ص١٥ والعصور القديمة، بريستد، ص١٨٦. الرومان، بارو، ص١٨٦ وعلوم اليونان، لاسي أوليري، ص٥٤.

٤ - شعور الرومان بأن هذا الدين الجديد ينقض أسس الحضارة الرومانية:

وذلك أن النصارىٰ تميزوا بالنفرة التامة من الإمبراطورية الرومانية، واعتبارها العدو الأول لهم، وذلك بسبب العقائد الدينية، التي يرون من خلالها أن الرومان وحضارتهم وعقائدهم من أبطل الباطل، وأن أتباعها وثنيون، بل تنبؤوا جهارا بسقوط الإمبراطورية(١).

ولذا رأت الإمبراطورة أن المسيحية هي صورة ثورة اجتماعية خطيرة، تنادي بمبادئ من شأنها تقويض الدعائم التي قام عليها المجتمع الروماني.

وأعقب ذلك امتناع النصارىٰ عن أداء الخدمة العسكرية، وعن شغل الوظائف، واعتبرت السلطات الرومانية هذا بأنه هروب من الواجبات المدنية، وضعف للروح القومية والإرداة القومية، مع عدم تقديس الإمبراطور وتأليهه وتقديم القرابين لتمثاله(٢).

ويشهد علىٰ ذلك أوريجانوس ٢٣٥م وهو أحد آباء الكنيسة في تلك العهود، حيث يقول: "إن صار الجميع مثلكم - مسيحيين - سوف تهجر الحكومة القومية سريعا، وستصير بلا عون، وستتسرب شؤونها من بين أصابعها، لتسقط في يد هؤلاء التعساء من المتوحشين، غير اليونانيين.. نحن لانصير جنودا للإمبراطور حتىٰ إن طلب هو ذلك"(٣)، وهذا الأمر اعتبر عصيانا جماعيًّا من قبل الإمبراطورية الرومانية،

(١) انظر: The Cambridge History of Chritianity, Edited by; Margaret Mary M. Mitchell and Frances M.YOUNG,p104

(2) Christians in the Roman Empire in the first three centuries. Fredriksen, P., in: A companion to the Roman Empire, Potter, D.(Ed.), Wiley-Blackwell, Blackwell Publishing Ltd, 2006.، P. 601

(٣) المسيحيون الأوائل، أبرهارد آرنولد، ص١٢١. وانظر: Origen; On The First principles, B. III Ch.v, in (Greek and Roman philosophy pp328-334

وعقوبته المؤكدة هي القتل في عرف الأباطرة.

وهذا السبب -من وجهة نظري- سببا أوليًّا إذ عُرف عن أباطرة الرومان خوفهم العارم من كل استقلالية فكرية لأي فئة دينية أو فكرية، الإمبراطور دوميسيان -كمثال- في عام ٩٤م نفىٰ جميع الفلاسفة اليونان من روما - كما يقول المؤرخ ويدجيري- خشية منه أن ينتشر الاستقلال الفكري بين رعاياه[1].

ولذلك فلا يستغرب مجابهتهم للفكر المسيحي خصوصا وأنه يبنىٰ علىٰ اعتقاد ديني مضاد للفكر الديني اليوناني، وهذا خلافا لبعض المؤرخين الذين يصورون التاريخ الروماني بأنه مُفعم بالحريَّات.

٥ - الأفكار المغلوطة لدىٰ الرومان عن عقائد النصارىٰ:

تنوَّعت الأساطير التي تسامع بها الرومان عن المسيحيين، والتي يعد ارتكاب أقلها جريمة من الجرائم التي يعاقب عليها القانون الروماني، فانتشرت الإشاعات بأن هذه الديانة ضد الإمبراطور، لأنها لا تتعبد له، ثم انتشرت إشاعات أخرىٰ، تقول بأن جماعة المسيحيين يقدمون في عبادتهم أطفالا كمحرقة لإلههم، أما التهمة العظيمة التي وجهت للمسيحيين فهي أنهم يتعبدون لإله يدعىٰ يسوع، أي إنهم يخضعون لسلطة أخرىٰ غير الإمبراطور الروماني.

بالإضافة إلىٰ ذلك ما تميّز به المسيحيون الأوائل، من طابع العزلة والانطواء، الذي كان يبدونه تجاه مخالفيهم، وما جرىٰ عليه المسيحيون من جمع الأموال لمعونة المرضىٰ والمعوزين، كل ذلك أثار الريبة في النفوس، واشتهر بين الرومان بأن النصارىٰ يأكلون لحوم البشر، ويقدمون ضحايا بشرية[2].

---

(١) انظر: المذاهب الكبرىٰ في التاريخ، ويدجيري ص١٠١

(٢) الإمبراطورية الرومانية، تشارلز وورث ص١٧٦ والمسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية، إ. س. سفينسيسكايا ص٢٣٥.

٦- اتهام النصارىٰ بإحراق مدينة روما:

وهذه هي الحادثة التي راح ضحيتها كثير من النفوس والممتلكات، علىٰ الرغم من الكثير من الدلائل التي تنفي عن المسيحيين هذه التهمة، إلا أن المواطن الروماني العادي كان يشعر أن المسيحيين حتىٰ وإن كانوا أبرياء من جريمة الحرق العمد إلا أنهم ينتظمون في جماعة تحوم حولها الشبهات علىٰ نحو أو آخر.

ويُرجِّح كثير من المؤرخين أن تلك التهمة علىٰ المسيحيين كانت زورا، بل يرجحون أن الإمبراطور هو الذي افتعل ذلك الحريق للإيقاع بالمسيحيين، يقول تاسيتوس ١٢٠م - وهو أقدم مؤرخ روماني كتب عن الاضطهاد -: "ولم يصدر الحكم عليهم بناء علىٰ أدلة واضحة، تثبت أنهم هم الذين أشعلوا النار في المدينة، بل أدينوا لأنهم يكرهون الجنس البشري كله"(١).

ثانيا: أهم الاضطهادات الرومانية على النصارى:

لقد بات الاعتراف باعتناق الديانة المسيحية قرابة ١٢٠ عاما جُرما قد يفضي إلىٰ الموت، ولكن المسيحيين حاولوا بشتىٰ الطرق توضيح العقيدة، وإثبات أن تمسكهم بالديانة المسيحية لا يعني خروجهم عن طاعة الإمبراطورية، يقول أحدهم: "إن المسيحيين يعيشون علىٰ الأرض، أما مملكتهم في السماء، إنهم يحترمون القوانين الموضوعة، بل يتجاوزون في حياتهم عدالة هذه القوانين"(٢)، ولكن ذلك الدفاع عن عقيدتهم ومنهجها لم يضف سوىٰ مزيد من الاضطهاد والتنكيل بهم.

---

(١) انظر: The Cambridge History of Chritianity, Edited by; Margaret Mary M. Mitchell and Frances M.YOUNG,p 504

(٢) الإمبراطورية الرومانية، تشارلز وورث، ص١٧٨ والمسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية، إ. س. سفينسيسكايا ص١١٦.

ومن أهم الاضطهادات التي مرت علىٰ النصارىٰ، خلال قرونهم الأولىٰ علىٰ يد الرومان، كما يلي:

القرن الأول: في عهد الإمبراطورين: نيرون ٥٤-٦٨م، و دميتانوس ٨١-٩٦م.

القرن الثاني: في عهد الأباطرة: تراجان ٩٨-١١٧م، وهادريان ١١٧ - ١٣٨م، وماركوس أوريليوس ١٦١-١٨٠م، وسبتميوس سافيروس ١٩٤-٢١١م.

القرن الثالث: في عهد الأباطرة: مكسيمينوس ٢٣٥-٢٣٨م، وديسيوس ٢٤٩-٢٥١م، وفاليريان ٢٥٣-٢٦٠م، ودقلديانوس ٢٨٤-٣٠٥م(١).

ولعل من المناسب عرض بعض تلك الاضطهادات بشيء من الإيجاز، ليتصور هول تلك الاضطهادات التي مرت علىٰ النصارىٰ خلال قرونهم الأولىٰ، فمنها ما يلي:

أ - اضطهاد نيرون:

ولد نيرون عام ٢٩م، حين تزوج أبوه أكتيوس دوميتيوس في عام ٢٨م بأجربينا الثانية، وقد أطلقا علىٰ ابنهما الوحيد اسم لوسيوس، وأضافا إليه لقب نيرون، ومعناه القوي الشجاع.

تولىٰ مقاليد الإمبراطورية وعمره ١٦ عاما، ونشأ في بيئة فلسفية، فنشأ مبغضًا للأديان، يقول ول ديورانت: "إن القدر الضئيل الذي ناله من الفلسفة حرَّر عقله من قيود الدين دون أن ينضج حكمته، وكان يزدري جميع أنواع العبادات"(٢).

---

(١) انظر: The Cambridge History of Chritianity, Edited by; Margaret Mary M. Mitchell and Frances M.YOUNG, p503-515 وموجز تاريخ المسيحية، للأنبا ديوسقورس، ص١٤١-١٥٠.

(٢) قصة الحضارة، ول ديورانت ٣/ ٢/ ١٢٨.

في عـام ٦٤م مـن حكمـه أصـيبت رومـا بحريـق الـتهم ثلثـي المدينـة، واتهـم المسيحيون بافتعال هذا الحريق، وأذيقوا ألوان العذاب والتنكيـل جرَّاء تلـك التهمـة، يحدثنا يوسابيوس القيصري عن هذا الاضطهاد فيقـول: "ولمـا ثبـت عهـد نيـرون بـدأ سلسلة إجراءات قاسية، ويذكر أنه أول إمبراطور أعلن العداء للديانة الإلهية".

ثم ذكر شدة هذا الرجل، وجنونه في القتل والتنكيـل بأعدائـه، بـل وحتىٰ أقربائـه، بل يذكر أنه قتل أمه، وأمر مربيه الفيلسوف سينيكا أن ينتحـر فـانتحر(١)، "وكيـف أبـاد كثير من الأنفس بلا سبب، وارتكـب جـرائم كثيـرة، لدرجـة أنـه لـم يـشفق حتىٰ علـىٰ أقرب أقربائه وأعز أصدقائه، بل قتل أمه وإخوته وزوجته مع آخـرين كثيـرين جـدا مـن عائلته، كما قتل أعداءه الخفيين والظاهرين بميتات مختلفة" (٢).

وقد تفنن هذا الإمبراطور في تعذيب النصارىٰ بشتىٰ أنواع العـذاب، فتـارة يـدخل أحدهم في جلد حيوان، ثم يرميه طعاما للوحـوش المفترسـة، وتـارة يلبـسهم جلابيـب مطلية بالقار، ثم يوقدون كمـشاعل يـستـضيء بهـا نيـرون وحاشـيته، وكـان يمتـع نفـسه بمنظر الوحوش عندما تفترس أطفالهم(٣).

ويذكر يوسابيوس بعـض الأهـوال والـشدائد في ذلـك الاضـطهاد، فيـذكر أنـه قـد مرَّت مجاعة قلَّ أن يكون لها نظير عمَّت أرجاء اليهودية، حتىٰ إن اليهود كانوا يخفون الطعام عن جند الرومان، لئلا يؤخذ من أيـديهم، "واشـتدت المجاعـة فالتهمـت بيوتـا

---

(١) انظر: The Cambridge History of Chritianity, Edited by; Margaret Mary M. Mitchell and Frances M.YOUNG,p 504

(٢) انظر: تاريخ الكنيسة، يوسابيوس القيصري، ص٨٩.

(٣) انظر: تاريخ الأقباط، زكي شنودة، ص١/ ١٠٩ وتاريخ الكنيسة، جون لوريمر، ص٩٠. ودليل إلىٰ قراءة تاريخ الكنيسة، الأب جان كمبي، ص٥٨ وتاريخ العالم الغربي، جون، ل.ج، شيني، ص٨٤.

وعائلات، وامتلأت الغرف بجثث النساء والأولاد، وطرقات المدينة بجثث المشايخ"، بل كانت تقوم الحروب الطاحنة داخل البيت الواحد، وكانوا يجمعون أشياء لا تليق بأقذر البهائم ويلتهمونها، ولم يتعففوا عن مناطقهم وأحذيتهم، وكانوا يجردون دروعهم من جلودها ويلتهمونها".

وقد كانت هناك امرأة ثرية تدعىٰ مريم وأبوها أليعازر، ضرب عليها الحصار مع من ضرب عليه في أورشليم، وسلب كل ما معها من متاع، وكان ولدها يرضع من ثديها، وتمتمت له بعبرات الأسىٰ والحزن، الذي ولد في خضم الحروب والاضطهادات، وأنه لو بقي حيًّا لأصبح مستعبدا للرومان، فقتلته وطبخته وأكلت نصفه، وأودعت نصفه الباقي وغطته وحفظته، وعندما جاء الرومان وسألوها عن الطعام، أظهرت لهم بقية طفلها، فأخذتهم الدهشة والفزع، فقالت لهم: "الطفل طفلي وأنا الذي فعلت به هذا، كلوا لأني أنا أيضا أكلت، لا تكونوا أكثر شفقة من المرأة، ولا أكثر حنُوًّا من الأم، أما إن بلغت فيكم التقوىٰ إلىٰ الحد الذي فيه تحجمون عن ضحيتي، فقد أكلت أنا منه".

حتىٰ إنه يذكر عن يوسيفوس أنه قال: "طوبىٰ لمن ماتوا قبل أن يروا أو يسمعوا أمثال هذه الفواجع"(١). وكل هذا كان بتخطيط من الإمبرطور الجبار نيرون، لهدف إبادة الجماعة المسيحية.

ب- اضطهاد تراجان:

ولد تراجان عام ٥٢م، وأصبح قنصلا عام ٩١م، وقد تبنَّاه الإمبراطور نيرفا عام ٩٧م، ثم اعتلىٰ عرش الإمبراطورية عام ٩٨ م.

---

(١) تاريخ الكنيسة، يوسابيوس ص١٠٣-١٠٦.

وفي عام ١٠٦م أصدر تراجان أوامره بأن تمنع أي اجتماعات سرية في أنحاء الإمبراطورية، وكان أول من خرم قواعد تلك الأوامر هم النصارىٰ، وبهذا أصبحوا تحت طائلة الحساب، فسامهم ولاة الإمبراطور صنوف العذاب، واتخذت ساحة الملعب الروماني- المسمىٰ كلوسيوم- مرتعا للوحوش الضارية التي تمزق أجساد المسيحيين.

وقد كان تراجان يعتبر المسيحيين أنجاسا، لا يسمح لهم بدخول الحمامات العامة، وكان يأمر ولاته بمنع المسيحيين من صلاتهم، ويجعلهم ينزلون بهم أشد أنواع العذاب، وقد أمر تراجان بمنع الاجتماعات السرية للمسيحيين، لأنهم كانوا لا يدينون بدين قيصر(١).

ويصور ذلك الاضطهاد ماكتبه بيلين -والي آسيا للإمبراطورية الرومانية في عهد تراجان- حينما يوضح منهجه في معاملة المسيحيين وتعذيبهم، فيقول: ".. إني أسألهم إن كانوا مسيحيين؟ فإذا أقروا أعيد عليهم السؤال ثانية وثالثة، مهددا بالقتل، فإن أصروا أنفذ عقوبة الإعدام فيهم، مُقتنعًا بأن غلطهم الشديد وعنادهم الشنيع يستحقان هذه العقوبة"(٢).

يقول المؤرخ الكنسي يوسابيوس في معرض حديثه عن هذا الاضطهاد: "وهكذا حلَّ بنا وقتئذ اضطهادٌ عنيف في أماكن كثيرة"، إلىٰ أن كلم الوالي علىٰ اليهودية الإمبراطور تراجان، بأنه لم يسمع شيئا مشينا من المسيحيين ضد الشرائع، فأصدر

---

(١) انظر: The Cambridge History of Chritianity, Edited by; Margaret Mary M. Mitchell and Frances M.YOUNG,p 508

(٢) اضمحلال الإمبراطورية الرومانية، إدوارد جيبون ١/ ٣٠٤ ودليل إلىٰ قراءة تاريخ الكنيسة، الأب جان كمبي،ص٥ وتاريخ الكنيسة،ديوسقورس، ص١٤٣ ١٧٥.

الإمبراطور أمره بألَّا يُلاحق المسيحيين، بل يعاقبون إن وجدوا، فخف الاضطهاد علىٰ النصارىٰ، إلا أنه بقيت المؤامرات ضدهم كما يقول يوسابيوس: "علىٰ أنه كانت هناك حجج كثيرة، لمن كانوا يريدون بنا الأذىٰ، ففي بعض الأحيان كان الشعب، وفي أحيان أخرىٰ كان الحكام، في أماكن مختلفة يتآمرون ضدنا"(١).

ج- اضطهاد دقلديانوس:

ولد هذا الإمبراطور عام ٢٤٥م. واعتلىٰ عرش الإمبراطورية ٢٨٤م. وفي عام ٣٠٥م اعتزل الحكم. ومات عام ٣١٦م.

ولم يكن اضطهاد هذا الإمبراطور للمسيحيين من أول سلطته، بل كان متسامحا مع المسيحيين إلىٰ حد كبير، قدَّر تلك الفترة بعضُ الباحثين بأنها قرابة العشرين عاما.

وقد اختلف المؤرخون حول أسباب اضطهاد المسيحيين بعد تأخره تلك المدة الطويلة، فمنهم من عزاه إلىٰ هلعه من ازدياد نفوذ المسيحية بين رجال الجيش، فرأىٰ أن هذا يعد تهديدا بالقضاء علىٰ ولاء الجند للإمبراطورية.

ومنهم من عزاه إلىٰ رغبته في الحفاظ علىٰ الوحدة السياسية والدينية في إمبراطوريته، حيث رأىٰ المسيحيين منصرفين عن عبادة الإمبراطور(٢).

ومنهم من يرد تأخره إلىٰ نفاد تجاربه السلمية معهم، والتي لم تجد نفعا في انصياعهم لعبادة الرومان، أو حتىٰ إلىٰ إرجاعهم للولاء للإمبراطورية.

---

(١) تاريخ الكنيسة، يوسابيوس ص١٣٧.

(2) Christians in the Roman Empire in the first three centuries. Fredriksen, P., in: A companion to the Roman Empire, Potter, D.(Ed.), Wiley-Blackwell, Blackwell Publishing Ltd, 2006.، P. 601

وانظر: تاريخ أوروبا العصور الوسطىٰ، فيشر ص٢.

وعلىٰ كل حال، فقد وقع ذلك الاضطهاد في عصره في يوم من أيام القربان المسيحية، حيث رَسَمَ المسيحيون علامة الصليب ليتقوا شر الشياطين الخبيثة، ولما أن عجز الكهنة والعرافون عن أن يجدوا في أكباد الحيوانات المذبوحة العلامات التي كانوا يرجون تفسيرها، ألقوا الذنب علىٰ وجود أشخاص كفار نجسين، فأمر دقلديانوس أن يقرّب جميع الحاضرين القرابين إلىٰ الآلهة أو يجلدوا، وأن يَمْتَثِلَ جميعُ جنود الجيش لهذا الأمر أو يُفصلوا من الخدمة[1].

وقد أمر دقلديانوس بمنع صلاة المسيحيين، وبهدم كنائسهم وإحراق كتبهم المقدسة، وحملهم علىٰ إنكار دينهم، وحبس قساوستهم، وأسقط حقوقهم المدنية، وأمر بإلقاء القبض علىٰ رؤسائهم في الملة، حتىٰ امتلأت بهم السجون، ومات أكثرهم جوعا أو ضربا بالسياط والحديد، وأحرق بعضهم بالنار، حتىٰ إن عهده ليعرف بعصر الشهداء، حتىٰ قيل إنه قتل ٨٠٠٠٠٠ ألف مسيحي علىٰ مدىٰ عشر سنين[2].

د- اضطهاد ديسيوس:

عين إمبراطورا عام ٢٤٩م، وتوفي عام٢٥١م، وقد أراد هذا الإمبراطور أن يوطد دعائم الإمبراطورية، ويرجع هيبتها في النفوس، بعد أن أنهكتها الحروب، فأصدر مرسوما عام ٢٥٠م، أنه علىٰ جميع الأحرار رجالا ونساء دون العبيد أن يقدموا الذبائح لآلهة الإمبراطور، وأن يسكبوا لها السكائب، وأن يأكلوا من الذبائح، وعندما يقدم شخص ذبيحة كان يعطىٰ شهادة بذلك.

وتُصوِّرُ ذلك رسالةُ البطريرك السكندري ديونيسيوس الأول إلىٰ أسقف

---

(١) انظر: The Cambridge History of Chritianity, Edited by; Margaret Mary M. Mitchell and Frances M.YOUNG,p1-5

(٢) انظر: تاريخ الكنيسة، جون لوريمر ٢/ ١١١ وقصة الحضارة، ول ديورانت ١١/ ٣٨١.

أنطاكية، حيث يقول فيها: "وكان كل وثني يعرف أحد المسيحيين ويرشد عنه،كان يؤتىٰ به علىٰ عجل، ويدعون الواحد باسمه حتىٰ يتقدم إلىٰ هيكل الأوثان، فيطلب منه تقديم الذبيحة الوثنية، وكان عقاب من يرفض تقديم الذبيحة للصنم أن يكون هو نفسه ذبيحة للصنم، بعد أن يجتهدوا في إقناعه بكل وسائط التخويف والإرهاب، وبعض ضعيفي الإيمان أنكر مسيحيته وأثبت أنه لم يكن مسيحيا، واقتدىٰ به البعض، ومنهم من تمسك بأذيال الفرار، وغيرهم قبض عليهم وطرحوا في السجون مكبلين بالقيود والأغلال (1)".

وقد اكتشفت جامعة ميتشجان الإمريكية بمدينة الفيوم القديمة العديد من صور هذه الشهادات، ومن ضمنها الشهادة التي قدمت إلىٰ هيئة الذبائح في قرية جزيرة الإسكندرية أوريليوس ديوجينس بن ستابوس وعمره ٧٢ عاما بوجهه جُرحٌ عميق فوق حاجبه الأيمن وجاء فيها: "سبق لي أن قدمت للآلهة كما أقدم الآن محرقات حسب الأصول المرعية وأكلت منها، وها أنا الحاكم (بخط الحاكم) أوريليوس سيروس أشهد بأن ديوجينس قدم المحرقة أمامي، في عهد الإمبراطورية ديسيوس، في ٢٥يونيو سنة ٢٥٠م".

وكل من لا يحصل علىٰ هذه الشهادة تكون عقوبته الموت، وقد ذهب ضحية هذا أعداد كبيرة من المسيحيين، وذاق المسيحيون في هذا الاضطهاد أنواعا من التعذيب والنكال(2).

وهناك الكثير من الاضطهادات التي مرت علىٰ النصارىٰ: كاضطهاد دوميتان

---

(١) تاريخ الكنيسة القبطية، القس منسي القمص، ص٤٢ وتاريخ الأمة القبطية، أ.ل.بتشر ١/ ١٠٤-١٠٧ وتاريخ العالم الغربي، ل.ج.شيني، ص٨٨ - ٩٢.

(٢) تاريخ الكنيسة، يوسابيوس، ص٣٠٩ - ٣١٧ وتاريخ الأقباط. زكي شنودة ١/ ١٠٦.

٨١-٩٦م، واضطهاد ماركوس أوريليوس ١٨٠ م، واضطهاد سبتيموس سفيروس ١٩٣-٢١٠م، واضطهاد مكسيميانوس ٢٣٥-٢٣٨م، واضطهاد فاليريان ٢٥٣-٢٦٠م، واضطهاد جاليريوس ٣٠٥-٣١٣م، وغيرها من الاضطهادات[١] - نكتفي منها بما سبق-.

فتبين من هذا أن عصر الاضطهاد من العصور المهمة في تاريخ المسيحية بعد عصر المسيح، وكان هذا الاضطهاد من جهتين، جهة يهودية وجهة رومانية، أما من جهة اليهود فقد كانت في غاية الشراسة وهي امتداد لمناكفتهم دعوة المسيح ومن ثم تلاميذه، فقد كانوا يودعون أتباع المسيح في السجون والمعتقلات بالإضافة إلىٰ إيقاع عقوبة القتل والتشريد والهجوم علىٰ بيوت المسيحيين علىٰ كل من ثبتت عليه تهمة التجديف حتىٰ وإن لم تثبت أحيانا.

وأما الاضطهاد من جهة الرومان فقد بدأ عقب اكتشاف أباطرة الرومان أن المسيحية ليست فرقة يهودية بل هي فرقة قائمة بذاتها وإن كان لها بعض الأصول المشتركة مع اليهودية، فبدايات الاضطهاد الروماني كانت منذ القرن الأول للميلاد، مما أسهم في تشتت وضياع المسيحية الحقيقية ودخول كثير من أيدي التحريف فيها عن عمد أو خطأ، وإلىٰ جانب ذلك كانت هناك جملة من الأسباب التي أسهمت في تعجيل فترة الاضطهاد العنيف علىٰ النصارىٰ، منها وشاية اليهود بالمسيحيين إلىٰ ولاة الرومان، ومنها انتشار النصرانية في أرجاء الإمبراطورية، ومنها اعتقاد النصارىٰ بزوال الإمبراطورية وقيام القيامة، ومنها انتشار الأفكار المغلوطة التي تهادت إلىٰ

---

(١) انظر: Christians in the Roman Empire in the first three centuries. Fredriksen, P., in: A companion to the Roman Empire, Potter, D.(Ed.), P. 601،Wiley- Blackwell, Blackwell Publishing Ltd, 2006.

أسماع الأباطرة عن المسيحيين، ومنها اتهام النصارىٰ بإحراق مدينة روما، وهذه الأسباب مجتمعة أذكت نار التخوف لدىٰ الأباطرة من المسيحيين وشعروا بأن المسيحية خطر داهم يهدد خطر الإمبراطورية برمتها فاشتعل لهيب الاضطهادات علىٰ ظهور المسيحيين. فمن أبرز الاضطهادات في القرن الأول كانت علىٰ يد نيرون ٦٨م، ومن أبرزها في القرن الثاني كانت علىٰ يد تراجان ١١٧م ومن أبرزها في القرن الثالث علىٰ يد مكسيمينوس٢٣٨م.

المبحث الثالث

عصر تفرق النصارى

تمهيد:

تفرق النصارىٰ بعد عصر المسيح عليه السلام إلىٰ فرق كثيرة، فقد ظهرت كثير من الآراء والمذاهب المختلفة، التي تتعارض فيما بينها في الاعتقاد تعارضا جذريًّا في بعض المفاهيم، مع أن الذي يجمعهم هو الإيمان بالمسيح -في الظاهر -.

ذلك الإيمان الذي يختلف باختلاف معتنقيه، فبعضهم آمن به كنبي عظيم، والبعض الآخر آمن به كإله قادر، والذين آمنوا به كإله اختلفوا أيضا فيما بينهم في تحديد لاهوت المسيح وناسوته.

وهناك فرق أخرىٰ شطحت عن ذلك كله، فاخترعوا عقائد من عند أنفسهم، مبنية علىٰ السحر والشعوذة، مثل (مينداراا) و (سيمون) الساحرين الذين استعملا الشعوذة والسحر، وأقنع أتباعه بأنهم لن يموتوا وكذلك أتباع كيرنثوس، الذي اعتقد بأن ملكوت السماوات هي الأرض. وأتباع كردون الذي نادىٰ بإلهين: صالح وهو إله العهد القديم، وعادل وهو أب المسيح، وتبعه علىٰ ذلك مركيون البنطي، وهذا الأخير "أقنع الكثيرين من كل جنس لينطقوا بالتجاديف، وينكروا أن خالق هذا الكون هو أب المسيح."[1] ويمكن أن نستعرض أبرز مناحي هذا العصر وذلك فيما يلي:

---

(١) انظر: تاريخ الكنيسة، يوسابيوس ص١٢٩ وص ١٦٣ وص ١٦٢ وص١٣١ و The Cambridge History of Chritianity, Edited by; Margaret Mary M. Mitchell and Frances M.YOUNGM,p145

أولا: أسباب ظهور الفرق النصرانية بعد عصر المسيح عليه السلام

هناك جملة من الأسباب أدَّت إلىٰ بروز هذه الاختلافات الكثيرة، وأدت إلىٰ تفرق النصارىٰ إلىٰ فرق وطوائف، لعل من أبرزها ما يلي:

السبب الأول: الاضطهادات: يعد السبب الأول هو تلك الاضطهادات التي عاش النصارىٰ تحت وطأتها لأكثر من قرنين من الزمان، والتي جعلت من بقي منهم يفرّ بدينه خوفا من بطش أعدائه من الرومان الوثنيين وغيرهم- كما سبق-.

السبب الثاني: دخول جملة من الوثنيين واليهود وغيرهم في المسيحية: وذلك ممن أظهر النصرانية، ولكنهم في الواقع أرادوا هدم هذه الديانة من الداخل.

يقول يوسابيوس في معرض ذكره لتلك الأحداث: "إن الشيطان دبر كل أنواع المؤامرات، واستخدم طرقا أخرىٰ في صراعه ضد الكنيسة، مستخدما أشخاصا سافلين ومُضلِّين، وإذا أغرىٰ بعض المحتالين والمخادعين فإنهم تظاهروا بالمسيحية، وأحدروا إلىٰ أعماق الهلاك بعض المؤمنين ممن استطاعوا التغلب عليهم"[1].

السبب الثالث: موت تلاميذ المسيح الحقيقيين وقتلهم في أغلب الأحيان: وقد كان لذلك أبلغ الأثر في نشأة الفرق الكثيرة التي لا يجمعها خطام، ولا يربطها زمام، لغياب المصادر الموثقة في نقل دين المسيح عليه السلام.

وقد صرح بذلك المؤرخ الكنسي يوسابيوس بقوله: "ولكن لما تحمّل جماعة الرسل المقدسين الموت بأشكال مختلفة، وانتهىٰ ذلك الجيل الذين حسبوا مستحقين لسماع الحكمة الإلهية بآذانهم، عندئذ بدأت الأضاليل تنتشر، نتيجة حماقة

(١) تاريخ الكنيسة، يوسابيوس ص١٥٥-١٥٦.

المعلمين المارقين"(١).

ويمكن أن ينطبق المثل الشائع (من فمه أدينه) على كلام يوسابيوس، الذي كان يعدّ من أكبر مناصري عقيدة تأليه المسيح وتثليثه، وذلك لأن تعاليم تلاميذ المسيح الحقيقية لا تدعو الناس إلى عبادة المسيح ولا إلى ألوهيته، ولم ترد في الأناجيل -رغم تحريفها- دعوة المسيح لهم إلى عبادته أو تأليهه، فيبقى أن أولئك المعلمين المارقين هم دعاة الوثنية والتثليث.

السبب الرابع: نشأة المسيحية نفسها في أجواء الحقبة الهلنستية: تلك الأجواء التي سادت فيها الثقافة الإغريقية بلاد المشرق العربي، ومنها مصر والشام، فكان لذلك أثر كبير في التفاعل بين الإيمان والفلسفة، الذي طبع الديانة المسيحية بطابعه، فأخرجها من الإيمان البسيط إلى اللاهوت المعقد، وكان من جرَّاء ذلك أن تشعبت المذاهب وتعدَّدت الرؤى.

السبب الخامس: خلافات على الزعامة والمنصب: لاختلاف التوجهات الدينية أو حُبًّا للشهرة والظهور، ومن يدرس تاريخ الكنيسة يلاحظ أنه على مر العصور حدثت عدة انقسامات في الكنيسة، بعضها بسبب خلافات عقائدية، وبعضها بسبب اتجاهات أو منافسات قومية أو إقليمية.

ثانيا: الفرق المسيحية من عصر ما بعد المسيح عليه السلام إلى مجمع نيقية عام ٣٢٥م.

فيما يلي نستعرض أبرز الفرق التي ظهرت منذ السنين الأولى من رفع المسيح، إلى ما قبل مجمع نيقية عام ٣٢٥م، وذلك كما يلي:

(١) نفس المرجع ص١٣٦.

أولا: الموحدون:

كانت هناك بعض الفرق المسيحية التي بقيت علىٰ التوحيد، متبعة في ذلك شرع المسيح وتعاليمه، مع جنوح عدد منهم إلىٰ اختراع بعض الشرائع المبتدعة في المسيحية، ولكنها لا تخرجهم عن اعتقادهم التوحيدي، ومن تلك الفرق ما يلي:

١ - جماعة تلاميذ المسيح:

ويبرز أثر تلك الجماعة فيما يلي:

أ- كان أول رئيس لتلك الجماعة يومئذ هو يعقوب أخو المسيح، وقد كان معه في البداية بطرس ثم يوحنا، وكانت أسرة المسيح تحتل مكانة مرموقة في هذه الكنيسة، وقد خلف يعقوب علىٰ هذه الكنيسة سمعان بن كالوبا ابن عم يسوع، وكان أعضاء هذه الجماعة من اليهود المسيحيين، وكان همها هو عدم تقسيم أو تجزئة الله، فالله عندهم واحد(١).

ب- حافظت علىٰ موروث المسيح الديني، وكانت تلتزم بشريعة موسىٰ، وتعتقد بأن عيسىٰ هو المسيّا المنتظر، فكانت تمارس الشعائر اليهودية، وتمارس ديانة المعبد، وتحافظ علىٰ تعاليمها، وكانت تمثل حتىٰ عام ٧٠م غالبية الكنيسة، وكانوا يقولون بأن المسيح لم يمت، وهو حي بل سيعود، ولديهم كثير من الخصال الحميدة، كمحبة الفقراء، والمساواة بين الناس، والرفق وغير ذلك(٢).

ويسمي الكاردينال (دانيلو) في مقاله الموسوم (رؤية جديدة للأصول المسيحية اليهودية) تلك الجماعة باليهودية المسيحية، فيقول: "لم تكمن اليهودية المسيحية

---

(١) انظر: تاريخ الفكر المسيحي، القس حنا جرجس ١/ ٥٩٣ و١١٥. وأضواء علىٰ الإصلاح الإنجيلي، القس فايز فارس، ٦٥.

(٢) انظر: المسيحيون الأوائل، أبرهارد آرنولد، ص١٥.

سائدة في القدس وفلسطين وحدها، طوال القرن الأول المسيحي، بل انتشرت فيما يبدو في كل مكان قبل الدعوة البوليسية كان اليهود المسيحيون هم الأعداء الذين قابلهم بولس حيثما ذهب".

ج- أتباع هذه الجماعة لم يؤمنوا بمجمع أورشليم، "ولم يباركوا عمل الرسول بولس وأتباعه في التبشير بين الأمم، والغريب المستغرب أنهم لم يقفوا عند حد هذا الاختلاف، بل تعقبوا بولس العظيم في آسيا الصغرىٰ وبلاد اليونان، مبيِّنين خطأ بولس، موجبين الختان وحفظ السبت، وما شاكل ذلك من فرائض الناموس، وعظُم أمرهم، فخشي بولس سوء العاقبة، فردّ برسائل ست، بعث بها إلىٰ كنائس معينة، فلاقت رواجا كبيرا"[(١)].

د- هوجم أتباع هذه الجماعة من قبل زعماء الكنيسة المثلثة، بدءا من بولس ثم من بعده، وقد كانت في عداء مستمر مع تعاليم بولس ومن يحملها، يقول يوسابيوس القيصري: "فإن أولئك الرجال العظماء اللاهوتيون حقا، أقصد رسل المسيح، تطهرت حياتهم، وتزينوا بكل فضيلة في النفوس، ولكنهم لم يكونوا فصيحي اللسان".

وأغلب الظن أنه يقصد بقوله: "بأنهم غير فصيحي اللسان"، لأنهم لم يذيعوا ألوهية المسيح، وتجسد الله في صورته.

ولهذا نجده بعد ذلك يتحدث عن بولس، فيقول: "فبولس مثلا الذي فاقهم جميعا في قوة التعبير، وغزارة التفكير، لم يكتب إلا أقصر الرسائل، رغم أنه كانت لديه أسرار غامضة لا تحصىٰ، يريد نقلها للكنيسة، لأنه قد وصل حتىٰ إلىٰ مناظر السماء الثالثة، ونقل إلىٰ فردوس الله"[(٢)].

---

(١) كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمىٰ، أسعد رستم، ١/ ٣٢.

(٢) تاريخ الكنيسة، يوسابيوس القيصري ص١٢٤.

وعلىٰ الرغم من إقراره بأن بولس لديه أسرار غامضة، وصرح بأنه يريد نقلها للكنيسة، دليل علىٰ ابتداعه لتلك الأسرار، وشاهد علىٰ أنها لم تكن في دين المسيح ودين تلاميذه، وإلا لما اضطُّر إلىٰ القول بأنه يريد نقلها للكنيسة، لأن نقلها إلىٰ الكنيسة يعني عدم وجودها أصلا داخل الكنيسة.

وأما تصريحه بأن بولس وصل إلىٰ السماء الثالثة، أو إلىٰ الفردوس، فليس هناك أدنىٰ شك أن هذه من ضمن مفتريات بولس، التي ذكرها شفاها، ولم تسجلها الأناجيل، ولم يذكرها في رسائله.

هـ- أُهملت تلك الجماعة عمدا، وأقصيت تمام الإقصاء بأيدي خبيثة، عملت علىٰ إرساء العقائد المحرفة، التي جسدتها الأناجيل القانونية الأربعة أيما تجسيد، لهذا نجد أن تلك الأناجيل الأربعة لا تصور تلاميذ المسيح الحقيقيين إلا بصورة ذلك الرجل الغاشم، الذي لا يعرف الأمثال المضروبة، ولا يفرق بين مفردات الكلام، ويدل علىٰ ذلك كثرة الأسئلة، التي سئل المسيح عنها من قبل تلاميذه، وفي غالبيتها أسئلة غير مستساغة عقليا ولا شرعيا، فمنها أنهم عندما رأوا طفلا أعمىٰ سألوا المسيح قائلين: "يا معلم، من أخطأ؟ هذا؟ أم أبواه حتىٰ ولد أعمىٰ؟". (يوحنا، ٩/ ٢)

فمصير تلك الجماعة الأولىٰ ضعُف في الكنيسة، وذلك بعد أن تحررت تدريجيا من روابط اليهودية، ولكن يمكن اقتفاء آثارهم ابتداء من القرن الثالث إلىٰ القرن الرابع في الشرق، وقد امتصّ الإسلام بعضهم، وتحالف بعضهم مع أرثوذكسية الكنيسة الكبرىٰ، مع الاحتفاظ بخلفية ثقافية ساميّة، وهناك بعض منهم ما زال متشبِّثًا بالكنيستين الأثيوبية والكلدانية[١].

(١) انظر: دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، موريس بوكاي ص٧٢.

٢- الأبيونية:

وهي تنسب إلىٰ مؤسسها أبيون، أو أن هذا الاسم مشتق من اللفظ العبري (أبيونيم) أي الفقراء، غير أن بعض المؤرخين كمؤرخ الكنيسة الأنطاكية أسعد رستم يرىٰ أن القول الأول "قول ضعيف".

وهذه الفرقة قد أنكرت لاهوت المسيح، وقالوا بأنه نبي يوحىٰ إليه، وهي تعتبر يسوع مجرد إنسان عادي، ولقد رفعه الله بسبب تقواه إلىٰ درجة الكرامة، وكانت له مواهب خارقة للعادة، ولد من مريم وزوجها مثل أي مولود آخر، وحثوا علىٰ التمسك بأحكام الشريعة اليهودية، ولم تكن تؤمن هذه الجماعة بالخلاص بواسطة المسيح وحده، وقالوا بأنه سيعود في آخر الزمان، ولم يؤمنوا ببولس، فرفضوا كل رسائله، وقالوا بأنه مرتد عن الناموس.

وهناك فرقة منهم تؤمن بأن يسوع ولد من عذراء والروح القدس، ولم يؤمنوا به كإله وجد سابقا، وصرحوا بأنه ليس إلها، ويتمسكون بحرفية الشريعة التوراتية، ويرفضون رسائل بولس، ويعتبرونه مرتدًّا عن الشريعة، ويراعون السبت وبقية الطقوس الدينية، ولكن هذه الجماعة تحتفل بقيامة المسيح من بين الأموات، وكان لهذه الفرقة إنجيل خاص مدون باللغة الآرامية، وهو فيما يتعلق بشخص المسيح، وقد انقرضت هذه الفرقة في أواخر القرن الرابع الميلادي(١).

(١) انظر: الكلام عنهم في حواء حول الثالوث ، البابا كيرلس الأول ص١٦٥ وتاريخ الكنيسة، يوسابيوس ص١٣٠ ومن الكتب المتأخرة انظر: كيف نفهم علم اللاهوت، رت كندل، ٣/ ٢٩. والهرطقة في المسيحية، ج ويللتر ص٥٠ وأنطاكية كنيسة مدينة الله العظمىٰ، أسعد رستم، ١/ ٢١وص ٣٣. وعلىٰ عتبة الكتاب المقدس، جورج سابا، ص٢٤٤.

٣- النصارىٰ:

وهم يؤمنون بالإله الواحد، ولا يفرُقون بشيء عن اليهود، سوىٰ أنهم يؤمنون بالمسيح، وبقيامته من بين الأموات، ويفرقون عن الأبيونية من حيث أنهم يؤمنون برسائل بولس، ويراعون السبت، وطقس الختان، وهم يعتمدون العهد القديم والعهد الجديد أيضا(١).

وهؤلاء النصارىٰ الأوائل ليسوا محل ترحيب من قبل النصارىٰ المتأخرين، وذلك لاختلاف العقائد الأساسية فيما بينهم، ولذا يصفهم بعض المؤرخين بأنهم كانوا: "يتخبطون منذ البداية في غمرات الحيرة العظيمة، إذ يتنازعهم أمران: تعاليمه من ناحية، وما استحدثه التلاميذ من ناحية أخرىٰ..."(٢).

٤- البوليقانيون:

وهم أتباع بولس السميصاتي، وكان بطريركا علىٰ كنيسة أنطاكية عام ٢٦٠م، بمساعدة الملكة زينب أو زنوبة، وكان يقول بأن المسيح مخلوق صالح، وهو ليس بإله، إلا أنه يقول: إنه كان ابن الله بالتبنِّي فقط، لا بالطبيعة والجوهر، ويعتبر أن اللوجوس والحكمة صفتان، وليسا أقنومين، وقد كان اللوجوس هو الذي يوجه الأنبياء، ولقد حل اللوجوس في المسيح، وقد ولدت مريم بشرا مثلنا إلىٰ يوم العماد، حيث حل فيه اللوجوس.

وينقل مقالته ابن البطريق فيقول: "إن المسيح إنسان خلق من اللاهوت، كواحد منا في جوهره، وأن ابتداء الابن من مريم، وأنه اصطُفي ليكون مخلِّصًا للجوهر الإنسي،

---

(١) انظر: The Cambridge History of Chritianity, Edited by; Margaret Mary M. Mitchell and Frances M.YOUNG,p87-91

(٢) معالم تاريخ الإنسانية، ولز، ص٢٦.

صحبته النعمة الإلهية، وحلت فيه بالمحبة والمشيئة، ولذلك سمي ابن الله، ويقولون: إن الله جوهر واحد وأقنوم واحد، ويسمونه بثلاثة أسماء، ولا يؤمنون بالكلمة ولا بروح القدس، وهي مقالة بولس الشمشاطي بطريك أنطاكية، وهم البلقانيون"(١).

٥ - المشبهون:

وهم الذين يعتقدون بألوهية الله فقط، ويعتقدون أن المسيح لم يصلب، ولكن شبه لأعدائه.

٦ - الآريوسية:

وتنسب إلىٰ آريوس الليبي، ولقد أجمع الكتاب علىٰ أن آريوس كان عالما مُثقَّفًا وواعظا مفوَّهًا وزاهدا مُتقشِّفًا وعالما في التفسير.

وكان مسؤولا عن إحدىٰ كنائس الإسكندرية، وهي كنسية بوكاليس، ومذهبه أن الله واحد فرْدٌ غير مولود، لا يشاركه شيء في ذاته تعالىٰ، وأن الكلمة غير أزلي، وغير قديم، فالكلمة مخلوق بل مصنوع.

وقد آمن بهذه العقيدة كثير من باباوات الكنيسة، بل حتىٰ بعض أباطرة روما، وقد كان آريوس يقول أيضا بأن المسيح مخلوق، وأنه لم يكن له وجود سابق لميلاده، ولم يكن كذلك الروح القدس موجودًا قبل هذا، فكان تعليمه عن المسيح أنه أقل من الأب في كل صفاته، إلا أنه وُجد قبل كل الخليقة، وأن العلاقة بين المسيح والله هي

---

(١) تاريخ ابن البطريق، ١/ ١٢٦. وانظر الكلام عنهم في: تاريخ الفكر المسيحي، القس حنا جرجس ١/ ٦٠٤.و٦٢٠ والتعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، الجزء الأول، طباعة الكنيسة الكلدانية في بريطانيا، همة الشماس، جورج يلدا، ص٩٤. والله ذاته ونوع وحدانيته، عوض سمعان، ص٤٧. وكنيسة مدينة الله أنطاكية العظمىٰ، أسعد رستم، ١/ ١٢٠. وفلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية، جورج قنواتي، ولويس غارديه ج٢/ ص٢٨٣-٢٨٤.

علاقة بين مخلوق وخالق.

أما مؤرخوا النصارىٰ وعلماء اللاهوت -وعلىٰ رأسهم أثناسيوس وهو أعدىٰ أعداء الآريوسية - فيذكرون أن آريوس كان يقول بأن روح المسيح ليست بشرية، بل أخذ جسدا مجردا من الروح البشرية. ومن اللاهوتيين والمؤرخين أيضا من يقول بأن آريوس كان يقول، بأن الخلق خُلق بواسطة الكلمة المسمىٰ ابنا وحكمة، لكي يخلقنا بواسطته بالاسم فقط، وصار إلها بالشركة، وإلا فهو ليس مشاركا للاب في الجوهر ولا مساويا له. ومنهم من يقول أن آريوس كان يقول، أن الأب وحده هو الإله الأصلي الواجب الوجود، وأما الابن والروح القدس، فهما كائنان خلقهما الله في الأزل، ليكونا وسيطين بينه وبين العالم، وهما مشابهان له في الجوهر، ولكن ليسا واحدا معه(١).

ولعل هذه الأقوال من افتراء أعداء آريوس عليه، بل لا شك أنها منهم، ثم تناقلها الكتبة والمؤرخون نقلًا دون تحقُّقٍ وتمحيص، ومنهج تحريف آراء آريوس لم يولد بعده، بل كان منذ عصره، حيث كتب أسقف قيصرية فلسطين أفسابيوس، الذي كان علىٰ منهج آريوس، إلىٰ الكسندروس أسقف الإسكندرية يلومه علىٰ تحريف أقوال آريوس، مع أن الذين كانوا علىٰ منهج آريوس كانوا "معترفين بأن الله هو إله واحد حق" لكنهم اختلفوا في تفسير هذا الكلام وتحديده.

ويبدو أن أسقف الإسكندرية، ومن شايعه من المثلثين، وجدوا في هذا الاختلاف اليسير، الذي لا يؤثر علىٰ جوهر تلك الكلمة ضالَّتَهم في الطعن في رأي آريوس، وعرضه بصورة الرأي المتناقض المهزوز.

---

(١) انظر: الكلام عن آريوس في: الرسائل عن الروح القدس، أثناسيوس الرسول، ص٢٦ وانظر كذلك في: Henry Chadwick, The Early Churc . p. 84-90 أي الكنيسة الباكرة. وموسوعة أنكارتا الأمريكية، مادة آريوس، Arius.

وإلا فكيف يمكن أن يقرّ آريوس بأن المسيح بشر وأنه مخلوق ثم يزعم أن روحه ليست بشرية، أو أن يقرّ بتفرد الأب بالألوهية، ثم يزعم أن الخلق مخلوقون بواسطة الابن، فيصبح مخلوقا وخالقا في وقت واحد، وإن صح هذا فيعُدُّ هذا تناقُضًا غريبا من آريوس وأتباعه، فضلا عن قوله بقول الفلاسفة القائلين بخلق الخلق بواسطة اللوغوس - ولكن هذا بعيد -.

ولهذا نرىٰ بعض مؤرخي المسيحية من المثلثين القدماء، كيوحنا فم الذهبي نقل رسالة آريوس التي جاء بها إلىٰ مجمع نيقية، فيقول: "نعترف بإله واحد، هو وحده غير مولود، وحده أزلي، وحده لابدء له، وحده الإله إلها لناموس الأنبياء، والعهد الجديد الذي ولد ابنه قبل الدهور والأزمان، والخلاصة التي تفقأ العيون وضوحا أنه الإله الحق الواحد والسرمدي والأب، لكونه غير مولود، وغير ذي بدء في الزمن، بخلاف الابن تماما، الذي وإن دعي ربًّا في الكتابات الإنجيلية، هو من جوهر مختلف لأنه مولود".(١)

وهذا في غاية البيان لرأي آريوس التوحيدي، ولم يقل بألوهية الابن، أو أنه خالق للعالم كما يفتري عليه بعض المؤرخين.

ثانيا: غير الموحدين:

نشأت كثير من الفرق غير الموحدة، والتي كانت مختلفة فيما بينها في طبيعة العلاقة بين الله والمسيح، أو بين الأب والابن، أو بين اختراع آلهة جديدة علىٰ المسيحية، وقد تعددت هذه الفرق وتباينت، وقد رصدها مؤرخو ولاهوتِيُّو الكنيسة القدماء، ومن أبرزهم إيريناوس ١٨٠م والذي ذكر أمثلة من اختلافاتهم مثل طبيعة الله وخلق هذا العالم ومحتوىٰ الكتاب المقدس وتفسيره.

---

(١) انظر: إن الله لا يمكن إدراكه، يوحنا فم الذهب، ص٢٢

وذكر كذلك أنهم اجتمعوا على حقيقة واحدة ثابتة وهي أن جميع الفرق الأخرى التي ادعت المسيحية– على الرغم من أنها تبدو متنوعة ولا حصر لها – إلا أنها تشترك في المعرفة الروحية الكاذبة، والتي كان مصدرها معلم واحد، سايمون ماجوس[1] وسيأتي الكلام عن سايمون في الحديث عن الغنوصية.

ومن أهم تلك الفرق غير الموحدة ما يلي:

١ – البولسية:

هم أتباع بولس (شاؤول اليهودي)، ويعتبر هو وأتباعه أول طائفة ظهرت في مقابل الجماعة الموحدة الأولى، وسيأتي الكلام عن بولس.

٢ – الغنوصية:

وكلمة الغنوزيس (gnosis) هي كلمة يونانية وتعني المعرفة والحكمة، أو العلوم الخاصة بالعلوم الروحية والإلهية.

وهي خليط من الأفكار الفلسفية الدينية الهلينية، وهي تعود إلى ينابيع مصرية وكلدانية وفارسية، وربما حتى هندوسية، وقد كان هذا المذهب هو الأكثر انتشارا في القرن الثاني للميلاد في كل أنحاء الإمبراطورية، ويمكن تسليط الضوء عليه فيما يلي:

أ– يعتبر هذا المذهب من أشد المذاهب الدينية التوقيفية بين المسيحية والفلسفة والأسرار اليونانية اضطرابا، فنجد فيها خليطا من الأسرار الوثنية، والطقوس السحرية، والنظريات الغريبة عن نشأة الكون، والتفسيرات الاعتباطية للعهد القديم والعهد الجديد.

---

(١) انظر: The Cambridge History of Chritianity, Edited by; Margaret Mary M. Mitchell and Frances M.YOUNG,p246

يلخص دليل كامبردج إلىٰ المسيحية الفكر الغنوصي بقوله: "هي محاولة عريضة لشرح الأصل ومصير الكون من خلال مزيج من الكتب المقدسة اليهودية، الأساطير الأفلاطونية، تكهنات إيكال، وتأملات الوحي علىٰ هيكل العقل البشري".

ب- كانت الغنوصية تُشكِّل خطرًا كبيرًا علىٰ المسيحية في القرون الأولىٰ للميلاد، وبالأخصِّ من وجهة نظر المسيحيين، وذلك لمحاولتها التوفيق بين تعاليم المسيحية بالآراء الميتافيزيقية والأفلاطونية الحديثة، بحيث لم يكونوا تيَّارًا واحدا، وإنما انقسموا إلىٰ مجموعات مختلفة.

ج- يرجع بعض المؤرخين رئاسة الغنوصيين إلىٰ سايمون الساحر، أو سمعان الهرطوقي، وقد كان سمعان الساحر يرىٰ أن ثمة قوة وحيدة يقوم عليها العالم، وهي تتجلىٰ في العقل، وينشئ العقل الفكرة كقوةٍ أدنىٰ منه مباشرة، ويملك الفكر قوة الإبداع، فهو الذي أنجب الملائكة، والقوة التي أنشأت العالم الأرضي، ولكن الفكر فقد السيطرة علىٰ مخلوقاته، فاعتقلته في العالم السفلي عالم الشر، ومن الضروري تحرير العقل من أسره، ويروىٰ أنه كان يقود معه امرأة تُدعىٰ ريلينا أو أنوية إلىٰ كل مكان، وصفت بأنها عاهرة، عدها التجسيد الحي للفكر الإلهي.

د- يرىٰ بعض المؤرخين أن أتباع سيمون هذا قد ألَّهوه، واعتقدوا بأنه الرب الأعلىٰ، وأن تلك المرأة التي معه قد انبثقت منه وتجسد فيها.

هـ- ورد ذكر سيمون في سفر أعمال الرسل عندما تنصَّر، وأراد أن يشتري موهبة الروح القدس بالمال، فزجره بطرس وطرده، وقد ضل أُناس كثيرون بسبب سحره، وكان له كثير من الخوارق، حتىٰ قال كثير منهم: "هذا قوة الله التي تدعىٰ عظيمة".

و- يرجع بعض المؤرخين نسبة الغنوصية إلىٰ أحد باباوات الكنيسة يدعىٰ نيكولاوس، الذي يرىٰ بأن الله وحده مطلق كامل، ويرىٰ أنه يفصل بين الله وبين

المادة غير المنظمة هوة عظيمة، فأخرج من ذاته سلسلة من الكائنات الروحية، كي تكون وسيطا بينه وبين المادة، وهم الملائكة، وقد كان إله اليهود من هؤلاء، فأعطاهم ناموسًا غير كامل، فأرسل الله أحدَ الملائكة الذين خرجوا منه، فاتحدَّ هذا الملاك بيسوع في لحظة العماد، وأعطاه المعرفة الحقيقية ليعلنها للناس كي يخلصوا بها، ويرون أن الفداء يكون للشرارة الإلهية، أو العنصر اللامادي، وأن الجسد سوف يهلك إلىٰ الأبد.

ز- من أشهر فرق الغنوصية الفرقة التي تنسب إلىٰ باسيليدس، الذي كان يزعم أنه في البدء كان العدم، وكان الله الذي هو عدم العدم، ولكي يخلق الله العالم خلق في البدء بزرة العالم التي كانت تحتوي علىٰ كل شيء، ومن ثم أعطت هذه البزرة ثلاث درجات من الولادات، قائمة الواحدة فوق الأخرىٰ، تشترك أقل فأقل بطبيعة الله بحسب مكانتها، وتصب كلَّ جهودها للعودة إليه، وفيما نجحت الولادتان الأولىٰ والثانية في العودة إلىٰ الأب وجب علىٰ الثالثة أن تمرَّ بمرحلةٍ من التطهُّر، وأن حفنة البزور قد ولدت الأركون الكبير، الذي خلق العالم، وأركونا آخر تكلم عنه أنبياء العهد القديم، وهو إله العهد القديم من آدم إلىٰ موسىٰ، ولكي تفيض الولادة الثالثة جاء الإنجيل أخيرا إلىٰ العالم، وأطلع هذا الإنجيل يسوع المسيح ابن الأركون الأول علىٰ وجود الله الأب، وبواسطته تحررت هكذا الولادة الثالثة، وعادت الخليقة كلها إلىٰ الأب.

ح- ومن أشهر فرقهم كذلك ما كانت تقوله بعض فرقهم، حيث تقول في أصل الوجود: بأن للوجود أصلين "الأول: هو الله غير المدرك، والثاني هو زوجته السكون المفكر، وباتحادهما معا ولدت الكلمة والحياة، والكلمة هي المسيح، والحياة هي الروح القدس".

ط- من أشهر فرقهم أيضا هي فرقة الدوكيتية: وهي فرقة الغنوصية الذين نفوا بشرية المسيح، وأكَّدوا علىٰ طبيعته الإلهية، وتتلمذ أتباع هذا الاتِّجاه علىٰ المدرسة

الأفلاطونية، وتعودوا علىٰ فكرة اللوغوس (العقل والحكمة)، وزعموا أن عيوب المادة تتنافىٰ مع طهارة الجوهر السماوي، وأن المسيح بدل أن يولد من العذراء نزل علىٰ ضفاف الأردن في هيئة إنسان كامل، وأن المصلوب هو شبح هوائي، بدا وكأنه مات علىٰ الصليب، وهذه الفرقة إحدىٰ فرق الغنوصية الكبيرة - ولذلك أفردت - وإلا فإن هناك كثيرا من الفرق التي كانت لها أتباع يؤمنون بمبادئها، كأتباع ميناندر السامري، وساتورنين، وبازيليو، وفالانتينوس، وبارديزان، وفرقة المانوية، والأوفيين، والفيبيونيين، والمانديين، وغيرها ولعل أشهرها هي المارسيونية.

ي- يؤمن بعض الغنوصيين بوجود مملكتين، مملكة النور التي يحكمها الإله السامي، الذي خرجت منه قوات متنوعة الدرجات، وكان قد خرج إله آخر من هذا الإله العظيم، وهو إله اليهود، ومملكة الظلمة الذي يحكمها إبليس.

ك- حاولت الغنوصية بمزيجها الغريب المتنوع شرح أصل ومصير الروح، التي كانت - حسب رأيها- في الأصل في عالم سماوي منير، ولكنها سقطت فجأة من هذا العالم المنير إلىٰ عالم الأرض، حيث أصبحت سجينة الجسد الحساس، فتأثر الإله تأثُّرًا عظيمًا لهذا الحدث، فأرسل مخلصا لكي يخلصها من هذا الجسد، واتخذ هذا المخلص شكل إنسان، لأن الإله لا يمكنه أن يتحد بالأجسام المادية، وبهذه الطريقة، استطاع أن يُعلن للعارفين أي الغنوصيين أصلهم السماوي.

وهذه الرؤىٰ غيض من فيض الكثير من الرؤىٰ الغنوصية، التي اعتنقتها فرقهم علىٰ اختلافها، ولكن يمكن تجمع السمات المشتركة فيما بينهم، وذلك كما يلي:

أ- أنهم وحدهم يمكنهم المعرفة التي أسفر عنها الإلهام الإلهي بخلاف المسيحيين.

ب- نبذهم للتراتبية الكنسية، وقولهم بعدم وجود كنيسة واحدة.

ج- استخدامهم لتقاليد غير قانونية في بعض الأحيان لبناء وجهاتهم النظرية، وتأكيدهم علىٰ الفرد في قضية الإبداع النظري.

د- كانت لديهم سمة الثنوية الفارسية كأساس لفهم العالم، والاعتقاد والتركيب العقلاني الحكيم للكون، والصراع الدائم بين الخير والشر.

هـ- أن العالم المادي خلق نتيجة خطأ ما وفق آراء شريرة.

و- لم يكن ليسوع طبيعة بشرية بل هي اللوغوس.

ز- ينكرون قيامة يسوع بالجسد، ويرون أنها ظاهرة روحية وليست مادية(١).

والواقع أن الكتابات الغنوصية قد اندثرت وضاعت، ولا تكاد تعرف إلا من خلال كتابات آباء الكنيسة الذين كافحوا وكتبوا ضد هرطقات الغنوصيين.

٣- المرقيونية:

تنسب هذه النحلة إلىٰ مرقيون أو مركيون بن سينوب الأسقف، الذي جنح إلىٰ الفلسفة، فغضب عليه والده، وطرده من شركة الكنيسة في القرن الثاني، وكان يقول: إن

---

(١) انظر الكلام عن الغنوصية في: The Cambridge History of Chritianity, Edited by; Margaret Mary M. Mitchell and Frances M.YOUNG,p247-255. وانظر: Edward Gibbon, The Decline and Fall of The Roman Empire vol, 1, The Modern Lebrary, New York,P678-679 وانظر: المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية، إ. س. سفينسيسكايا ص١٦٨ - ١٧٢ وص ١٧٥. وكنيسة مدينة الله أنطاكية العظمىٰ، أسعد رستم، ١/ ٢٩، وتاريخ الفكر المسيحي، القس حنا جرجس١/ ٣٩٧. والمدخل إلىٰ اللاهوت، نقله إلىٰ العربية الأب حبيب هرمز، ص٧٩. وتاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، المطران كيرلس سليم والأب حنا الفاخوري والأب جوزيف البولسي، ص٢٧٣ وتاريخ الفلسفة، إميل برييه٢/ ٣٠٧. والهرطقة في المسيحية، ج ويللتر ص٥٤. والله، ذاته ونوع وحدانيته، عوض سمعان، ص٤٦.

"هناك ثلاثة أصول للكون، الأول: طاهر وهو الله، والثاني شرير وهو الشيطان، والثالث هو صانع العالم، ولما كثر النزاع علىٰ الأرض حدث نزاع بين الشيطان وصانع العالم، لأن كلًّا منهما أراد أن يسيطر عليهم، فأرسل الله ابنه يسوع المسيح، الذي كان قد انبثق منه أزلا ليقضي علىٰ الشيطان وصانع العالم معا، ويخلص الناس من نفوذهما".

و كان من أهم ما قاله هو استحالة التوفيق بين التَّوراة والإنجيل، موجبا الاختيار بين محبة المسيح وعدالته، وبين إله إسرائيل القاسي، الذي هو ليس الإله الرحيم الحقيقي، بل دونه مرتبة، والمخلص كان مظهرا من مظاهر الإله الحقيقي الصالح ولم يعتمد سوىٰ رسائل بولس ولوقا، دون بقية الكتاب المقدس، وقال بأن تلاميذ المسيح ورسله لم يفهموا الإنجيل كما يجب، لأنهم اعتبروا المسيح رسول، فاختار الإله بولس ليصحح التعاليم وليعلن ألوهيَّته.

وقد أسس كنيسة للجمع بين الغنوصية التي تؤمن بالخلاص عن طريق المعرفة، وبين الكنيسة، واستمرت كنيسته مدة طويلة بعد موته، وكانت وراء تعجل الكنيسة في اختيار الأناجيل الأربعة وإقرارها(١).

ويظهر أثر هذه الفرقة واضحا علىٰ تعاليم النصرانية المُحرَّفة، والتي قننت في مجمع نيقية بعد ذلك، من حيث تأليه المسيح، واعتباره الرب الواحد، وخلقه للعالم، وصلبه وفدائه للبشر.

---

(١) انظر: المدخل إلىٰ اللاهوت، نقله إلىٰ العربية الأب حبيب هرمز، ص٧٩ والمسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية، إ. س. سفينسيسكايا ص١٧٤. تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، المطران كيرلس سليم والأب حنا الفاخوري والأب جوزيف البولسي، ص٢٨١.

٤- البربرانية:

وهذه الفرقة من الفرق التي كانت تعتقد أن المسيح وأمه إلهان من دون الله، وأطلقوا علىٰ أنفسهم المريميين، وقد ظلت هذه الفرقة حتىٰ القرن السابع الميلادي[١].

٥- فرقة إليان:

زعموا بأن المسيح إله وابن إله، مرّ في بطن أمه كما يمر الماء في الميزاب، لأن الكلمة الابن دخلت من أذنها وخرجت لتوِّها حيث يخرج الولد، وأن الذي صلب وقتل هو خيال شبيه بالصورة التي تظهر في المرآة، وهذه الفرقة قد انقرضت بعد القرن الثالث عشر الميلادي، وكان لها أتباع في اليمن والشام.

٦- الانتحالية:

أتباع هذا المذهب يعتقدون أن الأب نفسه انتحل هيئة إنسان، أو انتحل عدة هيئات، وتسمىٰ الموداليسم (Modalisme)، فعندهم أن الله الواحد الأزلي هو الذي أوحىٰ إلىٰ موسىٰ وقاد شعبه، وهو هو الذي تجسد في الإنسان يسوع الناصري، وهو هو الروح القدس الذي حلَّ علىٰ التلاميذ يوم الخمسين [حيث يعتقد النصارىٰ أن الروح القدس انسكب علىٰ التلاميذ في يوم عيد الخمسين أعمال الرسل، ٢/ ١-١٤] والذي يرشد المؤمنين، كما نادىٰ بها سابليوس.

وقد أرجع بعض علماء النصارىٰ أصول هذه الفرقة إلىٰ أنها إفرازات فرقة الموحدين، أو كنيسة الختان[٢]، وفي هذا افتراء علىٰ فرقة الموحدين، الذين لم يرد

(١) انظر: الله، ذاته ونوع وحدانيته، عوض سمعان، ص٥٠.

(٢) كما يقول القس حنا جرجس، في كتابه تاريخ الفكر المسيحي، ١/ ٥٩٣-٥٩٥

عنهم في تاريخ الكنيسة أنهم قالوا بأن الله هو الإله المتجسد بنفسه، بل إن هذه المقولة تمخضت من أقوال بولس، الذي قرر هذه العقيدة، والتي آمن بها جماعات المثلِّثين.

٧- أتباع هيبولينوس:

وقد كان هذا الرجل عالما بالفلسفة اليونانية معرفة تثير الدهشة، وعالما بالعقائد السرية اليونانية، والتعاليم المصرية في السحر والدين والصوفية، وقد كان يؤمن بأن الله وحيدا في ذاته، ومع ذلك لم يكن وحيدا، لأن معه الحكمة والطاقة والعقل الذي هو اللوجوس بداخله، ثم أخرج الله من ذاته اللوجوس، الذي هو الكلمة ليخلق العالم، ثم أمر الله اللوجوس أن يشارك الناس حياتهم، فأصبح الإله المتجسد الأزلي السرمدي، وهو المسيح، فله طبيعة بشرية بتجسده في إنسان، وطبيعة إلهية وهي اللوجوس(١).

٨- الألسيزية:

وهي تمزج السحر والتنجيم بالأفكار اليهودية المسيحية، ويعتقدون أن كتابهم المقدس أنزل بواسطة ملاك إلىٰ الحكيم ألسيزاي من أعماق الشرق، فكان يعلم أن ابن الله سيد الملائكة، تجلىٰ في أناس عديدين من آدم إلىٰ المسيح، وكان علىٰ الداخل في هذه الفرقة أن يقول: " أُشهد السماء والماء، والأرواح القدوسة، وملائكة الصلاة، والزيت والملح علىٰ الأرض بأنني سأمتنع من الآن فصاعدا عن الوقوع في الخطيئة، وعن الزنىٰ والسرقة والشتم، واشتهاء قريبي أو كراهيته، ونقض العهود، وارتضاء أي شر".

ويغطس بكامل ثيابه في ماء العماد، ويغطس أخرىٰ عند فعل خطيئة(٢).

---

(١) انظر: نفس المرجع ١/ ٥٧٣-٥٧٥

(٢) انظر: الهرطقة في المسيحية، ويللتر ص٥١.

٩- المونتانية:

وهم أتباع منتا أو منتانوس (١١٠-١٨٠)م، كان وثنيا فاهتدىٰ إلىٰ المسيحية - في نظرهم - بعد أن كان كاهنا لآلهة آسيا الصغرىٰ، وشرع يناهض التعليم الكنسي، ثم تنبَّأ بعد ذلك وتنبأت رفيقتاه، وهما ماكسيميليا وبريسيلا، ويرىٰ أن موهبة التنبؤ يمكن أن توهب لكل مؤمن ومؤمنة، ودعا إلىٰ العودة إلىٰ تعاليم الكنيسة الأوليين، وسرعان ما انتشرت فكرته في آسيا الصغرىٰ وليون، وقد أعلن مونتا أنه الأب والابن والبارقليط، وأعلنت ماكسيميليا بأنها الروح القدس، وصرحت بريسيلا بأنها المسيح علىٰ شكل امرأة، وقد كانوا هم وأتباع هذه الفرقة يتميزون بالزهد استعدادا لملكوت الله وقرب نهاية العالم، وعودة المسيح، ودعا إلىٰ الزهد والصوم والزواج، ولهم كتب مقدسة خاصة بهم، وقد كان ترتليانوس من أتباع هذه الفرقة.

ومن العجيب أن بعض النصارىٰ يرون أن دعوة مونتان لم تعارض دعوة المسيح، فيقول: "ولم تكن دعوته متعارضة مع المسيحية، غير أنه يؤمن بأنبياء جدد، يلهمها الروح القدس، وتُبشِّر برجعة المسيح"(١).

١٠- المودالية أو المونارشيانية:

وقد كرز بها علىٰ يد شخص يسمىٰ نويت، وقد كانت تنكر التثليث، ولا يؤمنون إلا بالأب وحده، وأن الأب هو الذي ولد وتألم ومات، وقد لقيت رواجا عظيما، حتىٰ يقال بأن بعض الباباوات قد وقع في أسرها(٢).

وهذه الفرق النصرانية أهم الفرق التي كان لها أتباع، ولأتباعها صولة وجولة

---

(١) انظر: Christian theology: An introduction. McGrath, A. E.John Wiley & Sons, 2nd edition, (2016)

(٢) انظر: The Cambridge History of Chritianity, Edited by; Margaret Mary M. Mitchell and Frances M.YOUNG,p245-250

وأثر علىٰ التعليم المسيحي، وإلا فإن فرق النصرانية لا يمكن عدُّها.

وهناك الكثير من الفرق الصغيرة أو التي لم تشتهر بكثرة الأتباع، ويدل كل ذلك علىٰ أن المسيحية في قرونها الأولىٰ كانت متأرجحة بين التوحيد والتثليث والتثنية، نتيجة تظافر كثير من الظروف التي لحقت بها وبأتباعها منذ رفع المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فتبين من هذا أن هذا العصر يعد من العصور الأولىٰ للمسيحية إذ تفرق النصارىٰ إلىٰ فرق متباينة، واختلفوا فيما بينهم في الاعتقاد في المسيح، فمنهم من آمن به كنبي ومنهم من آمن به كإله ومنهم من شطح إلىٰ اختراع إلهين، إله للعهد القديم وإله للعهد الجديد، والذين آمنوا بالمسيح كإله اختلفوا في تحديد طبيعته هل ناسوتية أم لاهوتية أم ممزوجة منهما، وكان هناك عدة أسباب أدت إلىٰ هذه الاختلافات من أبرزها ما حصل لهم من الاضطهاد العنيف السابق ذكره، ومنها دخول جملة من الوثنيين في المسيحية بقصد تشويهها وتحريفها من الداخل بعمد وبغير عمد، ومنها نشأة المسيحية في أجواء الحقبة الهلستينية الفلسفية، ولا ننسىٰ كذلك الصراع علىٰ السلطة الدينية من داخل الكنيسة من بين زعمائها الشرقيين والغربيين وغيرهم، ويمكننا تقسيم كل تلك الفرق إلىٰ اتجاهين، وهما اتجاه الطوائف الموحدة، واتجاه الطوائف غير الموحدة، فمن أبرز الطوائف الموحدة آنذاك أي من القرن الأولىٰ إلىٰ القرن الرابع هي جماعة تلاميذ المسيح والأبيونية وطائفة النصارىٰ والبوليقانيون والمشبهون والآريوسية، كان الأصل المشترك بين هذه الطوائف الموحدة هو الاعتقاد بوحدانية الله والاعتقاد بأن المسيح نبي مرسل من الله تعالىٰ، مع الاختلاف فيما بينهم في تعليل بنوة المسيح لله أو الاعتقادات الدقيقة الأخرىٰ، أما الطوائف غير الموحدة فكان أبرزها هي البولسية أتباع بولس والمرقيونية والغنوصية والبربرانية وفرقة إليان والانتحالية والألسيزية والمونتانية والمودالية وأتباع هيلوبينوس، وكان الأصل المشترك بين هذا الطوائف غير الموحدة هو الاعتقاد بأن هناك أكثر من إله،

فمنهم من اعتقد بإلهين، ومنهم من اعتقد بآلهة من النساء عن طريق تجسد الإله فيهن، ومنهم من اعتقد بظهور الله علىٰ هيئة الناس، ومنهم من اعتقد بانبثاق آلهة أخرىٰ عن الإله الأول كالعقل والروح وغيرها.

المبحث الرابع

عصر الملك قسطنطين

لم تنتهِ فترة اضطهاد النصارىٰ إلا بعد أن تولىٰ الإمبراطور (قسطنطين) مقاليد الإمبراطورية، ولذلك يسميه النصارىٰ محبوب الله(١).

فقد أصدر هو والإمبراطور (لوسينيوس) المقتسمان لقب الإمبراطور آنذاك مرسوم البراءة عام ٣١١م، فمُنح المسيحيون حرية الانتماء للدين الذي يختارونه(٢).

ويذكر بعض المؤرخين أن قسطنطين أخذ بسياسة الأمر الواقع، فأصدر عام ٣١٣م مرسوما شهيرا يسمىٰ بمرسوم ميلان، حيث اعترف فيه بالمسيحية كإحدىٰ الشرائع المصرح باعتناقها، ثم تلاحقت القوانين الإمبراطورية التي تصدر الأوامر تلو الأوامر بالكف عن المسيحيين، وتمكينهم من أداء الشعائر والشرائع.

وهذا نص أحد القوانين التي تُرجمت عن اللغة الرومانية، كما ورد في كتاب تاريخ الكنيسة: "وعندما حضرنا إلىٰ ميلان في ظروف طيبة، أنا قسطنطين أوغسطس، وأنا ليسينيوس أوغسطس، وتأملنا في كل ما يؤول إلىٰ الخير العام ورفاهية الشعب اعتزمنا فيما اعتزمناه أو علىٰ الأصح اعتزمنا أول كل شيء أن نصدر الأوامر التي تعود بالخير علىٰ كل واحد من وجوه كثيرة، أي تلك التي تحفظ الإكرام لله وتقواه،

(١) انظر: Emperor Constantine: The man and the myth. David Jr., J., History of Christianity CH 3312, Austin Graduate School of Theology, 2004, P.2

(٢) انظر: The Cambridge History of Chritianity, Edited by; Margaret Mary M. Mitchell and Frances M.YOUNG، p 540 ودليل إلىٰ قراءة تاريخ الكنيسة، الأب جان كمبي، ص٦٤.

أي إننا اعتزمنا منح المسيحيين، وكذا كل الناس اتباع الديانة التي يختارونها، أيْ أيَّةَ ديانة سماوية توافقنا، وتوافق كل من يعيش تحت حكمنا".

وفي مرسوم آخر يقول: "لذلك قررنا بقصد سليم مستقيم ألا يحرم أي واحد من الحرية لاختيار واتباع ديانة المسيحيين، وأن تعطىٰ الحرية لكل واحد لاتباع الديانة التي يراها ملائمة لنفسه، لكي يظهر لنا الله في كل شيء لُطفَه المعهود وعنايته المعتادة"(١).

وهذا المرسوم الإمبراطوري أسهم إسهاما كبيرا في انتشار الوثنية أيضا، حيث قرر فيه أن يعبد كل واحد ما يراه إلها مناسبا، فقد أكد هذا الإمبراطور قسطنطين في مرسوم ميلانو: "يمكن لأي إله متوج في السماء أن يعرض بصورة جيدة وبشكل موائم لنا وإلىٰ جميع الذين تحت سلطتنا".

إلىٰ أن عقد مجمع نيقية عام ٣٢٥م وفيه انتصرت المسيحية علىٰ ماسواها واتخذت هي الديانة الرسمية للإمبراطورية - كما سيأتي-.

ثم أصدر الإمبراطور الروماني "ثيودسيوس" مرسومًا عام ٣٨١م، وقيل: سنة ٣٨٣م بجعل الديانة المسيحية ديانة رسمية للدولة، وأمر بهدم العبادة الوثنية، ولذلك يسمىٰ الملك الأرثوذكسي.

ويرىٰ بعض المؤرخين أن اعتناق بعض أباطرة الرومان للمسيحية كان نتيجة مقاصد سياسية بحتة، لإظهار تماسك الإمبراطورية من جانب، وللظهور بمظهر ديني شعبي أمام الفرس العدو اللدود للرومان من جانب آخر، فلم يجدوا أفضل من المسيحية لهذا الغرض، فدخل حكام الرومان في المسيحية سياسة، وبذلك هدأت

---

(1) The Cambridge History of Chritianity, Edited by; Margaret Mary M. Mitchell and Frances M.YOUNG,p503

عهود الاضطهاد، بل انتهت(١).

فتبين من هذا أن عصر الملك قسطنطين يعد من العصور المهمة، وذلك لإنهائه عصور الاضطهاد السابقة التي مرت على النصارى، وذلك عند صدور مرسوم حرية الاعتقاد عام ٣١١م وعُمّم في أرجاء الإمبراطورية، ثم أعقبه مرسوم عام ٣١٣م وفيه الاعتراف بالمسيحية كدين معترف به في الإمبراطورية، ثم تلاحقت المراسيم التي تنهى عن التعرض للمسيحيين، ثم عقد مجمع نيقية عام ٣٢٥م برئاسة أو إشراف الإمبراطور قسطنطيين، ثم أصدر عام ٣٨١م بجعل المسيحية هي الديانة الرسمية للإمبراطورية، وكان بعض الأباطرة يهدف من ذلك إلى هدف سياسي خصوصا الأوائل منهم، بينما إيمان بعضهم بالمسيحية ينمّ عن اقتناع.

۞۞۞

(١) انظر: الكلام عن قسطنطين في: The world,s religions,christianity in the first FIVE CENTURIES, PP, 152-153 و The Cambridge History of Chritianity, Edited by; Margaret Mary M. Mitchell and Frances M.YOUNG,p541. وتاريخ الكنيسة الشرقية، الأب البير أبونا، ص٢٠٣ وقصة الحضارة، ول ديورانت١١/ ٣٨٤. وخلاصة تاريخ الكنيسة، لومند الفرنسي ص٥٨. وممن ذكر هذا من المؤرخين المسلمين: أبو الحسن المسعودي، ت ٣٤٦هـ في كتابه مروج الذهب ومعادن الجوهر، ص٢٣٥، مع أن تعميم هذا الأمر على جميع الأباطرة فيه نوع من المبالغة، إذ إن كثيرا منهم كان متمسِّكًا بالمسيحية مدافعا عنها، خصوصا من خلفاء الإمبراطور قسطنطين الأوائل، الذين كان بعضهم على المذهب الأريوسي.

المبحث الخامس

عصر انقسام الكنيسة

تمهيد:

حدث انقسام كبير بين الكنيسة الشرقية والكنيسة الغربية، أدىٰ إلىٰ نشوء عداوة بينهما، عداوة منقطعة النظير، ناهيك عن الانفصال السياسي والاقتصادي والروحي والتشريعي، فاستقلت كل كنيسة بنفسها، وترىٰ أنها هي الكنيسة المحقة، وتلعن وتطرد كل من خالفها.

وقد اختلفت الكنيستان في تحديد معاني بعض العقائد المسيحية الواردة في قانون الإيمان المسيحي، وكان أهم ما اختلف فيه في تلك الفترة هو تحديد طبيعة المسيح، ثم في قضية تحديد انبثاق الروح القدس بعد اتفاقهم علىٰ تأليههما مع العلم بوجود كثير من الآراء التي قيلت في ذلك، غير أنه اندثر بعضها وانصهر بعضها تحت سطوة إحدىٰ الكنيستين.

فمن تلك الأقوال التي قيلت في تحديد طبيعة المسيح، فمنهم من يرىٰ بطبيعتين ناسوتية ولاهوتية، ومنهم من يرىٰ أن طبيعته بشرية، وأنه نبي، ومنهم من يرىٰ أنه أكثر من نبي، ومنهم من يرىٰ أنه بشر، وصل إلىٰ مرتبة اللاهوت، وأصبح ابنا لله بالتبني، ومنهم من يرىٰ أن المسيح كان خيالا جاء من السماء، وتشبه للناس علىٰ أنه بشر، ومنهم من يرىٰ أن دم المسيح ونفسه كانا إنسانيين، ولكن روحه استبدلت باللوجوس الإلهي، ومنهم من يرىٰ أن للمسيح طبيعة ثالثة، نشأت عن الطبيعة الإنسانية والطبيعة الإلهية، فهو ليس إلها ولا إنسانا، ومنهم من يرىٰ أن المسيح روحاني وليس جسديا،

ومنهم من أنكر ذلك وأثبت مادية المسيح [١]، هذا هو حال اختلاف النصارىٰ في تحديد طبيعة المسيح، وهو نذير شؤم، أدىٰ إلىٰ اختلاف كبير في الكنيسة المسيحية.

وفيما يلي نوجز التدرج الذي سارت عليه الكنيستان في منشأ ظهور الاختلاف بيهما إلىٰ أن انفصلت كليا عن بعضهما:

أوَّلاً: ظهور الاختلاف في تحديد طبيعة المسيح بين الكنيسة الشرقية والغربية:

أ- ظهور قول نسطور بالطبيعتين:

لعل اللبنة الأولىٰ التي بذرت بذور الاختلاف بين الكنيستين كانت علىٰ يد نسطور وهو أحد أبرز أساقفة القسطنطينية، وقد تزعّم القول بأن للمسيح طبيعتين، وأن في المسيح شخصا إنسانيًّا مقترنا بشخص ابن الله الإلهي، وأن مريم والدة الإنسان، فعقد مجمع أفسس عام ٤٣١م، وقرروا فيه أن للمسيح طبيعة واحدة، وأقنوم واحد، وأن مريم والدة الإله[٢]، فأدىٰ قول نسطور إلىٰ معارضة داخلية من قبل كهنة الكنيسة.

ب- ظهور قول أبوليناريوس بالطبيعة الواحدة:

صرح أبوليناريوس أسقف اللاذقية بالطبيعة الواحدة في المسيح، في مقابل دعوة نسطور، حينما أظهر أبوليناريوس ذلك بقوله: "إن الألوهية والجسد جزآن مكونان لطبيعة واحدة مثلما توجد في الإنسان العادي طبيعة واحدة مكوَّنة من جزأين ناقصين، النفس والجسد" أي إن المسيح له طبيعة واحدة وهي الإلهية فقط[٣].

(١) انظر: الدر الثمين في إيضاح الدين، ساويرس ص١٦٦ وكيف نفهم علم اللاهوت، رت كندل ٣/ ٣٠.

(٢) انظر رأي نسطور في: مجموعة الشرع الكنسي، الأرشمندريت حنانيا إلياس كساب ص٢٨٨. وتاريخ الكنيسة، جون لوريمر، ٣/ ٢١٩.

(3) The Council of Constantinople II as a model reconciliation council. Frank, G., Theological Studies, 1991 Vol. 52(No.4), PP. 636-650

ج- ظهور قول أوطيخا متابعا رأي أبوليناريوس في الطبيعة الواحدة:

وذلك حينما تزعم هذا القول رئيس دير في ضواحي القسطنطينية يدعىٰ أوطيخا أو أطاخيا، الذي زعم بأن المسيح مؤلف من طبيعة واحدة فقط، حيث إن الطبيعة الإنسانية لم تستقر إنسانية، بل تلاشت باتحادها مع الطبيعة الإلهية، واستوعبتها الطبيعة الإلهية، فصارت طبيعة واحدة ممزوجة، وهنا ظهر الخلاف بين كهنة الكنيسة من السر إلىٰ العلن.

د- انعقاد مجمع محلي يؤيد قول نسطور بالطبيعتين:

عُقد إثر مقالة أوطيخا مجمع محلي في نوفمبر عام ٤٤٨م، حضره ٢٩ أسقفا و٣٣ أرشمندريت، وتمت فيه مناقشة رأي أوطيخا، وصرخ الأوطيخيون: "اللعنة علىٰ من يعتبر أن للمسيح طبيعتين، فليطرد فليذبح" ولكن نتج عن هذا المجمع طرد أوطيخا ولعنه وحرمانه.

هـ- انعقاد مجمع محلي يؤيد قول أوطيخا القائل بالطبيعة الواحدة:

رفض أوطيخا قرارات المجمع المحلي السابق، وبفضل قربه من الإمبراطور واتصالاته برؤساء الكنائس، استطاع أن يسترد مكانته، فعُقد مجمع آخر في أغسطس (آب) عام ٤٤٩م بتوجيه الإمبراطور ثيودوسيوس الصغير الذي خول لبابا الإسكندرية ديسقوروس رئاسة ذلك المجمع، الذي بدأ بقراءة المراسيم الإمبراطورية، ثم البحث في أمر أوطيخا الذي استدعي، وقدم عقيدته مكتوبة كما قالها شفهيا، فلم يجد الآباء أنه حاد عن الإيمان السليم، وانتهىٰ ذلك المجمع بإعادة أوطيخا إلىٰ منصبه، وقرر فيه عقيدة الطبيعة الواحدة للمسيح، وخلص المجمع إلىٰ القرار الآتي بخصوص الإيمان: "للمرة الثانية نجدد القول بطبيعة واحدة، بعد الاتحاد

للكلمة المتجسدة، بدون اختلاط أو امتزاج أو استحالة"[١].

و- رفض قرار المجمع المحلي السابق من قبل بابا روما ودعوته إلىٰ القول بالطبيعتين:

عندما سمع (لاون) بابا روما بقرار مجمع أفسس، بإقرار الطبيعة الواحدة، لم يرتضِ تلك القرارات، وسمىٰ ذلك المجمع (مجمع اللصوص)، ووافقه علىٰ ذلك فلابيانوس أسقف القسطنطينية[٢].

ويعلل الأنبا يوأنس رفض بابا روما لذلك المجمع هو دافع الحسد الذي أكل قلب بابا روما فيقول: "ولا شك أن هذه المساعي تكشف عن نفسية لاون، الذي طار لبه وأكل الحسد قلبه، للمكانة الرفيعة التي تبوأها باباوات الإسكندرية، حتىٰ في المحافل المسكونية"[٣].

ز- تأييد رأي بابا روما القائل بالطبيعتين من قبل الإمبراطور مركيان:

في سنة ٤٥٠م مات الإمبراطور ثيودوسيوس ولم يخلف نسلا، وأصبحت وريثته أخته بوليكاريا، ولكن القوانين لا تسمح للمرأة باعتلاء عرش الإمبراطورية، فتزوجت أحد قادة الجيش (مركيان)، الذي أصبح إمبراطورا، وقد كان يميل هو وزوجته لاعتقاد بابا روما في طبيعة المسيح.

---

(١) انظر: V.C. Samuel، The Council of Chalcedon Re-Examined، Senate of Serampore College, Madras, India, 1977, P.14-15. وتاريخ الكنيسة، يوسابيوس القيصري، ص١٢ والدر الثمين في إيضاح الدين، ساويرس الشهير بابن المقفع، ص١٦٦.

(٢) انظر: دليل إلىٰ قراءة تاريخ الكنيسة، للأب جان كمبي، ١/ ١٢٨. وموجز تاريخ المسيحية للأنبا ديوسقورس، ٢٩٣-٣٠٦. وأوروبا والمسيحية (الألفية الأولىٰ)، يان دوبراتشينسكي، ١/ ١٢٢-١٣١.

(٣) انظر: محاضرات في التاريخ الكنسي، للأنبا يوأنس ص٥٨.

وقد بذلت كثير من المحاولات لثني بابا الإسكندرية عن موقفه الرافض لوجود الطبيعتين في المسيح، إلا أنه جدد رفضه، حتىٰ في قصر الإمبراطور، حيث قال: "إن اعتقاد البيعة ينبغي ألا يزاد عليه ولا ينقص منه، فالمسيح واحد بالطبع والجوهر والعقل والمشيئة، كما كرز الآباء" فعقد مجمع خلقيديونية.

ثانيا: انعقاد مجمع خلقيديونية عام ٤٥١م وتعميق الخلاف بين الكنيستين:

يمكنني القول بأن هذا المجمع هي القشة التي قصمت ظهر البعير الذي كانت تمتطيه الكنيسة، فمنذ انعقاده إلىٰ اليوم لم تجتمع كلمة الكنيستين علىٰ مر الزمان.

فقد عقد هذا المجمع بسعي حثيث من بابا روما، ونجح في عقد مجمع مسكوني في أكتوبر (تشرين الأول) عام ٤٥١م، ويسمىٰ مجمع خلقيدونية، واختلف المؤرخون في عدد من حضره، فمن قائل أنهم ٢٣٠ أسقفا، ومن قائل أنهم ٦٣٠ أسقفا، ومن قائل بأنهم ما يقرب من ٤٢٠ أسقفا، يمثلون أساقفة شمال إفريقيا، ضمنهم وفد من ثلاثة أساقفة يمثلون البابا ليو الأول، إلىٰ غير هذه الأقوال.

واختلق الأساقفة في هذا المجمع كثيرا من الأكاذيب في وجه أساقفة الإسكندرية، حيث زعم أسقف أفسس وبعض أساقفة الشرق، بأنهم لم يوافقوا علىٰ قرارات المجمع القائل بالطبيعة الواحدة إلا خوفا من الجنود الشاهري أسلحتهم، فأجاب أساقفة الإسكندرية: "إن جندي المسيح لا يرهب القوة التي لا تخيف إلا الجبان، أضرموا النار ونحن نعلمكم كيف يكون الاستشهاد".

وحيكت كثير من المؤامرات والدسائس في وجه بابا الإسكندرية - كما يذكر مؤرخو الأرثوذكس - لعل من أطرفها، هي كيفية صدور قرارات هذا المجمع، فيذكر أنه في يوم صدور الحكم "عقدوا جلستهم، وأرسلوا لاستدعاء البابا ديسقورس في الوقت الذي وضعوا فيه حُرَّاسا علىٰ بيته ليمنعوه من الخروج"، فصدر الحكم عليه

غيابيا، وقرَّروا عزله وفصله من الخدمة الكهنوتية [(١)].

وأعلن القول بعقيدة الطبيعتين وانتصار الكنيسة الغربية. لكن ذلك لم يدم طويلًا؛ فقد أعقب نتائج وخيمة أثرت في تاريخ المسيحية إلىٰ اليوم - أُجملها فيما يلي.

ثالثا: نتائج الاختلاف بين الكنيسة الغربية والشرقية:

يمكن إيجاز أهم النتائج التي حدثت جراء تلك الأحداث فيما يلي:

١ - حدوث الانقسام بين الكنيستين:

لقد كانت النتيجة المباشرة لقرارات مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١م، هو الانقسام الأول لكنيسة المسيح، فقد وصفت الكنائس الغربية الكنائس الشرقية علىٰ أنها مونوفيزية (Monophysite)، أي تؤمن بطبيعة واحدة في المسيح[(٢)]، بينما وصفت الكنائس الشرقية الكنائس الغربية بأنها ديوبوزية (Diophysite) أي تؤمن بطبيعتين في المسيح [(٣)].

وقد انسلخت جراء ذلك الكنيسة الإسكندرية وتوابعها من الكنائس القائلة بأحادية الطبيعة الإلهية للمسيح، فصار أتباع الكنيسة الإسكندرية يعرفون بـ"المونوفيزيات" "Partisans of,On, naturw, Monophsite" وعنهم وعن تعاليمهم نشأت الكنيسة القبطية في مصر والكنائس الأرمنية والحبشية واليعاقبة في

---

(١) انظر: Stewart thoutheland, ed The world,s Religions,P164

(٢) انظر: طبيعة المسيح، البابا شنودة الثالث، ص٧. ووتاريخ الفكر المسيحي، القس حنا جرجس ٣/ ٣٦. وأوروبا والمسيحية (الألفية الأولىٰ)، ١/ ١١٥.

(٣) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ص١٥٧. والمسيحية في عقائدها، التعليم المسيحي الكاثوليكي، ص١٨٣. ودليل إلىٰ قراءة تاريخ الكنيسة، جان كمبي، ٢/ ١١. أصول التعليم المسيحي، الكتاخسيمس الصغير، مارتن لوثر، ص٩٣.

سوريا والعراق وألمانيا[1]، وأصبحت تعرف بالكنائس اللاخلقيدونية، ويطلق على الكنيسة المصرية الكنيسة القبطية الأرثوذكسية.

٢- تنازع الكنائس النصرانية على سلطان الكنيسة الجامعة الرسولية:

يعد هذا من أبرز نتائج انقسام الكنيسة الشرقية والغربية، ويعود هذا المفهوم إلى قرارات المجامع الأولى للمسيحية، حيث ورد في قانون الإيمان المسيحي النيقوي قوله: " ونؤمن بكنيسة واحدة جامعة رسولية".

ومن هنا تنازعت الكنائس في جذب هذا الاسم إليها، وأنها هي المقصودة بهذه الجامعة، وشارك في هذا التجاذب أيضا كنائس صغيرة مستقلة، طمعا في شرف نسبة هذا الاسم، فكل كنيسة أرادت ألا يفوتها شرف إطلاق اسم الجامعة الرسولية عليها، وفيما يلي تسليط الضوء على ذلك بإيجاز:

أ-**يرى الكاثوليك أن كنيستهم هي الكنيسة الجامعة**، يقول القديس أغناطيوس في شرحه لمعنى الكنيسة المقدسة الجامعة الرسولية، حيث ينسبها إلى الكنيسة الكاثوليكية فيقول: "واتبعوا جميعكم الأسقف، كما تبع يسوع المسيح الله الأب، وسيروا في إثر شيوخكم سيركم في أثر الرسل، واحترموا الشمامسة كما تحترمون وصايا الله، ولا تأتوا بعمل يمتّ إلى الكنيسة بصلة منفردين عن الأسقف، والذبيحة الإلهية لا تصبح شرعية محللة إلا برئاسة الأسقف، أو من يفوضه بها، وكونوا حيث يكون الأسقف، فحيث يكون يسوع المسيح هناك تكون أيضا الكنيسة الجامعة"[2].

(١) انظر: friedrich loof."nestorius and his place in the history of christian doctrin" oxford,1914

(٢) انظر: The Western Rite and the Eastern Church: Dr. JJ Overbeck and His Scheme for the Re-Establishment of the Orthodox Church in the West.
=

ويقول القديس نكتاريوس، أسقف المدن الخمس ١٨٧٦م في شرحه لقانون الإيمان: "نقرّ بأننا بعد الإيمان بالإله الثالوثي نؤمن بكنيسة الإله الثالوثي،... لأن سبب تأسيس الكنيسة ورسالتها في العالم هي استعادة ملكوت الله علىٰ الأرض."

ثم يؤكد أنه "يستحيل فهم أسرار الله بدون أن نؤمن بالكنيسة"[(١)]، فنرىٰ أساقفة الكنيسة الكاثوليكية الأوائل ينسبون إلىٰ الكنيسة الكاثوليكية شرف جامعيتها للناس، وخلاصها للبشر وتمثيل ملكوت الله.

وهذا ما يقرره أيضا كتَاب التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، حيث يقول تحت عنوان-الكنيسة واحدة مقدسة كاثوليكية رسولية-: "تستمر كنيسة المسيح الواحدة بمثابة مجتمع قائم ومنظم في العالم، في الكنيسة الكاثوليكية التي يسوسها خليفة بطرس"[(٢)].

بل ترىٰ الكنيسة الكاثوليكية أن تفسير الإيمان المسيحي التفسير الصحيح عهد فيه إلىٰ سلطة الكنيسة التعليمية وحدها، دون الكنيسة الشرقية، أي إلىٰ خلفاء بطرس أسقف روما، وهذا ما أكد عليه المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني- كما سيأتي-.

ب- في مقابل رأي أتباع الكنيسة الكاثوليكية، يرىٰ الأرثوذكس أن المقصود بالكنيسة الجامعة المقدسة الرسولية هي الكنيسة الأرثوذكسية، ويرون خطأ ادعاء الكنيسة الغربية نسبة هذا الاسم إليهم، يقول المؤرخ الأرثوذكسي أسعد رستم: "وكنيستنا واحدة جامعة مقدسة رسولية، فإننا جميعنا قد اعتمدنا بروح واحد لجسد واحد..".

Abramstov, D. F., An Unpublished Master's Thesis, University of = Pittsburgh, 1961. P.7

(١) شرح دستور الإيمان، القديس نكتاريوس، أسقف المدن الخمسة ص٣.

(٢) مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ص٥٧.

ثم يقول: " والغربيون أخطؤوا في التشديد على نواح معينة من العمل، وإعطائها المرتبة الأولى، وهكذا فإنه يحق للأرثوذكسي الشرقي أن يفاخر بشدة على حرصه على استقامة الإيمان."[(١)]

ج- ادعاء نسبة المقصود بالكنيسة الجامعة الرسولية من قبل كنائس أخرى:

وصل الاختلاف في تعيين الكنيسة الجامعة إلى اختلاف بين أتباع المذهب الواحد، فالكنيسة السريانية ترى أنها هي المقصودة بالكنيسة الجامعة، يقول المطران السرياني إسحاق ساكا - النائب البطريركي للدراسات السريانية-: "هذه هي الكنيسة التي نشأت في القدس مؤلفة من الرسل والمبشرين، وامتدت إلى أنطاكية وشملت الأمم والشعوب كافة،... وأطلق عليها تسمية الجامعة، وظلت حتى اليوم محافظة على ما رسمه السيد المسيح والرسل والآباء الأولون من عقيدة وإيمان"[(٢)].

ويبدوا أن عدوى تنازع السلطة الكنسية قد ألقى بظلاله أيضا على البروتستانت - رغم رفضهم الظاهر لها - إلا أنهم نسبوا السلطة الجامعة لكل كنيسة على حدة، فلم ينفوه وإنما قرروه، يقول مارتن لوثر: "لماذا تدعى بالسلطة الكنسية المميزة؟... لأنها سلطة معطاة للكنيسة فقط...لقد أعطى المسيح هذه السلطة لكنيسته على الأرض، ولكل كنيسة محلية بشكل خاص"[(٣)].

فنقد الكنيسة البروتستانتية على الكنيسة الكاثوليكية ليس لإنكار أصل مفهوم الجامعة الرسولية، وإنما لإنكار أن تستقل به الكنيسة الغربية الكاثوليكية.

---

(١) كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، أسعد رستم، ص٢٢.

(٢) كنيستي السريانية، المطران إسحاق ساكا، ص٢٥.

(٣) مختصر التعليم المسيحي، الكتاخسيميس الصغير، مارتن لوثر، ص١٥٧.

وهكذا نجد الصراع بين طوائف النصارىٰ الكبرىٰ في سبيل نيل لقب الكنيسة الجامعة المقدسة الرسولية، نتيجة الاختلاف الكبير بين الكنيسة الغربية والكنيسة الشرقية.

٣-أصبح لكل كنيسة من الكنيستين اعتقاد يختص بها في تحديد طبيعة المسيح:

من نتائج الاختلاف العامة أيضا هو أن أتباع الكنيسة الغربية بقوا علىٰ قرارات مجمع خلقديونية، وأصحاب الكنيسة الشرقية بقوا علىٰ الاعتقاد السائد لدىٰ الكنيسة الأرثوذكسية، وذلك كما يلي:

أ- مفهوم الكنيسة الأرثوذكسية لطبيعة المسيح:

حددت الكنيسة الأرثوذكسية مفهومها في طبيعة المسيح، وذلك بأن جعلت الإيمان بالمسيح مبني علىٰ الاعتقاد بأن للمسيح طبيعة واحدة، ومشيئة واحدة، وذاتا واحدة أقنومية، اتحدت مع الجسد، وصارت بعد الاتحاد بدون اختلاط ولا امتزاج.

وقد فنّد الأنبا أيسوذورس أحد لاهوتيي الكنيسة الإسكندرية ١٨٨٥م في كتابه (تنوير الأذهان بالبرهان إلىٰ ما في عقائد الكنيسة الغربية من الزيغان) أدلة أصحاب القول بالطبيعتين، وبين بطلان استدلالاتهم في نسبة الطبيعتين إلىٰ المسيح [(١)].

وفعل مثله كذلك المؤرخ القبطي الأنبا ساويرس الشهير بابن المقفع٧٥٩ م في كتابه (الدر الثمين في إيضاح الدين)، حيث ابتدأ رده علىٰ أصحاب الطبيعة الواحدة بقوله: "وما أعمىٰ قلوبهم إذ يقولون: إن أقنوم المسيح واحد بطبيعتين..."[(٢)].

---

(١) انظر: كتاب تنوير الأذهان إلىٰ ما في عقائد الكنيسة الغربية من الزيغان، الأنبا أيسوذورس، طبعة سنة ١٩٣٥م، ص٢١١-٢٣١.

(٢) الدر الثمين في إيضاح الدين، ساويرس ص١٦٨. و The Blackwell Companion to the New Testament, David E. Aune, A John Wiley & Sons, Ltd., 2010, First Edition.P.90

ويلخص اللاهوتي المعاصر الأرشيد ياكون وهيب جرجس عقيدة الكنيسة الشرقية القائلة بالطبيعة الواحدة في كلمته التي ألقاها ممثلا لوجهة نظر كنيسة الإسكندرية، في المؤتمر العالمي الذي عقد بمدينة القدس القديمة، في المدة من ١٢_١٥ أبريل ١٩٥٩م فيقول: "إن الإيمان الأرثوذكسي كما نعترف به في كنيستنا هو أن ربنا يسوع المسيح كامل في لاهوته، وكامل في ناسوته، ومع ذلك لا نجرؤ علىٰ القول: إنه إله وإنسان معًا، لأن هذا التعبير ينطوي علىٰ معنىٰ الانفصال بين اللاهوت والناسوت، وإنما نقول: بالحري أنه الإله المتجسد، فاللاهوت والناسوت متحدان فيه اتحادا تاما، في الجوهر وفي الأقنوم وفي الطبيعة، ليس هناك انفصال أو افتراق بين اللاهوت والناسوت في ربنا يسوع المسيح"(١).

ب- مفهوم الكنيسة الكاثوليكية في طبيعة المسيح:

في مقابل عقيدة الكنيسة الشرقية في اعتقاد الطبيعة الواحدة وقفت الكنيسة الغربية القائلة بالطبيعتين.

فالكنيسة الغربية الكاثوليكية تؤمن بأن المسيح ذو طبيعتين صحيحتين متميزتين متحدتين، لا تتغيران ولا تنفصلان ولا تختلطان، بدون تحويل ولا تركيب، ولم يلغ هذا الاتحاد شيئا من طبيعتي المسيح، فبقيت كل طبيعة فاعلة في الإنسان الواحد يسوع المسيح، ذو طبيعة بشرية كاملة، وذو طبيعة إلهية كاملة، ننسب إليه كل ما ننسبه إلىٰ الله، متحدتين في أقنوم الكلمة(٢).

---

(١) تعليم كنيسة الإسكندرية، فيما يخص طبيعة السيد المسيح ص١٥ وانظر: تاريخ الأقباط، زكي شنودة، ص١٦.

(٢) انظر: مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ص٣٧ وموسوعة الأديان الحية، ر.س. ريفنز، المسيحية، ج.ج.ديفز، ص١٦٠ كيف نفهم علم اللاهوت، رت كندل، ٣/ ٣١ ومجموعة الشرع الكنسي، الأرشمندريت: حنانيا إلياس كساب ص٣٦٤.

وقد قرر أتباع القول بالطبيعتين قانون إيمان جديد، يختص بطبيعة المسيح يبتدأ بقولهم: "إننا نتبع الآباء الإلهيين، ونضم إليهم أصواتنا، باتفاق معلنين ومعلمين أننا نعترف بالابن أو الرب يسوع المسيح، هو نفسه كامل في اللاهوت وكامل في الناسوت، هو إله حق، وإنسان حق، مؤلف من نفس وجسد، وهو واحد في الوقت نفسه، من جوهر كجوهر الأب، من جهة لاهوته، ومن طبيعة كطبيعتنا من جهة ناسوته، مثلنا في كل شيء، ما عدا الخطيئة، وهو إن لم يكن قد ولد من الأب قبل الدهور باللاهوت، ولد في الأيام الأخيرة بالناسوت، من العذراء مريم والدة الإله، لأجلنا ولأجل خلاصنا، إنه واحد، هو نفسه المسيح والابن والرب الوحيد المولود بطبيعتين، بلا اختلاط ولا تحول ولا انقسام ولا انفصال"(١).

فتبين من هذا أن هذا العصر يعد العصر اللاحق لعصر الملك قسطنطين وتقنين قانون الإيمان المسيحي، وقد ظهر الانقسام بين أتباع الكنيسة في تحديد طبيعة المسيح هل طبيعته ناسوتية ولاهوتية كما يقول أتباع الكنيسة الغربية أم أنها لاهوتية فقط كما يقول أتباع الكنيسة الشرقية، إلىٰ جانب كثير من الأقوال الأخرىٰ في ذلك، فقد ظهرت شرارة ذلك الاختلاف عندما أظهر نسطور أسقف القسطنطينية القول بأن للمسيح طبيعتين وظهرت كثير من الاختلافات أيضا التي أدت إلىٰ عقد مجمع أفسس ٤٣١م، الذي حسم هذه المسألة بإثبات أن للمسيح طبيعة واحدة، وأقنوما واحدا ثم ظهر قول أبوليناريوس بأن للمسيح طبيعة واحدة إلاهية، ثم ظهر قول أوطيخا متابعا رأي أبوليناريوس ثم عقد مجمع محلي عام ٤٤٩م للرد علىٰ أوطيخا والرجوع إلىٰ قول نسطور بالطبيعة الواحدة، مما أغضب البابا لاون بابا روما وسمىٰ

(١) انظر: Christian theology: An introduction. McGrath, A. E.John Wiley & Sons, 2nd edition, (2016) P.70

هذا المجمع بمجمع اللصوص، وبتأييد من الإمبراطور مركيان ظهر القول بالطبيعتين مرة أخرىٰ الذي يعدوا إليه بابا روما، فانعقد مجمع خلقيديونية عام ٤٥١م وقرر فيه رأي بابا روما بتأييد الإمبراطور وتقرر فيه القول بالطبيعتين، **وقد نتجت نتائج وخيمة علىٰ الكنيسة النصرانية أعقبت كثيرا من الأمور التي لم تلتئم علىٰ مرّ التاريخ منها** حدوث الانقسام بين الكنائس الشرقية والكنائس الغربية، فقد وصفت الكنائس الغربية الكنائس الشرقية علىٰ أنها مونوفيزية (Monophysite)، أي تؤمن بطبيعة واحدة في المسيح، بينما وصفت الكنائس الشرقية الكنائس الغربية بأنها ديوبوزية (Diophysite) أي تؤمن بطبيعتين في المسيح بالإضافة إلىٰ تنازع السيادة الكنسية فيما بينهم واعتقاد كل كنيسة أنها هي الكنيسة الجامعة الرسولية الوارد ذكرها في قانون الإيمان النيقوي، وقررت كل كنيسة إقرار قانون خاص للإيمان بمعتقدها حيث قررت كنيسة روما قانونا ينص علىٰ الإيمان بالطبيعتين وقررت كنيسة الإسكندرية قانونا يقضي الإيمان بالطبيعة الواحدة.

الفصل الثالث

عصر القرون الوسطى

وعصر الإصلاح الديني،

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: عصور القرون الوسطى

المبحث الثاني: عصر الإصلاح الديني، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الدعوات الإصلاحية البروتستانتية

المطلب الثاني: الدعوات الإصلاحية الكاثوليكية

الفصل الثالث

عصر القرون الوسطى وعصر الإصلاح الديني

تمهيد:

القرون الوسطىٰ هي الندبة السوداء في جبين العالم المسيحي، فقد تسلطت الكنيسة بممارستها للسلطة المطلقة، المتحكمة في رقاب الناس في حياتهم وبعد مماتهم أيضا -في منظورها-.

وأصبح لمعنىٰ الكنيسة معنىٰ أكبر، غير معنىٰ مكان العبادة، حيث أصبح لفظ الكنيسة هي جماعة المؤمنين بالمسيح(١).

ويعرّفون شعب المؤمنين: بأنهم هم الشعب الذي يدعوه الله ويجمعه من أقاصي الأرض، لينشئ جماعة الذين يؤمنون بالمسيح، يصيرون أبناء الله وأعضاء المسيح، وأن جميع المؤمنين يؤلفون شركة القديسين، أو جسدا روحيا واحدا رأسه الوحيد هو المسيح(٢).

ورسالة الكنيسة هي: " أن تعلن وتقيم بين الأمم ملكوت الله، الذي بدأه يسوع المسيح، وهي علىٰ الأرض نواة ملكوت الخلاص"(٣).

بهذه التعريفات تكوّن منظور آباء الكنيسة الأوائل، ولهذا فقد صرح أغناطيوس ٦٨م الذي يعد خليفة بطرس علىٰ روما بأن" لاهوت الكنيسة مرتبط بلاهوت الإله

---

(١) انظر: اللاهوت النظري، إلياس الجميل، ص٢١٤.

(٢) انظر: الكنيسة الخالدة، متىٰ المسكين، ص١١. ومختصر التعليم المسيحي، الكتاخسيمس الصغير، مارتن لوثر، ص١١٩.

(٣) مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ص٥٤.

الواحد والثالوث الأقدس".

وقد كان من أبرز تعاليم أغناطيوس في تعليمه لأتباع رجال الكنيسة قوله: " أستحلفكم أن تتموا أعمالكم جميعا بروح الائتلاف، الذي يرضي الله تحت رئاسة الأسقف الذي يحل محل الله..."(١).

وقد صرّح أقليمس خليفة أغناطيوس، وأسقف روما الثالث بأن المسيح الإله خصّ الرسل بالسلطة في الكنيسة، وأن هؤلاء سلموها لخلفائهم، وأنه لا يجوز لأبناء الكنيسة أن ينزلوا الكهنة عن مراكزهم، لأنهم ليسوا هم الذين يقلدونهم السلطة، ثم يقول: "إن الرسل أرسلوا من السيد يسوع المسيح، ويسوع المسيح أرسل من الله.. وهذان الأمران صادران بتدبير حسن عن مشيئة الله".

ثم توصل أقليمس بهذه المقدمة إلىٰ النتيجة التي يهدف إلىٰ تقنينها، وهي وجوب الالتزام بما تشرعه الكنيسة من قوانين، ولهذا يقول بعد ذلك: "وعلم رسلنا أنه سينشأ خلاف حول الأسقفية، فعملوا بمعرفتهم السابقة لما سيكون، ثم وضعوا هذا القانون: أنه بعد وفاتهم يقوم غيرهم ممن جرب بعملهم.."(٢).

وهذه المقدمات والنتائج التي استنتجها أغناطيوس وأقليمس تعد من بواكير القوانين التي قننتها الكنيسة فيما بعد، وهي وجوب الإيمان بما شرعته الكنيسة وبما قننه رجالها.

يقول القديس إيرينايوس: "من المتوجب إطاعة الكهنة الذين هم في الكنيسة... الذين يمتلكون الخلافة من الرسل، فهؤلاء – مع الذين يمتلكون الخلافة من

(١) تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، المطران كيرلس سليم والأب حنا الفاخوري والأب جوزيف البولسي، ص١٥٣.

(٢) آباء الكنيسة، أسعد رستم،ص ١٣– ١٤.

الأساقفة – قد تسلموا منحة خاصة من الصدق[١].

ولترسيخ هذا المفهوم أوحت الكنيسة إلىٰ قلوب أتباعها، أن العالم المادي الأرضي مملكة للشيطان، وأن الرب قد انفصل عن ذلك العالم المادي، وما ذلك إلا للإيحاء لأتباع الكنيسة، بأن ما يفعله الباباوات إرضاء للرب وإرغام للشيطان، وهم الوسطاء بين الرب وبين بني الإنسان.

ومنشأ هذ الفكرة هو من خلال نصوص الكتاب المقدس الذي وردت فيه نصوص تذم كل ما هو أرضي بدءًا من سفر التكوين الذي يقول: "ملعونة الأرض بسببك" (تكوين ٣/ ١٧) وانتهاء بالعهد الجديد بقول بولس عن أعداء صليب المسيح علىٰ أن "إلههم في بطنهم وهم الذين يتفكرون في الأرضيات" (فيلبي ٣/ ١٩).

ولذلك نرىٰ البابا كيرلّس الأول يصرح بأن حياتنا الأرضية بدأت في الغروب فيقول: "أستطيع أن أقول الكثير والكثير عن مرض الجسد لأن حياتنا الأرضية بدأت في الغروب"[٢].

من هنا، انطلقت الكنيسة تتحكم في ملكوت السماوات والأرض وجزت رقاب الموافقين لها والمخالفين علىٰ حد سواء بعد تقرير هذا المفهوم، ونذرت نفسها لتخليص البشر من العالم الأرضي المظلم ورفعهم إلىٰ العالم السماوي بحد السيوف والمقاصل، فكانت كالنار الهوجاء التي لا تميز بين غث وسمين، فأكلت كل ما قدرت علىٰ أكله، خشية إفاقة أتباعها من سباتهم.

---

(١) انظر: Irenaeus Against heresies 4,26.2. volume I(Buffalo Christian Literature publishing co 1885)

(٢) حوار حول الثالوث، كيرلس السكندري ص٦.

ومع ذلك نجد من يعتذر لتلك الأفعال المشينة من قبل الكنيسة، كما هو حال القس فايز فارس، حينما يعتذر لتلك الأفعال بأن "الكنيسة كأي كيان موجود في عالم الضعف والقصور الذي نحيا فيه، تعرضت أحيانا كثيرة لعوامل الضعف الإنساني، بسبب الأطماع البشرية في قيادتها، والابتعاد عن كلمة الله في غذائها الحقيقي"[(١)].

ولكن يبدو أن القس نسي أو تناسىٰ أن الكنيسة كانت تعمل أعمالها باسم الله، وليس باسم البشر، وأن أساقفتها حلوا محل الله في الأرض، وأنهم معصومون بتوجيه الروح القدس لهم - حسب اعتقاداتهم-.

ومن خلال السطور التالية يُلقىٰ الضوء علىٰ أهم أشكال السلطات التي مورست من قبل الكنيسة في العصور الوسطىٰ، وذلك كما يلي:

---

(١) أضواء علىٰ الإصلاح الإنجيلي، القس فايز فارس،ص٩.

المبحث الأول

عصر القرون الوسطى

أولا: السلطة الروحية والدينية:

تبوّأ كرسي الكنيسة البابوية في روما مكانة لا تدانيها مكانة، فلصاحبها كامل التقديس، وهو المقدم والمكرم لدىٰ أهل التثليث، حيث يعتبر باباواته - حسب اعتقادهم - خلفاء القديس بطرس علىٰ ذلك الكرسي، كرسي بطرس.

بطرس تلميذ المسيح الذي قدّمه يسوع علىٰ بقية التلاميذ وجعله هو الأساس الذي تبنىٰ عليه كنيسته -بزعمهم- وأعطاه مفاتيح السموات، وأن ما يربطه أو يحله علىٰ الأرض يكون مربوطًا أو محلولا في السماء، كما هو مدون في إنجيل متىٰ: "وأنا أقول لك أيضا: أنت بطرس، وعلىٰ هذه الصخرة ابني كنيستي، وأبواب الجحيم لن تقوىٰ عليها، وأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات، فكل ما تربطه علىٰ الأرض يكون مربوطًا في السماء، وكل ما تحله علىٰ الأرض يكون محلولًا في السماوات" (متىٰ، ١٦/ ١٨).

ثم ادعىٰ أساقفة روما أنهم ورثوا كل المزايا لشخص القديس بطرس ولمنصبه[١]، وتبعتهم علىٰ ذلك جميع الكنائس المنتسبة إلىٰ المسيحية.

وتدرج هذا المفهوم حتىٰ غدا أصحاب هذا المنصب الجديد لهم الحل والعقد، ليس في المسائل الدينية فحسب، بل في كل شؤون الحياة، ويمكن بيان ذلك فيما يلي:

---

(١) انظر: The Political Economy of the Medieval Church. Ekelund Jr, R. ; Hébert, R. ; & Tollison, R. In The Oxford Handbook of the Economics of Religion, (2011). P. 2

أ- أنهم هم الممثلون الشرعيون عن الله:

أصبح باباوات الكنيسة الذين يتجلببون بجلباب الدين، ويتدرَّعون بدرع الكهنوت في الكنيسة الكاثوليكية، هم الممثلون الشرعيون لرب صاحب سلطان، يتطلب طاعة عمياء، وهو يعاقب المتمرد من دون رحمة، وتعتقد المسيحية الكاثوليكية بأن الخوف ضروري وأساسي، من أجل تمتين ما اعتقدوا أنه نظام طبقي متدرج، له السمة اللاهوتية، فيه يحكم الرب اللاهوتي فرديًّا من مكان شاهق بعيد جدًّا، ونائيا عن الأرض وعن جميع بني البشر[١].

والمفهوم الأرثوذكسي للكنيسة الأرثوذكسية لا يختلف عن المفهوم الكاثوليكي، فيما يتعلق بإنابتهم عن الله؛ ولذا - كما يقول ابن العسال - يعتقدون "أن الكهنوت قوة إلهية تحلّ في عقل الكاهن، فيستنير بها عقله، يؤيده الله لغاية"[٢].

ب- ربط مخافة البابا بمخافة الله:

نجح آباء الكنيسة الأولون في ربط مخافة الله بمخافة البابا، وأن مخافة البابا جزء لا يتجزأ من مخافة الله، ويصف القديس خريسوستون في القرن الرابع (chresostom) الضرورة الحتمية للخوف فيقول: "إذا كنت ستقوم بتجريد العالم من القضاة، ومن الخوف الصادر عنهم، فإن البيوت والمدن والأمم سوف تتهادىٰ بعضها فوق بعض، في فوضىٰ لا يمكن ضبطها، لأنه ليس هناك أي واحد يضغط عليهم أو يردعهم، أو يقنعهم أن يعيشوا بسلام من خلال الخوف من العقوبة"[٣].

(١) انظر The Political Economy of the Medieval Church. Ekelund Jr, R. ; Hébert, R. ; & Tollison, R. In The Oxford Handbook of the Economics of Religion, (2011). P. 2

(٢) المجموع الصفوي، ابن العسال، ص ٩٥.

(٣) المشكلة الأخلاقية والفلاسفة أندريه كريسون، ص٣٠٤.

فأصبح رجال اللاهوت في الكنيسة هم المتمتعون بسلطان المسيح، وعندما يجمعون علىٰ عقيدة بأنها نهائية، فيجب قبولها من كل مسيحي.

يقول أغناطيوس: "وأسقفك يترأس في مكان الرب، وكاهنك.. في موضع الرسل...، ومن دون هؤلاء ليس هناك كنيسة"(١).

ج- أن الكنيسة مُشرِّعة ومعصومة:

حينما أرادت الكنيسة أن تُشرِّع ما طاب لها من العقائد والشرائع سلكت مسلك التدرج في ذلك، فقررت قبل ذلك أن تُشرع أمرًا مهمًّا، وتمهيدا ضروريا يسبق مرحلة التشريعات الكنسية، وهو تقرير مبدأ العصمة لها، فرسخت مفهومها السائد بأنها مُقامةٌ من الله.

وعندما تقرر ذلك بدأت في التشريعات المعصومة، وبدأ رجالها يحلون ويحرمون، ويستحبون ويكرهون، فالتشريع لم يقتصر في نظرهم علىٰ تشريعات الله فقط، بل حتىٰ علىٰ أقوالهم، فأصبحوا مشاركين لله في التشريعات الربَّانية، وهذا ما يصرحون به، ولهذا يقول وليام تامبل- أسقف كنيسة كنتربري وحبر أحبار إنجلترا-: "إن من الخطأ الفاحش أن نظن أن الله وحده هو الذي يقدم الديانة، أو القسط الأكبر منها"(٢).

ويمكن أن تجمل أهم الأمور التي أدخلها رجال الكنيسة في الديانة المسيحية فيما يلي:

١- أدخلت الكنيسة كثيرا من الأعياد الوثنية في الديانة المسيحية.

(1) Ignatius magnesians VI and trallians ante Nicene Christian library (Edainburgh T&T clark)

(٢) الجفوة المفتعلة بين العلم والدين، ص١١.

٢- فرضت عقيدة التثليث والصلب والفداء قهرًا، وسفكت دماء من خالف هذه العقيدة، وعذبت من يشك فيها.

٣- حرَّمت الختان، وزواج رجال الدين، وأحلَّت أكل الميتة، وشرعت التماثيل[(١)].

٤- ادَّعت الكنيسة أنها تملك حق الغفران، فأصدرت صكوك الغفران، التي يبيعها رجال الدين بأغلىٰ الأثمان وكان الحرمان شبحا مخيفا يؤرِّق هاجس كل مسيحي، فقد تعرض للحرمان كثرة كاثرة لاتُعدُّ ولا تُحصىٰ، سواء كانوا من الحكَّام أو من المحكومين أو الملوك، كأمثال فريدريك وهنري الرابع الألماني وهنري الثاني الإنجليزي، وكثير من العلماء والباحثين المخالفين لآراء الكنيسة، وقد تعرض البريطانيون لحرمان جماعي، عندما حصل خلاف بين يوحنا ملك الإنجليز وبين البابا، فحرمه البابا وحرم أمته، فتعطلت الصلاة في الكنائس، وتوقفت عقود الزواج، وحملت الجثث إلىٰ القبور بلا صلاة، وعاش الناس في حالة هيجان واضطراب مرير، إلىٰ أن تاب الملك بذلة وصغار أمام البابا.

٥- فرض الرهبانية والانقطاع عن الدنيا، والامتناع عن الزواج لأعضاء السلك الكهنوتي.

٦- حكمت بعصمة الباباوات، فيما يتعلق بتعليم الدِّين في المجمع الفاتيكاني الثاني عام ١٨٧٠م.

٧- تفرد الكنيسة بفهم الكتاب المقدس وتفسيره: وبه ألغت الكنيسة عقول تابعيها، وعطلت تفكيرهم، واحتجزت لنفسها حق الفهم والتفسير للكتاب المقدس

---

(١) انظر: عبرانيين، ٩/ ٢. أعمال الرسل، ٢٢/ ٢٥. رومة ٢/ ٢٩ وقصة الحضارة، ١٤/ ٤٣٤.

دون سائر الناس؛ يقول القديس توما الإكويني: "إن الحقائق الإيمانية لا يقوىٰ العقل علىٰ التدليل عليها"(١).

وهذه الأمور التي أدخلتها الكنيسة بمباركة الباباوات، أصبحت أُسُسًا عقدية، أجبر عليها النصارىٰ، واعتقدت أنها من أصول الدين المسيحي.

د - الشرائع الأخلاقية:

هناك تعاليم أخرىٰ أخلاقية طقسية غير عقدية، بشرت بها الكنيسة بين أتباعها، وحملت الناس علىٰ الإيمان بها كتعليم الكنيسة من أن الوجه الفردي للرب هو وجه ذكر، ولذلك عدوا سيادة الذكر امتدادًا للنظام السماوي، ولذلك كتب القديس أوغسطين في القرن الخامس للميلاد: "ينبغي أن نخلص إلىٰ أن الزوج قصد به أن يحكم زوجته، مثل ما يحكم به الروح علىٰ الجسد"، متأثِّرًا بما ورد في رسالة بولس الأولىٰ لأهل كورنثوس (٧/ ٣٤-٣٧).

وإلىٰ تاريخ متأخر عام ١٩٧٧م ظل البابا بولس السادس يوضح بأن النساء ممنوعات من الدخول في سلك الكهنة، "بسبب أن ربنا هو رجل"(٢)، وكانت النساء في اعتبار الكنيسة هن "الوعاء الأضعف"، حسب تعبير القديس بطرس، وقد كتب القديس كليمنت: "ينبغي علىٰ كل امرأة أن تشعر بالعار من خلال التفكير أنها امرأة".

---

(١) انظر: تعليم الكنيسة الكاثوليكية، ص١٠١ وقصة الحضارة، ول ديورانت ٦/ ٣/ ٦. وأوروبا في مطلع العصور الحديثة، ص٣٧٢. وأضواء علىٰ الإصلاح الإنجيلي، القس فايز فارس ص٣١. والجفوة المفتعلة بين العلم والدين، ص١١.

(2) Riane Eisler the chaice and the blade (san Francisco ;Harper raw (1987) 131-13

ويخاطبها الأب تيرتوليان في القرن الثاني بقوله: "أنتِ باب الشيطان، وأنتِ لست سوىٰ البائعة لتلك الشجرة، وأنت أول من تخلَّىٰ عن الشريعة اللاهوتية، وأنت التي أقنعته، وبسبب ذلك إنك تستحقين الموت".

وفي القرن السادس في مجمع ماكون صوَّت الأساقفة حول ما إذا كان للنساء أرواح[١].

ويعتقد الأب توما الإكويني أن الرب قد اقترف خطأ بخلقه للمرأة، فهي فيها غش وعيب من أصل الخلقة" ولذلك توجب عدم خلق المرأة وقتها" ويصفها بأنها" مسيخ وناقص"[٢].

هـ- اختراع مفهوم الهرطقة:

أرادت الكنيسة أن تفعّل دورها المهم في التزام النصارىٰ بما شرعته وحرمته ولتفعيل هذا الدور المهم اخترعت الكنيسة مصطلحا مهما أدان لها رقاب الناس، بل رقاب الملوك والنبلاء، وهو اسم (الهرطقة) علىٰ كل من خالف أوامر الكنيسة في أي مجال من المجالات، وقد أخذت هذه الكلمة من الكلمة الإغريقية (Hairesis) التي معناها يختار.

وكان أول من استعمل كلمة هرطقة بهذا اللفظ هو أغناطيوس، أسقف أنطاكية في نهاية القرن الأول، ثم أصبحت عادة مسيحية راسخة الجذور، بحيث يتم وصف عدم مشاركة أعضاء الكنيسة الآخرين والتآلف معهم بأنهم هراطقة[٣]. ويعزىٰ اقتباس

---

(١) انظر: الجانب المظلم في التاريخ المسيحي،هيلين إليبريص ١٣٢.

(٢) انظر: الخلاصة اللاهوتية، الأب توما الأكويني ٢/ ٤٩٦

(٣) انظر: موسوعة الأديان الحية ر.س. ريفنز، المسيحية، ج.ج.ديفز، ص١٨٤. والهرطقة في المسيحية، ج. ويللتر ص٢٠. والجانب المظلم في التاريخ المسيحي، هيلين إليبري ص ٤٥.

معنىٰ هذه الكلمة إلىٰ بعض رسائل بولس وبطرس في العهد الجديد، التي وصف فيها المخالفين بلفظ التجديف أو البدعة، حيث يقول بطرس: "وسيتبع كثيرون تهلكاتهم الذين بسببهم يجدف علىٰ طريق الحق"، بطرس الثانية، ٢/ ١، وحينما يصف المخالفين بعدة أوصاف فيقول: "عبادة الأوثان، سحر، عداوة، خصام، غيرة، سخط، تحزُّب، شقاق، بدعة"، غلاطية، ٥/ ٢٠.

وأصبح تعريف الهرطقة عند النصارىٰ هو: رأي ديني مدان كنسيا علىٰ أنه مناقض للإيمان المسيحي، أو هو خطأ إرادي ومتشبث به، متعارض مع مبدأ إيماني موحىٰ به من تعاليم الكنيسة.

وشروط انطباق وصف الهرطقة هي:

١ - أن يكون المرء معمدا.

٢ - أن يصر علىٰ خطئه المخالف للوحي وللنصوص.

ولهذا ينص القانون الكنسي الحالي علىٰ ما يلي: "إذا أنكر أحدهم بعد أن يكون تلقىٰ العماد في الوقت نفسه، الذي يحتفظ فيه بصفة مسيحي، إذا أنكر بإصرار إحدىٰ الحقائق التي يجب اعتبار أنها تتعلق بالإيمان الإلهي والكاثوليكي، أو شك بها يكون هرطوقيا"(١).

وبهذا أصبح ما يقوله باباوات الكنيسة وكهنتها هو الحق والصواب، وما عداه هرطقة، مهما كان خطأ، لأنهم هم نواب المسيح(٢).

---

(١) انظر: الهرطقة في المسيحية، ج. ويللتر ص١٧ وص ٢٣.

(٢) انظر: The Political Economy of the Medieval Church. Ekelund Jr, R. ; Hébert, R. ; & Tollison, R. In The Oxford Handbook of the Economics of Religion, (2011).p.2

و – اختراع محاكم التفتيش:

لم يتبق من سلطان الكنيسة الإلهي –في اعتبارهم – أي شيء يدعو إلىٰ مخالفتها، فهي قد عصمت نفسها من الخطأ، واخترعت عقائد وشرائع كما يحلو لها، وأصبحت مشرعة مع الله، وحكمت بهرطقة مخالفيها.

ولكن أفكار زعماء الكنيسة لم تقف عند هذا الحد، بل توصلت إلىٰ أمر مهم، يجعلها علىٰ قدم المساواة مع الله، وذلك أن الله يعاقب العصاة بعصيانهم في الآخرة، فارتأت أن تعاقب الناس في الدنيا، فتاقت أنفس جلاوزة الكنيسة إلىٰ معاقبة مخالفيها، عقابا يكون قريب من عقاب الله، فتوصل الفكر الوقاد لرجال الكنيسة إلىٰ اختراع ما يسمونه بـ(محاكم التفتيش)، وأدرج فيها كل ما لم يخطر ببال من أنواع العقوبات وأشدها وأنكاها، بكل من وقعت عليه تهمة الهرطقة، أو اشتم منه رائحتها.

فقد أقامت الكنيسة محاكم التفتيش في فرنسا عام ١١٢٣م، وفي أسبانيا ١٤٧٨م، ثم انتشرت في غيرهما.

وقاموا بمطاردة مخالفي آرائها وتعذيبهم إلىٰ حد إحراقهم وهم أحياء، فأصبحت محاكمها تقوم علىٰ تعذيب المجتمع والتنكيل به.

يتحدث المؤرخ الإمريكي ول ديورانت عن محاكم التفتيش فيصفها "بأنها أشنع الوصمات في سجل البشرية كلها، وبأنها تكشف عن وحشية لا تعرف لها نظيرا عن أي وحش من الوحوش"[(١)].

ولم تكتف الكنيسة في محاكمها علىٰ الناس، فلم تعد دماء البشر تشفي غليلها، بل انعكست هذه النظرة الغريبة حتىٰ علىٰ الحيوانات، وغالبا ما كان يروج الاعتقاد

---

(١) قصة الحضارة ١٦/ ١٠٦

بأن الحيوانات وكلاء للشيطان، وأدخل كثير من الحيوانات محاكم التفتيش، وقد كتب لويس ريجنستين في كتابه (إعادة تزويد الأرض)، المنشور في عام ١٩٩١م أنه: "في القرون العشرة التي تقدمت علىٰ القرن الحالي هناك روايات عن محاكمة لمئات من الحيوانات وتعذيبها وإعدامها، وجاء ذلك في الغالب علىٰ يد محاكم كنسية، كانت تعمل تحت ظل افتراض أن الحيوانات يمكن استخدامها من قبل الشيطان للقيام بهذا العمل" وقد أمرت محاكم التفتيش بإحراق الذئاب والهررة البيتية والأفاعي والثعالب والفراخ والديكة[١].

ثانيًا: التسلُّط السياسي:

لقد أسست الكنيسة –أول ما أُسست – في نظر رجالها، علىٰ أساس استعادة ملكوت الله في الأرض وشرائعه ووصاياه، فكانت ترىٰ أنها الكيان الوحيد المعتمد والشرعي بشكل كامل لخلاص الجنس البشري، والكيان الوحيد المخوّل بالدعوة لحقيقة المسيح، وبالتالي فهي المخولة بسياسة الدنيا كما هي مفوضة برئاسة الدين.

مع العلم بأنه لم يكن يطمح رؤساء الكنيسة الأوائل في انتزاع السلطة الزمنية من أيدي الأباطرة في أول الأمر، ويدل علىٰ ذلك ما قاله البابا أثناسيوس الكبير للإمبراطور أغسطس قسطنطين: "إني لم أقاوم أوامر تقواكم، أعوذ بالله، إني لا أعارض أحكام والٍ من الولاة، فكيف أجرؤ علىٰ مقاومة أمير عظيم".

فقد علّم هذا البابا بوجوب طاعة الملوك والأمراء، ويدل علىٰ ذلك أيضا عندما احتج دوناتوس علىٰ تدخل الإمبراطور في شؤون الكنيسة، حيث أجابه الأسقف

---

(١) انظر: رسالة الكاثوليكية وإدارة الحرب ج،ف،فوللر، ص١٣. وأصول التاريخ الأوروبي الحديث، هربرت فيشر، ص١٥-٢٦ والجانب المظلم في التاريخ المسيحي،هيلين إليبري ص ١٥٨.

أوبتاتوس بقوله: "إن الكنيسة جزء من الدولة وليست الدولة جزءا من الكنيسة"[(١)] لكن تحول الأمر بعد ذلك فأصبح الأباطرة والولاة ترتعد فرائصهم من تجلجل اسم البابا أو وعيده لأحدهم.

وفيما يلي نلقي الضوء علىٰ أبرز تطورات السلطة السياسية للكنيسة في العصور الوسطىٰ:

أ- دخول كثير من الطقوس والخرافات المعززة لسلطة الكنيسة:

اشتغلت الكنيسة بخلافات عقائدية شائكة واهتمامات مُضطربة، أبعدتها عن جوهر الديانة المسيحية فامتلأت بطقوس وخرافات اصطنعها الكهنة والأساقفة، ليسيطروا من خلالها علىٰ الحكام والمحكومين، وفشت الشرور والموبقات، حتىٰ علىٰ أعلىٰ مستوياتها.

ب- **رأىٰ زعماء الكنيسة أنهم أوصياء علىٰ الملوك والأمراء والأغنياء والفقراء والعامة والخاصة**، وأرغمتهم علىٰ الخضوع والذلة لها، فمعيار صلاحهم منوط بما يقدمونه لها من مراسم الطاعة والخدمة، وكان أباطرة أوروبا يضيقون ذرعًا بتسلُّط الكنيسة في جميع شؤونهم، حتىٰ كانوا هم الذين يقودون تتويج الملوك والأباطرة، كما أن من صلاحياتهم خلعهم وعزلهم، ومن خالف منهم فيحق للكنيسة أن تخلعه بالقوة، وتحْرم أتْباعه من المغفرة، إلىٰ غير ذلك مما جعل الوضع في أوروبا يعاني من تمزُّق رهيب بين الكنيسة والأباطرة.

يقول البابا نقولا الرابع: "إن ابن الله أنشأ الكنيسة بأن جعل الرسول بطرس أول

---

(١) انظر: The Political Economy of the Medieval Church. Ekelund Jr, R. ; Hébert, R. ; & Tollison, R. In The Oxford Handbook of the Economics of Religion, (2011). P. 2.

رئيس لها، وأن أساقفة روما ورثوا بطرس في تسلسل مستمر متصل.. ولذلك فإن البابا ممثل الله علىٰ ظهر الأرض، يجب أن تكون له السيادة العليا والسلطان الأعظم، علىٰ جميع المسيحيين حكامًا كانوا أم محكومين"[1].

ويذكر البابا الطاغية جريجوري السابع١٠٨٥م أن الكنيسة بوصفها نظاما إلهيا، وأن البابا بوصفه خليفة الله في أرضه، يحق له خلع الملوك غير الصالحين، وأن يؤيد أو يرفض اختيار البشر للحكام أو تنصيبهم، حسب مقتضيات الأحوال[2].

ج- تذبذب السلطة المطلقة بين باباوات الكنيسة والأباطرة:

مرت فترات متذبذبة كانت السلطة فيها محل تجاذب بين الأباطرة وباباوات الكنيسة، فتارة يُضطهد الباباوات ويُنكّل بهم من قبل الأباطرة، كما فعل بالبابا مارتن الأول (٦٤٩-٦٥٥)، من قبل الإمبراطور قنسطانز الثاني (٦٤١-٦٦٨)، عندما نفاه إلىٰ القرم، أو كسيطرة الإمبراطور هنري الثالث وشارلمان علىٰ الكنيسة البابوية فترة من الزمن[3]، بينما كان للباباوات نصيب الأسد في تلك السلطة علىٰ مر تاريخ العصور الوسطىٰ.

فقد كانت هناك حرب ضروس خفية بين الأباطرة والملوك وأتباعهم، وبين الباباوات وأتباعهم، انتصر في غالبيتها الباباوات.

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ١٤/ ٣٥٢، أضواء علىٰ الإصلاح الإنجيلي، القس فايز فارس، ص٩.

(٢) انظر: قصة الحضارة، ١٤/ ٣٥٢. وتاريخ أوروبا في العصور الوسطىٰ، فشر، ٢/ ١٤٧.

(3) Diehl& ullmunn: the growth of papal foverhment,p.188 and marcais: op.cit.p.23

د- نهاية الحرب الخفية وانتصار البابوية علىٰ الإمبراطورية:

استمرت الحرب الخفية بين البابوية وبين الأباطرة إلىٰ أن جاء القرن الحادي عشر، حيث انتصرت البابوية، وأصبحت الكنيسة في قمة السلطة الدينية والدنيوية معا، واستطاع باباوات الكنيسة انتزاع حق تَعيين الأساقفة من الملوك والأباطرة، بل استطاع بابا روما أن يفرض سلطانه علىٰ الإمبراطور نفسه.

وبهذا أرادت الكنيسة أن تطأ علىٰ رقاب الحكام قبل المحكومين، حتىٰ لا يبقىٰ منازع للبابا في سلطاته الدينية والدنيوية، وأصبحت سلطة البابا فوق سلطة الملوك الدنيوية.

لقد كان كل ملوك أوروبا يحترمون البابا احترام المُكرَهِ، ويلتمسون الحظوة لديه التماس الخاضع، وقد حصل بعض ملوك أوربا علىٰ بعض الألقاب التي أطلقها الباباوات عليهم؛ فقد أطلق علىٰ ملك فرنسا صاحب الجلالة المسيحي جدا، وملك إسبانيا علىٰ لقب صاحب الجلالة الكاثوليكي جدا، وملك البرتغال علىٰ لقب صاحب الجلالة المخلص للغاية.

أما من كانوا يحتقرون سلطان رئيس الكنيسة فكانوا يتعرضون لعقوبات ترهب رعاياهم، فروبير التقي ملك فرنسا تعرض للحرم لأنه تزوج عرابته، وإمبراطور المانيا هنري الرابع الذي رفض أن يتولىٰ غريغوريوس السابع تنصيب أساقفة ممتلكاته غضب منه البابا وأرغمه علىٰ الذهاب إلىٰ كانوسا، ليركع في الثلج أمام البابا ويطلب الصفح.

فقد استطاع البابا أنوسنت الثالث أن يؤدي دوره بمهارة في السياسة العالمية، وأن يفرض كلمته علىٰ أعظم حكام الغرب -بل الشرق أيضًا- المسيحيين، وأسهم

في توجيه سياسة الإمبراطورية الرومانية المقدسة[١].

ثالثًا: التسلط المادي:

تفننت الكنيسة في نزع أموال الناس بالباطل كل تفنُّن؛ فلم تفرق بين حاكم ومحكوم، ورئيس ومرؤوس، كلهم أمام جشع رجال الكنيسة سواء، فقد كان مدىٰ ضخامة خزائن الكنيسة مضرب الأمثلة، إذ إن كثيرا من اقتصاد البلاد والعباد يرجع إلىٰ خزائنها، ويجثوا في مخابيها.

لقد كان رجال الدين الذين زعموا عمدا وعدوانا أنهم خلفاء المسيح في غاية الشَّره والجشع الذي أعمىٰ أبصارهم، أمام رنين الدنانير، وطنين الدراهم، وكأنهم لم ينظروا أو نظروا ولم يتبصروا، في الأقوال المنسوبة إلىٰ المسيح في الأناجيل، التي حثت علىٰ الزهد والبعد عن الغنىٰ والجشع، فقد كان المسيح يقول فيما نسب إليه: "مرور جمل من ثقب إبره أيسر من أن يدخل غني إلىٰ ملكوت الله" (متىٰ، ١٩/ ٢٤).

ويقول لتلاميذه: "ولا تقتنوا ذهبا ولا فضة ولا نحاسا في مناطقكم، ولا مزودا للطريق ولا ثوبين ولا أحذية ولا عصا" (متىٰ، ١٠/ ٩).

فلو كان أولئك المتسلطنون بسلطان الكنيسة مقتفين حقًّا لتعاليم المسيح، لاقتفوا تعاليمه في الزهد والتقشف - بغض النظر عن صحة نسبتها إليه -، ولكنهم اتخذوا هذه الأقوال وراءهم ظِهريًّا، فلم يعملوا بها، بل لم يلتفتوا إليها إلا عند وعظهم لعموم الشعب باتباعها.

---

(١) انظر: The Political Economy of the Medieval Church. Ekelund Jr, R. ; Hébert, R. ; & Tollison, R. In The Oxford Handbook of the Economics of Religion, (2011).p.2 ونشأة التحررية الأوروبية، هارولد لاسكي، ص١٤. وتاريخ أوروبا الحديث، جفري برون، ص٢٦و ١٢٦.

يقول الفيلسوف الفرنسي كرسون ١٣٩٩م: "كانت الفضائل المسيحية كالفقر والتواضع والقناعة والصوم والرحمة، كل ذلك خيرا للمؤمنين والقسيسين والقديسين والخطب والمواعظ، أما أساقفة البلاد والشخصيات الكهنوتية الكبيرة فقد كان شيء آخر، البذخ والأحاديث المتأنقة مع النساء، والشهوة في مجالس الخاصة، والعجلات والخدم والأرباح الجسيمة والموارد والمناصب"(١).

استطاعت الكنيسة أن تضع خططا محكمة وحِيَلًا مبرمة في كيفية الحصول علىٰ أموال التابعين لها، ومن أبرز تلك المسالك ما يلي:

أ- الضرائب:

كان من ضمن مدخولات الكنيسة الثابتة ما يسمىٰ بالضرائب، فقد تفننت الكنيسة في إيجاب استحقاقاتها من الضرائب علىٰ رعاياها، بل حتىٰ علىٰ كهنتها الجُدد المنخرطين في السلك الكهنوتي لأول سنة.

يقول المؤرخ جون لومير عن باباوات الكنيسة: "إنهم في كل يوم يخترعون طرقا جديدة لتنمية دخول الكنيسة، فقد كان هناك محصلون خصوصيون من قبل البابا، سافروا إلىٰ الأرياف، كانوا يطلبون عشر دخل الكاهن، ويحصلون علىٰ كل حصيلة الكاهن من السنة الأولىٰ من خدمته، وبالطبع كانت المراكز والوظائف الكنسية لمن يدفع المبلغ الأكبر، والضرائب كانت تفرض سنويًّا علىٰ رؤساء الدول، وإذا سافر البابا أو احتفل بأحد الأعياد حينئذ تفرض لذلك ضريبة إضافية، يقدرون أن الكنيسة في فرنسا وألمانيا استولتا علىٰ ما يتراوح بين ثلث إلىٰ نصف كل أملاك الدولة، وفي إنجلترا أتلفت الكنيسة وصرفت حوالىٰ ٢٥٪ من الدخل القومي"(٢).

---

(١) المشكله الأخلاقية والفلاسفة، أندريه كريسون ص١٦٧.

(٢) تاريخ الكنيسة، جون لومير ٤/ ٣٧ -٣٨.

وقد فرضت الكنيسة ضرائب علىٰ جميع أديرة الرجال وعلىٰ النساء، وعلىٰ الكنائس الداخلة في دائرة الحماية البابوية مباشرة، وكذلك كانت مبالغ كبيرة تنتظر ممن يهينون رؤساء الأساقفة، وكان يطلب إلىٰ كل بيت من بيوت المسيحية أن يرسل إلىٰ الكرسي البابوي جزءا من دخله، ويمكن إيجاز أهم مدخولات الضرائب فيما يلي:

- ضريبة عشر دخل الكاهن الجديد، وضريبة دخل السنة الأولىٰ كله من دخل الكاهن الجديد.
- ضرائب متفاوتة علىٰ رؤساء الدول.
- ضريبة تؤخذ من أموال الدول.
- ضرائب أديرة الرجال والنساء.
- ضرائب علىٰ الكنائس الداخلة في حماية البابوية.
- ضريبة علىٰ كل بيت مسيحي أن يرسل جزءا من دخله إلىٰ الكنيسة.

ب- العمل المجاني:

من ضمن مداخيل الكنيسة هو تسخير رعاياها في خدمتها، وهو ما يسمىٰ بالعمل المجاني لصالح الكنيسة، فقد أرغمت الكنيسة أتباعها علىٰ العمل المجاني، لاسيما في بناء الكنائس والأديرة وغيرها من المشروعات الكنيسية، فيما لا يقل عن يوم في الأسبوع.

ج - الأوقاف:

من مداخيل الكنيسة أيضا ما يسمىٰ بالأوقاف، فقد كانت الكنيسة تملك ثلث أراضي بريطانيا، وتأخذ الضرائب الباهظة بدعوىٰ صرفها علىٰ الكنائس، وتجهيز الحروب الصليبية(١).

---

(١) انظر: تاريخ أوروبا، فيشر، ٢/ ٣٦٢-٣٦٤.

د – الأملاك الإقطاعية:

من مداخيل الكنيسة أيضا ما يسمىٰ بالأملاك الإقطاعية، فبعد أن شرعنت الكنيسة نظام الإقطاع الجائر، بل كانت هي الركيزة الأساسية المنفردة بالامتيازات الكثير، المجحفة بحق الشعب حتىٰ أصبحت الكنيسة تتمتع بحجم كبير من ريع الإقطاع، فقد كان ممتلكات الكنيسة في إيطاليا من الأراضي ضمنت لها موردا ماليا ضخما، بل حققت لها نوعا من النفوذ المعنوي والمادي في البلاد، وذلك أن أساقفة إيطاليا استغلوا فرصة الفوضىٰ السياسية والاجتماعية، التي سادت إيطاليا ذلك العصر، وأخذوا يتملكون الأراضي ويجمعون الضرائب، وساعدهم علىٰ ذلك صغار ملاك الأرض، عندما بحثوا عن سلطة قوية يدخلون تحت حمايتها، فأصبح أولئك الملاك شبه مستأجرين، مقابل حصولهم علىٰ نوع من الحماية والأمان.

وقد كان مالك الضياع في بعض الأحيان أسقفا أو رئيس دير، وكان كثير من الرهبان يعملون بأيديهم، وكثير من الأديرة والكنائس تنال حظها من أموال العشور، التي تجبىٰ من الأبرشية.

وقد أصبحت الكنيسة أكبر ملاك الأراضي، وأكبر السادة الإقطاعيين في أوروبا، فقد كان دير فلدا مثلا يمتلك١٥.٠٠٠ قصر صغير من قصور الريف، وكان دير سانتجول يمتلك ألفين من رقيق الأرض، وكان الكوينفيتور سيدا لعشرين ألفا من أرقاء الأرض، وكان الملك هو الذي يُعيِّن رؤساء الأساقفة ورؤساء الأدِيرَة، وكانوا يقسمون يمين الولاء له كغيرهم من الملاك الإقطاعيين، ويلقبون بالدوق والكونت وغيرها من الألقاب الإقطاعية، ويسكون العملة، ويرأسون محاكم الأسقفيات والأديرة، ويضطلعون بالواجبات الإقطاعية الخاصة بالخدمة العسكرية والإشراف الزراعي، وكان الأساقفة ورؤساء الأديرة المرتدون الزرد والدروع والمسلحون بالحراب من المناظر المألوفة.

يقول رائد المذهب الإلحادي الاشتراكي العلمي إنجلس: " الكنيسة الكاثوليكية الرومانية كانت مركز الإقطاعية العالمي الكبير، فرغم جميع الحروب الداخلية كانت تضم أوروبا الغربية الإقطاعية كلها في شكل سياسي كبير... وقد توَّجت العالم الإقطاعي بهالة من النعمة الإلهية، ووضعت تسلسل المراتب الكهنوتية وفقا للنموذج الإقطاعي، وكانت أخيرا أكبر سيد إقطاعي، لأنها كانت تمتلك ما لا يقل عن ثلث الأراضي في البلدان الكاثوليكية"(١).

رابعًا: التسلط الفكري:

ما إن سقطت الإمبراطورية الرومانية بين فكي باباوات الكنيسة، حتىٰ قامت هذه الكنيسة بإزالة جميع أنواع التعليم، والتقنيات والعلوم والطب والتاريخ والفن والتجارة.

ولم ينشأ التسلط الفكري من قبل الكنيسة علىٰ أفكار أتباعها في عصر متأخر - كما يظن البعض-، بل نشأ منذ بواكير نشأت الكنيسة، فكان الباباوات الأوائل يلزمون الناس أن يفكروا بنفس طريقة تفكيرهم يقول البابا كيرلس الأول ٤٤٤م: "يجب أن نقنع الناس أن يفكروا بنفس الطريقة، فهم مثل العجول المسمّنة التي تنحرف عن القطيع، قد امتلأوا من السفاهة وصاروا يندفعون بطياشة إلىٰ كل ما يهوون"(٢)، من هنا انطلقت الكنيسة تحاول أن تتحكم في كل أفكار أتباعها، فحاربت كل الأفكار محاربة شعواء، ويمكن إيجاز ذلك فيما يلي:

---

(1) The Political Economy of the Medieval Church. Ekelund Jr, R. ; Hébert, R. ; & Tollison, R. In The Oxford Handbook of the Economics of Religion, (2011). P. 2, Cam.med.hist,vol.2.p.299 والاشتراكية العلمية والاشتراكية الطوباوية، إنجلس، ص١٩

(٢) حوار حول الثالوث، البابا كيرلس الأول ص١١.

أ - رأي الكنيسة في العلم:

ترىٰ الكنيسة المسيحية في العصور الوسطىٰ أن العلم لا يمكن أن يتعارض مع الإيمان، وأنه "من غير الممكن أن يكون بينهما خلاف، ذلك أن هذا وذاك مصدرهما جميعا هو الله"[(١)].

ومن خلال هذا المفهوم الذي يظهر بمظهر الاعتدال رأت أن كل علم يأتي من خارج أفواه أرباب الكنيسة يعتبر علما هرطوقيا خارجا علىٰ المسيحية وكنيستها.

فسيطرت الكنيسة علىٰ التعليم في كل ما دق وجل، وفسرت كل الأمور حسب أهواء آبائها وكهنتها، وأصبحت الحقيقة هي التي يظهرها ظاهر نصوص الأناجيل، واعتقدوا أن معناها الحرفي كفيل بمعرفة الحق.

يقول المؤرخ الأمريكي أندرو ديكسون وايت: "نظرت الكنيسة خلال العصور الأولىٰ إلىٰ علم الفلك نظرة القانع بأنه من الأشياء البائرة، اعتمادا علىٰ حكمة ظاهرة بشرت بها التوراة، ومؤدَّاها أن الأرض لابد أن تزول سريعا، وأنه سوف تكون سماوات وأرض جديدة، فماذا إذن في درس السماوات القديمة والأرض القديمة، ما دامتا سوف تُبدَّلان سريعا بشيء جديد"[(٢)]، وهكذا رأت أن العلم مضاد للإيمان المسيحي.

ب- إلغاء العلوم:

بطبيعة الحال بعد أن رأت الكنيسة أن العلم مضاد للإيمان، سعت إلىٰ إلغاء كل العلوم المعروفة للعالم الروماني، وغير المعروفة أيضا فقد ألغت نظام التطبيب

---

(١) مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ص١٧.

(٢) بين الدين والعلم، أندرو ديكسون وايت، ص٢٧.

الروماني واليوناني واعتبرته هرطقة، وأقامت بدل ذلك عمليات الفصد، الذي كان يموت منه عشرات الآلاف كل عام[١].

ومن ثم أحرقت كميات هائلة من الكتب ففي عام ٣٩١م أمرت بإحراق واحدة من أعظم مكتبات العالم في الإسكندرية، التي احتوت علىٰ سبعمائة ألف مدرج مخطوط حسب ما قيل عنها، وأغلقت أكاديميات التعليم القديمة، وبقيت الثقافة والتعليم حِكرًا علىٰ رجال اللاهوت، وعارضت الكنيسة دراسة النحو واللاتينية وغيرها من العلوم.

ج - بسط نفوذها علىٰ الجامعات الأوروبية:

بسطت الكنيسة نفوذها علىٰ الجامعات الأوروبية بعد أن ألغت جميع العلوم وحولتها إلىٰ معاقل للاستعباد وأوكارًا للرَّجعية، وقد تمسكت الكنيسة بمبدأ موافقة الأسقف علىٰ الطلبة الذين يتقدمون للحصول علىٰ درجة الدكتوراه في القانون من بولونيا بإيطاليا، وفي باريس ينبغي أن يكون رئيس الجامعة هو رئيس الأساقفة، فأصبح أساتذة الجامعات لا يعنون بمعرفة الحقيقة أو تعليمها، بقدر ما يهمهم نشر آراء الكنيسة واعتناق مبادئها [٢].

د - القضاء علىٰ العلماء:

شنت الكنيسة باسم الدين حربا ضَروسًا ضد كل ما يتعلق بالعلم النظري والتجريبي بصلة وأعلنت العداء الشديد لكل من سلك هذا الميدان، ولهذا فقد واجه أغلب من سلكه اللعن والطرد والموت، والغريب في الأمر أنه مع هذا الموقف المتشدد من قبل الكنيسة كان تعليلها أمام كثير من الأسئلة الطبيعة تعليلا سخيفا

(١) انظر: الجانب المظلم في التاريخ المسيحي، هيلين إليبريص ٥٧.

(٢) انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت ٦/ ٦/ ١١٥.

مفتقرا لكل الدواعم المتقبلة التي يمكن تصديقها أو حتىٰ معقوليتها، فقد كانت الأجوبة غير المعقولة أو الحيرة هي الجواب في تفسير الحياة والكون والإنسان.

ومن أبرز أولئك العلماء التي وأدتهم الكنيسة ما يلي:

١ -كوبرنيكوس:

في عام ١٥٤٣م صدر كتاب حركات الأجرام السماوية لمؤلفه كوبرنيكوس، وقد قرر فيه أن دوران الأرض والكواكب حول الشمس، وأن الشمس هي مركز الكون.

وهذا الرأي يخالف رأي الكنيسة الذي يعتنق رأي بطليموس، القائل بأن الأرض مركز الكون وبقية الأجرام تدور حولها، وهو رأي الكتاب المقدس أيضا مزمور ٩٣/ ١.

وكان رجال الدين آنذاك يصرحون بأن آراء كوبرنيكوس سوف "تفقد الكتاب المقدس قيمته، وأن المسيحية نفسها سوف تتأثر إذا انتشرت آراء كوبرنيكوس! ماذا يمكن أن يصيب العقيدة المسيحية إذا كان الله قد اختار كوكب الأرض مقرًّا دنيويًّا له؟ هذه الأرض يريدون اليوم أن يجردوها من مكانتها السامية ومنزلتها الرفيعة، وتوضع طليقة بين كواكب أكبر منها بكثير وبين نجوم لا حصر لها؟

ومن هنا حرمت الكنيسة قراءة كتاب كوبرنيكوس، ولاحقته لإعدامه، إلا أنه مات قبل أن تظفر به.

وفي عام ١٥٩٤م قام (جردانو برونو) بإحياء نظرية كوبرنيكوس، فقبضت عليه محكمة التفتيش، وسجنته ست سنوات، فلما أصر علىٰ رأيه أحرقته، وذرت رماده في الهواء[1]. والعجيب أن العلم قد أقر هذه النظرية بعد ذلك.

---

(١) انظر: نشأة التحرُّرية الأوروبية، هارولد لاسكي، ص٥. وانظر لمعرفة هذه النظرية: كتب غيرت وجه العالم، دوائر الفصل الخاص بكتاب كوبرنيكس. والطبيعة والإغريق، إيروين =

٢ - جاليلو:

في عام ١٦٤٣م توصل جاليلو إلىٰ صناعة المرقب (التلسكوب)، فأيد علميًّا ما قدمه من قبله، فقبضت عليه الكنيسة، فسجنته وأرغمته علىٰ الرجوع عن رأيه، فلما خاف من الإحراق والقتل ارتد عن فكرته، وركع أمام رئيس المحكمة قائلًا: "أنا جاليلو وقد بلغت السبعين من عمري، سجين راكع أمام فخامتك، والكتاب المقدس أمامي، ألمسه بيدي، أرفض وألعن وأحتقر قولي الإلحادي الخاطئ"(١).

وذلك لأن الأرض -في نظر الكنيسة - يجب أن تكون مركز الكون الثابت، لأن الأقنوم الثاني -المسيح - تجسد فيها، وعليها تمت عملية الخلاص والفداء، وفوقها يتناول العشاء الرباني، كما أن التوراة تقول: "الأرض قائمة إلىٰ الأبد، والشمس تشرق، والشمس تغرب، وتسرع إلىٰ موضعها حيث تشرق ".

ويلخص برتران رسل تلك النظريات العلمية التي صرح بها نيوتن وكرنيق وجاليلو، بأنها تشتمل علىٰ ثلاث نتائج وهي:

١- إن تقرير الحقائق يجب أن يبنىٰ علىٰ الملاحظة، لا علىٰ الروايات غير المؤيدة -أي النصوص-.

٢- إن العالم غير الحيواني نظام متفاعل في نفسه مستبق لنفسه، وتنطبق كل التغيرات فيه مع قوانين الطبيعة.

٣- إن الأرض ليست مركزًا للكون، وإن الإنسان ربما يكون الهدف من

= شرودنجر، ترجمة: عزت قرني، ص٦٧. ونشأة الفلسفة العلمية، هانز ريشنباخ، ص٩٣. وعصر العقل، سوارت هامبشر، ص١٢. ونشأة التحرُّرية الأوروبية، هارولد لاسكي، ص٥. وتكوين العقل الحديث، جون راندل ٣/ ٣٤٨ وقصة الحضارة، ول ديورانت ٦/ ٦/ ١٣١

(١) انظر: تكوين العقل الحديث، جون راندل ٣/ ٣٤٨. عصر العقل، سوارت هامبشر، ص١٢.

وجودها، إذا كان لوجودها أي هدف، وفوق ذلك إن فكرة الهدف فكرة لا فائدة منها من الناحية العلمية[1].

ولأجل هذه الآراء الهرطوقية من وجهة نظر الكنيسة شنت الكنيسة علىٰ هؤلاء وغيرهم من المكتشفين والمخترعين حربًا شعواء لا هوادة فيها، علىٰ كل أمر غريب يُخالف ما عهده آباء الكنيسة، في شتىٰ مناحي الحياة، حتىٰ وإن كانت نافعة خيرة، فقد كفرت رئيس بلدية في ألمانيا، لأنه اخترع غاز الاستصباح بحجة أن الله خلق الليل ليلا والنهار نهارا، وهو بمُخترَعه يريد تغيير مشيئة الخالق فيجعل الليل نهارا.

فتبين من هذا أن القرون الوسطىٰ هي الندبة السوداء في تاريخ المسيحية، وذلك حينما استتب لها الأمن الديني والأمان الإمبراطوري فمالت علىٰ أتباعها وعصفت بكل قيم الرحمة التي كان يدعو إليها الإنجيل، وقد بدت إشارات تقنين

---

(١) انظر: أثر العلم في المجتمع، برتراند رسل ص٦.

تعقيب: كانت النتيجة الحتمية المباشرة للسلطة الكنسية المطلقة، هو التحرر الرهيب الذي صار إليه النصارىٰ، عندما انفكوا من ربقة الكنيسة ورجالها، فقد عودي كل ما يمت للدين بصلة، وسارع في تقبل النظريات والآراء الإلحادية، التي ظهرت بعد أن خارت قوىٰ الكنيسة وسقطت هيبتها من قلوب النصارىٰ، فتمسك كثير من المفكرين بتلك النظريات، كالدين الطبيعي أو المذهب العقلي، أو المنهج التجريبي القادر علىٰ إثبات معطياته بصورة علمية دقيقة محسوسة، ويرون أنه قدم للماديين والملحدين أقوىٰ الدلائل المعاضدة في كفاحهم ضد الدين، ولا يزال يستشعر بعض باباوات النصارىٰ عظم الخطأ الفادح، الذي وقع فيه رجال الدين حتىٰ اليوم، كالبابا جون بول الثاني، حسب ما ذكرته صحيفة شيكاغو في حزيران ١٩٩٥م، حيث حثّ الكنيسة الكاثوليكية علىٰ الاعتراف "بالجانب المظلم في تاريخ الكنيسة "، وكان قد تساءل في عام ١٩٩٤م، في رسالة سرية بعث بها إلىٰ الكرادلة، ثم تسربت إلىٰ الصحافة الإيطالية، قائلا: " كيف يمكن للإنسان أن يبقىٰ صامتا تجاه الأشكال الكثيرة من العنف، التي اقترفت باسم الإيمان، والحروب الدينية ومحاكم التفتيش، وأشكال العنف الأخرىٰ التي مورست ضد حقوق الأفراد".

هذه السلطة المطلقة منذ القرن الأول، وذلك في بعض كلام القديس أغناطيوس خليفة بطرس علىٰ روما وتبعه علىٰ ذلك خلفاؤه في الأسقفية علىٰ روما مثل إقليمس وإيريناوس، فتعدد مناحي سلطات الكنيسة علىٰ رقاب أتباعها ومن تلك السلطات، السلطة الروحية الدينية، حيث رأوا أنهم هم الممثلون أو نواب الله علىٰ الأرض في تقنين الأمور الدينية، ومن ثم ربطوا مخافة الله بمخافة البابا، ثم رأوا أن الكنيسة مشرعة ومعصومة، متمثلة في باباوات الكنيسة ورجالها، فأدخلت كثيرا من العقائد والشرائع في الدين المسيحي منها أنها قررت الرهبانية وحكمت بعصمة الباباوات وتفردت بتفسير الكتاب المقدس وتملكت حق الغفران للبشر وغير ذلك واخترعت مفهوم الهرطقة لتجز به رقاب المخالفين والموافقين أيضا إلىٰ جانب بناء محاكم التفتيش التي لا يخرج منها من دخل فيها إلا محرقا أو ممزقا في الأغلب الأعم.

ومن تلك السلطات أيضا السلطة السياسية، فقد كان التسلط السياسي أمسك بمخالبه علىٰ كل مفاصل الإمبراطورية، وذلك بعد أن رأىٰ زعماء الكنيسة أنهم هم الأوصياء علىٰ الملوك والأمراء والخاصة والعامة، وأدخلوا كثيرا من المخاريق والخرافات في العادات والشعائر المسيحية ليدين لهم عموم الناس بالولاء المطلق، وقد أدىٰ ذلك إلىٰ تذبذب السلطة بين الأباطرة والباباوات علىٰ الإمساك بزمام السلطة المدنية والسياسية إلىٰ أن انتهت تلك الحروب بانتصار الكنيسة ورجالها علىٰ الأباطرة والملوك.

ومن تلك السلطات أيضا السلطة المادية فقد تفنَّنت الكنيسة في نزع أموال الناس بالباطل، فكانت خزينة الكنيسة في كثير من الأحيان تفوق خزينة الأباطرة والإمبراطورية، ومن المسالك التي سلكتها الكنيسة في تحقيق ذلك فرض الضرائب والعمل المجاني للكنيسة والأملاك الإقطاعية واتخاذ الأوقاف من الأراضي وغيرها، والتي كانت تقدر بثلث أراضي بريطانيا وقِسْ علىٰ ذلك بقية الدول.

ومن السلطات أيضا السلطة الفكرية، فقد وقفت الكنيسة في مضادة العلم فعمدت إلىٰ إلغاء العلوم ومن ثم بسطت نفوذها علىٰ الجامعات الأوربية، فلا حق إلا ما صدر من أفواه رجال الكنيسة ولا باطل إلا ماصدر عنهم أيضا، وقضت علىٰ العلماء مثل كوبرنيكوس الذي رأىٰ أن الشمس هي مركز الكون وأن الأرض تدور حول الشمس وكذلك جاليلو مثلا الذي توصل إلىٰ صناعة التلسكوب وغيرهم.

المبحث الثاني

عصر الإصلاح الديني

المطلب الأول: الدعوات الإصلاحية البروتستانتية

كلمة (الإصلاح) في القاموس الكنسي مرتبطة ارتباطا وثيقا بالحركة الإصلاحية التي قامت في الكنيسة اللاتينية في نهاية القرن الخامس عشر، وطيلة القرن السادس عشر، وسمّيت بحركة (الإصلاح البروتستانتي)(١).

وأما كلمة (البروتستانت) فتطلق علىٰ مجموعة الكنائس الثائرة علىٰ الكنيسة الغربية الكاثوليكية، ثم انشقت عنها نتيجة لحركة الإصلاح التي تزعمها لوثر.

ويطلق المؤرخون علىٰ القرن الخامس عشر والسادس عشر أيضا اسم (عصر النهضة) وبالإنجليزية (Renaisbance)، ومعناها الحرفي (الميلاد الجديد)، ففي ذلك العصر غزا العقل البشري مختلف الميادين، وكانت أوروبا هي منبع تلك الحركات.

وحقيقة منبع تلك الحركات هي الضغوط الرهيبة التي مارستها الكنيسة بحق أتباعها، فظهرت كثير من الآراء والأفكار الناقدة للكنيسة حتىٰ بين رجال الدين من بين أتباع الكنيسة أنفسهم، فأمست تلك العقول التي كانت ترىٰ في الكنيسة إلها معصوما وربًّا مُمجَّدًا، أصبحت تنازعه الشكوك في رجالها وكهنتها، بل وفي عقائدها وشرائعها أحيانا، وأضحت أعمال رجال الدين موضع نظر، بل ونقد واعتراض ومجابهة.

---

(١) انظر: Causes and consequences of the Protestant Reformation. Becker, S.; Pfaff, S.; & Rubin, J. Explorations in Economic History, (2016). Vol. 62, P2

كل ذلك أدىٰ إلىٰ زعزعة الثقة في كهنة الكنيسة ورجالها، ثم تطور إلىٰ عدم الثقة في تعاليمها وطقوسها، كمسألة الاستحالة، ومسألة صكوك الغفران، في الوقت الذي فقدت فيه البابوية الكثير من هيمنتها ومصداقيتها وقوتها.

كل هذا مهّد لقيام حركة تجديد كُتب لها النجاح، وهي التي تعرف بحركة الإصلاح البروتستانتية، التي ظهرت في وقت كانت فيه الكنيسة البابوية أشبه بالعملاق التائه.

وفيما يلي سوف نسلط الضوء علىٰ أهم المنعطفات في تاريخ الإصلاح البروتستانتي:

أبرز أسباب نجاح حركة الإصلاح البروتستانتي:

قبل ذكر نشأة هذه الحركة يجدر بنا إلقاء بعض الضوء علىٰ بيئة العالم المسيحي التي أسهمت في نجاح حركة الإصلاح. فمن أهم أسباب نجاح حركة الإصلاح البروتستانتي ما يلي:

أ – تطور العقلية الأوروبية:

أُنهكت الكنيسة البابوية برجالاتها وهي تدافع عن سلطانها، أمام كثير من الهجمات والضربات الفكرية والعقلية المتلاحقة، فضلا عن تطور العقلية الأوروبية، الذي تطور بشكل عام، نتيجة تدفق العلوم الجديدة، والنشاط التجاري والتطور السياسي، فنما شعور بين أفراد المجتمع، بأن واجب الفرد نحو دولته ووطنه ينبغي أن يسبق واجبه نحو كنيسته(١).

وساعد علىٰ تطور العقلية الأوروبية اختراع المطبعة، التي سعت إلىٰ نشر

---

(١) انظر: Painter: ahist.of the middleages,p.408

مؤلّفات الحضارة القديمة الدنيوية والدينية في كل مكان.

ب - الأسر البابلي للكنيسة:

سقطت البابوية فيما يعرف في تاريخ البابوية باسم (الأسر البابلي) - وهذا من قبيل التهكم، وتشبيهه بالغزو البابلي علىٰ بيت المقدس عام ٥٨٦ ق م- وذلك حينما أضحت البابوية أسيرة خاضعة للملكية الفرنسية، وذلك أثناء اعتلاء فيليب الرابع عرش فرنسا (١٢٨٥-١٣١٤م)، فقد تدخل تدخلا سافرا في اختيار بابا فرنسي، وهو رئيس أساقفة بوردو، وسمي باسم كلمنت الخامس (١٣٠٥-١٣١٤م)، وأصبح مقر البابوية في مدينة أفينون إلىٰ جانب مناهضتها من قبل الملوك والأمراء، فقد صدر مرسوم في إنجلترا ١٣٥١م، ألغىٰ حق البابا في ملء الوظائف الكنسية الشاغرة(١) مما أسهم في إضعاف الكنيسة البابَاوية، وأسهم في نجاح الحركة البروتستانتية عند ظهورها.

ج - النزاع في تعيين البابا بين فرنسا وإيطاليا:

عندما تم تعيين البابا الفرنسي كلمنت الخامس اغتاظ الإيطاليون الذين سلبت منهم البابوية بكل سهولة فاختاروا بابا من أحد أبناء روما عام (١٣٧٨-١٣٨٩م)، وأصبح عندئذ لدىٰ الكنيسة البابوية سلسلة من البابَاوات في روما، وسلسلة من البابَاوات في فرنسا، وهو ما يعرف باسم (الانشقاق الديني الأكبر)، في داخل الكنيسة البابوية نفسها إلىٰ أن عقد مجمع كونستانس سنة ١٤١٥م لمناقشة هذا الانشقاق وتم اختيار مارتن الخامس بعد ذلك البابا الوحيد(٢).

إلىٰ جانب محاولات كبيرة لتحرير الحكومة المدنية والعلمانية من رقابة البابا والكهنة، وقد نقل ويكليف هذه النظرية لإنجلترا، مدافعا عن حق الملك الإلهي

---

(١) انظر: Lavisse: op.cit,tome,premieve partie,p.128.

(٢) Cam.med.hist,vol.7.p.290 و Thompson: op.cit,vol.2.p.969.

لينتزع هذا الحق من الكنيسة[١].

كل تلك الضربات والإرهاصات كانت المُمَهِّدَ الأساسي لنجاح حركة الإصلاح البروتستانتي، التي لم تكن تكلل بكل ذلك النجاح لولا تلك الإرهاصات.

وبما أن أوروبا كلها كانت ترضخ تحت حكم الباباوات وخصوصا الإيطاليين، نشأت البروتستانتية تحمل بين طياتها التعصبات القومية، والعصبيات المختلفة للثقافات المشتركة- كما يقول برتراند رسل "فقد كان من نتائج حركة الإصلاح الديني أن أصبح الدين في أوروبا مرتبطا بالسياسة ارتباطا أوضح، وكثيرا ما كان يقوم علىٰ أساس قومي، كما هو الحال في إنجلترا"[٢].

وعلىٰ كل حال فقد كانت حركة مارتن لوثر هي الإصلاح الذي كان له الأثر الناجع في الكنيسة الباباوية، مع أنه فيما بعد أصبحت الانشقاقات العقدية والطقسية بين الكنائس البروتستانتية وأتباعها لا تحصىٰ.

وقد اختلف في الحكم علىٰ لوثر، وذلك حسب توجهات كل فريق، فبينما يصرّح البروتستانت بأنه كان "طبيبا قاسيا"، و"الملاك الذي أرسلَتْه العناية الإلهية للقضاء علىٰ مسيح روما الدجّال" يصرح الكاثوليك بأنه رجل فظّ سكّير كذّاب شهواني، لم يترك الكنيسة إلَّا ليكون حرًّا في إشباع غرائزه.

وهذا الانقسام في الحكم عليه نابع من الانقسام في قبول إصلاحاته من عدمها بين النصارىٰ، ولذا سوف يكون البدء هنا في دراسة الإصلاح الكنسي بترجمة موجزة لهذا الرجل الذي أصبح اسمه منوطا بتأسيس الإصلاح الديني البروتستانتي، كما يلي:

---

(١) انظر: تكوين العقل الحديث، هـ. راندل، ١/ ٢٩٤. وكارل ماركس، سربست نبي، ص٥٨.

(٢) حكمة الغرب، ببرتراند رسل، ٢/ ٤٠.

أوَّلًا: نشأة مارتن لوثر:

ولد مارتن لوثر في العاشر من نوفمبر سنة ١٤٨٣م في آيزليبن، وهي بلدة صغيرة في مقاطعة سكسونيا بألمانيا.

التحق بجامعة إيرفورت ودرس فيها القانون، وحصل منها علىٰ درجته الجامعية سنة ١٥٠٤م، ثم حول مسار حياته، ودخل الدير الأوغسطيني في إيرفورت ليصبح راهبا، وقد طبق الرهبنة بكل دقة واحتفل بدخوله في سلك الكهنة، ثم عين مدرسا للفلسفة في مدرسة ويتنبرج سنة ١٥٠٨م، واستمر في دراسته اللاهوتية التي أهلته لتدريس الكتاب المقدس.

في سنة ١٥١٠م اختير ليكون عضوا في وفد مرسل إلىٰ روما، وصدم لما رآه هناك، وهاله انهيار المعايير الأخلاقية لدىٰ رجال الدين ومن بينهم البابوات، وانغماسهم في حياة البذخ والتبذل والملذات.

وفي سنة ١٥١٢م منح درجة الدكتوراه في اللاهوت، وفرَّغ وقته للتدريس والوعظ، وقد استطاع أن يجذب الانتباه خاصة وأنه استطاع أن يكون لنفسه بعض الآراء التي خالف بها الكنيسة(1).

ثانيا: سبب ثورة مارتن لوثر:

كان أول ما أثار الثورة علىٰ الكنيسة الكاثوليكية في نفس لوثر، هو اهتمام رجال الكنيسة بجمع الأموال، أكثر من اهتمامهم بتعليم الكتابات المقدسة.

---

(١) انظر: أصول التعليم المسيحي، الكتاخسيمس الصغير، مارتن لوثر، المقدمة، ص٥ و Causes and consequences of the Protestant Reformation. Becker, S.; Pfaff, S.; & Rubin, J. Explorations in Economic History, (2016). Vol. 62, PP. 1-25,

فقد كانت ممارسة بيع صكوك الغفران قد انتشرت في كل الكنائس الأوروبية كوسيلة لجمع المال، وكانت الحملة الخاصة لجمع صكوك الغفران بالقرب من ويتنبرج، هي التي استفزَّت مارتن لوثر، ليتخذ الخطوة الأولىٰ تجاه الإصلاح.

هذا وقد كان (تتزل) المكلف ببيع صكوك الغفران قد انزلق في عدة مآخذ، منها أنه أمسك بالصكوك في يده، ولوح بها في الهواء، وقال مخاطبا الفلاحين السذج الذين التفُّوا حوله، مبينا لهم أنهم إذا ما أسهموا عن طواعية واشتروا صكوك الغفران، فإن كل تلال مدينة أنابورج - وهي مدينة ألمانية- ستتحول إلىٰ كتلة هائلة من فضة صافية، وأنه ما إن يسمع رنين العملة في الصندوق، حتىٰ تكون روح من دفعت الأموال من أجله في طريقها إلىٰ الجنة.

وبلغ الأمر مداه حين قال مخاطبا الجماهير: " إن الرجل إذا ارتكب الخطيئة مع العذراء المباركة نفسها فإن هذه الصكوك كفيلة بأن تمنحه الغفران الكامل"(١).

ثالثا: مهاجمة لوثر لبيع صكوك الغفران:

تحرك مارتن لوثر لمهاجمة صكوك الغفران بعد أن أثارت تصريحات زعماء الكنيسة، بجمع الأموال مقابل الصكوك مكامن السخط في قلبه، فانتهز فرصة اجتماع الأهالي علىٰ عادتهم في كنيسة ويتنبرج، في ٣١ أكتوبر سنة ١٥١٧م وعلق علىٰ باب الكنيسة احتجاجا ضافيا يتضمن خمسة وتسعين بندا أهمها:

١- أن الله هو يغفر الخطايا، وأن الإنسان لا يستطيع أن يشتري الغفران بمبالغ معينه، وأن الأعمال الصالحة لازمة، ولكنها لاتخلص الإنسان، بل هي ثمرة الإيمان.

---

(١) انظر: أصول التعليم المسيحي، الكتاخسيمس الصغير، مارتن لوثر، المقدمة، ص٧. وتاريخ الكنيسة، جون لويمر، ٤/ ١١٣.

٢- أن الكتاب المقدس هو الدستور، وما لا يقبله لا نتقبله، ولو كان من الكنيسة.

٣- أن الأسرار هي المعمودية والعشاء الرباني، وماعداها من الأسرار فهو باطل.

٤- أننا نترك مسحة المائتين بالزيت.

٥- ولا نترك الزواج وإن كنا لا نعتبره فريضة.

٦- جواز الزواج للكهنة والراهبات إذا شاءوا ذلك.

ودعا لوثر لمناقشة كل من يريد من العلماء، وذاع أمر هذه الوثيقة، وطبعت ووزعت في طول البلاد وعرضها، وهكذا بدأ الإصلاح العملي البروتستانتي(١).

رابعا: البدء في مناظرات علنية مع علماء الكنيسة الكاثوليكية:

وجدت هذه التعليمات اللوثرية تأييدا كبيرا من الفلاحين المستغَلين، بل حتىٰ من رجال السياسة، الذين رفضوا التبعية لروما، وانتشرت بين البروتستانت في معظم أنحاء ألمانيا وسويسرا وإنكلترا واسكوتلندا، وممالك اسكندنافيا وأجزاء من فرنسا وهنغاريا وبولندا.

ويبدو أن لوثر إلىٰ هذا الحين لم يتخذ قراره بالمواجهة مع كنيسة البابا، ويظهر ذلك من خلال رسائله التي بعث بها إلىٰ البابا، حيث يوضح فيها أفكاره بنوع من التواضع والأدب، مبينا أن بيع صكوك الغفران فيه إهانة للمسيح، وعار علىٰ الكنيسة، ثم يختم رسائله بمثل قوله: "أيها الأب الأقدس، إني ألقي بنفسي أمام قداستكم،

(١) انظر: Causes and consequences of the Protestant Reformation. Becker, S.; Pfaff, S.; & Rubin, J. Explorations in Economic History, (2016). Vol. 62, PP. 1-25,

خاضعا بكل مالي وحالي، أحيوني أو اقتلوني... إني أقبل صوتكم، كما لو كان صوت المسيح متكلما عاملا فيكم، فإن كنت أستحق الموت فلن أرفضه، لأن للرب الأرض وملأها، فليكن اسم الرب مباركا وليحفظكم للأب"(١).

ومضت سنة ١٥١٨م في محاولات ومفاوضات ومناظرات للتوفيق بين لوثر وكنيسة روما، لكنها لم تسفر عن نجاح، وأطلق علىٰ هذه المحاولات اسم (مشادة الرهبان).

وفي السنة التالية ظهر بما لا يدع مجالا للشك، أن الانفصال عن كنيسة روما أصبح أمرًا لا مفر منه، واستمرت المواجهة بين لوثر وخصومه، حيث سبق الترتيب لإجراء حوار أو مناظرة مع (حنا إيك)، وهو زميل أكاديمي سابق للوثر، وأحد كبار أنصار الكنيسة الكاثوليكية، وجرت المناظرة في ليبزج خلال شهر يوليو سنة ١٥١٩م.

وفي هذه المناظرة هاجم لوثر سلطة البابا، ووصل إلىٰ مرحلة الشك، بل أنكر عصمة البابا، وبين أن القرون الأحد عشر الأولىٰ من تاريخ الكنيسة، ومجمع نيقية، والأسفار المقدسة كانت تعارض مبدأ الكنيسة وتنكره، بل عقب ذلك أعلن الحرب الكلامية علىٰ رجال الكنيسة البابوية، معلنا أن الرهبان خنازير، والكهنة حمير، والكنيسة بيت دعارة، كما كان يقول: " إذا كان السارقون يعاقبون بالسيف، والقتلة بحبل المشنقة، والهراطقة بالنار، فلماذا لا تمضون ممتشقين السلاح، للقبض علىٰ كل أسياد الهلاك الأبدي الأشرار هؤلاء، علىٰ الباباوات والأساقفة والكرادلة، علىٰ كل عصابة سدوم الرومانية"(٢).

---

(١) أصول التاريخ الأوروبي الحديث، ص١٠٠. وأوروبا في مطلع العصور الحديثة، ص٣٧٤. وأضواء علىٰ الإصلاح الإنجيلي، القس فايز فارس ص٣٢ وتاريخ الكنيسة، جون لويمر، ٤/ ١١٣.

(٢) الهرطقة في المسيحية، ج. ويللتر ص١٩٤.

ويقول أيضا: "إن الله الذي جعل حمارا يتكلم لكي يوبخ نبيا وهو بلعام، ألا يمكنه أن يتكلم علىٰ فم إنسان تقي لكي يوبخ البابا"[(١)].

أعقبت تلك المناظرة عدة خطوات عملية لتنفيذ الإصلاح، فوجه في سنة ١٥١٩م الدعوة إلىٰ حكام الولايات الألمانية من الأمراء ومن إليهم، كي يتزعموا هذه الحركة الإصلاحية وأن يتحرروا من سلطة روما.

ووضع في سنة ١٥٢٠م ثلاث رسائل تسمىٰ الرسائل الثلاث العظمىٰ في حركة الإصلاح الديني، كانت الرسالة الأولىٰ عبارة عن نداء وجهه باللغة الألمانية إلىٰ قادة الفكر من غير رجال الدين في ألمانيا، حثهم فيه علىٰ الشروع في إصلاح الكنيسة بأنفسهم، دون الاعتماد علىٰ رجال الكنيسة.

وكانت الرسالة الثانية باللغة اللاتينية، وجهها إلىٰ البابا ليو العاشر علىٰ أنها نداء للسلام.

والرسالة الثالثة باللغة اللاتينية كذلك، وجهها إلىٰ رجال الدين المسيحي، أظهر فيها ضعف البابوية، وتدهور أخلاق الدين[(٢)].

خامسا: وقوف الكنيسة الباباوية في وجه الإصلاحات اللوثرية:

لم تجد الإدارة البابوية حلا للوثر وأفكاره سوىٰ إصدار قرار الحرمان للوثر سنة ١٥٢٠م، وقد عهد البابا تنفيذ قرار الحرمان لإمبراطور الدولة الرومانية شارلمان الخامس، وذلك لأن لوثر يقيم في إقليم سكسونيا الداخل في أراضي هذه الدولة،

(١) أضواء علىٰ الإصلاح الإنجيلي، القس فايز فارس ص٤٨.

(٢) انظر: تاريخ الكنيسة، القس جون لوريمر ٤/ ١٢٣. والمصلح مارتن لوثر، القس حنا جرجس ص١٠١ -١٠٥.

ورأىٰ الإمبراطور أن يعرض الموضوع علىٰ المجلس الإمبراطوري، ودعىٰ لوثر للمثول أمام المجلس، ووجه إليه عدة أسئلة بشأن الكتب التي ألَّفها، وهل يرغب في التراجع عما فيها؟ فأجاب بأنه لا يستطيع الرجوع في أي موضوع تعرض له في كتاباته، ولذلك أصدر الإمبراطور بيانًا أعلن فيه سخطه علىٰ الحركة اللوثرية، ثم أصدر المجلس قرارًا في ٢٦ مايو سنة ١٥٢١م بحظر تداول كتب لوثر، ومنع قراءة جميع كتاباته وحرقها، وبطرد لوثر خارج القانون وإهدار دمه باعتباره يعرض أمن الدولة الداخلي والخارجي لأخطار فادحة.

ولكن بمساعدة بعض أمراء المقاطعات الألمانية المتعاطفين مع آراء لوثر أخذ ليلا إلىٰ مدينة وتنبرج، ثم اصطحبه فرسان ساروا به إلىٰ قلعة فارتبورج، وكان قد أرسل هؤلاء الفرسان فريدريك الحكيم أمير سكسونيا حرصا منه علىٰ لوثر، ثم عاش لوثر في تلك القلعة، وترجم الكتاب المقدس إلىٰ اللغة الألمانية عام ١٥٢٢م، إلىٰ أن مات سنة ١٥٤٦م (١).

سادسا: قيام مصلحين أخرين موافقين للإصلاحات اللوثرية:

تبع لوثر علىٰ هذه الآراء مصلحان آخران، وزعيمان بارزان من زعماء الكنيسة البروتستانتية، وهما أولريخ زوينجلي وجون كالفن(٢).

وقد تفرعت بعد ذلك الكنيسة البروتستانتية إلىٰ فروع كثرة، يختلف بعضها عن بعض في تفاصيل العقيدة، وتنوع أساليب عبادتها:

---

(١) انظر: أضواء علىٰ الإصلاح الإنجيلي، الإنجيلي، القس فايز فارس ص٣٧- ٤٠.

(٢) انظر الحديث عن زوينجلي وكالفن: جون كالفن في: د.هاري ايبرتس، ترجمة: وليم ببادي، وجون كالفن حياته وتعاليمه، د. حنا جرجس الخضري، وتاريخ الكنيسة، جون لوريمر ٤/ ٢٦٤. وقصة الحضارة، ول ديورانت ٦/ ٣/ ٢١٤.و٦/ ٣/ ١١٣.

أ- فمنها الكنائس التقليدية كالأسقفية واللوثرية.

ب- ومنها ماتحرر تماما عن شكليات العبادة كاجتماعات الإخوة.

ج- ومنها ما اتخذ طريقا وسطا بينها، كالمشيخية والميثودست والمعمدانيين، وقد اختلفوا في نظام إدراة الكهنوت فيما بينهم.

د- ومنها الجماعات التي انشقت عن الكنيسة الكاثوليكية، ولكنها احتفظت بكثير من العقائد الأساسية لتلك الكنيسة، كالاستقلالية والبيوريتان في إنجلترا، والهوغونيين في فرنسا، وغيرهم من المتأثرين بأفكار لوثر وغيرها.

ولعل مردَّ ذلك يعود إلىٰ عدم ارتباط الكنيسة بتعاليم أفواه رجال الكنيسة، بل ربطها بالكتاب المقدس وجعل الفرد مسؤولا عن حرية فكره، وبالتالي عن تصرفاته، وهذا ما أرداه لوثر حين قال: "وحدي ولدت إلىٰ هذا العالم وحدي، ويجب أن أُجابِهَ الحياة ومسؤوليَّاتها، ووحدي سأقف أمام الديَّان العظيم... لن يقف أحد مكاني، ولا بيني وبين الله لا أسقف ولا كاهن، ولا مجمع كنسي، ولا قانون كنسي، ولا تقليد كنسي، بل سأقف أمام الله عاريا، وعليَّ تقع المسؤولية تجاه الديَّان خالقي"[(١)].

وعلىٰ كل حال، فقد نجح الإصلاح البروتستانتي أيما نجاح، وأضعف كيان الكنيسة البابوية أيما إضعاف، وانتشرت مبادئ الإصلاح البروتستانتي انتشارًا هائلا.

سابعا: أهم مبادئ الإصلاح البروتستانتي:

يمكن إجمال أهم العقائد والمبادئ التي حاول البروتستانت ترسيخها في سعيهم لإصلاح الكنيسة فيما يلي:

---

(١) أضواء علىٰ الإصلاح الإنجيلي، القس فايز فارس ص٤٤و ٥٩.

١ – إبطال صكوك الغفران:

احتج لوثر علىٰ بيع صكوك الغفران احتجاجًا كبيرًا، وهذا الاحتجاج من لوثر لم يحمل علىٰ العمليات البشعة التي كان يتم بها بيع صكوك الغفران للجماهير فحسب، بل هاجم الغُفران نفسه كعملية دينية تمارسها الكنيسة الكاثوليكية في صورة تتنافىٰ -كما يرىٰ لوثر- مع المسيحية.

وهاجم سلطة البابا في غفران الذنوب، وبيَّن أن كل مؤمن له الحق في التقدُّم لله مباشرة دون وسيط، ويتوب إلىٰ الله، ويغفر له، دون الحاجة إلىٰ وساطة بشرية.

٢ – دعا إلىٰ العودة إلىٰ الكتاب المقدس، مؤكدا علىٰ أنه هو المصدر الوحيد الذي يجب الاعتماد عليه في تفسير جميع المسائل الدينية، وكانت هذه نقطة الخلاف الأولىٰ بين لوثر وبين الكنيسة البابوية، ولذلك يقول مارتن لوثر عن الكتاب المقدس لعموم الشعب المسيحي: "يجب أن نقرأه بجد واحترام، وأن ندرسه ونصغي بانتباه، عندما يُقرأ أو يُفسَّر علىٰ مسامعنا، وأن نؤمن به، ونحيا بموجب تعاليمه".

ويقول أيضا: "إن تفسير الكتاب المقدس حقٌّ للجميع، لأن روح الله هو الذي يعمل في القارئ، سواء كان كاهنا أو علمانيا عالما أم عاميا، لكي يفهم المكتوب"(١).

٣ – رفض ادعاء الكنيسة الكاثوليكية وباباوتها أن لهم الحق هم وحدهم في تفسير الكتاب المقدس، بل أعلن أن فهمه وتفسيره حق لكل أحد ينتمي إلىٰ المسيحية، مع القول بعصمة الكتاب المقدس وحده.

وقد لاقت هذه الدعوىٰ التي نادىٰ بها رواد الإصلاح البروتستانتي صدًىٰ واسعا، وكان التفسير الحرفي للنصوص المقدسة سببًا ونتيجة له في آن معًا، ففتح

---

(١) أصول التعليم المسيحي، الكتاخسيمس الصغير، مارتن لوثر، المقدمة، ص٤٦.

الطريق أمام كل التباينات في وجهات النظر، ويمكن القول أيضا أمام كل الأهواء.

٤- **نفىٰ عصمة البابا**، وعلَّل ذلك بقوله: "من الواضح المؤكد أن قراراتهم قد أخطأت مرارا، فضلا عن أنها تناقض بعضها بعضا في كثير من الأحيان، ومالم يقنعني أحد بالإقناع العقلي والكتاب أن ما أقوله خطأ، فلن نستطيع أن نغير ما قلنا".

وذلك لأن الكنيسة الكاثوليكية تعتقد أن البابا نائب المسيح، وراعي الكنيسة جمعاء، وله عليها - بإنشاء إلهي - سلطان كامل أعلىٰ، وأنه معصوم.

٥- **إبطال الصور والتماثيل وعبادة مريم**، فأصبحت الصور والتماثيل، وحتىٰ عبادة مريم في نظر الإصلاحيين باطلة، وأنها أقرب للشيطان منها إلىٰ الله، لأن الكنيسة الكاثوليكية تعتقد أن صورة المسيح والصور الأخرىٰ التي تمثل العذراء والقديسيين تساهم في إيمان المؤمنين وتغذيته.

٦- **رفضوا الطقوس وقداسات القربان**، وأصروا علىٰ أن الإنسان ينبغي عليه أن يتصل بالرب من خلال الوعظ أو قراءة الكتب المقدسة.

٧- **جعل تبرير الإنسان منوط بالإيمان فقط دون العمل**: فقد اكتشف لوثر جوابا علىٰ قلقه النابع من تلك المقولة اللاهوتية في رسالة القديس بولس إلىٰ أهل روما: "إنّ الإنسان يبرر بالإيمان بمعزل عن أعمال الشريعة" (رومية، ٣/ ٢٨)، فالإنسان لا ينال الخلاص بفضل ما يبذله من جهود، بل الله هو الذي يجعله بارًّا بنعمته وحدها في الفكر البروتستانتي الجديد.

وكان في المقابل الاعتقاد السائد لدىٰ أتباع الكنيسة يفرض علىٰ الناس تقديم الصلوات في مزارات القديسين والشهداء، ويزورون الأماكن المقدسة لينالوا البركة، ولتغفر خطاياهم وليتصالحوا مع الله.

يقول لوثر: "وأخيرا أشفق الله علي، وبدأت أفهم أن عبارة (بر الله) تعني أن الإنسان الذي يؤمن بمجرد إيمانه فقط يحيا بالبر الذي يمنحه الله له".

ثم يقول: "وحالا شعرت بأنني ولدت من جديد، وأن أبواب السماء قد فتحت علىٰ مصراعيها أمامي... وبقدر ما كنت أكره عبارة (بر الله) صرت أحبها، وهكذا أصبح هذا النص بالنسبة لي باب السماء".

ولكن الحقيقة هي أن هذا الاعتقاد، كان له أبلغ الأثر في قبول وهضم الأفكار الباطنية، التي انتشرت عقب الإصلاح البروتستانتي بقرنين تقريبا، فكثير من المعتنقين للمذهب الباطني نادوا بأن غاية الديانة هو الاتحاد بالله، والذي يتم عن طريق التأمل، وإماتة شهوات النفس، ولم يبالوا بطقوس الكنيسة وأسرارها، بل سخروا منها، بل نادىٰ بعضهم بألوهية الكون، أي وحدة الوجود، وأنه لا يوجد شيء غير الله، وأن الكون هو الله ظاهرا، وأن الإنسان جزء من الله، فيرتقي بذلك لأسمىٰ درجات السعادة، وقد سُموا في ألمانيا ب (البياتست)، وفي فرنسا ب(جانسينست)، وفي إيطاليا (كوايتست)، وتأثر بهم جورج فوكس في إنجلترا عام ١٦٥٠م، الذي أنشأ طائفة الكويكرز أو الفريندز.

٨- **آمن مارتن لوثر أن الفوارق بين الذكر والأنثىٰ** في الطبقة والعرق والعقيدة تشير إلىٰ الوضع المتفوق للمخلوق، أو الوضع المتدني، فقد كتب في عام ١٥٣٣م يقول: " تبدأ الفتيات بالكلام، وبالوقوف علىٰ أقدامهن، أسرع من الصبيان بسبب أن الأعشاب تنمو دائما بسرعة أكبر من المحاصيل الجيدة".

٩ - آمن لوثر بمبدأ الطبقية، فنادىٰ بإبادة اليهود، وأنه ينبغي استعبادهم، أو الإلقاء بهم إلىٰ خارج الأراضي المسيحية، وأنه يتوجب إحراق أحيائهم وكنسهم، وأقرَّ إبادة ثورة الفلاحين، وإعدام القائلين بتجديد العماد، كما كان يقول: "الحمار بحاجة للضرب والرعاع لأن يُقادوا بشدة وعنف".

ولكن هذا الأصل الذي سار عليه لوثر، وهو مبدأ الطبقية- خصوصا مع اليهود- قوبل بأصل أوثق منه، وتلقاه البروتستانت بالرضىٰ والقبول بشكل أسرع وأعمق، مما أدىٰ إلىٰ ضعف مبدأ الطبقية اللوثرية، لا بل أدىٰ إلىٰ فقدها وضياعها واندثارها، وهو مبدأ الاعتماد علىٰ التوراة كمصدر ملهم ووحي، لذلك تسربت إلىٰ صميم العقيدة المسيحية أدبيات يهودية، تبنتها الفرق البروتستانتية جميعا، أسست علىٰ ربط الإيمان المسيحي بعودة السيد المسيح، وإقامة دولة صهيون، أي بإعادة تجمع اليهود في أرض فلسطين حتىٰ يظهر المسيح فيهم.

وكما يلاحظ لم يتطرق لوثر إلىٰ مسألة ألوهية المسيح ومسألة الصلب والفداء والخطيئة، وغيرها مما هي أولىٰ بالإنكار، وأجدر بالإصلاح، إذ لا يزال الفساد باقيا، ما دامت عقيدة التثليث قائمة، ولا يزال الإشكال موجودا، ولذلك يقول مارتن لوثر وبكل وضوح: "إن الإله الحقيقي الواحد هو إله مثلث الأقانيم، الأب والابن والروح القدس، ثلاثة أقانيم متميزة ومتحدة في جوهر إلهي واحد"(١).

فحركة الإصلاح البروتستانتية لم تجهز علىٰ الكنيسة البابوية من جهة عقيدتها، ولكنها نجحت في إرساء قواعد ومبادئ تخالف مبادئ الكنيسة البابوية، التي كانت تتربع علىٰ عرش العالم المسيحي برمته، دينيا وسياسيا واجتماعيا وفكريا.

---

(١) انظر: مراجع أهم مباديء الإصلاح البروتستانتي في: Gersham Goremberg- the end of days: Fundamentalism and the Struggle for the temple Mount- Free Press 2000- P: 162 وانظر: أصول التعليم المسيحي، الكتاخسيمس الصغير، مارتن لوثر، المقدمة، ص٨.و٤٦ وأضواء علىٰ الإصلاح الإنجيلي، الإنجيلي، القس فايز فارس ص٤٨و ٥٠.و يد الله، غريس هالسل، ص، ٦١. ومختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ص٧٩. والهرطقة في المسيحية، ج. ويللتر ص٤٢. والجانب المظلم في التاريخ المسيحي، هيرين ص١٣٣، وص ١١٤. وتاريخ الكنيسة، لوريمر ٤/ ١٦٣

فتبين من هذا أن الاصلاح البروتستانتي الكنسي ظهر في نهاية القرن الخامس عشر وامتدّ طيلة القرن السادس عشر، وقد نجحت هذه الحركة نجاحا باهرا علىٰ الصعيد الأوربي، واعتنقت مبادئه كثير من دول العالم المسيحي، وقد كان من أبرز أسباب نجاحه هو تطور العقلية الأوربية التي تلقت نقد مارتن لوثر لبعض مباديء الكنيسة بالقبول، بالإضافة إلىٰ وهن البابوية ووقوعها تحت سلطة حكام فرنسا في عهد فيليب الرابع عشر ملك فرنسا، فجاءت مجابهة مارتن لوثر للكنيسة في وقت كان العالم الأوربي متعطش إلىٰ من يقف في وجه هذا الطاغوت المستبد، ومارتن لوثر ولد في سنة ١٤٨٣م ثم نشأ نشأة دينيَّة مسيحية إلىٰ أن أكمل الدكتوراه في اللاهوت، والتحق بالسلك الكهنوتي، وقد ابتدأت شرارة نقده وامتعاضه من الباوية حينما رأىٰ مندوب البابا يبيع صكوك الغفران في أزقة وشوارع ألمانيا، فهاجم مسألة بيع الصكوك، وعلق انتقاده علىٰ باب الكنيسة مبينا أن المغفرة تُنال من الله واقتصر في الأسرار علىٰ المعمودية والعشاء الرباني فقط، مبينا إباحة زواج الرهبان والراهبات، ثم ترقَّىٰ خطوة أخرىٰ فابتدأ في مناظرات علمية مع علماء الكنيسة الكاثوليكية، خصوصا في سنة ١٥١٩م ثم ألّف رسائل موجهة للألمان بأن يقفوا في وجه الكنيسة البابوية، وفي سنة ١٥٢٠م حُرم لوثر وأهدر دمه وحرمت قراءة كتبه من قبل الكنيسة البابوية، فاحتضنه بعض أمراء ألمانيا خوفًا عليه وأُرسل إلىٰ قلعة فارتبورج حيث ترجم فيها الكتاب المقدس إلىٰ الألمانية إلىٰ أن توفي ١٥٤٦م، وقد ساير لوثر في هذا مصلحين آخرين مثل زوينجلي وجون كالفن.

ومن أهم مبادئ الإصلاح البروتستانتي إبطال صكوك الغفران والعودة لقراءة الكتاب المقدس من العامة بعد أن كان مُحرَّمًا، ورفض تفسيره من قبل الكنيسة فقط، ونفي عصمة البابا وإبطال الصور والتماثيل وعبادة مريم أم المسيح، وأن تبرير النفس منوط بالإيمان دون العمل، وآمن بالفوارق بين الذكر والأنثىٰ وآمن بالطبقية ونادىٰ بإبادة اليهود.

المطلب الثاني: الدعوات الإصلاحية الكاثوليكية

إن المراد بالدعوات الإصلاحية هنا هي تلك الدعوات التي سعت جاهدة لإصلاح الكنيسة، سواء كان الإصلاح في العقائد والشرائع، أو محاولة إصلاح رجال الكهنوت أنفسهم.

وليس المراد هنا هو ذكر كل تلك الفرق والدعوات التي نشأت في المسيحية، يجمعها الاتفاق علىٰ العقائد والشرائع والرضىٰ بعمل رجال الكهنوت المتباينة في اهتماماتها بالعبادات والشرائع، دون التصريح أو التلميح بإصلاح الكنيسة أو شرائعها، كفرقة الرهبنة البندكتية التي تزعمها بندكت في عام ٥٠٠م، والذي اخترع طريقا جديدا في الرهبنة[(١)]، أو فرقة السستريانية، التي تسمىٰ البرناردية، التي أسسها عام ١٠٩٨م رجل يدعىٰ روبير المولسمي في جنوب مدينة ديجون جنوب فرنسا، والذي ركز هو أتباعه علىٰ التقشُّف في بناء الكنائس، وعلىٰ العمل لأجل الفقراء والمحتاجين لأتباع هذه الطائفة[(٢)]، أو الفرقة الفرنسيسكانية، التي تأسست علىٰ يد رجل إيطالي يدعىٰ فرنسيس الأسيزي، والذي تركزت معتقداتهم حول مصاحبة الفقراء مع التبشير بالإنجيل[(٣)]، أو فرقة الدومينياكية، والتي تأسست علىٰ يد رجل يدعىٰ دومينيك عام ١١٧٠م، والذي اهتم بالوعظ والتعليم والفقر[(٤)]، ومن هذا

---

(١) انظر: عشرون قرنا في موكب التاريخ، حبيب سعيد، ٦٢. ودليل إلىٰ قراءة تاريخ الكنيسة، الأب جان كمبي، ص١١٣-١١٥.

(٢) انظر: مختصر تاريخ الكنيسة، آندرو ملر، ص ٢٧٠-٢٧٣وموسوعة تاريخ العالم، وليام لانجر، ٢/ ٦٠٤.

(٣) انظر: دليل إلىٰ قراءة تاريخ الكنيسة، الأب جان كمبي، ص١٩٨-٢٠٠و٢٤٣و٢٧٨ وأوروبا والمسيحية، يان دوبرا تشينسكي، ٢/ ٢٠٦-٢١٤ و٣/ ٣١٧.

(٤) انظر: مختصر تاريخ الكنيسة، أندرو ملر، ص٣٥٥-٣٥٦. وموسوعة تاريخ العالم، وليام لانجر، ٢/ ٦١٠.

الصنف بعض الفرق الصليبية الكاثوليكية المحاربة، كفرقة القديس يوحنا[1]، أو فرسان المستشفىٰ والتي اهتمت بالعناية بالمرضىٰ والفقراء، أو كفرقة فرسان الهيكل والتي تسمىٰ الداوية، التي اهتمت بالعناية بالحجاج النصارىٰ، ومداواة المرضىٰ، والمحافظة علىٰ ما احتلوه من بلاد المسلمين، وعدم التنازل لهم بشيء، أو الفرسان اليتوتونيون الألمان[2].

كل تلك الفرق والطوائف نشأت في المسيحية، ولعل تسميتها بالأحزاب أو الجماعات هو الأنسب من تسميتها بالفرق، حيث لم تكن لها عقائد دينية جديدة أو دعوات إصلاحية متميزة، وإنما كانت تابعة للكنيسة البابوية، مقتفية لها في العقائد والشرائع، فلم تنتقد شيئا من تعاليم الكنيسة الكاثوليكية أو رجالها، وقد كان لها أتباع بحسب انتشار كل فرقة من تلك الفرق.

ولذا فالمقصود هنا هو بيان تلك الأفكار التي نشأت في كنف الكنيسة الكاثوليكية، إلا أنها رفعت سلاح الإصلاح في وجهها، وحملت لواء النقد والتوبيخ لرجالاتها، وكانت بمثابة مسابقة الزمن، بعد أن شعر رواد الإصلاح الكاثوليكيون، بفوات الوقت الذي كان من المفترض فيه أن يسعوا لإصلاحها.

وقد مر إصلاح الكنيسة البابوية بمرحلتين مهمتين في تاريخ الإصلاح الكاثوليكي، يمكن إيجازهما فيما يلي:

---

(١) انظر: الفرق والمذاهب المسيحية، من ظهور الإسلام حتىٰ اليوم، أسعد رستم، ص ١١٦. وأوروبا والمسيحية، يان دوبرا تشينكي، ٢/ ١٠٢.

(٢) انظر: الفرق والمذاهب المسيحية من ظهور الإسلام حتىٰ اليوم، أسعد رستم، ص١١٨ – ١٢٠. وتاريخ الجماعات السرية، آركون دارون، ص٣٣، والرحب المقدسة (الحملات الصليبية وأثرها علىٰ العالم اليوم) كارينآرمسترونغ، ص٢٣٨. وأوروبا والمسيحية، يان دوبرا تشينكي، ٢/ ١٠٢ وموسوعة تاريخ العالم، وليام لانجر،٢/ ٥٨٨.

المرحلة الأولى: الإصلاح الكاثوليكي قبل ظهور البروتستانت:

بدأت حركات الإصلاح في الكنيسة الكاثوليكية قبل أمد من ظهور البروتستانت، فقد ظهر عدد من الرجال الذين نادوا بالإصلاح، ويمكن ذكر أهم تلك الحركات والدعوات التي نادت بالإصلاح قبل ظهور الإصلاح البروتستانتي، والتي كان لها نوع من الحضور القوي في المسرح المسيحي، والتي تشكلت كفرقة لها أتباع معتمدين علىٰ مبادئ عقدية، وذلك فيما يلي:

أولا: الفرقة الكلونية:

تأسست هذه الفرقة في فرنسا عام ٩١٠م، علىٰ يد رجل يدعىٰ (وليم دوق أكوتين)، وقد بدأت بدير محدود في كلونيا، حيث بدأت بإصلاح الأديرة فقط، فكانت لا تقبل أي هبات من أي أمير أو حاكم مقابل خدماتها، وحاولوا الفصل بين الكنيسة والدولة، وانتساب الأديرة إلىٰ البابوية مباشرة، وسرعان ما انتشرت هذه الفكرة في غرب أوروبا انتشارا واسعا، وتطورت تطوُّرًا ملحوظا، حتىٰ إنها كانت في القرن الحادي عشر تستهدف إصلاح الكنيسة إصلاحًا شاملا.

ومن أبرز محاولات الإصلاح التي نادت به ما يلي:

١- الفصل التَّام بين السلطة الدينية البابوية والسلطة الدنيوية، وعدم ارتباط الكنيسة بالدولة، وألا يكون للحكام حق الإشراف علىٰ الأديرة والكنائس، وربطت الأمراض الخطيرة التي تعرضت لها الكنيسة بسبب ارتباطها بالدولة.

٢- كَبح جماح الشهوة الحسية بالصوم والسُّهاد والجلد بالسياط، وبكل المتاعب التي تنهك الجسد وتهد من قواه.

٣- حرمت السيمونية، وهي شراء الوظائف بالمال، وحرمت زواج القسس.

٤- حاولت القضاء علىٰ ظاهرة زواج القسس، ونجحت في ذلك، عندما أصدرت البابوية في القرن الحادي عشر قرارا، حرمت فيه الزواج علىٰ القسس والشمامسة ومساعدي الشمامسة.

٥- حرمت التقليد العلماني والمقصود بالتقليد العلماني هو أن يقوم الحكام العلمانيون من أباطرة وملوك وأمراء بتقليد رجال الدين مهام مناصبهم الدينية.

وقد ازدادت قوة هذه الفرقة في القرن العاشر عام ٩١٤م، علىٰ يد أمير شاب يُدعىٰ (جيرارد)، في منطقة اللودين في فرنسا وأصبحت تعرف باسم (كنيسة الرب)، وكانت أهم ما دعت إليه آنذاك هو الابتعاد بالسلطة الدينية البابوية عن السلطة الدنيوية والحكام، بل وفصلها عنها تماما، وكانت تتبع أسقفيات محلية وليست تابعة للبابا، مع العودة إلىٰ تعاليم السلف الصالح، والدعوة إلىٰ التقشف وترك البذخ من رجال الدين، ولكنها جوبهت مجابهات عنيفة من قبل رجالات الكنيسة[١] ولا يخفىٰ أن جزءا من مفاهيم هذه الفرقة قد تطور علىٰ يد البروتستانت بعد ذلك.

ثانيا: بيار دو بروي وأتباعه:

وقد ظهر هذا الرجل في دوفينيه وبروفانس في أواخر القرن الحادي عشر وقد دعا إلىٰ تدمير أماكن العبادة محتجًّا بأن الله في كل مكان، ودعا إلىٰ تحطيم الصلبان لأنها أدوات تعذيب المسيح، وقد أحرق هو وأتباعه مجموعة من الصلبان، شووا عليها لحما وأكله هو وأتباعه عام ١١٤٠م، وقد لقيت دعوته رواجًا كبيرًا، لما يتمتع به من خطابة وتقشُّف إلىٰ أن لوحقت وأبيدت من قبل الكنيسة[٢].

(١) انظر: Cam.med.hist,vol.15.p.661 &Tout: the empireahd the papacy,p.99.

(٢) انظر: الهرطقة في المسيحية، ج. ويللتر ص١٤٢.

ثالثا: الفوديون:

وهم أتباع بيار فالدو سنة ١١٦٠م، وقد كانت له ثروة وزعها علىٰ فقراء مدينة ليون، وكان يقرأ كتب الأنبياء والرسل التي حصل علىٰ ترجمتها إلىٰ العامية، وكان يعلّم أن الكنيسة الرومانية عاهرة بابل، وأن الباباوات والأساقفة قتلة، وأن الرهبان فريسيون، وأنه يجب رفض دفع العشور، وكان يقول بسلطة التوراة المطلقة، والخلاص المجاني علىٰ يد المسيح، والإيمان الفاعل بالمحبة.

وقد لقيت أفكاره رَواجا عظيما، وخصوصا بين أفراد الطبقة العامة، ولا تزال طائفة الكنيسة الفودية موجودة إلىٰ اليوم في مناطق إيطاليا، حيث يحتفظ السكان حتىٰ الآن ببعض آثار أفكاره، ولها أتباع علىٰ السفح الفرنسي بجبال الألب الكوتية(١).

رابعًا: فرقة الكاثاريين أو الكاتاريين:

ومعناها الأطهار وكانوا يعرفون بـ (الألبيجينين)، وهو اسم المنطقة الفرنسية التي كانوا يعيشون فيها، وكذلك ظهروا في كولون بألمانيا وشمال إيطاليا وأسبانيا، وقد ظهرت هذه الفرقة في القرن الثاني عشر، وكانت دعوتهم إلىٰ العودة إلىٰ العقائد والأساليب النصرانية الأولىٰ، وكانت من ناحية أخرىٰ، تحمل آراء غامضة شرقية مثل المانوية. ومن أبرز مظاهر حركتهم ما يلي:

١ – كان رجال الدين يرتدون ثيابا سوداء، ويقسمون طبقاتهم بترقيات في المناصب حتىٰ يهبوا أنفسهم لله والإنجيل.

٢ – لا يقربون امرأة قط، ولايقتلون حيوانا.

---

(١) انظر: نفس المرجع، ص١٦٤–١٧٠.

٣- لا يأكلون اللحم أو البيض، أو منتجات الألبان، ولا يطعمون إلا السمك والخضروات، وكان أتباعهم يتعهدون بأن يقسموا فيما بعد علىٰ الإيمان بهذا.

٤- الإكثار من التمتع بالجنس مع الزوجة إثما عظيما.

٥- قاموا بتحذير أي شاب أمسك وهو يتزلج أو يسبح، وحرم التمشي في يوم الأحد وزيارة الميناء، وجرىٰ التحذير من لعب الأطفال، وجولات النزهة للشباب والفتيات.

٦- ينكرون الملكية الخاصة، ويطالبون أن تقسم الأملاك بين الناس بالتساوي.

٧- أنكرت أن الكنيسة كنيسة المسيح، وقالت: إن بطرس تلميذ المسيح لم يأتِ قط إلىٰ روما، ولم يؤسس البابوية.

٨- أنكرت أن يكون المسيح ابنا لله تعالىٰ.

واستمرت تعليماتهم في الانتشار إلىٰ عهد البابا إنوسنت الثالث علىٰ كرسي البابوية عام ١١٩٨م، رأىٰ في وجود هذه الجماعة وانتشارها خطرا محدقا بالكنيسة، فأصدر الأمر بقمعهم، وبشن حملات ضارية عليهم(١).

خامسا: حركة الولدانيين:

مؤسس هذه الفرقة هو بطرس والدو، المتوفىٰ سنة ١٢١٧ م، وكان تاجرا من ليون في فرنسا، كان ينكر علىٰ رجال الدين ثراءهم وترفهم، مكرزا بأن يقرأ كل مسيحي الإنجيل حسب فهمه.

---

(١) انظر: مواقف من تاريخ الكنيسة، رولاند بينتون، ص٨٥ وقصة الحضارة، ول ديورانت ٤/ ٥/ ٧٩. ومعالم تاريخ الإنسانية، المجلد الثالث، ولز ص٩٠٤. وتاريخ الكنيسة، جون لوريمر، ٤/ ٤٢ والهرطقة في المسيحية، ج. ويللتر ص١١٥-١٢٣.

وهي من الحركات التي جاهرت بنقد الكنيسة، وعارضت آراءها، وأظهرت السخط علىٰ رجال الدين، ونددت بفسادهم ومساوئهم، في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي، وأنكرت العشاء الرباني، وعارضت صكوك الغفران، وبعض العقائد النصرانية.

وقد نال بطرس والدو ما نال من سبقه من الاضطهاد والتعذيب، وحكم عليه بالموت في عام ١١٨٤م، وقاومت الكنيسة هذه الحركة، وأحرقت الآلاف من أتباع والدو(١)، غير أن هذه الفرقة ظلت قوية في المناطق الواقعة شرقي الرون، حيث كان مركزهم الرئيس حول مدينة ليون، في مطلع القرن الرابع عشر الميلادي.

سادسا: فرقة جون ويكليف John wyeliffe:

وقد ظهر في القرن الرابع عشر، وعرف هذا الرجل بلقب (نجمة الصباح)، وكان من علماء اللاهوت، وأستاذا في جامعة أكسفورد، وكاهنا لمدينة لقروين، وقد دعا إلىٰ رفض البابوية، وأنكر الرتب الكهنوتية، ومذهب الاستحالة، وترجم الكتب المقدسة، ليفهمها عامة الشعب، وعكف علىٰ نقد الكنيسة، وعكف علىٰ وضع حلول لوضع الكنيسة، ووصل إلىٰ أن الرب وحده له ملك السموات والأرض، ونادىٰ بالشيوعية لأن الملكية الفردية جاءت نتيجة لخطيئة آدم.

وكان من آرائه أن البعض قدر له الخلاص والرحمة، والبعض قدر له الهلاك واللعنة الأبدية، "وقد يكون البابا من الفريق الأخير" - حسب ما يقول- ورأىٰ أن أسلوب الحياة يجب أن تستقىٰ من الأناجيل، لا من تعاليم رجال الكنيسة، وأن الصلة بين الإنسان وخالقه تكون مباشرة بلا واسطة، وأن الإنجيل يجب أن يكون في متناول

---

(١) قصة الحضارة، ٤/ ٥/ ٧٧. وتاريخ الكنيسة، جون لوريمر، ٤/ ٤٣. وأضواء علىٰ الإصلاح الإنجيلي، الإنجيلي، القس فايز فارس ص١٩ ومعالم تاريخ الإنسانية، المجلد الثالث، ولز ص٩٠٤.

يد كل مسيحي، فما كانت عاقبته إلا أن طرد هو وأتباعه من (أكسفورد)، واعتزل بقية حياته في قريته، حتىٰ مات عام ١٣٨٣م أو عام ١٣٨٤م[١].

سابعا: فرقة جون هس John hss:

وقد ظهر في أواخر القرن الرابع عشر، وكان مؤسسها جون هس متأثرًا بمبادئ ويكليف وكتبه، وابتدأ يكرز بالإنجيل، ويندد بنوع الحياة المترفة التي كان الكهنة يعيشونها، وهاجم صكوك الغفران عندما أراد البابا حنا الثالث والعشرين شن حرب علىٰ ملك (نابلي)، وراح يبيع صكوك الغفران، لتسهم في مساعدته علىٰ تكوين حملة عسكرية.

وقف حناهس يهاجم هذه البدعة، وادعىٰ أن أوامر البابا غير ملزمة للمسيحيين إلا فيما يتفق مع تعاليم المسيح، وبالتالي تعتبر ملغاة، لأنها تتعارض مع تعاليم المسيح، وتأثر به كثيرٌ من الناس بعد اشتهار أفكاره، وأدين وحكم بهرطقته في مجمع كونستانس عام ١٤١٤م، وحكم عليه مجمع كونستانس بالإعدام حرقًا، وأحرقت قبل ذلك كتبه وملابسه، قبل أن يتم حرقه وهو يترنم[٢].

ثامنا: فرقة آرزم فوجه Arzem fojh:

ظهر هذا الرجل في القرن الخامس عشر، وقد كانت دعوته – كما يقولون – إلىٰ العقلاء والمفكرين، فدعاهم إلىٰ قراءة الكتب المقدسة وفهمها، والتوصل إلىٰ العقيدة من مصادرها الأولىٰ، وكان آرزم صديقا للبابا (ليو العاشر)، وكان محل إعجاب البابا، فالتزم آرزم التؤدة وحافظ في دعوته علىٰ قداسة البابوية حتىٰ ظهر لوثر فرفض البابا ليو العاشر جميع أفكار آرزم.

---

(١) انظر: تاريخ أوروبا في العصور الوسطىٰ، القسم الثاني، فيشر، ص٣٦٢. ١٧٦.

(٢) انظر: تاريخ أوروبا في العصور الوسطىٰ، القسم الثاني، فيشر، ص٣٧٠. وقصة الحضارة، ول ديورانت ٦/ ٢/ ٤.

تاسعًا: المتسوطين أو السياطين Flagellants:

وقد ظهرت هذه الفرقة في القرن الرابع عشر نتيجة الذعر الذي أصاب الناس عند انتشار الوباء الأسود، فاعتقدوا أنه غضب من الله علىٰ عباده الآثمين، ولا سبيل إلىٰ النجاة إلا بتعذيب النفس وضربها بالسياط، معتقدين أن من يواظب علىٰ هذه العملية لمدة ثلاثة وثلاثين يوما ونصف اليوم فإنه يضمن تطهير النفس من جميع الآثام، وقد كانوا يجلدون أنفسهم بالسياط، ويعزون إلىٰ الإماتة الجسدية فضائل كبرىٰ، ويعطون بعضهم بعضا الحلة، أي غفران الخطايا، ودعوا إلىٰ مقاطعة رجال الأكليروس، مسلحين بسوط مجهز بثلاثة إلىٰ أربعة سيور جلدية، ربطت أطرافها بقطع الحديد، يضربون بها كتفيهم وجذعهم، حتىٰ يسيل دمهم، مكررين بعض الأناشيد الدينية، كقولهم: "فلنضرب جثتنا بقوة، لنمتدح الله ونضرب صدورنا.."حتىٰ صدر قرار بابوي بالقضاء علىٰ هذه الفرقة، وبقيت منهم بقية حتىٰ القرن الخامس عشر.(١)

عاشرًا: سافونا رولا:

وقد ظهر هذا الرجل في مدينة فدويتا بإيطاليا في أواخر القرن الرابع عشر، وقد أراد أن يطهرها من الفساد، وكان يواجه الحكام والعظماء بقوله: "إذا أردتم حكومة جيدة فأطيعوا الله" وقد واجه البابا في عصره، وأنكر عليه فساد الكنيسة ورجالها، فأُحرق هو وأتباعه عام ١٤٩٨م، أي عندما كان لوثر عمره ١٥ سنة (٢).

والواقع أن هذه الدعوات وغيرها كانت دعوات جزئية في وقتها لمناهضتها سلطان الكنيسة، ومن الملفت للنظر أن بعض تلك الدعوات أنكرت بنوة المسيح

---

(١) انظر: Painter: a hist,of,the middl ages, p. 419 وWorkman: the evolation

(٢) انظر: أضواء علىٰ الإصلاح الإنجيلي، الإنجيلي، القس فايز فارس ص٢١.

وبعضها دعت إلىٰ توحيد الآب فقط، والبعض منها كانت تتفق في وجوب إصلاح الكنيسة ونقد كهنتها، مع اختراع بعض الطقوس والعقائد الجديدة، دون نقد أهم أسس عقائد المسيحية وشرائعها المحرفة في الغالب، ولعل ذلك يعزىٰ للسعي للفكاك من جاثوم الكنيسة علىٰ صدورهم، والتحرُّر من الاستعباد لسلاطينها، ثم الالتفات بعد ذلك للعقائد والشرائع -والله أعلم- غير أن الإصلاح في المرحلة الثانية كان أقوىٰ وأنكىٰ وأكثر تأثيرًا علىٰ الكنيسة ويتبين ذلك فيما يلي:

المرحلة الثانية: الإصلاح الكاثوليكي بعد ظهور البروتستانت:

هذا الإصلاح الكاثوليكي في هذه المرحلة ظهر بعد أن ظهر رواد الكنيسة الإصلاحية البروتستانتية، ولذلك يسمي علماء ومؤرخو الأديان الدعوات الإصلاحية الكاثوليكية في هذه المرحلة بـ (الإصلاح المضاد)[1].

ويشعر هذا المسمىٰ كما هي حقيقته، حيث إن هذا الإصلاح لم يظهر إلا مضادة للإصلاح البروتستانتي، وليس من أجل إصلاح الكنيسة بالفعل باستثناء القليل من الدعوات الإصلاحية الكاثوليكية.

فقد أصبحت الرغبة في إصلاح الكنيسة البابوية لا تقتصر علىٰ أتباع الكنيسة فحسب، بل تفشىٰ حتىٰ بين صفوف الباباوات ورجال الأكليروس، وكهنة الكنيسة، بل تمّت المبادرات الأولىٰ علىٰ يد بعض الرهبان، والعلمانيين - يقصد بالعلمانيين المسيحيين الذين لا ينتمون إلىٰ الكنيسة، وليس المراد به أتباع العلمانية الحديثة.

وكانت السمة البارزة علىٰ هذا الإصلاح هو النقد للفساد الحاصل من رجال الدين، وتوجيه رجال الكهنوت.

(١) موسوعة الأديان الحية، ز.س.ريفنز، -الكنيسة الكاثوليكية بعد حركة الإصلاح الديني، كوربيلشي، ص٢٨٦.

فباباوات الكنيسة الكاثوليكية لم يفيقوا بعد سُبات عميق إلا علىٰ مطارق الإصلاح البروتستانتي، الذي أقضّ مضاجعهم، وألهب غيظا صدورهم، فأظهر باباوات الكنيسة الكاثوليكية الندم علىٰ خطايا الكنيسة وقت لا ينفع الندم، وذرفوا دموع التماسيح من ماضيهم المظلم كما فعل البابا أدريان الخامس، حينما يقول عن الكنيسة: "نحن نعترف بصراحه أن الله سمح باضطهاد الكنيسة بسبب آثام الناس، خاصة الأساقفة ورجال الدين، ونحن نعرف جيدا أنه لسنوات طويلة كانت هناك أشياء تدعو إلىٰ الاشمئزاز، قد تجمعت حول الكرسي الأسقفي المقدس، وأن أشياء مقدسة قد أسيء استعمالها، وأن الأوامر الإلهية قد انتهكت، وكل شيء قد تغير نحو الأسوأ"(١) وفيما يلي نستعرض هذا الإصلاح بشيء من التفصيل:

أوَّلًا: أسباب نشأة الإصلاح الكاثوليكي بعد ثورة البروتسانت:

أ- **يعود الفضل لهذا الإصلاح لقيام البروتستانت بالإصلاحات** التي أثرت علىٰ الكنيسة الكاثوليكية إيجابا، رغبة منها في مجاراة البروتستانت.

ب- **خافت الكنيسة الكاثوليكية من انصهار أتباعها بالدعوة البروتستانتية،** ولهذا كان الإصلاح الديني البروتستانتي ضربة قاسية، بالنسبة للكنيسة الرومانية، فعرفت كيف تستفيد منه في توجيه سلوك رجالها فقط.

فقد جرىٰ تحسين ممارسات كبار رجال الأكليروس تحسينا عظيما؛ فلم يعد يُرىٰ باباوات يدخلون إلىٰ الفاتيكان عادات المرتزقة، أو يحتفلون فيه بأبهة كبيرة بزواج أولادهم، ولم يعد يُرىٰ كرادلة يصلون إلىٰ المجامع بحاشية ضخمة ومعهم عشيقاتهم(٢).

---

(١) أوروبا والمسيحية، ٣/ ٣٢٠.وانظر: دليل إلىٰ قراءة تاريخ الكنيسة، الأب جان كمبي ص٢٧٣. ومختصر تاريخ الكنيسة،آندرو ميلر، ص٥٩٦.

(٢) انظر: الهرطقة في المسيحية، ج. ويللتر ص٢٤٩.

ج- **الضغط العنيف الذي قاسته الكنيسة البابوية من قبل أعدائها وأتباعها،** الذين أرادوا اللحاق بركب الإصلاح البروتستانتي، وإن كانت في حقيقتها ليست إصلاحات كبرىٰ تشبع نَهَمَ المُتعطِّشين إلىٰ الإصلاح البابوي، إلا أنها في نفس الوقت تعد قفزة كبيرة في تاريخ الكنيسة البابوية التي لم يخطر ببالها يوما أن ترضخ لضغوط الإصلاح، أو أن تُغيِّر شيئا من أحكامها وقراراتها وخُطاها، وهي تعد في حقيقتها القشة الأخيرة التي رأىٰ باباوات الكنيسة التعلق بها قبل فوات الأوان.

ثانيا: أبرز الدعوات الإصلاحية الكاثوليكية في هذه المرحلة ما يلي:

أولا: عقد مجمع ترنت:

من الإصلاحات الكنسية البابوية المضادة هو عقد مجمع ترنت، الذي يعد أول مجمع أفرز قرارات ونتائج، يمكن أن تعد -علىٰ مدىٰ تاريخ الكنيسة البابوية- تحوي نوعا من الإصلاح النظري أو الشكلي للكنيسة، وذلك لمواكبة الإصلاح الفعلي البروتستانتي.

ويدلل علىٰ ذلك فشل نتائج المجامع التي عقدت قبله، من قبل الإصلاحيين الكاثوليك، كالمجمع الذي عقد في مدينة بيزا عام ١٤٠٩م، وباء بالفشل، ومجمع كونستانس ١٤١٤م الذي استمر ثلاث سنوات دون جدوىٰ، لعدم وجود الجدية والحزم عند من حضره، ومجمع بازل الذي استمر منعقدًا من عام ١٤٣١-١٣٣٩م دون جدوىٰ، حتىٰ تبين للكثيرين أنه لا يمكن أن يحدث إصلاح من خلال النظام السائد في الكنيسة في ذلك الوقت، وكان لابد من ثورة تكسر النظام القائم وتهزه، لكن سلطان الكنيسة الرهيب كان يجهض حركاتهم الثورية.

أما مجمع ترنت فلم يجابه تلك المجابهة، بل كان يحرك المجتمعين نوع من الشعور الداخلي الوقَّاد لعرض الكنيسة البابوية بصورة تُرضي طموح المنتمين إليها

والمنشقين عنها كذلك، وقد تمّت المبادرات الأولىٰ علىٰ يد بعض الرهبان والعلمانيين، وأحيانا علىٰ يدّ بعض الأساقفة، وفي آخر الأمر توصّل الكرسي الرسولي - بمشقّة كبيرة- إلىٰ عقد مجمع عام في مدينة ترانتو الإيطالية (Trente)، سنة ١٥٤٥م إلىٰ سنة ١٥٦٣م، حيث تخللتها توقفات طويلة، ويسمّىٰ هذا المجمع بالمجمع التريدنتيني، والذي دعا لعقد هذا المجمع هو البابا بولس الثالث (١٥٣٤-١٥٤٩م).

ابتداء المجمع:

ابتدأ هذا المجمع -خصوصا في السنتين الأوليين من عقده- بقرارات، يشتّم منها رائحة ما تبقىٰ من صلف باباوات الكنيسة وزعمائها، حيث دعا إلىٰ تدعيم البابوية وتسفية البروتستانتية، وقد شرحوا فيه العقائد الكاثوليكية بإيضاح وجلاء، وخصوصا ما كان محل شك وجدل لدىٰ البروتستانت، وأكد المجمع علىٰ الأساقفة ورجال الدين أن يتولوا تعليم الشعب، وأن ينشئوا المدارس الدينية لتعليم القساوسة[(١)].

غير أن أعضاء هذا المجمع رأوا بعد ذلك ضيق الخناق عليهم، وأن العالم النصراني لم يعد يأبه -كما كان في السابق- بقراراتهم الرنَّانة، وحرماناتهم الطنانة، فصدرت عند انتهاء هذا المجمع عدة قرارات دعمت مبادئ الإصلاح الكاثوليكي.

ويمكن أن توجز أهم قرارات هذا المجمع الإصلاحي الكاثوليكي فيما يلي:

---

(١) انظر: محاضرات في تاريخ الكنيسة الغربية، د. يواقيم رزق مرقس، ص٦٣. وموسوعة الأديان الحية، ز.س.ريفنز، -الكنيسة الكاثوليكية بعد حركة الإصلاح الديني،كوربيلشي، ص٢٨٩ والجانب المظلم في التاريخ المسيحي، هيلين إليبريص ١١١

١ - ألغىٰ الامتيازات الملكية التي كان يمتاز بها السلك الكهنوتي الكنسي، وندَّد بحياة البذخ والترف، ولذا يقول أسقف إيطاليا في خطابه الأخير أمام المجمع في ٢ ديسمبر ١٥٦٣م: "من الآن فصاعدا لن يؤدي الطموح لذبح الفضيلة في السلك الكهنوتي المقدس، فستكون كلمة الله هي محور الاهتمام، وبعناية فائقة، وسيبقىٰ الأساقفة بين رعاياهم، ومن الآن فصاعدا لا مكان لهذه الامتيازات التي كانت عباءة تتدثر بها الرذيلة والخطايا، وتم التخلص من رجال الدين التافهين، ولن تُباع الأشياء المقدسة بالمال..."(١).

ويبدو أن باباوات ذلك المجمع اتبعوا سياسة جلد الذات، وفي رأيي أن هذا الجلد ليس بأكثر من تسكين للنفوس الثائرة علىٰ الكنيسة، ومسابقة للزمن الذي كاد أن ينفد، أو نفد بالفعل أمام صبر أتباع الكنيسة الكاثوليكية.

٢ - أصدر قرارًا بالسماح بقراءة الكتاب المقدس بلغة الشعب، ولكن تحت قيود مشددة، فجاء من ضمن قراراته: "لما كان قد ظهر من الأخبار أنه إذا سمح لكل إنسان بدون تمييز قراءة الكتاب المقدس المترجم إلىٰ لغة الشعب، فإن تهور البشر الناجم عند قراءته يسبب شرًّا أكثر من الخير، لذلك وجب الحصول علىٰ إذن خاص للسماح بقراءة الكتاب المقدس المترجم إلىٰ لغة الشعب"، وكان قبل ذلك من المحرمات علىٰ الشعب.

٣ - نهت عن عبادة القديسيين، وبأنه ينبغي أن ينظر إلىٰ القديسين علىٰ أنهم مثل عليا وشخصيات بطولية، إلا أنها لم تكن مستعدة للتخلي عن طقوسها، وعن الطبيعة اللاهوتية لقداسات الكنيسة.

---

(١) موسوعة الأديان الحية، ز.س.ريفنز، -الكنيسة الكاثوليكية بعد حركة الإصلاح الديني، كوربيلشي، ص٢٩٠.

٤ - **ينبغي أن يكون مصدر الإيمان المسيحي هو الكتاب المقدس**، ولكن هذا الكتاب قد شرح من وجهة نظرهم من قبل: "شهادات الآباء القديسين المعترف بهم، والمجامع وأحكام الكنيسة وإجماعها".

ولهذا فإن التقليد الكنسي يعد مصدرا تشريعيا مهمًّا، حيث جاء في قراراته: "إن المرجعين العظيمين لدىٰ الدين المسيحي، هما الكتاب المقدس والتقليد الكنسي"(١).

٥ - **أصبح الاعتراف الكاثوليكي مسألة سرية** بين الفرد والكاهن مع صندوق الاعتراف، واعتماده عام ١٥٦٥م، بعد أن كان عملا علنيا (٢).

٦ - **وُضِعَتْ نصوصٌ كانت ثمرة تفكير طويل**، كالتي تبحث في التبرير والتعاون بين الله والإنسان في الخلاص. والتي كانت تناقض وجهات النظر البروتستانتية حول الخطيئة والخلاص.

٧ - **وُضعت نصوص أخرىٰ كانت أشدّ تأثّرا بمقاومة المذهب البروتستانتي**، فشُجبت بعض التصرّفات، لا لشيء إلاّ لأن البروتستانت كانوا يمارسونها، منها علىٰ سبيل المثال، استخدام اللغات القومية في الليترجية أو رتبة القدّاس(٣).

٨ - **علىٰ الصعيد الرعوي اتُّخذت قرارات حول إنشاء الإكليريكيات، حيث يتدرّب ويتعلّم المنتمون إلىٰ السلك الكهنوتي**، وكانت لتلك القرارات انعكاسات مهمة لمستقبل الكنيسة. ومن نتائج الإصلاح الكاثوليكي أن ادعت أمم وسلطات

(١) أضواء علىٰ الإصلاح الإنجيلي،الإنجيلي، القس فايز فارس ص٤٧

(٢) انظر: الجانب المظلم في التاريخ المسيحي، هيلين إليبري ص ١١٦.

(٣) انظر: موسوعة الأديان الحية، ز.س.ريفنز، -الكنيسة الكاثوليكية بعد حركة الإصلاح الديني، كوربيلشي، ص٢٩٠-٢٩٣.

إمبراطورية استقلالها عن البابا وعن الكنيسة الكاثوليكية [(١)].

ثانيا: المجمع الفاتيكاني الأول:

تعد قرارات المجمع الترنديتي السابق تقدما نحو الخلف من قبل الكنيسة الكاثوليكية - في نظري- والتي أصبحت ترىٰ أنها مجبرة علىٰ ذلك التقهقر، فقدمت تلك التنازلات السابقة، إلا أن ذلك لم يُرضِ كلَّ المنتمين إليها، فلم يعد البعض يرغب في إصلاحٍ للكنيسة، بل نادىٰ بإسقاط عقائد الكنيسة بعضها أو كلها.

لقد كانت الحاجة مُلِحَّة -من الناحية الروحية والناحية السياسية في نظر باباوات الكنيسة - لعقد مجمع تشاوري للنصارىٰ، فعقد البابا بيوس التاسع المجمع الفاتيكاني الإصلاحي، ومن ثم أرسل لجميع البطاركة وغيرهم من شتىٰ الكنائس للاجتماع، إلا أن هناك جملة من الكنائس ردت هذه الرسالة ورفضت الحضور، خصوصا بطريرك القسطنطينية أنثيموس، الذي رد الرسالة غير مفضوضة أصلا، مشيرا إلىٰ أن كنيسة روما قد ابتعدت عن التقليد والتعاليم، وفعل مثله بطاركة الأرمن واليعقابة والأقباط، وفي ١٣ أيلول ١٧٧٤م أرسل إلىٰ البروتستانت يحضهم علىٰ الاجتماع، إلا أن البروتستانت كان ردهم كرد الأرثوذكس أو أعنف منه.

وعلىٰ كل حال، فقد أرسل بعضهم مندوبين لهم، مع حضور بعض مطارنة الكنائس والبطاركة وغيرهم، فحضر ٧٧٤ أسقفا من مجموع ١٠٥٠ أسقفا كاثوليكيا، حضروا من القارات الخمس، و٥١ أسقفا من الكنائس الشرقية، إلا روسيا فقد منعت السلطات حضور أساقفة الكنيسة.

---

(١) انظر: الجانب المظلم في التاريخ المسيحي، هيلين إليبري ص١٢٩. وأصول التاريخ الأوروبي الحديث، ص١٢١.

وعقد هذا المجمع الذي سمي بالمجمع الفاتيكاني الأَوَّل ما بين عامي (١٨٦٩-١٨٧٠م).

أبرز قرارات المجمع الفاتيكاني الأول:

كان هناك موضوعان رئيسيان لمناقشتهما في هذا المجمع، وهما:

١- طبيعة الإيمان في التعاليم الكاثوليكية.

٢- وكذلك طبيعة الكنيسة وسلطاتها.

أما من ناحية الإيمان، فقد قرر المجمع ما يلي:

أ- وجود خالق أسمىٰ مناقضا بذلك التعاليم المادية الإلحادية التي ظهرت آنذاك، والمذهب القائل بوحدة الوجود، ومذهب الربوبية الذي يعترف بوجود رب، لكن لا يعترف بأديان منزلة، ويدعو إلىٰ الإيمان بدين طبيعي، مبناه علىٰ العقل.

إلا أن هذا المجمع لم ينفِ العقل كما نفته المجامع قبله، ولم يعطه منزلة رفيعة كما أعطته النظريات الحديثة، وإنما قرر المجمع أن العقل يدل علىٰ الإيمان، لكنه ليس الوحيد الدال عليه، بل لابد من قبول سلطان الله، ومع ذلك فالعقل يدلنا علىٰ الإيمان، إلا أنه لا يجلس مجلس الحاكم علىٰ أمور الدين[1].

ب- قرروا فيه عقيدة العصمة البابوية، أي أن البابا معصوم عن الخطأ حين يحدّد العقيدة الدينية[2].

(١) انظر: councils and assemblies - the same - page 333. و councils and assemblies cambridge university press 1971 G- BRITAIN نقلا عن: الشرقيون في المجمع الفاتيكاني الأول وردة الفعل الأرثوذكسية والبروتستانتية، جامعة البلمند، معهد القديس يوحنا اللاهوتي، www.orthodoxtube.org ص٣ وص٣٠وص ١٤ وص ١٢.

(٢) انظر: موسوعة الأديان الحية، الكنيسة الكاثوليكية بعد حركة الإصلاح الديني، كوربيلشي، ص٣٠٩.

وكان هذا القرار حجر عثرة كبير في طريق وحدة الكنائس المسيحية، مع أن فكرة عصمة البابا كانت متداولة منذ زمن بين الكاثوليك، فمنهم من رآها كتعويض للباباوات لتقلص سلطتهم، ومنهم من رآها ضرورة حتمية حتىٰ لا تسقط الكنيسة، نتيجة الضغط العنيف من قبل الحكومات المناوئة للبابوية وللكنيسة برمتها، وهذا نص العصمة: "الحبر الأعظم الروماني حين يتكلم من علىٰ الكاتدرائية، وحين يمارس مهمة الرعاية وتعليم المسيحيين، هو يحدد بأولوية سلطته الرسولية العقيدة المتعلقة بالإيمان، أو التقاليد التي تهم الكنيسة الجامعة، وهو يملك بواسطة المعونة الإلهية التي وعد بها عبر القديس بطرس العصمة، التي بها شاء المخلص الإلهي لكنيسته تحديد العقيدة المتعلقة بالإيمان والأخلاق، هذه التحديدات من الحبر الروماني غير قابلة للمناقشة من نفسها، وليس من موافقة الكنيسة".

ج- إدانة وتنديد بكل أشكال المادية والإلحاد والعقلانية، والدعوة إلىٰ التبشير بالمسيحية بين كل سكان العالم أجمع[(١)].

هذه أهم القرارات التي صدرت عن هذا المجمع الإصلاحي الكاثوليكي، الذي عقد في وقت من أحلك الأوقات التي مرت علىٰ الكنيسة في تاريخها، فبينما تعكف الكنيسة البروتستانتية علىٰ قصقصة أطراف الكنيسة الكاثوليكية من جوانبها -كان الإلحاد والعلمانية والثقافات الإلحادية تنخر في أوساطها.

---

(١) انظر: councils and assemblies - the same - page 333. و councils and assemblies cambridge university press 1971 G- BRITAINنقلا عن: الشرقيون في المجمع الفاتيكاني الأول، وردة الفعل الأرثوذكسية والبروتستانتية، جامعة البلمند، معهد القديس يوحنا اللاهوتي، www.orthodoxtube.orgص ٣ وص ٣٠وص ١٤ وص ١٢.

ثالثا: المجمع الفاتيكاني الثاني (١٩٦٢-١٩٦٥م):

لئن كان المجمع الفاتيكاني الأول أصدر قرارات تحرم النظريات والأفكار الجديدة كالعقلانية والعلمانية وغيرها، ورد علىٰ الكنائس المعادية للكاثوليكية كالبروتستانتية وغيرها في حرب مريرة ضد أعدائها ومناوئيها كانت أشبه بحرب العملاق الخائر من أثر الطعنات التي تلقاها، فإن المجمع الفاتيكاني الثاني هو عصر جثوم ذلك العملاق بعد أن هوىٰ نحو الأرض، فلم تعد الكنيسة قادرة علىٰ الوقوف، حيث لم تعد لها تلك الخطابات الرنانة في وجه مخالفيها بل متابعيها أحيانا، ولم تعد قراراتها نابعة عما ارتآه الباباوات المعصومون، فكانت قراراته أقرب إلىٰ الرجاء منه إلىٰ الأمر والنهي.

لقد كان المجمع الفاتيكاني الثاني أقل ما يقال عنه: هو مجمع عصرنة الكنيسة وفتحها علىٰ العالم المعاصر بعد أن عجزت عن الوقوف في وجه التيار المتلاطم من شتىٰ الاتجاهات التي كادت أن تعصف بالكنيسة ورجالها، فرأت الكنيسة أن تتماشىٰ هي مع النسيج الجديد، المنحل تدريجيا عن قيود الدين، أولىٰ من الوقوف في وجهه، ونصب المشانق لدعاته ورجاله، فأصبح هَمُّ الكنيسة ليس محاربة الخصوم، بقدر ما هو إيجاد لغة تُكلِّم بها العالم الذي تعيش فيه، والذي لم يعد يسمع كلامها وإذا سمع كلامها فإنه لا يفهمه وإذا فهمه فإنه لا يطبقه.

في خضم كل ذلك لم يكن أمام آباء الكنيسة سوىٰ موافقة التيار، لأنه لم يعد بوسعهم صده ولا الحد منه، فدعا البابا يوحنا الثالث والعشرون ١٩٨١م إلىٰ عقد مجمع فاتيكاني ثانٍ في الخامس والعشرين من كانون الثاني سنة ١٩٥٩م، وفي اليوم التالي لإعلان المجمع، علقت جريدة (الأوسرفاتوري رومانو) علىٰ هذا النبأ بما يلي: " إن المجمع في نظر الأب لا يهدف إلىٰ خير الشعب الكاثوليكي، بل يسعىٰ إلىٰ أن يكون نداء إلىٰ الجماعات المنفصلة، يدعوها إلىٰ الوحدة التي باتت تصبو إليها

نفوس كثيرة علىٰ وجه الأرض".

ولقد أراد البابا من عقد هذا المجمع، إعادة النظر في المشاكل التي كانت تتعرض لها الكنيسة الكاثوليكية، ولذلك حاول أن ينظّم حياة الكنيسة الداخلية، وعلاقتها مع العالم الخارجي، مع باقي الكنائس والأديان، ولذلك لم يُعط العلمانيون أهمية تذكر في ثنايا هذا المجمع، بل كان العلمانيون مرحب بهم في هذا المجمع، وفي تصريح الأمين العام لهذا المجمع السيد فيتو رينوفيرو نيز يقول: " لا شيء يحول دون مشاركة العلمانيين، ودون الإدلاء بملاحظاتهم واقتراحاتهم، إنه لشيء نتمناه، لأنهم بصنيعهم هذا يشاركون في المجمع بطريقة فعالة، ولو بطريقة غير رسمية"(١).

لم يكن لدىٰ البابا يوحنا الثالث والعشرين أفكارٌ واضحة حول محتوىٰ المجمع، فعيّن له هدفين كبيرين وهما:

١ - تجديد الكنيسة والرسالة في عالم يتبدّل بسرعة.

٢ - العودة إلىٰ وحدة المسيحيين التي كان ينتظرها وشيكة، كما كان المسيحيّون الأوائل ينتظرون عودة المسيح.

بدء انعقاد المجمع:

بعد دعوة البابا يوحنا الثالث والعشرين لعقد هذا المجمع في دورته الأولىٰ في خريف عام ١٩٦٢م، حضره ٢٤٠٠ من أصل ٢٨٠٠ مدعوّ من أساقفة ورؤساء عامّين، تجمع فيه من كلّ القارّات والأعراق ممثّلون. مع وجود مراقبين مسيحيين

---

(١) Laurentin. Rene: L’enjeu du concile, Seuil, Paris, 1962 p. 98 نقلا عن المجمع الفاتيكاني الثاني وعلاقته مع بقية الكنائس والأديان، جامعة البلمند، معهد القديس يوحنا اللاهوتي، www.orthodoxtube.org، ص٢-٣

أرثوذكس وإنجليكان وبروتستانت وقد ازداد عددهم من ٣١ في بدء المجمع، إلىٰ ٩٣ عند نهايته، وفي الدورات اللاحقة كان هناك ٣٦ علمانيا من بينهم سبع نساء.

وقد رحب بهم البابا أيّما ترحيب عند حضورهم، قائلا لهم: " أما أنتم فاقرؤوا في قلبي تجدوا فيه أكثر مما علىٰ لساني، إن وجودكم الغالي هاهنا والتأثر الذي يعصر فؤادي، وتأثركم الذي لا أشك فيه البتة، إن كل هذا ليدعوني إلىٰ أن أبوح لكم برغبة قلبي الذي يتحرق للعمل في سبيل تسريع الساعة التي تتحقق فيها صلاة يسوع في العشاء الأخير".

ولكن القدر لم يمهل البابا يوحنا الثالث والعشرين، فما لبث أن توفي عام ١٩٦٣م، فانتُخب بابا جديد وهو الكاردينال مونتيني، فأخذ اسم بولس السادس. وقرّر البابا الجديد سريعا متابعة أعمال المجمع، وانتهت أعمال المجمع في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٦٥م(١).

ويمكن إيجاز أهم قرارات هذا المجمع الإصلاحي فيما يلي:

أ - لم يأتِ المجمع بأيّ تحديدات أو إدانات، كما أنه لم يُصدر أيّ حرمان، كما كانت الحال في المجامع السابقة، ولم يلغِ عصمة البابا، ولا القول بأن الكنيسة الكاثوليكية هي الكنيسة الجامعة، وأنها هي كنيسة المسيح الحقيقية، بل أراد المجمع علىٰ وجه العموم أن يكون مجمعا رعويّا يتوجّه بالكلام إلىٰ إنسان اليوم، وكان كل همه هو تصحيح نظرة الكنيسة إلىٰ ذاتها، وإلىٰ علاقتها بسائر الكنائس، وسائر الديانات والعالم أجمع.

ب - يشدّد علىٰ وحدة الوحي، بحيث لا يجوز التمييز بين الكتاب المقدّس والتقليد الشفوي، فالوحي ليس مجمّدا في نصّ، بل إنه محفوظ في الشعب المؤمن، وكله صادر عن الله سواء في النص أو التقليد.

---

(١) نفس المرجع.

ج - **لا يجوز اتّهام المسيحيين غير الكاثوليك بخطيئة الانفصال**، ويطلب إلىٰ الطوائف المسيحية المختلفة أن تنظر أولا إلىٰ الأمور المشتركة، وهي المسيح والإنجيل.

د - بين المجمع مهمة الأساقفة الرعوية، وعمل الكهنة الرعوي وحياتهم.

هـ - **أثبت وأكد أنه علىٰ الكنيسة أن تنشر التنصير في العالم أجمع**، وأن تبشر بالإنجيل، وعدّ هذه مسؤولية كل إنسان مسيحي، سواء كان أكليركيا أو علمانيا.

و - **حاول المجمع اكتشاف ما تحتفظ به سائر الديانات من معرفة الله**، بدءا بالديانات المسمّاة بدائيّة، حتىٰ التي تشترك في تراث الوحي التوحيدي، كاليهودية والإسلام، وبين أوجه الشركة بين المسيحية والإسلام، وبين المسيحية واليهودية و"تأسف الكنيسة للبغض والاضطهادات، ولكلّ مظاهر محاربة الساميّة، التي مهما كانت حقباتها وفاعلوها، وُجّهت إلىٰ اليهود".

ز - **الأخذ في الاعتبار تغيّرات هذا العالم**، التي كانت أساس عدّة نزاعات وأخطاء في الماضي، كما يجب اعتبار الإلحاد كما هو والبحث عن أسبابه.

ح - أثبت الحرية الدينية، وأنه علىٰ الفرد اختيار أي دين يعتنقه.

ط - **الكنيسة الكاثوليكية لا يقتصر الخلاص علىٰ أتباعها فقط**، بل جعل الله الخلاص في كنائس وأديان أخرىٰ أيضا[1].

والواقع أن ما جاء في هذا المجمع يعد نقلة كبيرة وانفتاحا لم يسبق له مثيل من الكنيسة البابوية، التي كانت مضرب الأمثلة في التعصب المقيت، خصوصا ما جاء في احترام الديانات الأخرىٰ، وخصوصا في اعتمادها سبل الخلاص، حتىٰ ولو كان

---

(١) انظر: المجمع الفاتيكاني الثاني، ترجمة الأب حنا الفاخوري،، ١٩٩٢م

الإنسان تابعا لإحدىٰ الديانات أو الكنائس، بل والأغرب من ذلك هو اعتبار الإلحاد كما هو، فلم يجابه أو ينتقد، وهذا يعد في حقيقته أشبه بتنازلات الخائر الضعيف، بعد أن رأت الكنيسة نفاد كل ما تبقىٰ لديها من عناصر القوة.

وفي الحقيقة لم تكن هذه الإصلاحات سوىٰ تماشٍ مع الأجواء العامة في المجتمع الغربي الذي لم يعد يحفل ببابا ولا بكنيسة ولا بمجامع ولا بروح قدس ولا حتىٰ بابن الله.

رابعا: الجهود الفردية لبعض الباباوات الكاثوليك لإصلاح الكنيسة:

وهذه الجهود الإصلاحية كانت اهتمامات ومساهمات فردية من بعض باباوات الكنيسة الكاثوليكية، دون مساندة تذكر من قبل مجامع أو ملوك.

وهذه الإصلاحات قام بها بعض باباوات الكنيسة، وهي تسير علىٰ نفس المنهج الذي رسمه المجمع الفاتيكاني الثاني من حيث التسامح مع المخالفين في الجملة وغير ذلك، ويمكن أن يُذكر أهم أولئك الباباوات:

١ - **البابا بيوس الخامس** (١٥٦٦-١٥٧٢م): جعل في مقدمة اهتماماته محاربة الهراطقة والأتراك (أي المسلمين) في موقعة ليبانتي (Lepante) عام ١٥٧١م، ونشر علىٰ التوالي (كتاب التعليم المسيحي الروماني) و (كتاب القداس الروماني). وأراد هذا البابا أن يكافح الفوضىٰ الطقسية، ففرض نصّا موحّدا للقداس، وطلب إلغاء الليترجيّات التي لم يمضِ علىٰ وجودها أكثر من مئتي سنة.

٢ - **البابا غريغوريوس الثالث عشر** (١٥٧٢-١٥٩٣م): قام بإصلاح التقويم، فحذف من سنة ١٥٨٢م عشرة أيام، من ٤ إلىٰ ١٥ تشرين الأول (أكتوبر)، لكي تستعيد الفصول تواريخها المألوفة. وأقام سفراء ثابتين لدىٰ الملوك.

٣ - **البابا سِكْستُس الخامس** (Sixte- Quint) (١٥٨٥-١٥٩٠م): أقام

للكنيسة حكما مركزيا، يديره ١٥ مجمعا رومانيا، وهي عبارة عن وزارات تساعد البابا في إدارة شؤون الكنيسة والدولة البابويّة. ووُزّع الكرادلة علىٰ تلك المجامع فبلغ عددهم السبعين. وكان المطلوب هو القضاء علىٰ التجاوزات، وتثقيف المسيحيين، وتكوين كهنة الغد. ولكنهم كانوا إلىٰ جانب ذلك يرغبون في مواجهة الإصلاح البروتستانتي، واستعادة ما فُقد ولو باستخدام السلاح إذا اقتضىٰ الأمر. وفي تلك الفترة تأسست العديد من الرهبانيّات الرجالية والنسائية، والتي أصبحت رافدا كبيرا في انتشار الكثلكة خارج أوروبا، إبّان الحملات التبشيرية والاستعمارية.

٤ – البابا بيوس التاسع (١٨٤٦–١٨٧٨م): في عهد هذا البابا تمّت الوحدة الإيطالية، ففقد الكرسي الرسولي الروماني ممتلكاته، وانعزل في الفاتيكان، وكذلك خلفاؤه من بعده. اتّخذ البابا بيوس التاسع موقفا من أضاليل عصره في وثيقتين. في الأولىٰ شجب تجاوزات العقلانية والاشتراكية والليبرالية. والثانية وهي تسمّىٰ (القائمة Syllabus)، تضمّ أربعا وعشرين قضية مشجوبة. بدت القضية الأخيرة وكأنها تتضمّن رفضا للمجتمع الليبرالي المعاصر بأسره. فابتهج الكاثوليك المتشدّدون، أما المعادون لرجال الدين فسخروا، واستولىٰ الدهش علىٰ الكاثوليك الليبراليين.

٥ – يوحنا بولس الثاني:

وهو البابا رقم ٢٦٤ في تسلسل باباوات روما، وُلد عام ١٩٢٠م، انتخب بابا في الدورة الثامنة لاقتراع الكرادلة. خلف البابا يوحنا بولس الأول، الذي لم تدم بابويّته سوىٰ أسابيع، واتّخذ اسم يوحنا بولس الثاني.

ويمكن أن توجز أهم إصلاحاته الكَنَسية فيما يلي:

أ- اهتم اهتماما كبيرا بالانفتاح علىٰ سائر الديانات والمذاهب، وقد جاب لتحقيق ذلك أنحاء العالم، في زيارات رعوية وانفتاحية، وهكذا بلغت رحلاته الخارجية ١٠٤ رحلات لأكثر من ١٢٧ بلدا، حتىٰ سمي (البابا الطائر).

ب - أدخل كثيرا من أفراد الشعب في السلك الكهنوتي، ولو كانوا من خارج الكنيسة أو العلمانيين، فقد أعلن قداسة ٥٧٨ شخصًا، ورفع إلىٰ رتبة (طوباوي) أكثر من ١٣٧٨ شخصا، متجاوزا بذلك جميع أسلافه في تاريخ الكنيسة.

ومن وجهة نظر المسيحيين فإنه قد أقدم علىٰ ذلك، ليقول للمؤمنين بأن الجميع مدعوُّون إلىٰ القداسة، وليجعل من الطوباويين والقديسين أمثلة حيّة، للاقتداء بحياتهم وببطولاتهم الروحية، وبذلك يكون قد ساهم إسهاما كبيرا في إحياء (التقوىٰ الشعبية).

ج- أسهم في نزع صورة الرجل الأبيض الغربي عن الكنيسة الكاثوليكية، وخصوصا عن مجمع كرادلتها من خلال ترسيمه عددا وافرا من الكرادلة الآسيويين والأفارقة ومن أميركا اللاتينية.

د - تميّز بنضاله ضدّ النظام الشيوعي.

هـ - قدّم صورة عن مسيحية إنجيلية غير متغطرسة، عندما طلب المغفرة عن الإساءات التي قامت بها الكنيسة الكاثوليكية، في حقب مختلفة من التاريخ، كالاعتذار عن الحروب الصليبية، وعن محاكم التفتيش في القرون الوسطىٰ، وعن اضطهاد الكنيسة لبعض العلماء، وعن الإبادة التي لحقت بالهنود الحمر، وعن اللاسامية حيال اليهود.

و - كان البابا يوحنا بولس الثاني من أكثر الباباوات احتراما للدين الإسلامي، لتركيزه الدائم في لقاءاته مع المسلمين، وفي أثناء زياراته لبلدان إسلامية، علىٰ الجوامع المشتركة بين المسيحية والإسلام. وبذلك يكون قد تابع ما انتهجه المجمع

الفاتيكاني الثاني في تعاليمه حول الحوار مع الديانات الأخرىٰ.

ح - علىٰ صعيد الحركة المسكونية التي تهدف إعادة توحيد الكنائس المسيحية فقد قام البابا يوحنا بولس الثاني بخطوات عديدة لتحقيق تلك الوحدة، من تلك الخطوات المهمّة جدًّا نظريًّا، نشره في ٣٠ أيار (مايو) ١٩٩٥م رسالة عامّة بعنوان (فليكونوا واحدا)، اقترح فيها حلّ مسألة أوّلية بابا روما علىٰ سائر الكنائس المسيحية.

ط - انتقد بشدّة الليبرالية المتوحشة المتمثلة بالعولمة الاقتصادية، ونادىٰ بحقوق الإنسان.

ز - بالنسبة للقضايا السياسية الإسلامية فقد وقف البابا يوحنا بولس الثاني موقفا عادلا، حيث دافع عن القضية الفلسطينية في مطالبها العادلة والمحقة. وكان له موقف في معارضة الحرب الأميركية علىٰ العراق. وموقف من احتلال اليهود لأرض فلسطين ولذا يقول في زيارته إلىٰ فلسطين في عام ٢١/ ٣/ ٢٠٠٠م: "سلام للشعب الفلسطيني، سلام لجميع شعوب المنطقة لا أحد يقدر أن يجهل كم هي المعاناة والآلام التي فرضت علىٰ الشعب الفلسطيني في السنوات الأخير، إن العالم كله يرىٰ معاناتكم، وقد طال بها الأمر كثيرا، لقد اعترف الكرسي الرسولي دائما بحق الشعب الفلسطيني في وطن له، وبحقه في العيش بسلام وطمأنينة مع سائر شعوب المنطقة"(١).

فتبين من هذا أن الدعوات الإصلاحية الكاثوليكية يمكن أن تقسم إلىٰ مرحلتين، المرحلة الأولىٰ كانت قبل ظهور الإصلاح البرتستانتي، والمرحلة الثانية كانت بعده،

---

(١) انظر: مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد ١١، العدد ٤٢، (ربيع ٢٠٠٠م)، ص٢٤٤.

أما المرحلة الأولىٰ فقد ظهرت علىٰ شكل حركات وفرق دينية أو اجتماعية منها الفرقة الكلونية عام ٩١٠م وحاولت فيه الفصل بين السلطة الدينية والدنيوية، وكذلك فرقة ديار بروي وأتباعه في القرن الحادي عشر الذين نادوا بكسر الصليب، وكذلك فرقة الكارثاريين في القرن الثاني عشر الذين نادوا بإنكار بنوة المسيح لله، وكذلك فرقة الولدانيين في عام ١٢١٧م الذين نادوا بإنهاء فساد الكنيسة البابوية وأنكرت بيع الصكوك والعشاء الرباني، وكذلك فرقة جون ويكليف في القرن الرابع عشر الذي نادت برفض البابوية وإنهاء احتكار تفسير الكتب علىٰ أفواه السلك الكهنوتي، وكذلك فرقة جون هس في القرن الرابع عشر، حيث نادت بإلغاء الطقوس التي لم ترد عن المسيح وكذلك فرقة آرزم فوجه في القرن الخامس عشر والتي نادت بعدم احتكار قراءة الكتب وتفسيرها علىٰ أفواه رجال الكهنوت، وكذلك فرقة المتسوطين في القرن الرابع عشر الذين كانوا يجلدون ظهورهم بالسياط لإماتة شهوات النفس، وقد قوبلت كل تلك الحركات بالإبادة والرفض من قبل البابوية، وجُوبِه روَّادها بالإعدام، وكان لبعضها أثر لا يُستهان به بين المجتمع المسيحي، أما المرحلة الثانية وهي الإصلاح الكاثوليكي بعد ظهور البروتاسنت فهذا يسمىٰ بالإصلاح المضاد، أي المضاد للكنيسة البروتستانتية، ومن أهم أسباب نشأة الإصلاح في هذه المرحلة هو رغبة روَّاد الباباوية في مواجهة إصلاحات البروتسانت بعد عجزهم عن إبادتها، ومن الأسباب أيضا خوف الكنيسة البابوية من انصهار أتباعها في بوتقة الدعوة البروتستانتية الجديدة، ومنها كذلك الضغط الرهيب الذي لحق بالبايوية من قبل المجتمع المسيحي في رغبته مواكبة الإصلاحات، وقد تلخصت تلك الأسباب في موجة إصلاحات قادتها الكنيسة بنفسها بعد شعورها بسحب البساط الديني من تحت أقدامها، ومن أبرز مظاهر الإصلاح الكاثوليكي في هذه المرحلة عقد مجمع ترنت الذي ابتدأ في عام ١٥٤٥م ومن أبرز نتائجه إلغاء امتيازات السلك الكهنوتي لأعضاء

الكنيسة البابوية والسماح لعموم الشعب بقراءة الكتب المقدسة، ونهىٰ عن عبادة القديسين واقتصر في أن مصدر الإيمان هو الكتاب المقدس وأصبح الاعتراف مسألة سريَّة بين الرَّاهب وبين الفرد المعترِف، بالإضافة إلىٰ إصلاحات رعوية تختص بشؤون المجتمع في العلم والاقتصاد، ومن مظاهر الإصلاح أيضًا في هذه المرحلة هو عقد المجمع الفاتيكاني الأول، الذي ابتدأ في عام ١٨٩٦م والذي نادىٰ به بابا روما إلا أن كثيرا من الكنائس لم تعبأ به أصلا، ورغم ذلك فقد حضر ممثلين من بعض الكنائس، وكان من أبرز قراراته هي القرارات الصادرة في حق الوقوف أمام هجمات المذاهب المادية والإلحادية التي انتشرت آنذاك، فقرر وجود خالق أسمىٰ، ولم ينف العقل أيضا، وقرروا فيه عقيدة عصمة البابا خوفا من انصهار البابوية بعد أن كثر نهش الناهشين لها من كل الاتجاهات، ومن مظاهر الإصلاح أيضا عقد المجمع الفاتيكاني الثاني، الذي ابتدأ عام ١٩٦٢م حيث كان هذا المجمع هو محاولة أخيرة لعصرنة الكنيسة حيث لم يأتِ المجمع بأيّ تحديدات أو إدانات، كما أنه لم يُصدر أيّ حرمان، كما كانت الحال في المجامع السابقة، واعترف بسائر الديانات التي تعبد الله، وأثبت الحرية الدينية وأن الخلاص لا يقتصر علىٰ أتباع الكنيسة الكاثوليكية، ومن مظاهر الإصلاحات أيضا هي الدعوات الفردية لبعض الباباوات دون مساندة تذكر من قبل مجامع أو ملوك مثل البابا بيوس الخامس (١٥٦٦-١٥٧٢م) والبابا سِكْستُس الخامس (Sixte- Quint) (١٥٨٥-١٥٩٠م): أقام للكنيسة حكما مركزيا، يديره ١٥ مجمعا رومانيا، وكان المطلوب هو القضاء علىٰ التجاوزات، وتثقيف المسيحيين، ومثله كذلك البابا بيوس التاسع (١٨٤٦-١٨٧٨م) حيث تمت في عهده الوحدة الإيطالية، ففقد الكرسي الرسولي الروماني ممتلكاته، وانعزل في الفاتيكان، وكذلك خلفاؤه من بعده، وقد اتّخذ البابا بيوس التاسع موقفا من أضاليل عصره في وثيقتين. في الأولىٰ شجب تجاوزات العقلانية والاشتراكية والليبرالية،

ومثلهم البابا يوحنا بولس الثاني وهو البابا رقم ٢٦٤ في تسلسل باباوات روما، واهتم اهتماما كبيرا بالانفتاح علىٰ سائر الديانات والمذاهب، وأسهم في نزع صورة الرجل الأبيض الغربي عن الكنيسة الكاثوليكية، وخصوصا عن مجمع كرادلتها، من خلال ترسيمه عددا وافرا من الكرادلة الآسيويين والأفارقة ومن أميركا اللاتينية وتميّز بنضاله ضدّ النظام الشيوعي، وقدّم صورةً عن مسيحيةٍ إنجيلية غير مُتغطرسة عندما طلب المغفرة عن الإساءات التي قامت بها الكنيسة الكاثوليكية، وكان البابا يوحنا بولس الثاني من أكثر الباباوات احترامًا للدين الإسلامي وانتقد بشدّة الليبرالية المتوحشة المتمثلة بالعولمة الاقتصادية، ونادىٰ بحقوق الإنسان والوقوف بجانب الشعب الفلسطيني.

الفصل الرابع

عصر العداء الديني بين الكنائس الكبرى وانحسار نفوذ الكنيسة،

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: العداء الديني بين الكنيسة الكاثوليكية وبين الكنيسة الأرثوذكسية

المبحث الثاني: العداء الديني بين فرقة الكاثوليك وتوابعها وبين فرقة البروتستانت

المبحث الثالث: عصر انحسار نفوذ الكنيسة وظهور الثورة الفرنسية

المبحث الأول
العداء الديني بين الكنيسة الكاثوليكية وبين الكنيسة الأرثوذكسية

سبق القول بأن الاختلاف بين الكاثوليك والأرثوذكس، قد نشأ منذ نشأة اختلاف المفاهيم في تحديد مسألة طبيعة المسيح، ثم نشأ اختلاف آخر في تحديد قضية انبثاق الروح القدس، وذلك في مجمع القسطنطينية، ثم مجمع أفسس ثم مجمع القسطنطينية الأول، فانفصلت الكنيسة المسيحية عقب ذلك إلىٰ كنيسة أرثوذكسية وكنيسة كاثوليكية.

ونتيجة لتلك الاختلافات نشأ العداء بين الكنيستين، ذلك العداء الذي لم يستطع التاريخ أن يجبره، ولم يستطع باباوات الكنيستين علىٰ مر التاريخ أن يحتووه، بل كان في تصاعد مستمر، أدىٰ إلىٰ تفاقم الفرقة بين الطائفتين، ومنشأ ذلك العداء -في ظاهره- هو اختلافهم في مفاهيم العقيدة المسيحية.

وشرارة ذلك كانت منذ عصور الكنيسة الأولىٰ، ويظهر ذلك في رسائل آباء الكنيسة الأوائل، كقول القديس أغناطيوس -مثلا-الذي يميز كنيسة رومة عن سائر الكنائس، ويضفي عليها من صفات المديح الكثيرة، فيعلن أن لكنيسة رومة" مكانة الصدارة في أمر المحبة، ولاسيما أمر الإيمان، فإن جماعة رومة خالصة الإيمان لم تنفذ إليها الهرطقة"[(١)]. وهذا فيه لمز لبقية الكنائس المسيحية، ووصفها بالهرطقة.

ودراسة العداء الديني تعتبر من أهم الدراسات التاريخية للديانة المسيحية وهو ما يعبر عنه في اللاهوت المسيحي التاريخي بـ(The Historical)، وهو يبحث في

(١) الآباء الرسوليون، الأنبا مكاريوس ص١٥٣.

تطور إيمان الكنيسة، والتقليد اللاهوتي في مختلف المراحل، ولاهوت العصور الوسطىٰ، والإصلاحات والقرن التاسع عشر(١).

ويمكن دراسة العداء الديني بين الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة الأرثوذكسية فيما يلي:

أوَّلا: أسباب العداء الديني بين أتباع الكنيسة الغربية والكنيسة الشرقية:

أ – الاختلاف في بعض مفاهيم العقيدة المسيحية:

وذلك بعد اتفاقهم علىٰ ألوهية المسيح علىٰ أنه الرب في نص قانون الإيمان في مجمع نيقية عام ٣٢٥م في قوله: "ونؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله"، واتفاقهم كذلك علىٰ ألوهية الروح القدس في نص القانون أيضا في قوله: "ونؤمن بالروح القدس الإله الحي"، اختلفوا بعد ذلك في مسألة طبيعة المسيح، هل له طبيعة واحدة كما هو رأي الشرقيين؟ أم له طبيعتان كما هو رأي الغربيين؟ وكذلك الروح القدس، هل انبثق من الأب فقط كما هو رأي الشرقيين؟ أم أنه انبثق من الأب والابن كما هو رأي الغربيين؟

وقد استمر ذلك الخلاف إلا أنه لم يكن يفصل الكنيستين فصلا تاما، إلا في سنة ١٠٥٤م، فقد حصل نزاع بين البطريرك البيزنطي (ميشيل)، وبين رئيس الوفد البابوي الكاردينال (همبرت)، مبعوث البابا ليو التاسع في القسطنطينية، وانتهىٰ ذلك النقاش بلعن كل منهما الآخر وحرمانه هو وأتباعه(٢)، ويمكن أن يعد هذا هو السبب الظاهر

---

(١) المدخل إلىٰ اللاهوت، نقله إلىٰ العربية، الأب حبيب هرمز النوفلي، الفصل الأول، اللاهوت وطرقه، ص٧.

(٢) انظر: The Western Rite and the Eastern Church: Dr. JJ Overbeck and His Scheme for the Re-Establishment of the Orthodox Church in the West.
=

لانفصال الكنيستين إلا أن هناك أسبابا مهمة تظهر فيما يلي.

ب- النزاع بين الكنيستين علىٰ المكانة السياسية:

يمكن أن يقال عن أقل اختلاف الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة الأرثوذكسية: إنه اختلاف علىٰ المكانة السياسية بين الكنيستين، ولهذا أصبح هذا الاختلاف يحمل الكثير من العداء والأحقاد، ويتضح ذلك حينما يصف الأرثوذكسيون الكاثوليك بأنهم "أصحاب هرطقة" وأنهم "حاقدون علىٰ مكانة الكنيسة المرقسية"(١)، بينما يصف الكاثوليك أتباع الكنيسة الأرثوذكسية بأنهم "هراطقة" أيضا وأن هرطقتهم "بقيت مثل حيوان متحجِّر من حقبة ما قبل التاريخ"(٢).

ولهذا يحصر بعض المؤرخين واللاهوتيين سبب الخلاف بين الكنيستين، إلىٰ النزاع حول السلطة فقط، فيقول الكاتب النصراني حبيب سعيد عن منشأ الخلاف بين الكنيستين: "إن منشأ الخلاف في الواقع بين الكنيستين الشرقية والغربية لم يكن هذه اللفظة ولا غيرها من عقائد الدين، بل هو حب الرئاسة والتنازع السياسي، والتباين الفكري واللغوي بين اليونان واللاتين"(٣).

= Abramstov, D. F., An Unpublished Master's Thesis, University of Pittsburgh, 1961. P.7

(١) محاضرات في التاريخ الكنسي، الأنبا يوانس، ص٥٨. الأديان الحية، ر.س.رتيز، الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية، نيكولا زرنوف، ص ١٨٩-١٩٠.

(٢) انظر: The Western Rite and the Eastern Church: Dr. JJ Overbeck and His Scheme for the Re-Establishment of the Orthodox Church in the West. Abramstov, D. F., An Unpublished Master's Thesis, University of Pittsburgh, 1961. P.7

(٣) تاريخ المسيحية، حبيب سعيد، ١/ ٢١٦.

وممن يؤيد هذا الرأي المؤرخ اللاهوتينيكولا زرنوف حيث يقول: "الخلاف الأخطر الذي ظهر ليفصل الأرثوذكس عن الكاثوليكية الرومانية، هو ذلك الاختلاف المتعلق بالامتيازات البابوية".(١)

ويعزو كذلك القس فايز فارس هذه الاختلافات أيضا إلىٰ أنها سياسية، لتزعم المكانة لاختلاف الحضارة واللغة، بين الكنيسة الشرقية والغربية، ثم يقول: " وأخيرا تعللت الكنائس ببعض الاختلافات العقائدية البسيطة مثل انبثاق الروح القدس، هل هو الأب فقط، كما يقول الشرقيون، أو هو من الأب والابن، كما يقول الغربيون؟"(٢).

وفي رأيي لا ينحصر العداء حول هذه النقطة رغم أهميتها بل حصل ذلك بمجموع الأسباب كلها أو جلها.

ج - توجهات الأباطرة:

يمكن أن تعد توجهات الأباطرة في تسيير الكنيسة من أهم الأمور التي أذكت نار ذلك العداء وزادت طينه بلة هو تدخل الأباطرة الذي كانوا يوجهون مجامع النصارىٰ حسب أهوائهم أو اعتقاداتهم، وذلك منذ عصر قسطنطين، الذي شعر أن من واجبه أن يحافظ علىٰ الأمن وحرية العبادة، فتدخل في شؤون الكنيسة، وسجل بتدخله سابقة خطرة أدت فيما بعد إلىٰ مشاكل كبيرة داخل المجتمع المسيحي.

ولهذا يرجع بعض المؤرخين أصل الانشقاق إلىٰ العام ٣٣٠م، وذلك حينما أعطىٰ قسطنطين اسمه لبلدة بيزنطة المتواضعة، التي جعل منها عاصمة إمبراطورية الشرق

---

(١) الأديان الحية، ر.س.رتيز، الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية، نيكولا زرنوف،ص١٨٨.
(٢) أضواء علىٰ الإصلاح الإنجيلي، الإنجيلي، القس فايز فارس ص٦٨.

الفتية، وأضفىٰ هذا الانتقال شهرة دينية وسياسية للشرق عموما، وبيزنطة علىٰ وجه الخصوص، فقد استحصل مطرانها علىٰ رتبة بطريرك، ثم بطريرك مسكوني(١).

والعجيب في الأمر أن بعض الكنائس الأرثوذكسية لم تكتف بتلك الإمكانات، بل أرادت أن تضيف إلىٰ شرفها المادي شرفًا روحانيًّا دينيًّا، فارتأت أن تدعي لها تلك النسبة علها أن تنال شيئا من ذلك التشريف، الذي حظيت به الكنيسة الغربية.

الكنيسة الأنطاكية مثلا من الكنائس التي انتسبت إلىٰ بطرس الحواري هي أيضا، وذلك لزيادة التأكيد علىٰ أحقية زعامتها هي أيضا، يقول أسعد رستم مؤرخ الكنيسة الأنطاكية: "وكانت أنطاكية ثالثة مدن الإمبراطورية، وقاعدة الأباطرة في الشرق، وكانت قد أصبحت عاصمة النصرانية، بعد خراب أورشليم، فكان من الطبيعي أن يصبح أسقفها خليفة بطرس وبولس ذا هيبة ووقار وسطوة واقتدار"(٢).

د - تحول الاختلاف في وجهات النظر بين الكنيستين إلىٰ مواجهات مسلحة:

بعد أن دُبج الاختلاف السياسي بين الكنيستين بديباجة الدين، وألبس السعي إلىٰ الزعامة بين زعمائها بمسوح رهبان الكنيسة انعقد القول بالفعل، وارتد الجدال إلىٰ قتال، وتحول العزم إلىٰ دم، فكفّر كل منهما الآخر، ووصفه بالهرطقة، واعتبره عدو الدين، فنشأت بين أتباع الكنيستين كثير من الحروب الطاحنة، التي كانت نتاج رأي كل كنيسة في الكنيسة الأخرىٰ.

ولهذا لم يستثنِ أحدهما الآخر من القتال وسفك الدماء، فقد كان اللاتينيُّون الكاثوليك في هجماتهم الصليبية علىٰ المسلمين لا يستثنون الأرثوذكس، لأن هدفهم

---

(1) The Cambridge History of Chritianity, Edited by; Margaret Mary M. Mitchell and Frances M.YOUNG,p539

(٢) كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمىٰ أسعد رستم، ص١٥٣.

المعلن واحد، وهو الحرب ضد الكفار، فنهبوا مدنا مقدسة عندهم، كالقسطنطينية وغيرها، وقتلوا كثيرا من أبرياء الأرثوذكس(١).

يقول نيكولاس زرنوف عن هجوم الكاثوليك علىٰ مدينة القسطنطينية الأرثوذكسية: "لقد نهب المعتدون الغربيون هذه العاصمة الشرقية العظيمة، لقد استباح المعتدون الغربيون هذه العاصمة العظيمة (القسطنطينية)، فراحوا يقتلون كما يحلو لهم، ولم ينجُ من عدوانهم شيء لا القصور ولا المساكن المتواضعة، ولا الكنائس، ولا المكتبات، ولا الأديرة، لم ينجُ كل ذلك أمام عنف الجنود السكارىٰ الساخطين، لقد تم تدمير المدينة المقدسة للمسيحية الشرقية دمارا أبديا علىٰ يد محاربي الغرب المسيحي بهذا العمل المدمر الداعر"(٢).

لقد بلغ الاضطهاد المسيحي الكاثوليكي للمسيحي الأرثوذكسي كل مبلغ حتىٰ إن كثيرا من الأرثوذكس كانوا ينظرون إلىٰ الفتوحات الإسلامية نظرة المستغيث من الاضطهاد الكاثوليكي، كما يقول نيكولا زرنوف: " وقد استشرىٰ العداء بين الطرفين، حتىٰ إنه في أواخر أيام الدولة البيزنطية، كان كثيرون من الأرثوذكس ينظرون للتقدم الإسلامي باعتباره أمرا أقل شرًّا من خضوعهم لبابوية روما"(٣).

ويصور ساويرس الأرثوذكسي الشهير بابن المقفع اضطهاد الكاثوليك للأرثوذكس الأقباط في مصر فيقول: "لم يزل القبط قائلين بالحق، معاندين للملوك والسلاطين المخالفين، صابرين علىٰ إراقة دمائهم، ونهب أموالهم في كل الأزمان،

---

(١) انظر: The Protestant Revolution and the Thirty Years War. Ross, B., & Devries, D., Grand Rapids, MI: Grace Life Bible Church, Lake Michigan Dr. Grand Rapids, MI, 2010, P.3

(٢) موسوعة الأديان الحية، ر.س.رتيز، الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية، نيكولا زرنوف،ص١٩١.

(٣) نفس المرجع ص١٩٢.

حتىٰ إنهم لعظم غيرتهم وخوفا من أن يضيع ملوك اليونانيين الإيمان الحق منهم سلموا أنفسهم لملوك العرب وصبروا علىٰ الخضوع لهم، ووزن الجزية، واختاروا ذلك علىٰ ألا يفسدوا الإيمان الأرثوذكسي"(١).

فابن المقفع صدق في وصف الوحشية والاضطهاد الذي ذاقه الأرثوذكس علىٰ يد النصارىٰ إلا أنه كذب في وصف حال تعامل المسلمين مع النصارىٰ آنذاك، لا يمكننا أن نمرر هذا الكذب علىٰ التاريخ من ابن المقفع، فلقد كان عصر سلطة المسلمين علىٰ الكنائس المسيحية الأرثوذكسية عصر تسامح وعدل، كما صرح بذلك جملة من علماء اللاهوت النصارىٰ، حيث ذكروا أنه خلال تلك الفتوح "عرف العرب الفاتحون المسلمون كيف يتعاملون مع أبناء جنسهم ودمهم بروح سمحة" بل ذكروا أن المسيحيين قد رحبوا بقدوم العرب الفاتحين، بالرغم من اختلاف الدين، حيث إنهم قد وفَّروا لهم الأمان،(٢) وهذا الأمان المرجو لا شك أنه كان من جراء الاضطهاد المسيحي المسيحي، فهبَّ المسلمون لنصرة المظلومين.

ويقول المؤرخ والمستشرق الألماني آدم متز: "كان وجود النصارىٰ بين المسلمين سببًا لظهور مبادئ التسامح.. لم يكن معروفا في أوربا في العصور الوسطىٰ"(٣).

وعلىٰ كل حال فإن هذا الاضطهاد المسيحي الكاثوليكي ضد المسيحي الأرثوذكسي آتىٰ أكله، فقد اعتنقت بعض الكنائس الأرثوذكسية الشرقية قانون الإيمان، الصادر عن مجمع خلقديونية تبعا للكاثوليك كما هو حال كنيسة أورشليم.

(١) الدر الثمين في إيضاح الدين، ساويرس الشهير بابن المقفع، ص١٦٢.
(٢) انظر: دليل إلىٰ قراءة تاريخ الكنيسة، الأب جان كمبي ص١١و ص٢٦ والسيطرة العربية والتشيع والمعتقدات المهدية في ظل خلافة بني أمية، ج،فان، فلوتن، ص٢٣.
(٣) الحضارة الإسلامية، آدم متز ١/ ٧٥

ثانيا: محاولات الصلح بين الكنيستين:

لما كان العداء الديني المسيحي المسيحي قد شتت شمل الكنيسة، وأهدر طاقاتها، وأضعف قوتها، وأسهم في تشتت أتباعها، لم يكن يرضي ذلك بعض العقلاء من المصلحين والقائمين علىٰ شؤون المسيحية، فظهرت بعض المحاولات المسيحية التي سعت إلىٰ رأب الصدع بين الكنيستين، وتحقيق مبدأ الوحدة الكنسية بين أتباعها، ومن أهم تلك المحاولات ما يلي:

أ – المحاولة الأولىٰ:

يمكن أن يُذكر أن أولىٰ تلك المحاولات كانت من قبل الأرثوذكس، فقد حاول زعماء الكنيسة الشرقية في مجمع خلقدونية سنة ٤٥١م تقريب وجهات النظر، وذلك بتأكيد المساواة بين كرسي روما وكرسي القسطنطينية، ولكن مندوب البابا ليو الأول عارض هذا المبدأ مستشهدا ببعض قرارات مجمع نيقية علىٰ أسبقية كرسي روما.

وهذا الأمر يعد بمثابة سعي إلىٰ الصلح من قبل الكنيسة الأرثوذكسية فقط، حيث لم تنادِ بأسبقيتها وأحقيتها علىٰ جميع كنائس العالم المسيحي في تسلم الإيمان الصحيح، وإنما أردوا هنا مساواتهم بالكنيسة الغربية فقط، غير أنها جوبهت بالرفض من قبل الغربيين.

ب – المحاولة الثانية:

من أبرز تلك المحاولات أيضا ما يعرف باسم الهنوتيكون(Henoticon)، أي وسيلة الاتحاد أو مرسوم الاتحاد، الذي أصدره الإمبراطور زينون (٤٧٤ – ٤٩١م) بمباركة بطريرك القسطنطينية أكاكيوس، وخلاصة هذا المرسوم كانت كالتالي: " بما أن الإيمان الذي لا عيب فيه وحده ينجينا وأمور الجيل، لذلك قدم إلينا محبو الله رؤساء الأديرة والرهبان عرائض، ملتمسين فيها بدموع أن يتم اتحاد الكنائس

المقدسة، فتنضم إلىٰ بعضها البعض تلك الأعضاء التي فرقها عدو الخير..".

وكان أبرز ما جاء فيه هو قولهم: "ونعتقد بأن الوحيد ابن الله والإله يسوع المسيح الذي نزل وتجسد حقا من الروح القدس ومن العذراء والدة الإله، والذي هو من طبع الأب باللاهوت، ومن طبعنا بالناسوت هو واحد لا اثنان".

ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل، بل أدت إلىٰ تقعر الانقطاع بين الكنيستين حيث عرف باسم انقسام أكاكيوس(١).

ج - المحاولة الثالثة:

هناك محاولة أخرىٰ لا تقل أهمية عن سابقتها، وهي محاولة (هرقل)، الذي تربع علىٰ عرش الإمبراطورية عام ٦١٠ م، وأراد أن يوحد بين الكنيستين، فأصدر عقيدة جديدة عرفت باسم (المونوثيليتية (monotheletisn، وهي القول بمشيئة واحدة في المسيح، علىٰ أمل أن تحل محل الاعتقاد بطبيعة واحدة في المسيح دون التعرض لطبيعة المسيح، وعلىٰ الرغم من قبولها من بعض رؤساء الكنائس- من كلا الجانبين- إلا أنه سرعان ما رفض أيضا من كلا الجانبين، ولم يدم إلا بين موارنة لبنان، وذلك عندما أعلن الأسقف يوحنا مارون سنة ٦٦٧م مذهبه الذي يتضمن: "أن المسيح ذو طبيعتين، طبيعة اللاهوت وطبيعة الناسوت في شخصه، ولكنه ذو مشيئة واحدة هي مشيئة الله"(٢).

وقد خالف هذا المذهب الجديد كلا من الكنيسة الكاثوليكية الغربية والكنيسة الأرثوذكسية الشرقية، وأنشأ قولا جديدا وهو أن للمسيح طبيعتين، طبيعة إلهية،

---

(١) انظر: محاضرات في التاريخ الكنسي، للأنبا يوأنس ص٨٧- ٨٩.

(٢) دليل إلىٰ قراءة تاريخ الكنيسة، الأب جان كمبي، ٢/ ٢٩٩ وكنيسة مدينة الله أنطاكية العظمىٰ، أسعد رستم ص٤٣٣.

وطبيعة بشرية، وأن له مشيئة واحدة، وهي مشيئة إلهية، وكان هذا هو السبب في انفصال الكنيسة المارونية الكاثوليكية الشرقية عن الكنيسة الكاثوليكية الغربية الأم، فأعدت الكنيسة الكاثوليكية الغربية مجمع القسطنطينية الثالث، وهو المجمع السادس المسكوني عام ٦٨٠م، وحضره نحو ٢٠٩ أسقف، وقرروا فيه لعن وطرد من يؤمن بالمشيئة الواحدة، وأقروا بأن لربهم المسيح طبيعتين ومشيئتين، ولعن وحرم كل من خالف ذلك، إلا أن الموارنة تمسكوا بالمشيئة الواحدة[١].

د - المحاولة الرابعة:

من ضمن محاولات رأب الصدع بين الكنائس ما كان في سنة ٦٣٨م، عندما طبع هرقل سرجيوس مرسومه (إكتيسيس Ecthesis)، ولكن كنيسة مصر لم تقبل بذلك المرسوم، فسعىٰ سرجيوس لتحقيق ذلك، وذلك بتعيين أحد الأساقفة الأذكياء، كبطريرك علىٰ كنيسة الإسكندرية، وهو أيضا حاكم إمبراطوري لإقليم مصر في نفس الوقت، فاختار الأسقف سيروس الذي يعرف في المراجع العربية بالمقوقس، وقد سام هذا الرجل أسقفية الأرثوذكسية وأساقفتها صنوف العذاب، ويذكر كتاب (تاريخ البطاركة) للأنبا ساويرس، أسقف الأشمونيين في القرن العاشر عن تلك المواقف: "إنه لعظم البلاء والضيق والعذاب الذي أنزله المقوقس بالأرثوذكسيين، لكي يدخلوا في الأمانة الخلقديونية، وذاق جماعة منهم لا يحصىٰ عددهم صنوف العذاب، وقوم بالهدايا والتشريف، وقوم بالسؤال والخداع"[٢].

---

(١) انظر: دليل إلىٰ قراءة تاريخ الكنيسة، الكنائس الشرقية الكاثوليكية، الأب جان كمبي ص٣٠٣.وتاريخ ابن البطريق، ١/ ٢١٠.

(٢) محاضرات في التاريخ الكنسي، للأنبا يوأنس ص٩٤-٩٨. وكنيسة مدينة الله أنطاكية العظمىٰ، أسعد رستم، ص٤٤٠.

لكـن محـاولات المقـوقس الجبريـة بـاءت بالفـشل في خـضم تمـسك الأقبـاط الأرثوذكس بمعتقداتهم.

هـ - المحاولة الخامسة:

من ضمن محاولات رأب الصدع بين الكنيستين أيضًا محاولة مـن قبـل الكنيـسة الأرثوذكـسية للـصلح وذلـك قبيـل الفـتح الإسـلامي كمـا يقـول - نيكـولاس زرنـوف أسـتاذ الثقافـة الأرثوكـسية في جامعـة أكـسفورد -، حيـث عقـد مجمـع فلورنـسا سـنة ١٤٣٩م، واختيرت أربع نقاط فقط للتـشاور، وهـي امتيـاز الكرسـي البـابوي، وانبثـاق الروح القدس، والاعتقاد في المطهر، واستخدام الخبز بالخميرة، أو بدون الخميـرة في العشاء الرباني، وكانت النتيجة في هذا المجمع هو أن تفاقم الخلاف أكثر، ولـم يتنـازل أحد الطرفين عن مبادئه [١].

و - المحاولات الحديثة:

لقد أراد بعض اللاهوتيين المتأخرين أن يقلـل مـن قيمـة هـذا الاخـتلاف، وذلـك بالتقليل من شأن هذا الاختلاف، ويكثر هذا النوع ضمن محاولات كتـاب الكنيـستين المتأخرين من كلا الجـانبين، حيـث اعتقـدوا "أنـه يمكـن التوفيـق بـين كلمـات قـانون الإيمـان الـشرقي، وكلمـات قـانون الإيمـان الغربـي، وأن هـذه الإضـافة التـي تمـت في إسبانيا لا تؤثر بشكل جوهري في صحة العقيدة المسيحية". [٢]

وهـذه المحاولـة هي محاولـة يائسة، بعـد أن اسـتنفدت كـل الحيـل في رأب ذلـك الصدع الذي عجز عن حله كل باباوات الكنيستين ولاهوتيها.

---

(١) انظر: موسوعة الأديان الحية، ر.س.رتيز، الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية، نيكولا زرنوف،ص١٨٦.

(٢) نفس المرجع،ص ١٨٨.

بينما ارتأىٰ بعض اللاهوتيين الكاثوليك المعاصرين إظهار الوحدة ولو بـالقول، حيث يرون أن "الكنائس والجماعات الكنيسة التي انفصلت عن الشركة مع الكنيسة الكاثوليكية يوجد معها كثير من التقديس والحقيقة... هم بالعمودية أعضاء في جسم المسيح، فنعترف إذا بهم إخوة لنا". وهذا الكلام لم يبرهن من قبل القائمين علىٰ الكنيستين بالفعال، وإنما هو محاولة لرأب الصدع ليس إلا.

ويتمنىٰ بعضهم أن تستعيد الكنيسة الغربية الكنائس الأخرىٰ ولا سيما الشرقية -كما هو رأي الدكتور أوڤربيك - ويعلل ذلك بأن هذا "سوف يفيد الكنيسة الشرقية أيضا، لأن تيارا جديدا من الحياة سوف يتدفق إلىٰ قلب تلك الكنيسة، حيث تتلاقىٰ العقول الشرقية والغربية علىٰ أرضية أرثوذوكسية مشتركة بدلا من الوقوف علىٰ تربة مهتزة"[(١)].

وهذا الاقتراح لازال يندس فيه عرق صلف باباوات الكنيسة الكاثوليكية وحصر الحق المسيحي في كنيستهم.

في حين يرىٰ بعض النصارىٰ الأرثوذكس أن الحل لالتئام الكنيستين هو عدم التكلم في هذه المعتقدات المتباينة، وأن تقلع كل كنيسة "عن التشويق إلىٰ طقس معين أرثوذكسيا كان أم كاثوليكيا".[(٢)] وهذا من المحال أن يقع إلا في مخيلة صاحب هذا الحل ما داموا متمسكين بالمسيحية.

---

(١) انظر: The Western Rite and the Eastern Church: Dr. JJ Overbeck and His Scheme for the Re-Establishment of the Orthodox Church in the West. Abramstov, D. F., An Unpublished Master's Thesis, University of Pittsburgh, 1961. P.7

(٢) كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمىٰ، أسعد رستم، ص٢٤.

ومن ضمن المحاولات كذلك تقنين دراسة المذهب الكاثوليكي في المدارس الأرثوذكسية والعكس كذلك، وهذا ما قررته بعض كليات اللاهوت الأرثوذكسية المسيحية، إلا أن هذا الأمر يشعر أساتذتهم بالحيرة عندما تدخل في خطة الكلية، كبرنامج ينشر المعرفة الكاثوليكية، لأن العدد الأكبر من الطلبة هم من غير الكاثوليك، وهذا يجعل الطلبة أكثر حذرا عند مناقشة العقائد بصورة دقيقة(١).

ولعل من أطرف تلك المحاولات لرأب الصدع بين الكنيستين هو ما فعله بعض اللاهوتيين الكاثوليك المعاصرين عند الحديث عن طبيعة المسيح، فيقرر ما يعتنقه من طبيعة المسيح الواحدة أو الطبيعتين، ثم يختم قوله بعبارة توهم اتفاق كل الكنائس علىٰ ما اعتقده كما فعل اللاهوتي المعاصر رت كندل، حينما قرر أن للمسيح طبيعتين حسب ما قرره مجمع القسطنطينية، ثم ختم كلامه بقوله: "وقد صار ما قرره هؤلاء المجتمعون في القسطنطينية التعريف السليم، لما يعلمه الكتاب المقدس عن شخص المسيح، وقبلته الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية والإنجيلية"(٢).

وهذا كذب علىٰ التاريخ وتدليس للحقائق، فلم تقتنع كل الكنائس بما ذكره، ولا تزال الردود بين الكنيستين إلىٰ اليوم(٣).

---

(١) المدخل إلىٰ اللاهوت، نقله إلىٰ العربية الأب حبيب هرمز النوفلي، كنيسة مار مركس الكلدانية، الفصل الثامن، الحياة المسيحية، الأسرار والليتورجيا.

(٢) كيف نفهم علم اللاهوت، رت كندل ٣/ ٣١.

(٣) الردود الأرثوذكسية علىٰ الكاثوليك كثيرة قديمة وحديثة، وكذلك العكس، إذ النزال محتدم في ميدان الردود، وتضليل عقائد كل فرقة للأخرىٰ، ومن أمثلة تلك الكتب الحديثة، كتاب الحجة الأرثوذكسية ضد اللهجة الرومانية، الإيغومانس فيلو ثاؤس، رئيس الكنيسة المرقسية الكبرىٰ، وكتاب الوضع الإلهي في تأسيس الكنيسة، للبطريرك كيرلس مقار، وغيرها.

نتيجة محاولات الصلح بين الكنيستين:

يمكن القول بأن كل محاولات رأب الصدع بين الكنيسيتين كانت محاولات بائسة، ولا يمكن رأب الصدع بين الكنيسيتين لتعلقه بأسس دينية وسياسية عميقة متجذرة في داخل الكنيستين.

فتبين من هذا أن سبب الخلاف الظاهر بين الكنيسة الكاثوليكية هو عدم اتفاقهم حول تحديد طبيعة المسيح وانبثاقه غير أن هناك أسبابا خفية أشرنا إليها ترتكز حول الصراع حول السيادة علىٰ العالم المسيحي، وقد ظهر الخلاف بشكل علني منذ مجمع أفسس ثم مجمع القسطنطينية الأول، وتحول ذلك الخلاف إلىٰ عداء بين الكنيستين، ومما أذكىٰ ذلك الخلاف وزاد حدته عداوة هو تدخل الأباطرة الذين كانوا يرون أن لهم الحق في توجيه العقيدة المسيحية حسب رؤيتهم الشخصية، بدأ من الإمبراطور قسطنطين عام ٣٢٥ في مجمع نيقية حيث نصر أتباع التثليث بقيادة أثناسيوس أسقف الإسكندرية علىٰ الموحدين بقيادة آريوس، ثم مع مرور الوقت تحول ذلك العداء إلىٰ مواجهات مسلحة بين الكنيستين وكفرت كل منهما الأخرىٰ، ولذلك كانت الحروب الصليبية الكاثوليكية علىٰ المسلمين لا تستثني الأرثوذكس من التنكيل والقتل، وقد عقدت عدة محاولات للصلح بين الكنيستين، وأول تلك المحاولات في مجمع خلقدونية سنة ٤٥١م حيث طلبت الكنيسة الشرقية مساواتها بالغربية إلا أنها قوبلت بالرفض، ومن أبرز تلك المحاولات أيضا ما يعرف باسم الهنوتيكون(Henoticon)، أي وسيلة الاتحاد أو مرسوم الاتحاد الذي أصدره الإمبراطور زينون (٤٧٤ - ٤٩١م) بمباركة بطريرك القسطنطينية أكاكيوس، وهناك محاولة أخرىٰ لا تقل أهمية عن سابقتها، وهي محاولة (هرقل)، الذي تربع علىٰ عرش الإمبراطورية عام ٦١٠ م، وأراد أن يوحِّد بين الكنيستين، فأصدر عقيدة جديدة عرفت باسم (المونوثيليتية (monotheletisn، وهي القول بمشيئة واحدة في

المسيح، فظهرت فرقة جديدة وهي المارونية ولم ينته الخلاف، ومن ضمن محاولات رأب الصدع بين الكنائس ما كان في سنة ٦٣٨م، عندما طبع هرقل سرجيوس مرسومه (إكتيسيس Ecthesis)، ولكن كنيسة مصر لم تقبل بذلك المرسوم، فعينت عليهم واليا من قبلهم وأذاقهم صنوف التنكيل، والمحاولة الخامس كانت في مجمع فلورنسا سنة ١٤٣٩م، واختيرت أربع نقاط فقط للتشاور، وهي امتياز الكرسي البابوي، وانبثاق الروح القدس، والاعتقاد في المطهر، واستخدام الخبز بالخميرة، أو بدون الخميرة في العشاء الرباني، وكانت النتيجة هي أن ذلك الخلاف زادت حدته ولم ينته، وهناك محاولات حديثة وهي محاولات من قبل بعض المؤرخين والكتاب والجهات الأكاديمية الذين يرون أن الخلاف اختلاف تنوُّع وليس تضاد ولكن هذه المحاولات لا يقبلها التاريخ ويكذبها الواقع.

المبحث الثاني
العداء الديني بين فرقة الكاثوليك وتوابعها وبين فرقة البروتستانت

يعدّ قيام البروتستانت بزعامة مارتن لوثر وغيره من زعماء إصلاح الكنيسة ضربة قوية قصمت ظهر الكنيسة البابوية، خصوصا وأن دعاة المذهب البروتستانتي وُلدوا من رحم الكنيسة الكاثوليكية، مما زاد غيظ باباوات الكنيسة البطرسية علىٰ أولئك الثوار.

ولهذا فإن العداء الديني بين البروتستانت والكاثوليك يتميز منذ نشأته بأنه عداء مسلح، يشوبه القتل والتدمير، والحروب الطاحنة، وهذا ما يميز العداء البروتستانتي الكاثوليكي عن العداء الكاثوليكي الأرثوذكسي، حيث كانت الكنيسة الكاثوليكية والأرثوذكسية قوتين متكافئتين تقريبا في كثير من الأحيان، مع بُعد كل كنيسة عن الأخرىٰ بعدا شاسعا من حيث الجغرافيا.

وقد صدق الإمبراطور يوليان ٣٦٣م حينما أدرك هذا العداء قديما حيث يقول: "إن المسيحيين يفنون بعضهم بعضا، لا توجد وحوش أعدىٰ للجنس البشري من فتك المسيحيين بعضهم بعضا"(١).

فمنذ ظهور المذهب البروتستانتي الذي انتشر انتشار النار في هشيم العالم المسيحي الغربي، جُوبِهَ بالعداء والسجون والمعارك الطاحنة من قبل الكنيسة الكاثوليكية.

---

(١) تاريخ الكنيسة، جون لوريمر ٣/ ٨٨

غير أن هذا المذهب الجديد اتسع خرقه علىٰ رُقَّاع الكنيسة الكاثوليكية، فلم يعد هو ذلك المذهب الهرطوقي، ولم يعد أتباعه هم أولئك الضعفاء الفارين من قبضة الكنيسة الكاثوليكية، بل أصبح هو المذهب الذي اعتنقه كثير من الأمراء والملوك والنبلاء وغيرهم من زعماء المجتمعات المسيحية، ولم يعد المدافعون عنه في خفية وهلع، خشية القبض عليهم، بل أصبحت له جيوش جرَّارة، يقودها قادة شجعان، عرفوا بالقوة والصلابة في ميادين الحروب، فانبجست معارك طاحنة بين أتباع المذهب الكاثوليكي من ناحية، وبين أتباع المذهب البروتستانتي من ناحية أخرىٰ، عصفت بأوروبا علىٰ مدىٰ سنين طويلة في معظم دول أوروبا، انتهت بانتصارات بروتستانتية في نواحٍ، وانتصارات كاثوليكية في نواحٍ أخرىٰ، ويمكن إيجاز مظاهر العداء الديني بين البروتستانت والكاثوليك الذي شمل معظم أوروبا فيما يلي:

أوَّلاً: حروب ألمانيا الدينية:

قامت مناوشات حربية عديدة منذ ظهور مبادئ إصلاح مارتن لوثر بين أباطرة ألمانيا الكاثوليك وبين الثوار البروتستانت، وفشلت كل مساعي الصلح فيها، ولم تنتهِ إلا بعقد سلام بين الكاثوليك والبروتستانت، ويسمىٰ سلام أوجسبرج عام ١٥٥٥م، وكان من أهم بنود هذا الصلح هو: إبرام السلام والتعايش بين أتباع الكنيستين، والاعتراف بالكنيسة البروتستانتية إلىٰ جانب الكنيسة الكاثوليكية.

إلا أن ذلك لم يدم طويلا، فقد توجس كل منهما من الآخر، بالإضافة إلىٰ ظهور أمر جديد أورد إشكالا جديدا علىٰ هذا الصلح، وذلك أن بنود هذا الصلح قد اعترفت بالكاثوليكيين واللوثريين فقط، ولكن كان هناك الكثير من أتباع (كالفن)، الذين يسمون بالكالفنيين في جنوب ألمانيا، حيث طالبوا بالاعتراف بهم هم أيضا، لأن هذا الصلح لم يعترف بهم.

بالإضافة إلىٰ أن هذا الصلح قد أسهم إسهاما كبيرا في نشر المذهب البروتستانتي انتشارا واسعا، حتىٰ أصبحت ألمانيا الشمالية بروتستانتية، حتىٰ وصل إلىٰ جنوب النمسا وبافاريا، فأوجد هذا الانتشار نوعا من الغيظ الكاثوليكي، وقرروا أنهم لن يظلوا صامتين أمام هذا الانتشار الواسع للبروتستانت.

والذي سكب الزيت علىٰ النار، هو رئيس أساقفة براغ، وذلك عندما أمر بتحطيم كنيسة بروتستانتية، ولجأ الناس وهم غاضبون إلىٰ الإمبراطور ماتياس، الذي تجاهل احتجاجهم، فانتفض البروتستانت ثائرين، وتعد تلك الحادثة هي البداية الفعلية لحرب الثلاثين عامًا، وذلك ما بين عامي ١٦١٨م-١٦٤٨م، وانطلقت شرارة ذلك حينما أقام البروتستانت في عام ١٦٠٨م الاتحاد الإنجيلي، وفي عام ١٦٠٩م أسس الكاثوليك العصبة المقدسة، فأصبحت ألمانيا عبارة عن معسكرين متضادين(١).

وقد أسس لوثر لهذا العداء المقدس حيث جاء في مؤلفات لوثر المطبوعة ويتمبرغ ص١٢٠ مانصه: " فإن أعددنا المشانق للصوص والسيف للقتلة فمن الواجب أن نشب النار للهراطقة".

يقول الأب الكاثوليكي فان هام: "وقد عد أحد المؤرخين البروتستانت عدد الذين قتلوا في هذه الحرب فجاء مائة ألف نسمة حتىٰ أمست الأقاليم العامة قاعا صفصفا وجثث قتلىٰ"(٢). مع يقيني بأن هذا العدد منخفظ إلىٰ حد كبير.

ويقسم المؤرخون حرب الثلاثين عاما إلىٰ أربعة أدوار كما يلي:

---

(١) انظر: The Protestant Revolution and the Thirty Years War. Ross, B., & Devries, D., Grand Rapids, MI: Grace Life Bible Church, Lake Michigan Dr. Grand Rapids, MI, 2010, P.3

(٢) الكوكب الوضاح في تاريخ الإصلاح، الأب فان هام ص٣٦٠

أ - الدور الأول: الدور البوهيمي:

كان السبب في ثورة البوهيميين ما أنزله إمبراطور ألمانيا رودلف بأهالي بوهيميا البروتستانت من اضطهاد، فقامت الثورة البوهيمية سنة ١٦١٨م، وأدت إلىٰ حرب أهلية في بوهيميا، وانتشرت في جميع أنحاء غربي أوروبا، وأول أمر فعله البروتستانت هو طرد المبعوث الإمبراطوري الكاثوليكي في بوهيميا (فيرديناند)، واختاروا فريدريك البروتستانتي بدلا عنه، فجمع الإمبراطور فرديناند جيشا كبيرا لإخماد ثورة البوهيميين، وفي عام ١٦٢٠م هزم لواؤه البوهيميين هزيمة نكراء في معركة الجبل الأبيض، فأخمدت ثورة البروتستانت، وأصبحت الكاثوليكية الديانة الرسمية للدولة مرة أخرىٰ(١). ومن هنا بدأ تتابع سقوط دول أوروبا في المعارك الدينية.

ب - الدور الثاني: تدخل الدانمارك:

من أسرع الدول الأوروبية التي تأثرت بدعوة البروتستانت هي الدانمارك، ولهذا فسرعان ما هب ملك الدانمارك كريستيان الرابع لنجدة البوهيميين عام ١٦٢٥م، فاعترض قوات إمبراطور ألمانيا الكاثوليكي فريدريك في سكسونيا، وذلك بمساعدة عدة دول أخرىٰ. ولكن تمكن إمبراطور ألمانيا من هزيمة الدانمارك عدة مرات، وبعد عدة مناوشات وقعت معاهدة لوبيك ١٦٢٩م، وانسحب الدانمارك علىٰ أن ترد أملاكهم، ثم أصدر إمبراطور ألمانيا مرسومًا بأن تعاد كل ممتلكات الكنيسة التي استولىٰ عليها البروتستانت إلىٰ الكاثوليك، مع عدم الاعتراف بالاتفاقات المسبقة مع البروتستانت، وبذلك أضاف المرسوم مصدرًا جديدًا للخلاف في ألمانيا(٢)، وتعتبر

---

(١) انظر: تاريخ أوروبا الحديث، جفري برون، ص١٩١ و٢٥٣.

(٢) انظر: The Protestant Revolution and the Thirty Years War. Ross, B., & Devries, D., Grand Rapids, MI: Grace Life Bible Church, Lake Michigan Dr. Grand Rapids, MI, 2010, P.4

هذه هزيمة بمظهر الصلح للدانمارك.

ج - الدور الثالث: تدخل السويد:

من الدول البروتستانتية التي تكنُّ العداء للمذهب الكاثوليكي وكنيسته هي مملكة السويد التي ما أن سمع ملكها الملك جستافس أدولفس الذي كان يعرف بأسد الشمال بهزيمة الدانمارك علىٰ يد الإمبراطور الأماني الكاثوليكي حتىٰ هب لنجدة الدعوة البروتستانتية، فقد كان مخلصًا للغاية للقضية البروتستانتية - حسب ما يقال عنه - فقاد جيشا قويا تكوَّن من ثلاثة عشر ألف محارب، وقيل: خمسة عشر ألف محارب في عام ١٦٣٠م، فهزم الجيش السويدي بعض الجيوش الألمانية في معركة بريتنفلد في عام ١٦٣١م، فحشد الإمبراطور الألماني جيشًا آخر من المجندين الجدد، وعقد تحالفًا أيضًا مع فيليب الرابع ملك أسبانيا، فالتقىٰ الجيش السويدي ببعض الجيوش الألمانية في معركة لوتزن الشهيرة ١٦٣٢م، وانتصر السويديون، مع أن ملك السويد قتل في هذه المعركة، واستمر السويديون في القتال حتىٰ عام ١٦٣٤م، إلىٰ أن دُمِّر جيشهم في معركة نوردلينغن أمام جيش الإمبراطورية الألمانية بقيادة ابن الإمبراطور(١).

د - الدور الرابع: تدخل فرنسا:

قرر الكاردينال ريشيليو -الذي كان الحاكم الفعلي لفرنسا - مناصرة أمراء ألمانيا البروتستانت في حربهم ضد الكاثوليك، وفي عام ١٦٣٥ أرسلت فرنسا جيشًا فرنسيًا إلىٰ ألمانيا، فانضم إليه جيش سويدي جديد، إلا أن الجيشين منيا بالهزيمة علىٰ يد جيش ألمانيا سنة ١٦٣٦م، ثم انتصر الجيش السويدي وتبعه الجيش الفرنسي علىٰ ألمانيا في السنة نفسها، ثم حقق الجيشان الفرنسي

(١) انظر: تاريخ أوروبا الحديث، جفري برون، ص٢٥٧.

والسويدي سلسلة طويلة من الانتصارات، أعطت البروتستانت الذين يعيشون في ألمانيا أملا جديدًا [١].

وخلال الحرب انخفض عدد سكان ألمانيا بمقدار ٣٠٪ في المتوسط، وفي أراضي براندنبورغ بلغت الخسائر النصف، في حين أنه في بعض المناطق مات ما يقدر بثلثي السكان، وانخفض عدد سكان ألمانيا من الذكور بمقدار النصف تقريبا، كما انخفض عدد سكان الأراضي التشيكية بمقدار الثلث. وقد دمر الجيش السويدي البروتستاني لوحده أثناء تغلغله في المناطق الألمانية الكاثوليكية ٢٠٠٠ قلعة مع سكانها، و١٨٠٠٠ قرية و ١٥٠٠ مدينة في ألمانيا، أي ثلث عدد جميع المدن الألمانية، هبطت حرب الثلاثين عاما بسكان ألمانيا من عشرين مليونا إلىٰ ثلاثة عشر ونصف مليونا.

وبعد عام أفاقت التربة التي روتها دماء البشر، ولكنها ظلت تنتظر مجيء الرجال. وكان هناك وفرة في النساء وندرة في الرجال. وعالج الأمراء الظافرون هذه الأزمة بالعودة إلىٰ تعدد الزوجات، ففي مؤتمر فرانكونيا المنعقد في فبراير ١٦٥٠ بمدينة نورنبيرغ اتخذوا القرار الآتي: "لا يقبل في الأديار الرجال دون الستين... وعلىٰ القساوسة ومساعديهم وكهنة المؤسسات الدينية أن يتزوجوا... ويسمح لكل ذكر بأن يتزوج زوجتين". [٢]

---

(١) انظر: The Protestant Revolution and the Thirty Years War. Ross, B., & Devries, D., Grand Rapids, MI: Grace Life Bible Church, Lake Michigan Dr. Grand Rapids, MI, 2010, P.5

(٢) قصة الحضارة، ول ديورانت،ص ١١١٠٧.

هـ ـ الصلح البروتستانتي الكاثوليكي الألماني ومعاهدة وستفاليا:

بعد أن عانىٰ الشعب الألماني لعدة سنوات من البؤس والحرمان بسبب حرب الثلاثين عامًا، أرسلت الدول الأوروبية ممثلين لعقد مؤتمر صلح عام ١٦٤٤م، فالتقىٰ الوفدان الكاثوليكي والبروتستانتي منفردين في مدينتين مختلفتين في وستفاليا، وهو إقليم من أقاليم بروسيا. استمرت المفاوضات أربع سنوات، إلىٰ أن وُقِّع صلح وستفاليا في عام ١٦٤٨م، والتي كانت بين الإمبراطور الروماني المقدس التي تنضم تحت إمبراطوريته كلا من ألمانيا والنمسا وأجزاء من وسط أوروبا، وبين بعض الأمراء الألمان وممثلين عن الجمهورية الهولندية وفرنسا والسويد(١).

وكان أبرز بنود هذه المعاهدة ما يلي:

١- مبدأ السيادة المطلقة للدولة الوطنية وما يصاحبها من حق أساسي لتقرير المصير السياسي.

٢- مبدأ المساواة القانونية بين الدول الوطنية، فأصغر دولة مساوية لأكبر دولة مهما بلغ ضعفها أو قوتها، غناها أو فقرها.

٣- مبدأ إلزامية المعاهدات بين الدول عالميا، حيث طرحت معاهدة ويستفاليا لأول مرة فكرة القانون الدولي الملزم لكل الدول.

---

(١) انظر: Stephane Beaulac, ‘The Westphalian model in defining international law: Challenging the myth’, Australian Journal of Legal History, Vol. 8, 2004; Andreas Osiander, ‘Sovereignty, international relations, and the Westphalian myth’ International Organization, Vol. 55, No. 2, 2001 نقلا عن مختارات من المجلة الدولية للصليب الأحمر، المجلد ٩١، العدد ٨٧٣، مارس/ آذار، ٢٠٠٩م، ص١٥.

٤- مبدأ عدم التدخل من طرف دولة ما في الشؤون الداخلية لدولة أخرىٰ.[١]

٥- وكانت أبرز نتائج هذه المعاهدة علىٰ الإطلاق هو التخلي عن الدين، ذلك الدين الذي أفرز تلك المذابح الطاحنة والمعارك الكبيرة بين أمم أوروبا[٢].

وهذه المعاهدة وإن كانت تظهر بمظهر إرساء السلام العالمي بين الدول إلا أنها ترمي إلىٰ أمر مهم، وتطور جديد في المفهوم الأوروبي بوجه عام، وهو أن يكون ولاء الأفراد والشعوب هو للجنسية والدولة وليس للكنيسة، وأن تكون علاقة الفرد بالكنيسة علاقة خاصة كعلاقته بربه، وعليه فيتعين الفصل بين الجانب العقدي وأمور السياسة، وبالتالي فإن هذا المبدأ يعني إرساء فكرة العلمانية القائمة علىٰ الفصل التام بين الدين والدولة، واعتبر المؤتمرون في وستفاليا أن من شأن هذا الفصل الحيلولة دون اندلاع الحرب الدينية مُجدَّدًا.

وهكذا فقد أراد المؤتمرون في وستفاليا من خلال هذه المبادئ أن يرسوا بيئة دولية تستمد استقرارها من هذه المبادئ، وتقوم علىٰ علاقات بين دول قومية ذات سيادة ترفض التدخل في شؤونها الداخلية، وتسعىٰ بكل السبل إلىٰ تحقيق مصلحتها القومية.

ولئن انتهىٰ عصر النزاع في ألمانيا بهذه المعاهدات إلا أن هذا النزاع والعداء الديني انتشر في مختلف دول أوروبا، بل في كل دول أوروبا، عدا إسبانيا وإيطاليا، فقامت ثورات عنيفة، في ألمانيا، وسويسرا، وإنكلترا، وفرنسا، وهولندا، أثرت تأثيرا كبيرا في مجرىٰ تاريخ هذه الممالك.

---

(١) انظر: مجلة العالم العربي بحاجة إلىٰ معاهدة ويستفاليا جديدة، التنمية والطاقة النووية من أجل السلام، عام أكتوبر ٢٠٠٦،ص٨

(٢) انظر: مختارات من المجلة الدولية للصليب الأحمر، المجلد ٩١، العدد ٨٧٣، مارس/ آذار، ٢٠٠٩م، ص١٥.

ثانيا: الحروب في بقية دول أوربا:

كل ما سبق كان عن الحرب في ألمانيا فقط، أما بقية دول أوربا فلم تكن مستثناة من الحروب الدينية آنذاك في حرب الثلاثين عاما، ويمكن إلقاء الضوء علىٰ ذلك فيما يلي:

أ- سويسرا: وقعت عدة معارك في سويسرا بين البروتستانت بقيادة زونكلي١٥٣١م، وبين الكاثوليك سنة ١٥٣١م، لقي زونكلي فيها مصرعه، واستمر النزاع بين مقاطعات سويسرا، فأصبح بعضهم يدين بالبروتستانتية، وبعضهم بالكاثوليكية[1].

ب- إنكلترا: بدأ النزاع الديني بين طائفة الكاثوليك وطائفة البروتستانت، وذلك عندما أعلن الملك هنري الثامن انفصاله من الكنيسة البابوية، وترأسه لكنيسة إنجلترا عام ١٥٣٤م، وذلك لعدم سماح البابا له بطلاق زوجته، فنشأت كنيسة إنكليزية إلىٰ أن تولىٰ الملك ابنه إدوارد السادس، فسمح بانتشار التعاليم البروتستانتية، ثم تولت الملك ماري ابنة الملك هنري الثامن، فأمرت باعتناق المذهب الكاثوليكي، وإحراق جميع البروتستانت المحكوم عليهم بالهرطقة، وقد مرت الأيام، وانقلبت الدائرة علىٰ الكاثوليك في إنكلترا، حينما تولىٰ الملك جيمس الأول وإليزابيث، فكان الموت نصيب من يرفض المذهب البروتستانتي، وأشد أنواع التعذيب في السجون[2].

ج- فرنسا: تعد فرنسا هي الميدان الخصب لحرب النزاعات الدينية الأوروبية، فقد مرت فرنسا بسلسلة حروب دينية، وذلك في النصف الثاني من القرن السادس

---

(١) انظر: تاريخ أوروبا الحديث، جفري برون، ص١٩٣.

(٢) نفس المرجع، ص١٩٩-٢٠٢.

عشر، حيث كانت المواجهة بها بين الكاثوليك والبروتستانت الفرنسيين، الذين يطلق عليهم (Hogonotin) هوغونوتيون أو الهيجونوتيون.

ولهذا يصف المؤرخ جفري برون ذلك الوقت فيقول: " ليس تاريخ فرنسا من النصف الثاني من القرن السادس عشر، سوىٰ سلسلة طويلة من المجازر البشرية، والحرب الدموية الأهلية بين الكاثوليك والبروتستانت".

وقد كانت بداية العداء الحربي بين الكاثوليك والبرتستانت في فرنسا منذ أن تدفقت كتب لوثر وأفكاره إلىٰ فرنسا، فقد كان الطلبة والتجار يجلبون مؤلفات لوثر من ألمانيا، وأول ذلك الشرر البروتستانتي في فرنسا وقع عقب أن علق الأسقف بريسونيه، عام ١٥٢٣ علىٰ أبواب كاتدرائيته كتابا للبابا عن صكوك الغفران، مزقه جان لكلير، فقبض عليه، ووسم بالنار علىٰ جبهته، ثم حطم التماثيل الدينية، فقطعت يده اليمنىٰ واجتث أنفه، وانتزعت حلمتا ثدييه بملقط، وربط رأسه بشريط من الحديد المُحمىٰ إلىٰ درجة الإحمرار، وأحرق حيًّا ١٥٢٦م بمباركة ملك فرنسا فرانسوا الأول.

ثم أمر بإحراق جميع البروتستانت، فقد علقوا فوق نار، وكانوا يدلون إليها ويرفعون منها مرارا وتكرارا، وذلك لإطالة أمد عذابهم، وذبح ثلاثة آلاف من الفلاحين العزل عام ١٥٣٥م.

وتبعه الملك هنري الثاني عام ١٥٥٩م ثم وقعت حرب دينية أخرىٰ في عام ١٥٦٧م، ولكن هذه المرة بمباركة ملك أسبانيا، حيث تواجه الجيش الإسباني والفرنسيين من ناحية، والجيش البروتستانتي من ناحية أخرىٰ، وبعد عدة مناوشات أدىٰ الافتقار إلىٰ الموارد المالية بين الطرفين إلىٰ توقيع هدنة، تُدعىٰ (لانج جوموه) في ٢٣ مارس عام ١٥٦٨م، وبعد عدة شهور من إمضاء اتفاقية السلام، استُؤنفت الحرب في ٢٧ يوليو عام ١٥٦٨، ثم تواجه الجيشان، وكانت الدائرة لصالح الجيش

الملكي، ثم تحولت إلىٰ انتصار للبروتستانت، في معركة (أرني لودوق) في ٢٧ يونيو عام ١٥٧٠م، ثم هُدنة (سانت جيرمين) في ٨ أغسطس ١٥٧٠. وبهذا الفعل أعطي للبروتستانت حرية محدودة لممارسة شعائرهم الدينية.

ثم ابتدأت حرب أخرىٰ في ٢٣ أو ٢٤ أغسطس ١٥٧٢. وقُدم نحو ثلاثة آلاف قتيل بروتستانتي في باريس، في مذبحة (سانت بارثيليمي)، ثم وقعت معارك أخرىٰ انتصر فيها البروتستانت، فتم توقيع مُعاهدة (بوليو) في (اتيجني)، في ٦ مايو ١٥٧٦، أعطي فيها البروتستانت حُرية العقيدة، فوجد الكاثوليك أن أحكام مرسوم سلام (بوليو) مُفرطة، وأعدوا الجيوش.

وبدأت الحرب في مايو ١٥٧٧، وانتصروا بعض الانتصارات علىٰ البروتسانت، وقيدت شروط العقيدة البروتستانتية، ثم بدأت كاثرين دي ميديشي رحلات جديدة في المملكة، وكان هدفها إقامة سلام دائم. وفي ٢٨ فبراير ١٥٧٩، ووقعت معاهدة (نيراك) باسم الملك، و أعطت للبروتستانت ١٥ مكانا آمنا لمدة ستة أشهر، وتقلصت السلطة الملكية أمام حُكام الولايات[1].

---

(١) لمزيد من الاطلاع علىٰ هذه الأحداث انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت (٣٣/ ٤٩٤)، تاريخ الإصلاح الديني، باتريك كولينسون، أحد كبار أساتذة جامعة كامبردج في بريطانيا، الناشر: المكتبة الحديثة ـ لندن ـ نيويورك ٢٠٠٦، نقلا عن موقع البيان، الكتب، ٢٩ سبتمبر ٢٠٠٧. وتاريخ أوروبا الحديث، جفري برون، ص٢٠٩ – ٢١٠. والحروب الفرنسية الدينية السبعة في الموسوعة الحرة، ويكيبيديا.

انتهاء الحروب الدينية الأوربية:

حصل في عام ١٥٩٨ إقرار معاهدة (نانت)، وأصدر مرسوم تسامح وهو مرسوم (نانت)، وقد حصل البروتستانت علىٰ حرية العبادة والعقيدة، والمساواة المدنية مع الكاثوليك، وتم توفير الضمانات القضائية لهم بموجب الدستور، ولكن حدثت معركة أخيرة بعد هذا الصلح بين الكاثوليك بقيادة حاكم فرنسا ريشتلو، وهزم البروتستانت الذي يسمون بالهيجونوت أو الهيكونوت عام ١٦٢٩م، وأقر لهم مبادئ صلح نانت، غير أنه سلبهم الامتيازات السياسية والعسكرية، فأصبحت طائفة دينية فقط[١].

ثم ألغيت معاهدة سلام نانت في القرن السابع عشر فيما يعرف بحصار لاروشيل، ثم وقعت في القرن الثامن عشر حروب الكاميسارد (البروتستانت الفرنسيين)، حتىٰ تم وقف الاضطهادات في ظل حكم لويس السادس عشر، وتم إقرار معاهدة فرساي عام ١٧٨٧م[٢].

ولا زالت بعض الترسبات راسخة إلىٰ اليوم، ويدل علىٰ هذا ما حدث في العام ٢٠١٣م عندما طالبت الكنيسة الكاثوليكية في إسكتلندا السلطات، ببذل المزيد من الجهود للحد من ارتفاع موجة العنف ضدهم من قبل البروتستانت، وحسب شبكة الأخبار الإسكتلندية أشارت الإحصاءات إلىٰ ارتفاع نسبة جرائم الكراهية الدينية ضد الكاثوليك بشكل ملحوظ في الآونة الأخيرة، وقدرت نسبة ٦٣٪ من الجرائم علىٰ أنها لفظية، واحتوت علىٰ عبارات مهينة لمعتقدات الكاثوليك.

---

(١) انظر: تاريخ أوروبا الحديث، جفري برون، ص٢١٠.

(٢) انظر: مختارات من المجلة الدولية للصليب الأحمر، المجلد ٩١، العدد ٨٧٣، مارس/ آذار، ٢٠٠٩م ص١٥.

وعلىٰ الصعيد نفسه أثبتت الإحصاءات ارتفاع معدل العنف المتبادل بين أتباع الكنيسة الكاثوليكية وأتباع الكنيسة البروتستانتية، لتصل إلىٰ معدل حادثة كل يوم، منذ نهاية شهر يونيو العام الماضي.

وألقىٰ قساوسة الكنيسة الكاثوليكية باللائمة علىٰ الحكومة، لعدم بذلها الجهود الكافية لحمايتهم إلا أن البروتستانت يقولون: إن الكاثوليك يدبرون المؤامرات للحد من توسع المذهب البروتستانتي اللوثري.[1] وإلىٰ جانب ذلك ظهرت الردود الكتابية من علماء الطرفين، والتي ترد كلا منهما علىٰ الأخرىٰ، وتبطل ما ذهب إليه وتحكم بهرطقتها[2].

فتبين من هذا أن العداء بين الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة البروتستانتية كان منذ نشأته عداءً مسلحًا، وكان الحوار بينهم مبنيًّا علىٰ النصل والسيف، لأن البروتستانتية ظهرت في كنف نفوذ الكنيسة الكاثوليكية فبقيت كالغصة التي لم يستسغ هضمها أو ردها من قبل الكاثوليك، فبعد أن قوي عود البروتستانتية في ألمانيا بمساندة كثير من أمراء الألمان المؤيدون لأفكار مارتن لوثر قامت حروب في ألمانيا بين أتباع الكنيستين ثم عقد صلح سلام أوجسبرج ١٥٥٥م ثم نقض الصلح وابتدأت حرب الثلاثين عام من عام ١٦١٨م إلىٰ عام ١٦٤٨م حينما أسس الكاثوليك العصبة

---

(١) انظر: December 2004 - 01: 19AMhttp://islammemo.cc/...sp?IDnews=50677

(٢) ومن تلك الكتب كتاب البراهين الإنجيلية ضد الأباطيل الباباوية، للمعلم ميخائيل مشاقة، وهو رد بروتستانتي علىٰ المذهب الكاثوليكي، وكذلك كتابه أجوبة الإنجيليين علىٰ أباطيل التقليديين، رد فيه علىٰ كتاب لمؤلف مجهول، ومن الكتب سنية البراهين ضد أباطيل البروتسانتيين، ومن الكتب التي ألفت من قبل الكاثوليك في الرد علىٰ البروتسنانت، كتاب البرهان القاطع في الرد علىٰ القبطي التابع، للأنبا إيسوذورس، وكتاب الكنيسة الجامعة لمؤلف مجهول، وكتاب جواب مفيد في الكنيسة والتقليد، وهو رد كاثوليكي علىٰ البروتستانت، وغيرها.

المقدسة وأسس البروتاسنت الاتحاد الإنجيلي، وتقسم حرب الثلاثين عام إلىٰ عدة أدوار أولها الدور البوهيمي عندما قامت الثورة البهويمية عام ١٦١٨م ضد الكاثوليك ثم هزموا علىٰ يد الإمبراطور فريديناند فتدخلت الدانمارك لمناصرة البوهيمين البروتسانت ضد الكاثوليك عام ١٦٢٥م فهزمت الدانمارك ووقعت معاهدة لوبيك ١٦٢٩م فأعيد ما استولىٰ عليه البروتسانت إلىٰ الكاثوليك ثم تدخلت السويد بقيادة الملك جستافس أدولفس لمناصرة البروتستانت فانتصروا علىٰ ألمانيا إلا أن السويد هزمت أخيرا ودمر جيشها، ثم تدخلت فرنسا بقيادة حاكمها الكاردينال ريشيليو عام ١٦٣٥م وانضم إليه الجيش السويدي أيضا إلا أنهما انهزما علىٰ يد الجيش الألماني وتوصلوا أخيرًا إلىٰ عقد معاهدة صلح في عام ١٦٤٤م حيث أرسلت كل أمم أوربا مندوبين لها لعقد هذا الصلح وسميت معاهدة وستفاليا عام ١٦٤٨م، وكان أبرز بنودها هو مبدأ السيادة المطلقة للدولة الوطنية، وما يصاحبها من حق أساسي لتقرير المصير السياسي والمساواة القانونية بين الدول الوطنية، فأصغر دولة مساوية لأكبر دولة مهما بلغ ضعفها أو قوتها، غناها أو فقرها وعدم التدخل من طرف دولة ما في الشؤون الداخلية لدولة أخرىٰ وهذه المعاهدة وإن كانت تظهر بمظهر إرساء السلام العالمي بين الدول إلا أنها ترمي إلىٰ أن يكون ولاء الأفراد والشعوب هو للجنسية والدولة، وليس للكنيسة، وأن تكون علاقة الفرد بالكنيسة علاقة خاصة كعلاقته بربه، وعليه فيتعين الفصل بين الجانب العقدي وأمور السياسة، هذه حروب ألمانيا، وأما في سويسرا فقد وقعت عدة معارك بين البروتستانت وبين الكاثوليك سنة ١٥٣١م، فأصبح بعضهم يدين بالبروتستانتية، وبعضهم بالكاثوليكية، وفي إنكلترا بدأ النزاع الديني بين طائفة الكاثوليك وطائفة البروتستانت، وذلك عندما أعلن الملك هنري الثامن انفصاله من الكنيسة البابوية، وترؤسه لكنيسة إنجلترا عام ١٥٣٤م، ثم تولىٰ ابنه إدوارد السادس فسمح بالتعاليم البروتستانتية إلىٰ أن تولت الملكة هاري فأحرقت جميع البروتستانت إلىٰ أن تولىٰ الملك جيمس الأول فقتل من يرفض البروتستانتية.

وأما في فرنسا فقد كان التأثير بكتب لوثر واضحا في المجتمع الفرنسي، بخلاف السلطات الفرنسية فقد كانت متمسكة بالكاثوليكية وأول ذلك الشرر وقع عقب أن علق الأسقف الكاثوليكي بريسونيه عام ١٥٢٣، علىٰ أبواب كاتدرائيته كتابا للبابا عن صكوك الغفران، مزقه جان لكلير، فقبض عليه، ووسم بالنار علىٰ جبهته وقطعت يده وذبح ثلاثة آلاف من الفلاحين العزل، عام ١٥٣٥م ثم وقعت حرب دينية أخرىٰ في عام ١٥٦٧م، حيث تواجه الجيش الإسباني والفرنسيين من ناحية، والجيش البروتستانتي من ناحية أخرىٰ، ثم وقعت هدنة، لانج جوموه عام ١٥٦٨م، ثم تواجه الجيشان في معركة (أرني لودوق) عام ١٥٧٠م انتصر فيها البروتستانت علىٰ الفرنسيين ثم وقعت هُدنة سانت جيرمين ١٥٧٠. وبهذا الفعل أعطي للبروتستانت حرية محدودة لممارسة شعائرهم الدينية.

ثم ابتدأت حرب أخرىٰ في ١٥٧٢. وقُدم نحو ثلاثة آلاف قتيل بروتستانتي في باريس، في مذبحة (سانت بارثيليمي)، ثم وقعت معارك أخرىٰ انتصر فيها البروتستانت، فتم توقيع مُعاهدة (بوليو) في (اتيجني) ١٥٧٦، أعطي فيها البروتستانت حُرية العقيدة، ثم وقعت حرب في مايو ١٥٧٧، انتصر فيها الكاثوليك الفرنسيين بعض الانتصارات علىٰ البروتسانت، ثم وقعت معاهدة (نيراك) باسم الملك، وأعطت للبروتستانت ١٥ مكانًا آمنا لمدة ستة أشهر، وفي عام ١٥٩٨ إقرار معاهدة (نانت)، وأصدر مرسوم تسامح وهو مرسوم (نانت)، وقد حصل البروتستانت علىٰ حرية العبادة والعقيدة، والمساواة المدنية مع الكاثوليك، ثم ألغيت معاهدة سلام نانت في القرن السابع عشر فيما يعرف بحصار لاروشيل، ثم وقعت في القرن الثامن عشر حروب الكاميسارد (البروتستانت الفرنسيين)، حتىٰ تم وقف الاضطهادات في ظل حكم لويس السادس عشر، وتم إقرار معاهدة فرساي عام ١٧٨٧م ولا تزال بعض الترسبات حاضرة إلىٰ اليوم.

المبحث الثالث

عصر انحسار نفوذ الكنيسة وظهور الثورة الفرنسية

تعد الثورة الفرنسية هي المنحنىٰ الأخير والأخطر في مسيرة الاتجاهات المناوئة للكنيسة، والتي أدت إلىٰ انحسار نفوذ الكنيسة، بل إلىٰ تلاشيها من ذهن المجتمع الأوروبي.

لقد كانت هذه الثورة هي إحدىٰ ثمرات الإصلاح البروتستانتي -من وجهة نظر بعض المؤرخين- الذي لم يعد كافيا للحد من سلطة التعاليم الكنسية والقوانين الإيمانية المسيحية، إلىٰ جانب تأسيسه لحرية الاعتقاد، وعدم الخضوع للسلطات الدينية[1].

فهذه الثورة وإن كانت قد قضت علىٰ الدولة المتمثلة في الملكية والإقطاع الذي فسّره القديس توما الإكويني بأنه "نتيجة لخطيئة آدم"[2]، إلا أنها قضت علىٰ الدين المتمثل في الكنيسة ورجالها[3].

والثورة الفرنسية تعد أمّ الثورات المتلاحقة التي مني خلالها رجال الكنسية بالهزيمة، ومرغت فيها أنوفهم بالوحل، ولذا يجدر معرفة ماهية الثورة، وما هو معناها؟ ومتىٰ بدأت؟ وماهي أسبابها؟ وماهي انعكاساتها علىٰ النسيج الأوروبي؟ وما هي أهم النتائج التي توصل إليها الثوار؟ وذلك فيما يلي:

---

(١) انظر: The Great French Revolution, 1789-1793. Kropotkin, P., (N. F. Dryhurst, Trans.) New York: Vanguard Printings, 1927. P. 7

(٢) قصة الحضارة، ول ديورانت ١٤/ ٤٠٦.

(٣) انظر: The Great French Revolution, 1789-1793. Kropotkin, P., (N. F. Dryhurst, Trans.) New York: Vanguard Printings, 1927. P. 8

أوَّلاً: تعريف الثورة الفرنسية وأهميتها:

يعتقد أن تعريف مصطلح الثورة هو: تغير مفاجئ وعميق في النواحي السياسية والاجتماعية في بلد ما، وقد يتم عن طريق العنف، أو استخدام القوة الشرعية، ولا تتبع في أحداثها الوسائل المقررة لذلك في النظام الدستوري للبلاد(١).

ويعرفها البعض أيضا بأنها تغيير جوهري في أوضاع المجتمع لا تتبع فيه طرق دستورية(٢).

ويمكنني أن أساهم في تعريف الثورة تعريفا موجزا فأقول: هي انقلاب المجتمع كله أو بعضه على النظم القائمة المعروفة في أي بلد كان سواء كانت تلك النظم دينية أو سياسية أو غيرها.

وقد انطبق هذا التعريف على الثورة الفرنسية التي تظافرت عدة عوامل جعلت من هذه الثورة نقطة تحول، ليس على فرنسا فحسب، بل على العالم الأوروبي أجمع.

فمن خلالها صدرت وثيقة حقوق الإنسان، والتي أصبحت وثيقة عالمية، حذت حذوها دساتير الدول الأوروبية وغيرها، أضف إلى ذلك أن فرنسا تعد واجهة الحضارة الغربية، وأرقى الدول الغربية على مدى قرنين من الزمان(٣).

وبما أن فرنسا هي بذلك القدر والمقدار لدى أمم أوروبا، كان من الطبيعي أن تؤثر تلك الثورة التي عصفت بها على أمم أوروبا بأجمعها، بل وحتى بأمم الشرق الذي كان تحت لواء الدولة العثمانية حيث امتد تأثير الثورة الفرنسية في أوروبا

---

(١) انظر: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، أحمد زكي بدوي، ص٣٥٩.

(٢) انظر: المعجم الفلسفي، جميل صلبيا، ص٣٨١.

(٣) انظر: أصول التاريخ الأوروبي الحديث، فيشر هربرت، ص٢٥٩و١٣٨و تاريخ الثورة الفرنسية، ألبير سوبول،ص ٥٩٥. ١٥٨-١٥٩

والعالم بنمو الجمهوريات والديمقراطيات الليبرالية وانتشار العلمانية، ويعود الفضل في تصدير الثورة للعالم الأوروبي لنابليون بونابرت، الذي غالا فيه بعض الكُتَّاب المسيحيين حتىٰ صوروه بأنه "صاحب الغزوات الكاسحة والعبقرية الفذة التي لم يعرف لها العالم نظيرا، منذ تحتمس الثالث، ورمسيس الثاني، والإسكندر الأكبر، ويوليوس قيصر، فهو الذي صدر الثورة الفرنسية إلىٰ العالم عندما وجد نابليون أبناء الثورة الفرنسية يأكل بعضهم بعضا، فوجه هذه الطاقة البركانية إلىٰ الخارج، ليأكل الفرنسيون غيرهم من الأمم"[(١)].

ثانيا: أهم الأسباب التي أدت إلى قيام الثورة الفرنسية:

هناك جملة من الأسباب أدت إلىٰ قيام الثورة الفرنسية، يمكن إيجاز أهمها فيما يلي:

أ- تسلط ملوك فرنسا المؤيدون من الرب بعصمة الله - في نظرهم- ولهذا تسلط أولئك الحكام القساة وأمثالهم من الإقطاعيين الجشعين، الذين يسمون بالنبلاء علىٰ أفراد الشعب الكادح وعلىٰ العمال بأنواع من التسلُّط والظلم بمباركة الكنيسة، بل تعد الكنيسة هي الوجه الثاني لأولئك الإقطاعيين[(٢)].

ب - تسلط الكنيسة باسم الدين وهيمنته علىٰ جميع مرافق الحياة، فلا يستطيع الأوروبي أن يفكر إلا بما يُلقِّنه إياه رجال الدين، ولا يفكر إلا بما يسمح له رجال الدين أن يفكر فيه، وعلىٰ النحو الذي يسمحون له به، ولا يتعلم إلا بما يسمح له رجال الدين أن يتعلمه، وفوق ذلك فإن رجال الدين لهم السلطة الكاملة علىٰ أرواح

---

(١) الثورة الفرنسية، لويس عوض، ص٧ والثورة الفرنسية، ألبير سوبول، ص٥٩٧.

(٢) انظر: Weigall al, David and Murphey, Mechael, European history Bppletts Educational, London,1993,p31

جميع الأوروبيين وأموالهم وأجسادهم، مما أوجد عزيمة قوية علىٰ التخلص من ذلك الجاثوم الطاغي.

ج – انتشار الفكر اللاديني ومدارسه المختلفة، والتي تؤدي جميعها إلىٰ تقويض الدين واجتثاثه من النفوس، فقد قامت الثورة الفرنسية مشبعة بآراء الفلاسفة الإلحادية تجاه الدين، مسقطة بذلك الحرمة والتقديس عن كل شيء، حتىٰ وصفت الثورة بالإلحاد، ووصفت فلاسفتها المنظرين لها – أمثال روسو وفولتير ونحوهما – بالملحدين[١].

فمثلا الفيلسوف سيبينوزا من أوائل من نادىٰ بفكرة الفصل بين الدين والحياة والمجتمع، فسيبينوزا يقول في كتابه رسالة في اللاهوت والسياسة: "ومن الخطورة علىٰ الدين وعلىٰ الدولة علىٰ السواء، إعطاء من يقومون بشؤون الدين الحق في إصدار القرارات أيًّا كانت، أو التدخل في شؤون الدولة"[٢].

ثم نجد فولتير يكرر هذه الدعوىٰ ويضيف فكرة الدين الطبيعي الذي اقتنع به – والذي لا يؤمن بالشرائع ويقدس العقل – فيقول: "إن دين أهل الفكر دين رائع، خالٍ من الخرافات والأساطير المتناقضة، لقد منع الدين الطبيعي آلاف المرات المواطنين من ارتكاب الجرائم، أما الدين المصطنع فإنه يشجع علىٰ جميع مظاهر القسوة كما يشجع علىٰ المؤامرات والفتن"[٣].

وأما الأفكار السياسة والاجتماعية، فقد استلهمها قادة الثورة ومُشرِّعوها من أفكار جون لوك ومبادئه، "بعد أن صاغوها وتقدموا بها علىٰ طريقتهم

---

(١) انظر: القرن الثامن عشر – عهد الأنوار –رولان وآخرون، موسنيه، ٥/ ٤٨٠.

(٢) رسالة في اللاهوت السياسة، سيبينوزا، ٤٢٦

(٣) مقتطفات من القاموس الفلسفي لفولتير، سلسلة تراث الإنسانية، ٨/ ٢٠٧.

الفرنسية الجريئة"[١].

وهذه الأفكار قد ألقت بظلالها علىٰ زعماء الثورة الفرنسية، حتىٰ إن قادة الثورة رفضوا الإشارة في الدستور إلىٰ أن الكاثوليكية دين دولة، وهذا ما جعل رجال الدين يقفون موقف العداء تجاه الثورة ورجالها.

د - **القوىٰ اليهودية الماسونية الخفية،** فقد تغلغل المال اليهودي في تقوية الثورات، بل وفي إنشائها، مستغلين الغضب العارم المتأجج في نفوس الجماهير، ويظهر ذلك في منظمات الثورة الفرنسية المختلفة، كالجمعية التأسيسية، ونادي اليعاقبة، وبلدية باريس، فنتج عن ذلك أن تبنت الجماهير شعار الماسونية، وصرخت بها في كل ميادين الثورة، ونادت بها بكل بلاهة وهي (الحرية والإخاء والمساواة)، بل إن المحافل الماسونية قد دعمت هذه الثورة دعما ظاهرا، بإمدادها بالقادة المشرفين وبالمال، وقد صرح بذلك اليهود في بروتوكولات حكماء صهيون فتقول البروتوكولات: " تذكّروا الثورة الفرنسية التي نسميها الكبرىٰ، إن أسرار تنظيمها التمهيدي معروفة لنا جيدا، لأنها من صنع أيدينا."[٢].

وتقول: "كذلك كنا قديما أول من صاح في الناس (الحرية والمساواة والإخاء)، كلمات ما انفكت ترددها منذ ذلك الحين ببغاوات جاهلة متجمهرة من كل مكان حول هذه الشعائر"

وقد أعلن مجلس النواب الفرنسي هذه الحقيقة علىٰ الملأ عام ١٩٠٤م، المتضمنة للدور الماسوني في صناعة الثورة الفرنسية، فقابل النواب الحاضرون هذا

(١) كارل ماركس، سربست نبي، ص٦٤.

(٢) انظر: بروتوكولات حكماء صهيون، ص٤٦. البروتوكولات: ١٠٣، ١١١.

الإعلان بالقبول[١].

هـ – **الأسباب الاقتصادية**: حيث كان الجوع وسوء التغذية منتشرًا بين الفئات الفقيرة في فرنسا، مع ارتفاع أسعار المواد الأساسية كالخبز، بالإضافة إلىٰ ارتفاع أسعار المحاصيل نتيجة الكوارث الطبيعية، وقد كان إفلاس الحكومة الفرنسية المالي والإداري، وعجزها عن تقديم حل لمشكلاتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، سببا وجيها لقيام هذه الثورة[٢].

و – **إغراء الشعب الفرنسي المحروم بإعلان المبادئ العادلة** القائمة علىٰ أساس عقلي ومنطقي، وإطلاق الشعارات العاطفية المثيرة كالمساواة والحرية والإخاء والعدالة.

ز – **الانبهار بالحضارة الإسلامية** التي كانت تبهر الغربيين بالتقدم الحضاري والعمراني والاجتماعي، وذلك بشهادات بعض المؤرخين الغربيين[٣].

كل تلك الأسباب مجتمعة كانت بمثابة المحفزات للشعب الفرنسي للثورة علىٰ كل شيء أمامه من قيم أو أخلاق أو مبادئ أو سلوك أو دين، فضلا عن الكنيسة ورجالها، وهو ما سوف يتم تسليط الضوء عليه في الآتي:

---

(١) انظر: أحجار علىٰ رقعة الشطرنج، وليام غاي كار، ص١١٢.

(٢) انظر: The Great French Revolution, 1789-1793. Kropotkin, P., (N. F. Dryhurst, Trans.) New York: Vanguard Printings, 1927. P. 7

(٣) انظر: تاريخ أوروبا الحديث، جفري برون، ص١٦٩.

ثالثا: قيام الثورة:

بدأت الثورة الفرنسية التي تسمىٰ بالفرنسية (Révolution française) في عام ١٧٨٩ وشهدت السنة الأولىٰ من الثورة في شهر يونيو، ثم ابتدأ الهجوم علىٰ سجن الباستيل في يوليو، وسقوطه في أيدي الثوار، وقد كان سقوطه "أهم علامة مميزة لانتصار الثوار، وكان البداية الحقيقية لسقوط المجتمع الإقطاعي في فرنسا".[1]

أعقب ذلك كثير من الفوضىٰ العارمة التي عمت جميع أنحاء البلاد، ثم المسيرة الكبرىٰ نحو البلاط الملكي في فرساي، وسيق الملك وأسرته في موقف ذليل، وأجبر علىٰ التوقيع علىٰ وثيقة حقوق الإنسان، ثم أعدم الملك لويس السادس عشر في العام التالي، بتهمة الخيانة العظمىٰ لقراره السفر إلىٰ خارج البلاد[2].

ثم ألغي النظام الملكي، وأعلن النظام الجمهوري في عام ١٨٩٢م، وقد كانت التهديدات الخارجية قد لعبت دورًا هامًا في تطور الأحداث حينما هددت بعض الدول الأوروبية بالتدخل، وشن الحرب علىٰ فرنسا، وهزم الثوار، لكن انتصارات الجيوش الفرنسية ساهمت ليس في كف تلك الدول عن ذلك، بل في استعطاف زعماء تلك الثورة، فقد أدت انتصارات الفرنسيين في إيطاليا، والمناطق الفقيرة المنخفضة غرب نهر الراين، إلىٰ رفع شعبية النظام الجمهوري كبديل عن النظام الملكي، الذي فشل في السيطرة علىٰ هذه المناطق التي شكلت تحديًا للحكومات الفرنسية السابقة لعدة قرون، ورغم حدوث كثير من الخطوب و الحروب الطاحنة التي جرت لفرنسا

---

(١) عصر الثورة الفرنسية،هربرت ليفيير، ص١٦٠-١٦١ وموسوعة تاريخ أوروبا العام، جوج ورولان موسنيه،ليفة، ص٣/ ٦٤-٦٧.

(٢) انظر: The Great French Revolution, 1789-1793. Kropotkin, P., (N. F. Dryhurst, Trans.) New York: Vanguard Printings, 1927. P. 7

بعد ذلك[١]، إلا أن وثيقة حقوق الإنسان ومبادئ الثورة لم تمس من قبل أحد.

رابعا: نتائج الثورة الفرنسية:

أ - تقديس العقل:

أصبح العقل بعد الثورة الفرنسية له مكانة عظيمة، وهو هو الحكم الفصل والميزان العدل والمشرع الحقيقي، الذي لا يتطرق إليه الشك والخطل، وقد اعتمد في ذلك علىٰ عقول فلاسفة عصر التنوير، فجاء خطاب الثورة الفرنسية في صورة الخطاب العقلي المقنع، والنقاش المنطقي الناضج في تقنين القوانين، إلىٰ جانب مقت الدين ونشر الإلحاد.

وبمقابل تقديس العقل أصبح الدين - في نظرهم - هو الوجه المضاد للعقل، وأصبحت مظاهر الاستهزاء بالدين من المظاهر المألوفة، حتىٰ وصل الحد إلىٰ داخل جدران الكنيسة، فقد تجرأ بعض الفنانين والموسيقيين علىٰ وضع امرأة شبه عارية، علىٰ كرسي داخل الكنيسة، ثم سجدوا لها، بعد أن طردوا منها القساوسة والرهبان[٢]، وسعوا في عقلنة معتقدات الكنيسة ومراجعتها في ضوء العلم الحديث، واعتقدوا أن العقل البشري قادر علىٰ فهم معطيات الكون، وتسخيره في صالحه دون الحاجة إلىٰ التفسيرات الدينية واللاهوتية لفهم الكون.

---

(١) انظر: تاريخ الثورة الفرنسية، ألبير سوبول ص١٣و٢٠١ و٣٢٧ و The Great French Revolution, 1789-1793. Kropotkin, P., (N. F. Dryhurst, Trans.) New York: Vanguard Printings, 1927.

(٢) انظر: تاريخ أوروبا من عصر النهضة وحتىٰ الثورة الفرنسية، محمد محمد صالح، ص٨٢-٨٧. والثورة الفرنسية، حسن جلال، ص٢٠٢.

ب – نشر الآراء الإلحادية ومحاربة الدين ومقته:

انتشرت كثير من الآراء الإلحادية في تلك الفترة، انتشار النار في الهشيم، وتعددت المدارس الفلسفية التي كانت جلها تصب في بوتقة الإلحاد، وكانت معظمها ترىٰ أن الطبيعة حلت محل الغيب، والعلم محل اللاهوت وأن العالم تديره الطبيعة بقانونها المحكم.

ج – صياغة دستور جديد

نجحت تلك الثورة نجاحا باهرا في شتىٰ المجالات الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وغيَّرت معالم الدستور الفرنسي، بل واختلقت دستورا جديدا، لم تعرفه فرنسا ولا أوروبا بأسرها، ذلك الدستور الذي اعتُمد فيما بعد كوثيقة لحقوق الإنسان العالمي.

د – اعتبار العلمانية دينًا ومذهبًا:

كان النتيجة الطبيعية لقيام الثورة علىٰ آراء الفلاسفة الملاحدة وغيرهم هو بُغض الدين ورجاله، بل وشنوا حملة شعواء علىٰ كل ما يتعلق بالدين، فقد أعلن في عام ١٧٩٤م أن فرنسا دولة علمانية، ليس لها دين رسمي، رغم أن أغلبية الشعب كانوا علىٰ المذهب الكاثوليكي.

وتحامل قادة الثورة علىٰ الكنيسة ورجالها، فجردت الكنيسة من كثير من الحقوق التي عليها والتي لها أيضا، فجردت من ممتلكاتها باعتبارها موارد للدولة، وألغي نظام العشور، وأغلقت غالب الكنائس أو أهملت، وتركت النفقة عليها، وقطعت الصلة بين كنائس فرنسا والكنيسة البابوية، باعتبارها كنائس قومية، وأصبح تعيين القساوسة يتم بالانتخاب الشعبي، بدلا من تعيينات البابا، وألزم رجال الدين بالقسم علىٰ دستور الدولة العلماني، ومنع عامة الناس من اللباس الديني، وقصره

علىٰ رجال الدين، وتم الفصل الكامل بين الدولة والدين في فرنسا عام ١٩٠٥م(١).

فتبين من هذا أن الثورة الفرنسية هي أم الثورات الأوربية التي فشت في العالم المسيحي ضد الكنيسة ورجالها وإقطاعاتها ودينها أيضا، والثورة بمفهومها العام هي انقلاب علىٰ النظم السائدة في أي بلد سواء كان انقلابا دينيا أم سياسيا أم غيرها، وقد أفرز نجاح الثورة الفرنسية أمورا غيَّرت التفكير الأوربي بمجمله فأصدرت وثيقة حقوق الإنسان، وانتشار العلمانية في العالم بأسره، وقد كان لهذا النجاح عدة أسباب من أبرزها تسلط الكنيسة باسم الدين وهيمنتهم علىٰ جميع مرافق الحياة، إلىٰ جانب تسلط ملوك فرنسا وأتباعهم تمكن النبلاء وغيرهم علىٰ رقاب الشعب، إلىٰ جانب الفكر اللاديني وانتشار مدارسه، وكذلك الأثر اليهودي الماسوني الخفي الذي كان له دور لا ينكر في توجيه مسار تلك الثورة، مع وجود الأسباب الاقتصادية المتدهورة التي عصفت باقتصاد فرنسا، مع الانبهار بالحضارة الإسلامية التي كان لها أثر في مقت النسيج الديني المسيحي من قبل الشعب، كل تلك الأسباب أدّت مجتمعة إلىٰ قيام الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م فابتدأوا بالهجوم علىٰ سجن الباستيل وتحرير المساجين، ثم الهجوم علىٰ البلاط الملكي في فرساي ثم أعدم الملك لويس السادس عشر، ثم ألغي النظام الملكي وأُعلن النظام الجمهوري، وقد نتجت عن هذه الأحداث نتائج مهمة، من أبرزها تقديس العقل والاستهزاء بالدين، واتخذت عقول فلاسفة عصر التنوير أناجيلا جديدة تضيء سماء نظريات الإلحاد الجديد التي انتشرت انتشارا واسعا، ونتج عنها أيضا صياغة دستور جمهوري الذي اتخذ بعد ذلك وثيقة لحقوق الإنسان العالمي، ونتج عنها أيضا إعلان علمانية فرنسا عام ١٧٩٤م.

---

(١) انظر: عصر الثورة الفرنسية، هربرت ليفيير، ص١٩٤-١٩٥. ومعالم تاريخ الإنسانية، هـ. ج، ولز، ٤/ ١٠٠.و The Great French Revolution, 1789-1793. Kropotkin, P., (N. F. Dryhurst, Trans.) New York: Vanguard Printings, 1927.

الباب الثاني

مصادر النصارى

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: العهد القديم وموقف الكنائس النصرانية منه

الفصل الثاني: الأناجيل

الفصل الثالث: الأناجيل المرفوضة (أبوكريفا)

الفصل الرابع: المجامع النصرانية

الفصل الأول
العهد القديم
وموقف الكنائس النصرانية منه

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف العهد القديم وبيان تحريفه

المبحث الثاني: موقف الكنائس النصرانية من العهد القديم

تمهيد: مفهوم الكتاب المقدس عند النصارى:

لا شك أن لكل ملة من الملل ودين من الأديان كتب وأسفار يقدسونها، وينزهونها عن النقائص والعيوب، وذلك حسب معتقداتهم.

* **أقسام الكتاب المقدس**: يحتوي على قسمين، وذلك كما يلي:

القسم الأول: التوراة وما ألحق بها من الأسفار، وتسمى كتب العهد القديم.

القسم الثاني: الأناجيل الأربعة وملحقاتها وهي: سفر أعمال الرسل والرسائل وسفر الرؤيا[١].

* **معنى كلمة العهد**: الكتاب المقدس في مفهوم النصارى يشتمل على العهد القديم والعهد الجديد، فما معنى العهد؟

يراد بكلمة العهد: الميثاق، أي كلتا المجموعتين تحمل ميثاقا أخذه الله على الناس وارتبطوا به معه.

* **مصدر التسمية**: سمي العهد القديم بذلك للتمييز بينه وبين العهد الجديد، فالقديم يمثل ميثاقا قديما يعود إلى عهد موسى، والجديد يمثل ميثاقا جديدا بظهور عيسى عليه السلام.[٢]

وقد وردت كلمة العهد في العهد القديم ٣٠٦ مرات تقريبا، أقدمها العهد الذي قطع مع نوح عليه السلام، حينما ورد في التوراة: " وأقيم عهدي معك فتدخل السفينة أنت

---

(١) قاموس الكتاب المقدس، ص٧٢٦.

(٢) انظر: تفسير الكتاب المقدس، متى هنري، ٤/ ٩. وانظر: كيف نفهم علم اللاهوت، رت كندل، ١/ ١١٠.

وبنوك وامرأتك ونسوة بنيك معك". (تكوين، ٦/ ١٨)

فمصدر التسمية مأخوذ من نصوص الكتاب المقدس، حيث وردت كلمة العهد القديم في سفر إرميا، حيث يقول: "تأتي أيام يقول الرب: وأقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهدا جديدا، ليس كالعهد الذي قطعته مع آبائهم". (إرميا، ٣١/ ٣١).

ولعل أول من أشار إلىٰ التفريق بين العهد القديم والجديد، وإن لم تطلق في عهده كمصطلح عليها هو بولس، حيث أشار إلىٰ أن قراءة التوراة هي قراءة في العهد القديم، حيث يقول: "فإن ذلك القناع نفسه يبقىٰ إلىٰ اليوم، غير مكشوف عندما يقرأ العهد القديم". (كورنثوس، ١٤/ ٣)

* **سبب التسمية**: يعتقد النصارىٰ أن سبب اختيار هذه التسمية يعود في جوهره إلىٰ اللاهوتيين المسيحيين الأوائل، وذلك حينما رأوا أفكار بولس التي نشرها عن المسيح تحتوي أفكارا وعقائد جديدة غير عقائد التوراة، فأرادوا الفصل والتمييز بينهما[1]، ولم يُطلق هذا الاسم علىٰ العهدين إلا في أواخر القرن الثاني الميلادي.

ويسمىٰ مجموع العهدين (بيبلBible)، وهي كلمة يونانية ومعناها الجلد المصري، الذي كان يستعمل في العصور القديمة للكتابة عليه، ثم أضاف النصارىٰ كلمة (Saera) أي المقدس[2].

* **نسخ الكتاب المقدس**:

للكتاب المقدس نسخ كثيرة، أهمها ثلاث نسخ، وهي كما يلي:

---

(١) انظر: المدخل إلىٰ الكتاب المقدس للرهبانية اليسوعية - العهد الجديد - طبعة ١٩٨٦م، ص٧.

(٢) انظر: The Origins of Christianity and the Quest for the Historical Jesus Christ. Acharya, S., (2011).p.12

١- النسخة السينائية، ويظنون أنها كتبت في القرن الرابع، وقد وجدت في طور سيناء، وتشتمل علىٰ العهد الجديد، وجزء من العهد القديم، وهي توجد في بطرسبورج.

٢- النسخة الفاتيكانية: ويقال: إنها كتبت في القرن الرابع، وقد وجدت في مكتبة الفاتيكان. بروما، وتشتمل علىٰ العهدين، ولا تزال بروما.

٣- النسخة الإسكندرية: ويظنون أنها كتبت في القرن الخامس، وتشتمل علىٰ العهدين مع كتب أخرىٰ غير قانونية، وتوجد الآن في لندن.

مع ملاحظة أنه ليس هناك دليل قطعي علىٰ شيء من هذه الظنون، وميدان الاختلاف فيها كبير بين علمائهم.

فتبين من هذا أن الكتاب المقدس هو المصدر الأول للديانة النصرانية، وهو يحتوي علىٰ عهدين، العهد الأول هو التوراة وملحقاتها، والعهد الثاني هي الأناجيل وملحقاتها، والعهد بمعنىٰ الميثاق، وقد أُخذت هذه التسمية من نصوص الكتاب المقدس تمييزا لعهد المسيح عن العهد القديم، ويسمىٰ مجموع العهدين بالبيبل Bible، وله عدة نسخ أبرزها النسخة السينائية والفاتيكانية والإسكندرية.

المبحث الأول

العهد القديم وموقف الكنائس النصرانية منه

أ- تعريف العهد القديم:

العهد القديم: قسمه اليهود إلىٰ أقسام اختلفوا فيها، وقسمه النصارىٰ إلىٰ أقسام اختلفوا فيها، ويمكن أن نذكر هنا أبرز تقسيم عند اليهود للعهد القديم، ثم نتبعه بأبرز تقسيم للنصارىٰ للعهد القديم، وذلك فيما يلي:

تقسيم اليهود: يقسم اليهود التوراة وملحقاتها إلىٰ ثلاثة أقسام، ووافقهم عليه طائفة البروتسانت من النصارىٰ كما يلي:

أوَّلا: أسفار التوراة:

وهي أسفار موسىٰ الخمسة، وتسمىٰ أيضا بالنتاتوك، وهي كلمة عبرانية وتعني الشريعة والناموس، وتطلق عند النصارىٰ علىٰ خمسة أسفار، وهي كما يلي:

١- سفر التكوين: يتحدث فيه عن خلق السموات والأرض، وأخبار الأنبياء من آدم إلىٰ موت يوسف.

٢- سفر الخروج: يتحدث عن تاريخ بني إسرائيل في مصر، بعد موت يوسف حتىٰ خروجهم من مصر، وما حدث لهم من وقائع وأحداث.

٣- سفر اللاويين: وهو نسبة إلىٰ سبط بني لاوي بن يعقوب، الذي كان من نسله موسىٰ وهارون عليهما السلام، وأولاد هارون هم الذين كانت فيهم الكهانة، أي القيام بالأمور الدينية، وهم المكلفون بالمحافظة علىٰ الشريعة وتعليمها للناس، ويتضمن هذا السفر أمورا تتعلق بالأحكام والشرائع والوصايا لليهود.

٤- سفر العدد: وهو معني بعد بني إسرائيل، ويتضمن توجيهات وذكر بعض الحوادث التي حدثت لهم بعد خروجهم.

٥- سفر التثنية: ويعني تكرار الشريعة، وإعادة الأوامر والنواهي عليهم مرة أخرىٰ، ويضيف أحكاما أخرىٰ، وينتهي هذا السفر بذكر خبر وفاة موسىٰ عليه السلام وقبره ومكان قبره.

ويقسم بعض اللاهوتيين تعاليم التوراة إلىٰ ثلاثة أقسام، وهي:

١- قسم يتعلق بالأمور الأدبية والأخلاقية، كمثال الوصايا العشر في التكوين.

٢- قسم يتعلق بالأمور الطقسية، أي الأحكام والشعائر الدينية، مثل سفر اللاويين.

٣- قسم يتعلق بالأمور السياسية والمدنية، مثل سفر الخروج(١).

ثانيا: أسفار الأنبياء: وهي تنقسم إلىٰ قسمين:

أ- الأنبياء المتقدمون: وعددها ستة وهم: يشوع، القضاة، صموئيل الأول، وصموئيل الثاني، والملوك الأول، والملوك الثاني.

ب- الأنبياء المتأخرون: وعددها خمسة عشر وهم: إشعيا، إرميا، حرقيال، هوشع، يوئيل، عاموس، عوبديا، يونان، ميخا، ناحوم، حيبقول، صفنيا، حجىٰ، زكريا، ملاخي.

ثالثا: الكتابات: وهي تنقسم إلىٰ ثلاثة أقسام وهي:

أ-الكتابات العظيمة: وهي ثلاثة: المزامير، الأمثال، أيوب.

ب- المجلات الخمس: وهي نشيد الإنشاد، راعوث، المراثي، إستير، الجامعة.

---

(١) انظر: كيف نفهم علم اللاهوت، رت كندل، ٢/ ١٢.

ت- الكتب: وهي خمسة: دانيال، عزرا، تنحميا، أحبار الأيام الأول، أخبار الأيام الثاني.

٦- ويطلق علىٰ مجموعها العهد القديم، وهو يتكون من تسعة وثلاثين سفرا، وهو التقسيم المعترف به عند اليهود وطائفة البروتسانت من النصارىٰ[1].

أما الكاثوليك والأرثوذكس فيعتمدون النسخة اليونانية، وهي تزيد علىٰ العبرانية بسبعة أسفار وهي: طوبيا، والحكمة، ويشوع بن سيبراخ، وباروخ، والمكابين الأول، والمكابيين الثاني.

تقسيم النصارى:

يقسم الكاثوليك من النصارىٰ ووافقهم عليه بعض الطوائف العهد القديم إلىٰ خمسة أقسام كما يلي:

أولا: أسفار موسىٰ الخمسة، وقد تقدم الكلام عنها.

ثانيا: الأسفار التاريخية: وعددها ستة عشر سفرا، وهي: يشوع، القضاة، راعوث، الملوك الأول، الملوك الثاني، الملوك الثالث، الملوك الرابع، أخبار الأيام الأول، أخبار الأيام الثاني، عزرا، نحميلا، طوبيا، أستير، يهوديت، المكابيين الأول، المكابيين الثاني.

ثالثا: أسفار الأناشيد أو الأسفار الشعرية: وعددها ستة وهي: أيوب، المزامير، الجامعة، نشيد الإنشاد، المراثي.

رابعا: أسفار الأنبياء: وعددها سبعة عشر سفرا، وهي: إشعيا، إرميا، باروخ، حرقيال، دانيال، هوشع، يوئيل، عاموس، عوبديا، يونان، ميخا، ناحوم، حبقوق،

(١) انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص٧٦٤. ومواعظ الآحاد، إلياس كويتر المخلصي، ١/ ١٨.

صفنيا، حجىٰ، زكريا، ملاخي.

خامسا: الأسفار التعليمية: وعددها اثنان وهي الحكمة ويشوع بن سيراخ.

وكما يتضح، فالنصارىٰ يجعلون أسفار الملوك أربعة بدلا من اثنين عند اليهود والبروتستانت، وذلك لأنهم يجعلون سفري صموئيل الأول والثاني ثالث ورابع أسفار الملوك.

وينبه إلىٰ أن كل سفر من هذه الأسفار يحوي عددا من الإصحاحات، وكل إصحاح يحوي العديد من الفقرات، والذي قام بتقسيم الكتاب المقدس إلىٰ إصحاحات، هو علىٰ الأرجح ستيفن لانجتون رئيس أساقفة كنتبري، المتوفىٰ عام ١٢٢٨م(١).

ب- بيان تحريف التوراة:

التحريف في اللغة: هو إمالة الشيء عن موضعه إلىٰ جانب آخر من جوانب ذلك الشيء، ويقال: حرَّف وانحرف وتحرَّف واحرورف بمعنىٰ عدل، يقال: قلم محرف أي عدل بأحد حرفيه عن الآخر(٢).

وأما التحريف في الاصطلاح: فهو أن يجعل الكلام علىٰ حرف من الاحتمال يمكن حمله علىٰ الوجهين، وقيل: هو تغيير الكلام وصرفه عن معناه، وقيل: بل هو تغيير اللفظ دون المعنىٰ(٣).

ولا شك أن التحريف يعدُّ من أقبح الآفات، فهو بالإضافة إلىٰ الكذب الذي

---

(١) انظر: تاريخ الأقباط، زكي شنودة، ص٩١-٩٢.

(٢) انظر: تهذيب اللغة، لابن فارس ٥/ ١٣. ولسان العرب، لابن منظور ٩/ ٤١. والقاموس المحيط، للفيروز آبادي ٣/ ١٢٧.

(٣) انظر: التعريفات، للجرجاني، ص٧٦والمفردات في غريب القرآن، للأصفهاني، ص١١٤.

يحتوي عليه، يغير الأمور والوقائع عن حقيقتها التي كانت عليه، وما ذلك إلا لقلب الحقائق وتزييفها، وجعل الباطل حقا والحق باطلا لمقاصد ينشدها ذلك المحرف.

وفيما يلي نذكر بعض الأمور التي تدل علىٰ تحريف التوراة، وذلك علىٰ قسمين:

القسم الأول: دراسة تاريخ سند التوراة:

لدراسة سند التوراة كأي كتاب مقدس أهمية قصوىٰ، وهذا الجانب ينقسم إلىٰ مدرستين أو إلىٰ قسمين، أولهما هو ما يعرف بنقد النص الأعلىٰ، ويعرف في علم اللاهوت الغربي بعملية علم نقد النص (text criticism)[١]، وثانيهما هو ما يعرف بالنقد الأدنىٰ (Lower Criticism) وهو دراسة تاريخ وسند ومخطوطات الكتاب المقدس[٢].

والهدف من ذلك - في نظرهم - هو استعادة أقدم شكل باقي للنص أو الشكل الذي كان عليه النص عندما تحرر من سيطرة المؤلف، وهناك هدف ثان وهو دراسة الأشكال المختلفة للنص للوصول إلىٰ الأفكار التي يحتوي عليها[٣].

وفي الحقيقة هو عملية اكتشاف تحريف النص، فالنصوص الدينية لا يمكن أن يعاد بناؤها، وإنما تدرس ليحكم عليها بالخطأ والخطل أو بالصحة والحق.

وعلىٰ الرغم من اكتشاف أو سلوك هذه المدارس النقدية إلاّ أن معظم علماء

---

(١) انظر: The Blackwell Companion to the New Testament, David E. Aune, A John Wiley & Sons, Ltd., 2010, First Edition.P.78

(٢) انظر: لماذا أؤمن، إجابات منطقية عن الإيمان، بول ليتل ص٨٨

(٣) انظر: The Blackwell Companion to the New Testament, David E. Aune, A John Wiley & Sons, Ltd., 2010, First Edition.P.78

الكتاب المقدس يهتمون في المقام الأول بالأبعاد الأدبية واللاهوتية للنص التوراتي، وليس بالطريقة التاريخية - كما يقول دليل بلاكويل للعهد الجديد-[(١)].

ولا يمكن أن يغطىٰ تاريخ التوراة بتغافل هؤلاء العلماء عن تاريخها، وإن كان لهم معتقدات دينية تؤيد اتجاههم من وجهة نظرهم توجب عليهم اعتبار النصوص التوراتية حقة إلا أنه يجب عليهم أن يعلموا أن معرفة الحقيقة أحق من حق التوراة.

وفي دراستنا هذه سنعرض تاريخ سند التوراة موثقا بالنصوص التي تبرهن علىٰ كل مرحلة من المراحل التي مرت عليها، وهو ما يعرف بالنقد الأدنىٰ، ويمكن إيجاز ذلك فيما يلي:

أ- **كتابة التوراة:** ذكرت نصوص التوراة أن التوراة قد كتبت، ولكنها اختلفت في تعيين كاتبها، فمرة نسبتها إلىٰ الله تعالىٰ، ومرة نسبت كتابتها إلىٰ موسىٰ، ومرة إلىٰ يشوع، وهذا يدل علىٰ تناقضهم، وعدم اتفاق نصوص التوراة علىٰ تعيين كاتبها الأصلي.

أما نسبة كتابتها إلىٰ الله تعالىٰ فيدل عليه ماجاء في سفر الخروج، حيث يقول: "ثم أعطىٰ موسىٰ عند فراغه من الكلام معه في جبل سيناء لوحي الشهادة ولوحي الحجر، مكتوبان بإصبع الله" (خروج، ٣١/ ١٨)

وكذلك أيضا: "اصعد إلىٰ جبل، وأقم هناك حتىٰ أعطيك لوحي الحجارة والشريعة والوصية التي كتبتها لتعليمهم" (خروج، ٢٤/ ١٢)

فدَلَّت النصوص السابقة أن موسىٰ عليه السلام أعطي لوحي الحجارة مكتوبين، ولم تنص علىٰ أن جميع التوراة كانت مكتوبة في تلك اللوحين.

(١) نفس المرجع، ص١٠٢

- نسبة كتابتها إلىٰ موسىٰ عليه السلام: ويدل عليه ماجاء في سفر التثنية: " فعندما أكمل موسىٰ كتابة كلمات هذه التوراة في كتاب إلىٰ تمامها، أمر موسىٰ اللاويين حاملي تابوت عهد الرب قائلا: خذوا كتاب التوراة هذا، وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكم، ليكون هناك شاهدا عليكم.. " (تثنية، ٣١/ ٢٤)

وهذا النص معارض لما ورد في بعص نصوص التوراة التي تدل علىٰ أن كاتبها شخص آخر غير موسىٰ عليه السلام، منها ما يلي:

١- لأنها تذكر أحداثا تدل علىٰ أن كاتبها غير موسىٰ كذكر وفاة موسىٰ عليه السلام، ففي سفر التثنية: "فمات موسىٰ عبد الرب هناك، في أرض موآب، بموجب كلمة الرب، فدفنه في وادٍ بأرض موآب، قبالة بيت فعور، ولم يعلم إنسان بقبره إلىٰ اليوم... ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسىٰ، الذي عرفه الرب وجها لوجه" (تثنية، ٣٤/ ١٠)

فتبين من هذا النص أنه من غير المعقول أن تنسب كتابتها إلىٰ موسىٰ عليه السلام، لما فيها من ذكر وفاته ودفنه ومكان وفاته، إضافة إلىٰ قوله: "ولم يعلم إنسان بقبره"، فهذا يشير إلىٰ أن ذلك المكتوب كان متأخِّرًا عن وفاته بفترة ليست قصيرة، إذ لو كانت غير ذلك لما نسي قبره إلىٰ (اليوم).

٢- أنها ذكرت أسماء مدن لم توجد إلا بعد عهد موسىٰ بأكثر من مائة عام، وذلك مثل مدينة دان وحبرون، فمدينة دان وهو اسم مدينة تقع علىٰ بعد ثلاثة أميال غرب بانياس، وهي معروفة حاليا بتل القاضي، وكانت أول أمرها تابعة لمقاطعة صيدا، وقد سميت بهذا الاسم في عهد القضاة، أي بعد موسىٰ بما يربو علىٰ مائة سنة(١).

وأما مدينة حبرون فقد سميت بذلك بعد أن فتحها الإسرائيليون، وهي تسمىٰ اليوم

---

(١) انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص٣٥٧.

بمدينة الخليل، تقع علىٰ بعد تسعة عشر ميلا من القدس، وكانت تسمىٰ أيام الكنعانيين قرية أربع أو تيترابوليس باليونانية – وقد ورد اسم حبرون في سفر (التكوين، ١٤/ ٣٧)–.

– نسبة كتابتها إلىٰ يشوع:

ذُكر في سفر يشوع أن يشوع نسخ لهم توراة موسىٰ عليه السلام بقوله: "حينئذ بنىٰ يشوع مدعا للرب إله إسرائيل رب جبل عيبال... وكتب هناك علىٰ الحجارة نسخة توراة موسىٰ". (يشوع، ٨/ ٣٠-٣٣)

ولم يبين لماذا نسخها؟ وأين كان الأصل؟ أم أنه نسخها من حفظه؟ وهل كتب نسخة التوراة جميعها أم لوحَيِ الحجر؟ لا نعلم.

فتبين أنَّ في تعيين كاتبها اضطرابًا، وليس عند القوم ما يعتمدون عليه علىٰ وجه اليقين، وزيادة علىٰ ذلك فقد كان تاريخ التوراة بعد ذلك عرضة للتحريف والضياع، وقد ضاعت وكتبت مرارًا إثر تعرض اليهود لأنواع النكبات، وهذا مما يجعل البحث في تاريخ التوراة في غاية الأهمية.

ب – فقد التوراة وضياعها: بعد أن تبين الاضطراب الحاصل في تعيين كاتب التوراة لدىٰ اليهود وردت أحداث كثيرة تشير إلىٰ ضياعها، من ذلك ما ورد في التوراة من أن موسىٰ عليه السلام أمر بأن توضع التوراة في تابوت، قائلا: "خذوا سفر هذه الشريعة وضعوه إلىٰ جانب عهد الرب إلهكم" (تثنية، ٣١/ ٢٦)

وهذا التابوت استولىٰ عليه الفلسطينيون الوثنيون بعد هزيمتهم لبني إسرائيل في عهد النبي صموئيل، تقول التوراة في ذلك: "وقاتل الفلسطينيون فانكسر إسرائيل، وهرب كل واحد إلىٰ خيمته، وكانت ضربة شديدة جدا، فسقط من إسرائيل ثلاثون ألفا من الرجالة، وأخذ تابوت الله" (صموئيل، ٤/ ١٠)

وقد تنقل هذا التابوت بين عدة مدن إلىٰ أن أعيد إلىٰ بني إسرائيل، "وكان

تابوت الرب في بلاد فلسطين سبعة أشهر" (صموئيل،٦/ ١)

ثم بعد ذلك ذكرت التوراة أن التابوت فتح في عهد سليمان، فلم يكن فيه إلا لوحا الحجر، تقول التوراة: "ولم يكن في التابوت إلا لوحا الحجر اللذان وضعها موسىٰ" (الملوك الأول، ٨/ ٩)

فأين ذلك السفر الذي أمر موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ بوضعه بجانب التابوت؟

ج - ظهورها مرة أخرىٰ:

بعد ذلك انقطع خبر التوراة، إلىٰ أن وجدها حلقيا الكاهن في عهد الملك يوشيا، فإنه لما تاب ورجع عن عبادة الأوثان، قطع عهدا مع الرب أن يقيم شريعة إسرائيل، وذلك بعد أن غلبت عليهم الوثنية.

وقد دخلت عليهم الوثنية -كما تذكر التوراة- من آخر عهد سليمان، الذي كان أول من ارتد وعبد الأوثان- في زعمها- (الملوك الأول، ١٤/ ٢٥)

وفي فترة حكم الملك يوشيا في السنة الثامنة عشرة من حكمة أرسل الملك كاتبه شافان إلىٰ حلقيا الكاهن، ليحسب الفضة التي جمعها الشعب في بيت الرب، وفي أثناء ذلك عثر حلقيا الكاهن علىٰ سفر الشريعة في الهيكل، فقرأها وسلمها ليد كاتب ملك شافان ليسلمها للملك (أخبار الأيام الثاني، ٣٤/ ١٤)

فأين دليلهم علىٰ أن حلقيا الكاهن قد وجد النسخة الصحيحة من التوراة أو من سفر التثنية؟ ولا تقبل هذه الدعوىٰ لأنها من غير دليل.

فعثور حلقيا علىٰ ذلك السفر بعد مضي سبعة عشر عاما من حكم الملك يوشيا الذي تولىٰ الملك بعد سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ بثلاثين عاما كانت كافية للعثور عليها في الهيكل، إذ من المستبعد جدًّا أن يكون اليهود، فقد فقدوا التوراة كل هذه المدة

الطويلة، وهي موجودة في الهيكل مع أنه معبد عام.

فكيف غاب عن أعين الوثنيين وهم جادون في البحث عنه لإقامة مجد إسرائيل، ولا يستبعد أن حلقيا الكاهن لما رأىٰ توجه الملك إلىٰ التدين استغل ذلك الأمر، وألَّف ذلك السفر مما حفظته وتناقلته الألسن.

د - فقد الثوراة وضياعها للمرة الثانية:

علىٰ افتراض أن التي وجدها حلقيا الكاهن كانت هي التوراة الصحيحة أو جزء منها، إلا أنه من المؤكد أنها فقدت بعد ذلك، وذلك بعد هجوم نبوخذ نصر البابلي، سنة ٥٩٧ ق.م بجيشه علىٰ تلك المدينة، وقتلوا جمعا غفيرا، "وأحرقوا بيت الله، وهدموا سور أورشليم، وأحرقوا جميع قصورها بالنار" (أخبار الأيام الثاني، ٢٦/ ١٧) وذلك فيما يعرف بالأسر البابلي الكبير.

يقول سفر عزرا موضِّحًا صنيع البابليين في حرق الهيكل: "إن النار أبطلت شريعتك، فلم يعد سبيل لأي امرئ أن يعرف ما صنعت" (عزرا، ١/ ١٦)

فهذا نص صريح في أن النار قد أحرقت التوراة، ولم يعد لهم ما يرجعون إليه، ولو كانت هناك نسخ أخرىٰ منها، لما قيل لم يعرف أحد ما صنعت، لأنه سوف يعرف ما فيها بمجرد رجوعهم إلىٰ النسخة الأخرىٰ.

خامسا: كتابتها للمرة الثالثة علىٰ يد عزرا:

وقد كان ذلك علىٰ يد عزرا الكاهن، فحينما أدرك اليهود أن توراة حلقيا قد اندثرت وضاعت زعموا هذه المرة أن عزرا قد كتبها بإلهام[1] من الله، بأمر من الملك

---

(١) الإلهام هو ما يلقىٰ في الروع. انظر: لسان العرب، لابن منظور ٥/ ٤٠٨٩. ومعجم مقاييس اللغة، لابن فارس ٥/ ٢١٧

وفي الاصطلاح: هو إيقاع الشيء في القلب، من علم يدعو إلىٰ العمل به، من غير استدلال تام =

الفارسي ارتحشتا ٤٦٥ ق م، الذي تولىٰ الملك بعد مدة من عهد الملك قورش ٥٢٩ ق م الذي هزم البابليين واستولىٰ علىٰ فلسطين، وألان جنابه لليهود، بل وحثهم علىٰ العودة إلىٰ أورشليم حيث يقول: " فمن كان منكم من شعبه أجمع فإلهه يكون معه، فليصعد إلىٰ أورشليم التي في يهوذا وبين." (عزرا، ١/ ٣)

وهذه هي المرة الثانية التي يقرّون فيها بأنها كتبت بعد كتابها الأولىٰ في عهد موسىٰ عليه السلام، وإن كان بينهما فرق كبير.

وأما توراة حلقيا فإنها لم تكتب -حسب زعمهم- بل عثر عليها، فلما لم يجدوا ما يستدلون به علىٰ صحة كتابة عزرا جعلوا كتابته للتوراة معصومة، لأنها كانت بإلهام من الله أو من روح القدس.

مناقشة دعوى كتابتها بالإلهام على يد عزرا:

لم يستطع اليهود والنصارىٰ علىٰ مرّ الزمان أن يقيموا دليلا صحيحا علىٰ صحة دعوىٰ الإلهام، خصوصا وأن هناك أمورا تنفي دعوىٰ الإلهام منها ما يلي:

أ-أن التوراة تحوي كثيرا من الأخطاء والتحريفات التي تدل دلالة واضحة علىٰ عدم إلهاميتها، حيث كان يوجد فيها كثير من الألفاظ البابلية، وعبارات كان عزرا يشك فيها، وأغلاط كثيرة متفق عليها عند أهل الكتاب.

ب- أنها لو كانت بإلهام من الله -كما يقولون-لكانت صادقة في كل ما أخبرت به، ولما وجد الباطل منفذا إليها، ولكانت متفقة غير مختلفة، ولما حصل التناقض والتعارض بين نصوصها.

= ولا نظر في حجة شرعية.انظر: كتاب الكليات، لأبي البقاء الكفومي، ص١٧٣. والتعريفات، للجرجاني، ص٥١.

ت- من الدلائل التي تدل علىٰ أن عزرا لم يكتب ما كتبه بإلهام، أنه أعاد كتابة الأسفار المنحولة أيضا، فقد جاء ما ترجمته من دائرة المعارف البريطانية أن عزرا قد أعاد جميع الأسفار العبرية، التي كانت أتلفت، وأعاد سبعين سفرا غير قانونية أبوكريفه.

ثم قال كاتب الترجمة: وإذا كانت الأسطورة الخاصة بعزرا هذا قد كتبها من كتبها من المؤرخين بأقلامهم من تلقاء أنفسهم، ولم يستندوا في شيء منها إلىٰ كتاب آخر، فكتَّاب هذا العصر يرون أن أسطورة عزرا قد اختلقها أولئك الرواة اختلاقا.

ولذلك فإن كثيرا من علماء أهل الكتاب المتأخرين أقروا بنفي الإلهامية عنها، يقول أحدهم: "إن الذين قالوا كل قول مندرج في الكتب المقدسة إلهامي، لا يقدرون أن يثبتوا دعواهم بسهولة ".

ث- وقوع أحداث لليهود أضاعت التوراة التي كتبها عزرا:

ومن أشهر تلك الأحداث التي أسهمت في ضياع التوراة غزو الملك أنطيوكس لليهود، وقد جاء في وصف ذلك في التوراة أنه كان هو وجيشه يحرقون البخور علىٰ أبواب البيوت وفي الساحات، وأخرجوا أسفار الشريعة ومزقوها وأحرقوها بالنار، وكل من وجد عنده سفر من العهد، أو اتبع الشريعة كان يقتل بأمر الملك.

ج- من الأحداث والنكبات التي حلت باليهود، وأسهمت في ضياع توراة عزرا، حادثة تيطس الذي أحرق الهيكل، الذي كان يوجد بداخله قدس الأقداس، وهو غرفة مظلمة فيها تابوت العهد علىٰ صخرة فوقه(١).

كل ذلك يبين أن التوراة التي بأيدي اليهود اليوم لم تكن توراة عزرا، بل كتبت

(١) انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص١٢٦ و ص١٠١٤.

علىٰ يد علمائهم، علىٰ مدىٰ قرون طويلة، وقد أقر بذلك كثير من علماء أهل الكتاب المتأخرين.

د- إقرار كثير من علماء المسيحية المتأخرين بعدم إلهامية التوراة علىٰ يد عزرا:

فقد ذكر جماعة من كبار علماء اللاهوت المعتبرين في مدخل العهد القديم من الكتاب المقدس للرهبانية اليسوعية والدائرة البريطانية، أن أسفار العهد القديم كتبت في عصور مختلفة، وبأيدي كتاب مختلفين، ذوي ثقافات مختلفة متباينة، بل هو مجموعة كتب مختلفة جدًّا، وذلك أنها تمتد إلىٰ أكثر من عشرة قرون، وتنسب إلىٰ عشرات المؤلفين المختلفين [1].

ويقول رت كندل: "اشترك في كتابة أسفار الكتاب المقدس نحو أربعين كاتبا، في نحو ١٥٠٠ سنة [2].

وتقول دائرة المعارف الأمريكية: "لم تصلنا أية نسخة من المؤلف الأصلي لكتب العهد القديم، أما النصوص التي بين أيدينا فقد نقلتها إلينا أجيال عديدة من الكتبة والنُّسَّاخ، ولدينا شواهد، وقد غيروا بقصد أو بدون قصد في الوثائق والأسفار التي كان عملهم الرئيس هو كتابتها ونقلها".

ومن الجدير بالذكر أن بعض علماء النصارىٰ المتأخرين استطاعوا تقسيم المراحل التي تمت فيها كتابة التوراة إلىٰ ثلاث مراحل أو عصور، كما يلي:

١- الرواية اليهودية: وقد أطلق عليه ذلك لأن اسم الله بها يهودا، وهي في القرن التاسع قبل الميلاد.

٢- الرواية الألوهيمية: وأطلق عليه ذلك لأن اسم الله بها ألوهيم.

---

(١) انظر: المدخل إلىٰ الكتاب المقدس للرهبانية اليسوعية، ص٣٠.

(٢) كيف نفهم علم اللاهوت، رت كندل، ٣/ ١.

٣- الرواية الكهنوتية: وهي التي صدرت عن كهنة معبد القدس، في القرن السادس قبل الميلاد.

وتحت كل مرحلة من هذه المراحل، يندرج قسم كبير من نصوص الكتاب المقدس، وقد تمت قبل تلك العصور بعض الكتابات المدونة، كالوصايا العشر وبعض الأناشيد، ونبوءات موسىٰ ويعقوب والنصوص التشريعية [١].

القسم الثاني: نقد ما يتعلق بنصوص التوراة.

يعتقد اليهود والنصارىٰ بوجه عام أن موسىٰ عليه السلام قد كتب أسفار التوراة الخمسة - كما سبق - وكانوا يشيرون إليه بوصفه المؤرخ المقدس The sacred historian، مع أن تلك الأسفار ليس لها سند تاريخي متصل - كما سبق -.

والنقد لنصوص الكتاب المقدس أصبح سمة بارزة في دراسة علم اللاهوت في الوقت المعاصر من قبل الباحثين غير اللاهوتيين وهو ما يندرج تحت مُسمَّىٰ "الأسلوب النقدي".

يقول دليل بلاكويل للعهد الجديد: "الأسلوب النقدي: هي عبارات تستخدم علىٰ نطاق واسع كمصطلحات شاملة لمجموعة من الأساليب والمناهج ذات الصلة التي يستخدمها العلماء لتفسير الكتاب المقدس وتتضمن هذه الأساليب نقد كل ما يتعلق بالنص"[٢]

والحكم علىٰ أي مكتوب بأن بعضه محرف، وبعضه الآخر سليم من التحريف

(١) انظر: القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، موريس بوكاي، ص٢٣ وص ٢٨.

(2) The Blackwell Companion to the New Testament, David E. Aune, A John Wiley & Sons, Ltd., 2010, First Edition.P.101

وكلمة النقد مشتقة من الفعل اليوناني krinein، أي قرار، وحكم، وتقييم.

-يفقدنا الثقة في ذلك الكتاب، ولم يعد له قيمة، وفيما يلي نذكر أبرز الأدلة التي تدل علىٰ وقوع التحريف في نصوص التوراة:

أوَّلًا: الأدلة النقلية علىٰ وقوع التحريف في التوراة:

أ- الأدلة من القرآن الكريم:

توافقت الأدلة النقلية من القرآن الكريم بالشهادة علىٰ تحريف اليهود للتوراة، وأنها حرفت عن أصلها، وأنهم نسوا حظًّا ذُكِّروا به، قال تعالىٰ: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ﴾ [النساء: ٤٦].

وقال تعالىٰ: ﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ﴾ [المائدة: ١٣].

فشهادة القرآن الكريم هي شهادة حق وصدق، وافقه شهادات كبار علماء اللاهوت في العصور المتأخرة، فهو أصدق القول وأعدله وأحقه وأفضله.

ب- الأدلة من الكتاب المقدس:

لم يكن القرآن الكريم هو الوحيد بين الكتب السماوية التي شهدت علىٰ تحريف أهل الكتاب لكتبهم، بل إن الكتاب المقدس نفسه يشهد عليهم بتحريفه، فيقول إشيعا: "ويل للذين يتعمقون ليكتموا رأيهم عن الرب، فتصير أَعمالهم في الظلمة، ويقولون: من يبصرنا ومن يعرفنا؟" (إشعيا، ٢٩/ ١٥-١٦)

وهذا نبي الله داود يقول: "الله أَفتخر بكلامه. علىٰ الله توكلت فلا أخاف. ماذا يصنع بي البشر؟ اليوم كله يحرفون كلامي علىٰ كل أفكارهم بالشر" (مزمور، ٥٦/ ٤-٥)

ومن الأمور التي أسهمت إسهاما كبيرا في تحريف التوراة هو ادعاء النبوة، الذي كان منتشرا في تلك العهود، يقول إرميا مخبرا عن الرب تعالىٰ: "لأنه هكذا قال رب

الجنود: لا تغشكم أنبياؤكم الذين في وسطكم وعرَّافوكم، ولا تسمعوا لأحلامكم التي تتحلمونها؛ لأنهم إنما يتنبؤون لكم باسمي بالكذب أنا لم أرسلهم، يقول الرب". (إرميا، ٢٩/ ٨-٩)

ويقول: "صار في الأرض دهش وقشعريرة الأنبياء يتنبؤون بالكذب، والكهنة تحكم علىٰ أيديهم، وشعبي هكذا أحب. وماذا تعملون في آخرتها" (إرميا، ٥/ ٣٠-٣١)

فهذه نصوص القرآن الكريم ونصوص أسفار العهد القديم قد اتفقت تحريف اليهود لكتابهم.

ثانيا: بيان تحريف التوراة بذكر نماذج منها تدل علىٰ انحراف تعاليمها في حق الله تعالىٰ والأنبياء عليهم السلام:

أ – الكلام علىٰ الله عز وجل بأمور لا تليق به سبحانه وتعالىٰ:

– وصف الله تعالىٰ بالتعب، " فاستراح في اليوم السابع" (تكوين، ٢/ ٢) وفي سفر الخروج " وفي اليوم السابع استراح وتنفس" (خروج، ٣١/ ١٧)

– وصف الله تعالىٰ بالندم، " فندم الرب علىٰ الشر الذي قال: إنه يفعله بشعبه" (خروج، ٣٢/ ١٤).

– ومن الأمثلة التي تدل علىٰ تحريف التوراة ما ذكر في سفر التكوين من مصارعة يعقوب عليه السلام لله تعالىٰ حتىٰ صرع الله، تقول التوراة عن يعقوب: "فصارعه رجل إلىٰ طلوع الفجر، ورأىٰ أنه لا يقدر عليه، فلمس حق وركه، فانخلع حق ورك يعقوب في مصارعته له، وقال: اصرفي لا يكون اسمك يعقوب فيما بعد بل إسرائيل، لأنك صارعت الله والناس فغلبت، وسأله يعقوب وقال: عرفني اسمك، فقال: لم سؤالك عن اسمي، وباركه هناك " (تكوين، ٣٢/ ٢٣)

– زعمهم رؤية الله ووصفهم أرجله تعالىٰ (خروج، ٢٤/ ١٠)

وهذا يدل علىٰ مدىٰ ما وصل إليه أولئك القوم من الجرأة علىٰ الله، وتحريفهم لكلامه سبحانه وتعالىٰ، ويظهر هذا التلاعب بالنصوص جليا في زعمهم هذا، وهو معارض لما ورد في بعض نصوص التوراة، من أن الإنسان لا يستطيع أن يرىٰ الله في الدنيا (خروج، ١٨/ ٢٣).

وأما زعمهم الندم والاستراحة ومصارعته ليعقوب كل ذلك من نسج خيالهم، وما أملته عليهم أهواؤهم، من تشبيه الله تعالىٰ بالإنسان من الناحية الجسمانية.

ج – الكلام علىٰ الأنبياء ورميهم بكبائر الذنوب:

فمن ضمن النصوص المحرفة في التوراة تلك النصوص التي جعل فيها مؤلفوها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام خُطاة مذنبين، لا يتنزهون عن المعاصي، بل جعلوهم مضربا للقدوة السيئة، ولعل السبب في ذلك –والله أعلم– أنهم أرداو أن يوجدوا لأنفسهم العذر، أي إذا كان الأنبياء كذلك فهم من باب أولىٰ ليسوا معصومين أن يقترفوا الكفر، ولجهلهم بعظم حق الأنبياء، ولجرأتهم عموما علىٰ شرائع الله ويظهر ذلك فيما يلي:

– فمن ذلك ما ورد عن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ من أنه شرب الخمر.

فقد جاء في التوراة: "وابتدأ نوح حارث الأرض يغرس الكرم، وشرب الخمر فسكر، وتكشف من داخل خيمته.." (تكوين، ٩/ ١٨)

– ماورد عن لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ، فبكل وقاحه يكتب الكاتب الأثيم هذه الفقرات، التي تكاد تخر الجبال هدًّا لفظاعتها، فيذكر عن ابنتي لوط أنهما "سقتا أباهما خمرا في تلك الليلة... " واضطجعتا معه وحبلتا منه" (تكوين، ١٩/ ٣٠)

– اتهام اللاويين حاملي الشريعة لموسىٰ وهارون بحب الرياسة، بل إنهم اتهموا موسىٰ وهارون بأنهم لم يقوما بتقدير الله تبارك وتعالىٰ كما ينبغي (لاويين، ٩/ ١٨٤)

– قولهم في سليمان عليه السلام: إنه ارتدّ في آخر حياته، وعبد الأوثان وبنىٰ لها المعابد (الملوك الأول، ١١/ ٤)

ثالثا: اشتمال بعض نصوص التوراة علىٰ بعض شرائع الوثنية:

اشتملت التوراة علىٰ كثير من الشرائع الوثنية المأخوذة من البابليين، وخصوصا من شريعة حمورابي، الذي كان أحد ملوك بابل ١٧٥٠ ق م، ومن ذلك اشتمالها علىٰ بعض قوانين حمورابي.

فقد ورد في المادة رقم ٢٢من شريعة حمورابي ما نصه: "إذا سيد قام بالسرقة وقبض عليه في أثنائها فإنه يعدم".

وورد في نص التوراة: "إن وجد السارق وهو ينقب فضرب وقتل ذهب دمه هدرا، فإن وجد وقد أشرقت الشمس فلا يذهب دمه هدرا" (تثنية، ٢٢/ ١)

وكذلك ما نجده في المادة ٥٧ من قانون حمورابي: "إذا لم يتفق راعٍ مع صاحب الحقل علىٰ رعي غنمه من العشب، ولكنه ترك الغنم ترعىٰ في الحقل بلا موافقه صاحب الحقل، فعندما يحصد صاحب الحقل حقله، فعلىٰ الراعي الذي ترك الغنم ترعىٰ في الحقل بلا موافقة صاحب الحقل أن يعطي لصاحب الحقل عشرين كورا من الحبوب".

وورد في نص التوراة: "إذا رعىٰ أحد بهيمته في الحقل أو كرم، وأطلقها فرعت في حقل غيره، فمن أجود حقله وكرمه يعوض" (تثنية، ٢٢/ ٤)

وكذلك ما ورد في المادة ١٢٩ من شريعة حمورابي، وانظر ما ورد في سفر الأحبار ٢٠/ ١٩ وغير ذلك.

وهي بوجه عام فيها تشابه كبير في باب العقوبة والجريمة، ولهذا قال كثير من الباحثين بأن كثيرا من نصوص التوراة مقتبسة من تلك الشريعة.

وقال بعض الباحثين: إن شريعة حمورابي مقتبسة من التوراة، ولكن يرد علىٰ هذا أن شريعة حمورابي متقدمة علىٰ عهد موسىٰ عليه السلام بقرون، وذلك لأن أهل التاريخ يؤرخون عهد موسىٰ عليه السلام، فيما بين عام١٣٥٠ - ١٢٠٥ ق.م، ويكاد يجمع عامة المؤرخين علىٰ أن ولادة موسىٰ كانت في عهد الأسرة المصرية التاسعة عشر١٣٥٠ - ١٢٠٥ ق.م.

وأما حمورابي فيقال بأنه عاش ما بين ٢١٢٣-٢٠٨١ ق.م، وقد كتب شريعته عام ١٩٠٠ق.م تقريبا(١).

ومما يدل علىٰ أن اليهود اقتبسوا هذه الشريعة وعظموا صاحبها أنهم ذكروا حمورابي في التوراة باسم ملكي صادق، ومعنىٰ هذه الكلمة بالعبرانية (ملك البر أو ملك السلام)، وهو يلقب نفسه بهذا اللقب في شريعته المذكورة آنفا، وقد ورد في سفر التكوين أن ملكي صادق هذا قد بارك علىٰ إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وأن إبراهيم أعطاه العشور.

وأما العهد الجديد فيذكر ملكي صادق علىٰ أن له مقاما عاليا يفوق رتبة المسيح، ومن فاق رتبة المسيح -وهو رب النصارىٰ- فلا شك أنه له رتبة الألوهية، فبولس في رسالته إلىٰ العبرانيين يقول: "حيث دخل يسوع كسابق لأجلنا، صائرا علىٰ

(١) ربما أشكل علىٰ البعض أن شريعة حمورابي تشتمل علىٰ بعض الأمور العادلة أحيانا، كالسن بالسن وغير ذلك، وهذا ليس محل استغراب، فقد كان فاشيا منذ القدم، وقد كان أهل الحبشة غاية في الدقة في العقوبة بالقصاص، حتىٰ بلغ بهم الأمر إلىٰ أنه إذا سقط صبي من أعلىٰ الشجرة علىٰ زميله وقتله، فإن القاضي يحكم بأن ترسل الأم الثكلىٰ ابنا آخر من أبنائها، ليسقط من أعلىٰ الشجرة علىٰ عنق الصبي الذي اقترف الذنب أول مرة. انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت ١/ ٧٥. و١/ ٤٣٦

رتبة ملكي صادق، رئيس كهنة إلىٰ الأبد"[١].

رابعا: انحراف تعاليمها وقسوتها ومخالفتها للعلم:

فقد تحدثت التوراة عن أمور علمية أثبت العلم مخالفتها لها، فليس أمامهم إلا الاعتراف بأن كُتَّاب التوراة غيرُ ملهمين وإما أن يثبتوا دخول التحريف علىٰ نصوصها.

فمن ذلك ما جاء في قضية خلق السموات والأرض، حيث ذكرت أنه في البدء خلق الله السموات والأرض وخلق النور والظلام أي الليل والنهار وذلك في اليوم الأول، ثم ذكرت أنه خلق الشمس والقمر والنجوم في اليوم الرابع، فكيف يوجد الليل والنهار قبل وجود مصدره، ومن المعلوم أن الضوء الذي يقطع الكون هو نتيجة أفعال معقدة تحدث في النجوم، ولذلك يرىٰ عالم مقارنة الأديان الفرنسي موريس بوكاي أن هذا من غير المنطقي، ويرىٰ أيضا أن خلق النبات في أعمال اليوم الثالث قبل خلق الشمس أمر يتنافىٰ مع العلم[٢].

وأما انحراف تعاليم التوراة فقد تفوق حصر العادّين لتلك الانحرافات، منها تفريقهم بين اليهود وغير اليهود الذين يسمونهم الجوييم، فتحرم شهادة الزور علىٰ القريب بينما لا تحرمه علىٰ غير اليهودي (خروج٢٠/ ١٦) ومنها أنها لا تجوِّز عتق المملوك الغريب بينما توجب تحرير المملوك اليهودي، وتجيز العنف مع غير اليهودي بينما بنوا إسرائيل فقد نصت علىٰ أنه " لا يتسلط عليهم أحد بعنف" (لاويين ١٥/ ٤٦) ومنها إباحة الشهوات والمسكر لليهودي (تثنية ١٤/ ٦) ومنها القسوة المفرطة فتوجب إبادة جميع الأحياء المغلوبة حيث يقول سفر التثنية: "وأما مدن هؤلاء

(١) العبرانيين، ٧/ ١-٣. وتفسير الكتاب المقدس، لمتىٰ هنري، ٥/ ٥٢.

(٢) انظر: سفر التكوين ١/ ١-٤ وانظر: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، موريس بوكاي ص٤١

الشعوب التي يعطيك الرب إلهك فلا تستبق نسمة ما" (٢٠/١٦)، وقد وردت كلمة حرق وإحراق ومشتقاتها في عموم الكتاب المقدس وبالأخص في التوراة أكثر من ٥١٥ مرة تقريبا، منها الأمر بإحراق مدينة "عاي" علىٰ من فيها (يشوع٨/ ١٩) ومثلها كذلك مدينة "حاصور" (يشوع ١١/ ١٣) وغيرها من المدن علىٰ من فيها، ووردت كلمة أقتل ١٢٦ مرة وكلمة اذبح ١١٧ مرة.

وأمام هذه الحقائق نرىٰ الأب متىٰ المسكين يصرح بكل وضوح بأن هذه القسوة لا يجيزها الضمير ولا يمكن وصف قسوتها فيقول: "وكانت دموية بأقسىٰ ما يمكن التعبير، مهما حاول المؤرخون والعلماء إعطاء المبررات والأعذار.. فلا يمكن أن يجيزها الضمير ولا يمكن أن يبررها العقل"(١).

فتبين من هذا أن العهد القديم يقسمه اليهود إلىٰ ثلاثة أقسام، القسم الأول أسفار التوراة الخمسة، وهي التكوين والخروج واللاويين والعد والتثنية، والقسم الثاني هو أسفار الأنبياء، وهي تنقسم إلىٰ قسمين الأنبياء المتقدمون وعددها ستة أسفار، والأنبياء المتأخرون وعددها خمسة عشر سفرا، والقسم الثالث هي الكتابات، وهي ثلاثة أقسام، الكتب العظيمة وهي ثلاثة، والمجلات الخمس وهي خمسة والكتب وهي خمسة أيضا ومجموع أسفار العهد القديم تسعة وثلاثين سفرا، أما الكاثوليك والأرثوذكس فيزيدون عليها سبعة أسفار فيصبح مجموعهما عندهم ستة وأربعون سفرا، ويقسمونها إلىٰ خمسة أقسام وهي أولا أسفار التوراة وعددها خمسة والثاني الأسفار التاريخية وعددها ستة عشر سفرا، والثالث أسفار الأناشيد وعددها ستة والرابع أسفار الأنبياء وعددها سبعة عشر والخامس الأسفار التعليمية وعددها سفران.

---

(١) تاريخ إسرائيل، الأب متىٰ المسكين ص٥٣

وأما تحريف التوراة فقد تبين أن التحريف الاصطلاحي هو تغيير المعنىٰ أو اللفظ، وتبين أن تحريف التوراة يمكن أن يقسم إلىٰ قسمين الأول دراسة تاريخ سند التوراة، فتبين أن التوراة قد كتبت للمرة الأولىٰ، واضطربت التوراة في تعيين كاتبها فمرة نسبتها إلىٰ الله ومرة إلىٰ موسىٰ ومرة إلىٰ يشوع، ثم فقدت تلك الكتابة الأولىٰ بنص التوراة وذلك عندما استولىٰ الفلسطينيون علىٰ التابوت الذي كان بداخله التوراة ولذلك عندما فتح سليمان التابوت لم يجد فيه سفر الشريعة، ثم ظهرت بعد ذلك علىٰ يد حلقيا الكاهن بعد ثمانية عشر من حكم الملك يوشيا، ثم أتلفت تلك النسخة علىٰ يد نبوخذ نصر الملك البابلي عندما أحرق الهيكل عام ٥٨٣ ق م، ثم كتبت بعد ذلك علىٰ يد عزرا الكاهن بإلهام، وقد اشتملت علىٰ كثير من المتناقضات مما يبطل دعوىٰ الإلهام حيث كان يوجد فيها كثير من الألفاظ البابلية، وعبارات كان عزرا يشك فيها، وأغلاط كثيرة متفق عليها عند أهل الكتاب، بالإضافة إلىٰ أن هناك أحداثًا مرت علىٰ اليهود أسهمت في ضياعها كغزو الملك أنيوكس، مما حدا ببعض علماء اللاهوت المتأخرين إلىٰ القول بأن التوراة الموجودة اليوم ليست من كتابة عزرا أو أنه كتب جزءًا بسيطًا منها ولذلك قسموا تاريخ كتابتها إلىٰ ثلاثة عصور، أما من ناحية متنها فقد تواترت الأدلة وتضافرت علىٰ الحكم بتحريفها منها أدلة نقلية وعقلية وتاريخية وغيرها، وأما الأدلة النقلية فقد وردت نصوص تنص علىٰ تحريف اليهود لكتابهم في التوراة نفسها، وعضّد ذلك القرآن الكريم، وقد وردت أدلة تدل علىٰ تحريفها ونصوص تؤيد ذلك كوصف الله بالتعب والندم وزعمهم رؤية الله ومصارعة الله مع يعقوب، وهذا أيضا متناقض مع نصوص أخرىٰ توراتية تنص علىٰ عظمة الله وجلاله وعدم مشابهته لخلقه، فدل هذا علىٰ تحريفها، ومن الأدلة كذلك الكلام علىٰ الأنبياء ورميهم بكبائر الذنوب كما ورد عن نوح أنه شرب الخمر، وورد عن لوط أن وقع في الخطيئة مع بناته، واتهامهم لموسىٰ وهارون بأنه لم يبلغا رسالة

الله كما يجب، وقولهم عن سليمان: أنه عبد الأوثان وغير ذلك من رميهم الأنبياء بالإفك، واشتمالها علىٰ نصوص وتعليمات مقتبسة من نصوص وثنية كشريعة حمورابي وغيرها وقد أوردنا علىٰ ذلك عدة أمثلة، ومن ضمن نصوص التحريف تلك النصوص التي تخالف العلم الحديث، كخلق النهار قبل خلق الشمس، ومنها القسوة مع غير اليهودي وإباحة قتل النساء والأطفال وإحراق الأرض وغيرها من الأمور.

المبحث الثاني
موقف الكنائس النصرانية من العهد القديم

سبق القول بأن المسيح عليه السلام كان مُتَّبِعًا لشريعة التوراة، مقتفيا أحكامها، متبعا لشرائعها، ولهذا نص على أنه متبع للناموس، ولم يأتِ بدين جديد، بل جاء متمما له، ومخففا من أحكامه.

ولكن هذا الواقع قد تغير تغيرا جذريا بعد فترة وجيزة من رفع المسيح عليه السلام، فخرجت النصرانية من دائرة اليهودية، ومن العمل بشرائع التوراة.

ولكن ينبغي عند الحديث عن موقف الكنيسة المسيحية من التوراة وشرائعها أن نفرق بين أمرين مهمين:

الأول: موقف الحواريين وتلاميذ المسيح الحقيقيين من التوراة.

الثاني: موقف الكنائس النصرانية بعد انحرافها عن تعاليم المسيح من التوراة. وذلك فيما يلي:

القسم الأول: وهو موقف الحواريين وتلاميذ المسيح الأوائل من التوراة:

لا شك أن هذا العصر المسيحي يختلف عن العصور اللاحقة التي أتت بعده، ومن الخطأ دمج هذا العصر مع بقية العصور اللاحقة -كما يفعل بعض المؤرخين-.

وقد تقدم الكلام عن هذا في الباب الأول، ولكن يمكن إيجاز ملامح عصر الحواريين وتلاميذ المسيح الحقيقيين في موقفهم من التوراة فيما يلي:

أ- أنهم يستشهدون بجميع أجزاء العهد القديم في عرض عقائدهم وآرائهم[(١)].

تقول دائرة المعارف البريطانية: "إن المسيحيين الأوائل ظلوا لمدة القرن الأول بعد الميلاد بأكمله، ليس لديهم أناجيل معترف بها، وكانوا لا يعترفون سوىٰ بالعهد القديم، ويقرؤونه في مجامعهم، بل كانوا معظم الوقت يتعبدون في نفس المعابد اليهودية"

يقول الأنبا يوأنس: "ينظر إلىٰ المسيحية في أول أمرها أنها شيعة يهودية جديدة، وساعد علىٰ هذه النظرة حِرْصُ اليهود المتنصرين علىٰ الاستمرار في ممارسة عوائدهم اليهودية"[(٢)].

ومن أبرز الشهادات لتلاميذ المسيح، بأنهم كانوا يعملون بشرائع التوراة، تعاليم الرسل التي تسمىٰ بـ (الدسقولية) -بغض النظر عن صحة نسبتها إلىٰ الرسل- حيث استشهدوا بكثير من تعاليم التوراة وشرائعها في تعاليمهم، كقولهم: "أما إذا قعدتَ في بيتك فاقرأ في الناموس والملوك والأنبياء".

وقولهم: "ما الذي يعجز في ناموس الله حتىٰ تلتفت إلىٰ محلات الأمم، فإن أردت أن تقرأ في كتب السير فلك أسفار الملوك، وإن كنت تطلب كتب الحكماء فلك الأنبياء وأيوب وأمثال سليمان، هذه التي تجد فيها حكمة حسنة، أفضل من كل فلسفة وكل حكمة، من أجل أنها كلمات الله الرب الحكيم وحده، وإن كنت تحب أن تغني فلك المزامير، وإن كنت تطلب معرفة ولادة الأولين وخلقة العالم فلك التوراة...اقرأ أيضا في الناموس الآخر، وابعد أيضا عن كلام الغريب الذي جعل فيه"[(٣)].

---

(١) انظر: مقدمة الرهبانية اليسوعية الفرنسية للكتاب المقدس، - العهد القديم - ص٨..

(٢) محاضرات في التاريخ الكنسي، نيافة الأنبا يوأنس، ص٩.

(٣) الدسقولية، ص٢١-٢٢.

ب- عدم وجود المصدر المعتمد في نقل صحة انفصال تلاميذ المسيح عن التوراة:

فليس هناك نقل معتمد يوضح انفصال تلاميذ المسيح الحقيقيين عن شريعة التوراة، وأقوىٰ دليل عند المعترضين هو ما كان في مجمع نسب إلىٰ تلاميذ المسيح، وأن يعقوب أحد الحواريين قد خطب فيه، واقترح علىٰ تلاميذ المسيح بعد رفعه أن يحصروا المحرمات علىٰ الأمم في أربعة أمور، وكان ذلك المجمع بعد مضي اثنتين وعشرين سنة من رفع المسيح عليه السلام - كما سبق-.

وكل اعتماد النصارىٰ في ذكر هذا المجمع هو علىٰ ما ذكره لوقا في سفر أعمال الرسل، في عرضه لمبادئ الدعوة الجديدة التي أسسها بولس.

ولكن هيهات أن يلتصق هذا الافتراء بتلاميذ المسيح عليه السلام، فكيف يلصق بتلاميذ المسيح بأنهم شرعوا عدم العمل بالتوراة؟ إلىٰ اختراع عقائد جديدة لم تعهد في التوراة ولا الأنبياء، بل لم تعرف من قبل في الديانة اليهودية بأسرها، ولا في تعاليم المسيح، بغير دليل صحيح؟

ولهذا يعتبر كل ذلك من الأخبار التي تضاد تعاليم المسيح، وتعاليم تلاميذه وصحابته مع عدم وجود دليل معتمد يمكن أن يستند إليه في ذلك سوىٰ ما ورد في العهد الجديد الذي يحتاج هو أيضا أدلة علىٰ صحة أخباره وصدقها.

فلا يستبعد أن تكون تهمة تلاميذ المسيح بالتنكر للناموس، بل وكل ذلك المجمع من مخيلة بولس، لإلصاق تهمة إسقاط أحكام التوراة لتلاميذ المسيح الحقيقيين، خصوصا وأن بولس أستاذ لوقا هو أول من نادىٰ بإسقاط أحكام العهد القديم كما في رسالته إلىٰ كورنثوس (٩/ ٢٠-٢٣) ولذا ليس ببعيد أن تكون كل هذه القصة من مختلقات بولس، أو تلميذه لوقا، الذي سطر كثيرا من الأساطير

والخرافات في إنجيله في سبيل إثبات تعاليم بولس أو علىٰ أقل تقدير أن هذا المجمع أقامه بولس وتلاميذه، ونسب إلىٰ تلاميذ المسيح لإضفاء الشرعية عليه.

ت- وجود الأدلة والقرائن علىٰ أخذ تلاميذ المسيح بما جاء في التوراة والعهد القديم:

فقد ورد فيه من أقوال المسيح ما يدل علىٰ مخالفة مفهوم النصارىٰ في الدعوة إلىٰ عالمية المسيحية، وذلك حينما يعلنها وبكل صراحة في خطابه إلىٰ غير اليهود بقوله: "أنتم تسجدون لما لستم تعلمون، أما نحن فنسجد لما نعلم، لأن الخلاص هو من اليهود" (يوحنا،٤/ ٢٢) إلىٰ استشهاده بكثير من نصوص التوراة في الأحكام والعبادات والعقائد، وهذا ما عمل عليه تلاميذ المسيح كما تقدم.

ث- أن قصة المجمع الذي نسب إلىٰ تلاميذ المسيح لم ينقل نقلا موثقا ولا رواه عدول ثقات يمكن أن يعتمد عليهم في نقل الأخبار، فلم ينقله سوىٰ لوقا في سفر أعمال الرسل، وهذا الذي افتراه لوقا في إنجيله هو موضع قبول لدىٰ المسيحيين، حيث يعتقدون أن ما لوقا هو مجمل تعاليم المسيح حيث يقولون: "فالخطوط العريضة لما كان يعتقده المسيح هي نفسها الواردة في تعاليم الرسل، التي نجدها في سفر أعمال الرسل"(١).

ج- أن لوقا غير مؤتمن في نقل أخبار تلاميذ المسيح فضلا عن تعاليم المسيح، وذلك لأنه كان مترجما لآراء بولس وتابعا له، بل من تلاميذه ومحبوبيه (كولوسي، ٤/ ١٤) لا ناقلا لتعاليم المسيح ووصاياه، وبولس كان مناصبا العداء للتلاميذ عداوة ظاهرة، ويبرهن علىٰ هذا الهجوم الشنيع الذي شنه بولس وتلاميذه علىٰ تلاميذ المسيح، لأنهم يعملون بالختان، (رومية،٢٥/ ٢٩) ووصفهم بـ "الإخوة الكذبة.. الذين

(١) موسوعة الأديان الحية، ر.س.زينر.، الجزء الأول، ص١١٩.

دخلوا اختلاسا..." (غلاطية، ٢/ ٤) ومع شتمه لرسل المسيح وتلاميذه نراه يدعيها لنفسه فيقول: "بولس رسول ليس من الناس ولا بإنسان بل بيسوع المسيح والله الأب" (غلاطية، ١/ ١١) وهذا في غاية التناقض، أن يزدري أمرا ثم يدعيه، فشتم رسل المسيح ثم ادعىٰ أنه من رسل المسيح.

القسم الثاني: موقف الكنائس النصرانية بعد انحرافها عن تعاليم المسيح من التوراة.

هنا ميدان الكلام عن انفصال النصارىٰ عن شرائع التوراة، فقد انفصلت الكنائس المسيحية عن التوراة تماما، ولم تؤمن إلا بوجودها فقط دون الاعتبار بها، ومما يدل علىٰ ذلك ما يلي:

أ – ظهور الوثنيات التي نشأت بعد عصر المسيح عليه السلام، حيث ظهرت أفكار خالفت التوحيد الصريح الذي نصت عليه في التوراة، فقد كان الأساس الأول لشريعة موسىٰ قول الله تعالىٰ له: "أنا الرب إلهك لا يكن لك آلهة أخرىٰ أمامي، لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة مما في السماء من فوق، ومما في الأرض من تحت، ومما في الماء من تحت الأرض، لا تسجد لهن ولا تعبدهن" (تثنية، ٥/ ٨).

لكن النصارىٰ أهملوا أول ركن في التوراة، وأول وصية من الوصايا العشر، وآمنوا بالمسيح ربا وإلها يدعونه مع الله، وأضافوا روح القدس فآمنوا بالثالوث المقدس، والعجب أنهم بعد ذلك يدّعون أن التوراة جزء من كتابهم المقدس! فإما أن ينفوا إيمانهم بالتوراة، وإما أن يؤمنوا بما جاء فيها ويتبرؤوا من الوثنية والتثليث.

ب– اتخاذ الصور والتماثيل:

أمرت التوراة كما هو مسطر في الوصايا العشر بالنهي عن اتخاذ الصور والتماثيل، كما جاء في سفر الخروج: "لا تصنع لك منحوتا ولا صورة شيء، مما في

السماء من فوق، ولا مما في الأرض من أسفل، ولا مما في المياه من تحت الأرض، لا تسجد لها ولا تعبدها، لأني أنا الرب إلهك إله غيور" (خروج، ٢٠/ ٤)

وقد جاء في التوراة: "فتنبهوا لأنفسكم من أن تنسوا عهد الرب إلهكم، الذي قطعه معكم فتصنعوا لكم تمثالا منحوتا لشيء مما نهاك عنه الرب إلهك، لأن الرب إلهك نار آكلة وإله غيور" (تثنية، ٤/ ٢٣)

فقد كانت الكنيسة المسيحية أول أمرها تكره الصور والتماثيل، وتعدها بقايا من الوثنية إلىٰ عهد الملك قسطنطين، فخفت بريق هذه المقاومة بتأثير الحضارة اليونانية والعبادات الوثنية، فابتدأ عصر انحراف الكنيسة، وخالفت الكنيسة البابوية وغيرها من الكنائس هذه الوصية، ووضعت التماثيل وصور مريم العذراء والقديسين وذخائرهم أمام رعيتها، وذلك للتكريم والعبادة، وهم يسجدون لها ويقبلونها، ويوقدون الشموع ويحرقون البخور أمامها، ويتوجونها بالأزهار، ويطلبون المعجزات بتأثيرها الخفي![1].

ح- تقديس يوم الأحد:

جاءت الشريعة التوراتية الموسوية بتقديس يوم السبت وعدم العمل فيه - بغض النظر عن صحته- وقد جاء التشديد علىٰ ذلك اليوم، وقد جاءت كثير من النصوص التي تدل علىٰ حرمة يوم السبت، ووجوب تقديسه، وعدم العمل فيه. (خروج، ١٦/ ٢٣)

خ- غفران الذنوب:

لقد جاء المسيح بالحث علىٰ التوبة والإنذار من اقتراب الملكوت، بل كان هو - في تعبده لطلب التوبة - يحث تلاميذه علىٰ تلمسها لمغفرة الخطايا، حيث يقول

(١) انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت ١٤/ ١٥٧ وعلم اللاهوت، مينا ميخائيل ص١٠٢٥ وص١٥٦.

المسيح: "إني أريد رحمة لا ذبيحة، لأني لم آتِ لأدعو أبرارا بل خطاة إلىٰ التوبة" (متىٰ، ٩/ ١٣)

ويذكر لوقا عن المسيح في حثه علىٰ التوبة، فيقول: "فجاء إلىٰ جميع الكورة المحيطة بالأردن، يكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا" (لوقا، ٣/ ٣)

فالحث علىٰ التوبة لمغفرة الخطايا كانت من أبرز معالم دعوة المسيح عليه السلام، التي اتبع فيها التوراة، أما النصارىٰ بعد ذلك فقد جعلوا لآباء الكنيسة –الذين يدعون لهم العصمة– حق الغفران، بل كل ما يصدر من البابا من قول أو عمل فهو مقدس لا خطأ فيه.

وهذه الصكوك وإن كانت اليوم ليس لها تلك المكانة الكبيرة إلا أن هناك عقيدة أخرىٰ لا تقل أهمية عنها لدىٰ المسيحيين، بل اعتبر سرا من الأسرار السبعة الكنسية، وهو سر التوبة والاعتراف للكاهن أو الراهب، بحيث يعترف المسيحي بكل ذنب أذنبه لدىٰ كهنة الكنيسة، وهو عند الكاثوليك من وراء حجاب، وعند الأرثوذكس مواجهة، و يكون لكل إنسان أب اعتراف ثابت، وكل الخطايا تغفر بأمر الكاهن فقط، ولا شيء بدونه.[1]

د- ترك الختان:

فقد ورد في الأناجيل أن المسيح اختتن وعمره ثمانية أيام (لوقا، ٢/ ١٢-١٤) متبعا في ذلك هدي أسلافه من الأنبياء، الذين ذكرت عنهم التوراة نبأ اختتانهم (تكوين، ١٧/ ١١-٢٧).

ولم ينسخ المسيح هذه الشعيرة، ولكن النصارىٰ قد نسخوها بعد ذلك من تلقاء أنفسهم، والذي تولىٰ كبر ذلك هو بولس اليهودي (رومية، ٢/ ٢٧-٢٨. وكورنثوس الأولىٰ، ٧/ ١٩. وكولوسي، ٢/ ١١)

---

(١) تاريخ الأقباط، زكي شنودة ١/ ٢٦٩. وأسرار الكنيسة،حبيب جرجس،ص ١٠٣.

فالمسيحية قد تحوَّلت تحوُّلا عميقا بعد عصر المسيح وانفصلت عن شرائع التوراة بعد أن كان المسيح مُتمسِّكا بالصحيح منها، يقول ر.ج. تسفي فيربلوكسي وهو محاضر في علم مقارنة الأديان في الجامعة العبرية بالقدس: "فمسيحية الرسل مختلفة عن مسيحية السكولاستيين، وهم الذين مزجوا المسيحية بالفلسفة، وحاولوا إخضاع الفلسفة للمسيحية، وحاولوا إيجاد صلة عقلية بين العقل وبين الدين المسيحي في العصور الوسطىٰ وعصر النهضة في أوروبا"[(١)]

فتبيَّن من هذا أن المسيحية كانت تعدُّ ضمن دائرة الديانة اليهودية وقد كان المسيح وتلامذته الحقيقيُّون يسيرون علىٰ هذا المنهج، فقد كانوا يستشهدون بنصوص العهد القديم في تبرير العقائد، ولم يوجد نقل واحد يدل علىٰ انفصالهم عن تعاليم التوراة، وأما قصة المجمع الذي نسب إلىٰ تلاميذ المسيح فقد بيّنا بالقرائن الثابتة أنه من الخطأ نسبته إلىٰ تلاميذ المسيح، وإنما ينسب إلىٰ بولس وأتباعه، وهو ما أحدث فارقا كبيرا بين تعاليم التوراة والنصارىٰ الجدد، فانفصلت النصرانية عن تعاليم التوراة انفصالا تامًّا، ومن مظاهر ذلك الانفصال هو ظهور الوثنيات التي نشأت بعد عصر المسيح عليه السلام حيث ظهرت أفكار خالفت التوحيد الصريح الذي نصت عليه في التوراة، واتخذت الصور والتماثيل بعد أن كانت أمرا محرما، ونسخ تقديس يوم الأحد، والاعتماد في مغفرة الذنوب علىٰ الاعتراف أمام كهنة الكنيسة بعد أن كان يطلب من الله، ونسخ تشريع الختان، بعد أنا كان أمرا مفروضا في تعاليم التوراة، وقد عضدنا كل ذلك بالأدلة والقرائن والشواهد فيما سبق.

(١) موسوعة الأديان الحية، أديان النبوات، الأديان السماوية، ر.س.زينر، ص٤٠.

الفصل الثاني

الأناجيـــل

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: إنجيل عيسى عليه السلام

المبحث الثاني: الأناجيل الأربعة التعريف بها ونقدها سندا ومتنا

المبحث الثالث: البشارات الواردة في محمد صلى الله عليه وسلم في الكتاب المقدس

المبحث الأول:

إنجيل عيسى عليه السلام

تبين مما سبق تعريف التوراة أنها تعد هي القسم الأول من الكتاب المقدس، وتسمىٰ مع مجموع بقية الأسفار الملحقة بها العهد القديم.

وسوف يكون الكلام هنا عن تعريف الإنجيل الذي نزل علىٰ عيسىٰ عليه السلام، ثم عن الأناجيل الأربعة التي اختارها النصارىٰ وقدَّسوها، وذلك كما يلي:

أ- تعريفه:

الإنجيل: لفظ يوناني (ونجليون)، ومعناه خبر طيب وبشارة سارة[1].

وهو الكتاب الذي أنزل الله تعالىٰ علىٰ نبي الله عيسىٰ عليه السلام، وقدجاء ذكر ذلك الإنجيل في القرآن الكريم، ووصفه بصفات تدل علىٰ عظمته، قال تعالىٰ: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٤٦] بل احتج الله عليهم بعدم إقامتهم لما جاء فيه، فقال: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

فقد وصفه الله بأنه مشتمل علىٰ الهدىٰ والنور، الذي ينير طريق الآخذين به، من معتنقي ديانة المسيح عليه السلام، وقد أمرهم الله بإقامته والاحتكام إليه، قبل مبعث خاتم الأنبياء والمرسلين[2].

---

(١) انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص١٢٠.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٥/ ٢٤٤.

ب- أسماؤه:

ورد في مجموع العهد الجديد بأكثر من مسمىٰ أطلق عليه، فقد ورد بلفظ إنجيل الله، وإنجيل المسيح، وإنجيل نعمة الله، وإنجيل السلام، وإنجيل خلاصكم، ومجد المسيح، والملكوت أو بشارة الملكوت(١).

ومما يدل علىٰ وجود ذلك الإنجيل قبل فقده، ورود ذكره في بعض رسائل العهد الجديد.

فقد ورد في رسالة بولس إلىٰ أهل غلاطية ما نصه: "إني أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعا عن الذي دعاكم بنعمة المسيح إلىٰ الإنجيل، ليس هو آخر، غير أنه يوجد قوم يزعجونكم، ويريدون أن يحولوا إنجيل المسيح." (غلاطية، ١/ ٦)

وكذلك ورد لفظ إنجيل المسيح في إنجيل مرقس بلفظ البشارة (مرقس، ١/ ١) ومثل ذلك ما ورد في رسالة بولس إلىٰ رومة: "وأنا لا أستحي بإنجيل المسيح" (رومة، ١/ ١٦)

وورد بلفظ إنجيل الله، كما في رسالة بولس إلىٰ تيموثاروس الأولىٰ: "ولكل من يخالف التعليم الصحيح الذي يوافق البشارة التي ائتمنت عليها بشارة الله المبارك"(تيموثاوس الأولىٰ، ١/ ١١)

وقد وردت مسميات غير ذلك، كلفظ إنجيل السلام، وإنجيل مجد المسيح، وإنجيل الله (مرقس، ١/ ١٤)

والملاحظ أن القرآن الكريم وكذلك نصوص العهد الجديد، قد أوردت لفظ الإنجيل بلفظ المفرد، ولم تذكره بلفظ الجمع.

---

(١) انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص١٢٠.

والنصارىٰ يؤمنون بأربعة أناجيل وليس بإنجيل واحد وذلك بعد اتفاقهم عليها في مجمع نيقية، ولا شك أن الإنجيل المذكور ليس واحدا من هذه الأناجيل، وذلك لما يلي:

١- أن هذه الأناجيل تشترك في نقل بعض القصص والأخبار، وهذا يدل علىٰ أن هناك مصدرا أساسيًّا نقل منه كل صاحب إنجيل ما وصل إليه ودونه.

٢- لأنه ليس من المعقول أن يعظ المسيح بأقوال تلاميذه، وهم لا يزالون في دور التعليم.

٣- لأن إنجيل المسيح قد ذُكر في هذه الأناجيل، ولم ينسب إلىٰ أحد وإنما ذكر بلفظ الإنجيل مفردا أو منسوب إلىٰ الله أو إلىٰ المسيح، فدل هذا علىٰ أنه كان موجودا في عهد عيسىٰ عليه السلام.

٤- لأن هذه الأناجيل لا تشتمل إلا علىٰ القليل من إنجيل المسيح عليه السلام، ومعظمها عبارة عن تاريخ المسيح، وقد اعتمدت في مجمع نيقية عام ٣٢٥م من بين عشرات الأناجيل، ولم تعتمد في عصر المسيح.

والنتيجة: هي أن إنجيل المسيح قد فقد من الوجود، ولم يبقَ منه إلا النزر اليسير الذي تخلل في كتب رسائل العهد الجديد.

يقول دليل باكويل للعهد الجديد: " لطالما فرضت الدراسات الحديثة لأناجيل العهد الجديد احتمالا بأنه ربما كانت هناك تقاليد أخرىٰ حول يسوع قد تم تداولها بين الأتباع الأوائل للمسيح. وقد تكون بعض هذه التقاليد قد تم جمعها في مجموعات، ولكن إذا كان الأمر كذلك، فإن حقيقة أنه لم يتم الحفاظ عليها يعني أنها فقدت فعليا بالنسبة لنا، ولذلك أصبحت مواضيع متضاربة، وكان هذا واضحًا بشكل

خاص في نقد المصدر للأناجيل الكنسيّة"(١)

ج- أسباب ضياع إنجيل المسيح ما يلي:

١- أن هذا الإنجيل لم يدون كالتوراة، بل كانت تتناقله الألسن لمدة طويلة من الزمن، إلىٰ أن ابتدِئ في كتابة الأناجيل.

٢- ما مر علىٰ النصارىٰ من اضطهادات قاسوها في بداية نشأة ديانتهم.

وبوجه عام فإن ذلك الإنجيل فُقد، سواء دُوِّنت بعض تعاليمه أم كان كله عن طريق المشافهة، فإن المؤكد أنهم فقدوه، وضاع من بين أيديهم، ثم بعد ذلك الضياع تناقلت الألسن ما بقي من بقايا ذلك الإنجيل، إلىٰ أن دونت الكتب التي سموها بالأناجيل.

تقول الرهبانية اليسوعية في المدخل إلىٰ العهد الجديد: "وأما أقوال الرب وما كان يبشر به الرسل فقد تناقلته ألسنة الحفاظ مدة طويلة، ولم يشعر به المسيحيون الأولون إلا بعد وفاة آخر الرسل بضرورة تدوين أهم ما علمه الرسل"(٢).

ويرجّح المؤرخون المختصون أن الأناجيل الأربعة جميعها تعتمد علىٰ نسخة آرامية مفقودة يشيرون إليها بحر (ك) (Q) من الكلمة الألمانية كويل (quelle)كويل، بمعنىٰ الأصل، ومنهم من يسمي هذه النسخة لوجيا (logia) لوجيا، بمعنىٰ الأقوال، ويريدون بها الأقوال الشفوية التي سمعت ثم كتبت علىٰ القول الراجح عندهم باللغة الآرامية، ويعللون اتفاق متىٰ ولوقا في بعض النصوص باعتمادها معا علىٰ تلك

(1) The Blackwell Companion to the New Testament, David E. Aune, A John Wiley & Sons, Ltd., 2010, First Edition.P245

(٢) مقدمة الرهبانية اليسوعية للكتاب المقدس – العهد الجديد-، ص٨.

النسخة المفقودة[١].

وإن صح هذا فلا شك أن هذا أحد المصادر التي نقلت عن إنجيل المسيح أو أنه إنجيل المسيح حقيقة ثم أضافوا ما أرادوا وحرفوا ما بدا لهم -والله أعلم-.

فتبين من هذا أن لفظ الإنجيل معناه الخبر الطيب والبشارة السارة، ومعناه الكتاب الذي أنزله الله تعالىٰ علىٰ عبده ورسوله عيسىٰ عليه السلام، وقد كان مشتملًا علىٰ الهدىٰ والنور قبل تحريفه، وقد ورد بعدة أسماء في العهد الجديد مثل إنجيل الله وإنجيل المسيح وإنجيل السلام وإنجيل الخلاص وغيرها، وأما الأناجيل الأربعة المعروفة فهي ليست إنجيل المسيح لأن هذه الأربعة تنسب إلىٰ كتابها وليس إلىٰ المسيح، وهي تشمل علىٰ مقتطفات قليلة من إنجيل المسيح الصحيح، وقد ضاع هذا الإنجيل الصحيح بفعل عدة أسباب من أبرزها أنه لم يدون بل تنوقل عبر الألسن، ومن أسباب ضياعه أيضا ماقاساه النصارىٰ من اضطهادات متعاقبة أدت إلىٰ ضياعه.

❁❁❁

(١) انظر: The Blackwell Companion to the New Testament, David E. Aune, A John Wiley & Sons, Ltd., 2010, First Edition.P254

المبحث الثاني
الأناجيل الأربعة
التعريف بها ونقدها سندا ومتنا

تبين - مما سبق - أن الإنجيل الذي أُنزل علىٰ عيسىٰ عليه السلام قد فُقد، وأن النصارىٰ بعد ذلك اتخذوا أربعة أناجيل، يصفونها بالقدسية والنزاهة، وهذه الأناجيل المقدسة لديهم لا تنسب إلىٰ المسيح عليه السلام، بل ينسبونها إلىٰ مؤلفيها، وهي: إنجيل متىٰ، إنجيل مرقص، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا[(١)].

وهذه الأناجيل الأربعة تحكي تاريخ دعوته وأحواله مع التلاميذ، ثم القبض عليه ومحاكمته وصلبه، وغير ذلك من الأحداث التاريخية، إضافة إلىٰ ذلك، فقد حَوت بعض المواعظ والكلمات المنسوبة إليه، وهي بوجه عام: تاريخ مختصر للمسيح عليه السلام، ولم يُذكر فيها إلا شيء قليل من أقواله وأفعاله في أيام معدودة.

ولم يعرف الناس هذه الأناجيل قبل عام ١٤٠م - كما تقول الرهبانية اليسوعية في المدخل إلىٰ العهد الجديد -: "ومهما يكن من أمر، فليس هناك قبل السنة ١٤٠م أي شهادة تثبت أن الناس عرفوا مجموعة من النصوص الإنجيلية المكتوبة"[(٢)] ولكنها لم تقنن إلا عام ٣٢٥م - كما سبق-.

وفيما يلي تتم دراسة هذه الأناجيل الأربعة سندا ومتنا فيما يلي:

---

(١) انظر: The Origins of Christianity and the Quest for the Historical Jesus Christ. Acharya, S., (2011).p.12

(٢) مقدمة العهد الجديد للرهبانية اليسوعية ص٩.

القسم الأول: نقد سند الأناجيل:

أولا: إنجيل متى:

أ- تدوينه:

اختلف المؤرخون اختلافا كبيرا في تحديد سنة تدوينه، وعموم الأقوال تقريبا في ذلك، ما بين سنة ٣٩م حتىٰ سنة ١٠٠م، فبعض المؤرخين عيَّن السنة التي دُوّن فيها، والبعض حددها بالوقائع التاريخية ويمكن إيجاز الأقوال في ذلك كما يلي:

القول الأول: بعد سنة ٧٠ للميلاد: حيث يُذكر أنه كُتب بعد خراب أورشليم، وخراب أُورشليم يذكر أنه كان سنة ٧٠ م[١]، فمعنىٰ ذلك أن إنجيل متىٰ كُتب بعد سنة ٧٠م بمدة طويلة، لأن بقية الأناجيل الثلاثة كُتبت بعده.

يقول كتاب مرشد الطالبين إلىٰ الكتاب المقدس الثمين: "إن متىٰ بموجب اعتقاد جمهور المسيحيين كتب إنجيله قبل مرقس ولوقا ويوحنا. ومرقس ولوقا كتبا إنجيليهما قبل خراب أورشليم، ولكن لا يمكن الجزم في أية سنة كُتب كل منهم بعد صعود المخلص، لأنه ليس عندنا نص إلهي علىٰ ذلك". [٢]

القول الثاني: وهو معارض لهذا الرأي تماما، وهو أن إنجيل متىٰ وُضع بعد إنجيل مرقس بخمس عشرة إلىٰ عشرين سنة [٣].

(١) انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص١٣٥. ومقدمة العهد الجديد رعائية، طبعة ٢٠٠٦م ص٢. و The Blackwell Companion to the New Testament, David E. Aune, A John Wiley & Sons, Ltd., 2010, First Edition.p.369

(٢) مرشد الطالبين إلىٰ الكتاب المقدس الثمين، نخبة من اللاهوتيين ص٢١٧.

(٣) انظر: مقدمة الرهبانية للكتاب المقدس - العهد الجديد - ص٢٧و قصة الحضارة، ول ديورانت ١١/ ٢٠٨.

ودليلهم علىٰ ذلك هو أن إنجيل متىٰ يحتوي علىٰ ستمائة فقرة من الستمائة والإحدىٰ والستين فقرة التي يشتمل عليها نص مرقس، مما يرجح اقتباسها من مرقس.

والواقع أنه لا توجد وثائق تاريخية صحيحة تؤيد هذا أو ذاك، فمن المحتمل أن مرقس هو الذي اقتبس تلك النصوص من إنجيل متىٰ.

وعموم الأقوال في ذلك مبنية علىٰ الظن والتخمين، لأنه قد اختلف في تاريخ كتابة كل إنجيل منهما اختلافا متباينا.

القول الثالث: ذهب جملة من المؤرخين إلىٰ تحديد سنة كتابته، لكنهم لم يتفقوا علىٰ ذلك، فهناك جملة من التواريخ التي قيلت في تعيين تلك السنة التي ألف فيها ذلك الإنجيل، فقد ذكر ول ديورانت أن أكثر العلماء يرجعون به إلىٰ الفترة ما بين ٧٥ - ٩٠ م.

ويقول إيرينوس: إنه كتب ما بين سنة ٨٠ - ٩٠ وقيل: ما بين ٨٥ - ٩٠ ويقول البروفيسور هارنج: إنه ألف ما بين سنة ٨٠ - ١٠٠. ويقول جرجس: سنة ٣٩، ويقول هورن: ألف الإنجيل الأول سنة ٣٨ أو ٤١ أو ٤٨ أو ٦١ أو ٦٢ أو ٦٤م[1].

وبعد ذلك كله نخلص إلىٰ أنه لا يوجد تاريخ صحيح لسنة تدوين ذلك الكتاب الذي يسمىٰ بإنجيل متىٰ، والحق أن باب الاختلاف في شأن التاريخ لا يمكن سده، ولا يمكننا أن نرجح أي قول من تلك الأقوال، لغياب الأدلة والبراهين التي تؤيد المرجح منها.

(١) انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت ١١/ ٢٠٨ ومقدمة الرهبانية اليسوعية للكتاب المقدس - العهد الجديد- ص٣٥ ومحاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة ص٤١.

ب- لغته:

اختلف العلماء والمؤرخون في تحديد لغة هذا الإنجيل وذلك كما يلي:

القول الأول: أنه كُتب أوَّلا بالعبرانية.[١]

القول الثاني: أنه كتب باللغة الآرامية التي كانت لغة فلسطين في تلك الأيام، وقد رجح هذا بعض الباحثين، وخطؤوا الذين قالوا بأنه كتب بغيرها من اللغات.[٢]

القول الثالث: أنه كتب باليونانية[٣] والذي يظهر أن الأقرب هو أنه كتب بالآرامية أو العبرية، أما القول بكتابته باللغة اليونانية فبعيد.

وفي الحقيقة ليس لدىٰ أي رأي من تلك الآراء برهان يعتدُّ به في تحديد لغة كتابة الإنجيل.

ح- مترجمه:

لا يعرف علىٰ وجه التحديد من هو الذي ترجم هذا الإنجيل عن لغته الأصلية – علىٰ قول من قال: إنه كتب بالعبرانية أو الآرامية- حيث ترجم إلىٰ اليونانية، ولا تعرف شخصية المترجم علىٰ وجه الدقة، وما قيل في تحديده مبنيٌّ علىٰ الظن والتخمين.

ولا شك أن جهل تاريخ التدوين، وجهل نسخه الأصلية، وجهل المترجم

---

(١) انظر: The Blackwell Companion to the New Testament, David E. Aune, A John Wiley & Sons, Ltd., 2010, First Edition.p.370P.

(٢) انظر: الأسفار المقدسة، علي وافي، ص٨٦.

(٣) انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص٨٣٣ والغفران في الإسلام والمسيحية، عبد الأحد داود ص١٦.

وحاله من صلاح وغيره، وعلمه بالدين، واللغتين التي ترجم عنها والتي ترجم إليها، كل هذا يؤدي إلىٰ فقد حلقات لا يمكن أن يسد فراغها في ذلك الكتاب المهم.

ث- كاتبه:

المشهور أن ذلك الإنجيل منسوب إلىٰ متىٰ العشار أحد الحواريين، وقد استمر هذا الاعتقاد من القرن الثاني إلىٰ القرن الثامن عشر أي علىٰ مدىٰ سبعة عشر عاما.

ولكن تغير هذا الاعتقاد لدىٰ جمهور كبير من اللاهوتيين والباحثين بعد ذلك، بل أثبتت الدراسات العلمية - كما يقول دليل بلاكويل للعهد الجديد- التي بدأت في القرن الثامن عشر إلىٰ نظرية مختلفة للغاية عن أصولها، وهي الإجماع النقدي إلىٰ أن إنجيل متىٰ لم يكن ينسب إلىٰ متىٰ تلميذ يسوع علىٰ مدىٰ ثلاثة عقود بعد موت يسوع[(١)].

ونخلص من ذلك - كما تقول مقدمة الرهبانية اليسوعية للكتاب المقدس - إلىٰ أن كاتب هذا الإنجيل مجهول، أو لِنَقُلْ: إنه لا يعرف علىٰ وجه التحديد[(٢)].

وبعد هذا العرض الموجز عن إنجيل متىٰ من ناحية تاريخه ولغته التي كتب بها ونسبته إلىٰ متىٰ الحواري يمكننا أن نستنتج ما يلي:

* أنه لا تاريخ صحيح لسنة تدوين هذا الإنجيل، بل جميع التواريخ مبناها علىٰ التخمين والظن.

* أنه لا تعرف اللغة التي كتب بها هذا الإنجيل علىٰ وجه التحديد.

---

(١) انظر: The Blackwell Companion to the New Testament, David E. Aune, A John Wiley & Sons, Ltd.2010, First Edition.p,369

(٢) انظر: مدخل الرهبانية اليسوعية إلىٰ إنجيل متىٰ، ضمن الكتاب المقدس، ص٣٥.

* أن هذا الإنجيل لا تصح نسبته إلىٰ متىٰ الحواري، وأنه لا يوجد دليل صحيح يؤيد أنه من مكتوبات متىٰ الحواري.

ثانيا: إنجيل مرقس:

يعتبر الإنجيل المنسوب إلىٰ مرقس هو الإنجيل الثاني عند النصارىٰ، ويعد متىٰ قبله، وذلك من ناحية الظهور، وبما أن متىٰ لم تصل لغته الأصلية التي كتب بها، بل ظهرت الترجمة فقط، فإن مرقس يعد هو الأول في الترتيب التاريخي الواقعي[1].

أ- **سنة تدوينه:**

سنة كتابة هذا الإنجيل مختلف فيها عند النصارىٰ، فقيل: إنه كتب سنة ٦١، وقيل: إنه كتب ما بين سنة ٦٥ - ٧٠ م، وقيل: سنة ٦٣ أو ٦٥، وقيل: سنة ٦٤، وقيل: إنه كتب سنة ٦٥م، والأغلب أنه كتب سنة ٦٠ أو ٦٣م، وقيل: من سنة ٦٥- ٦٨م[2].

تقول مقدمة الرهبانية اليسوعية للكتاب المقدس: " يكاد يكون إجماع علىٰ الكتاب أنه أُلف في رومة بعد اضطهاد نيرون سنة ٦٤م، وعلىٰ هذا تدل بعض الألفاظ اللاتينية"[3].

ويرجح - والله أعلم - أنه دوّن بوجه عام قبل السبعين، ويدل علىٰ ذلك قوله في

---

(١) انظر: The Blackwell Companion to the New Testament, David E. Aune, A John Wiley & Sons, Ltd., 2010, First Edition.p.272

(٢) انظر مجموع الأقوال في: قاموس الكتاب المقدس، ص٨٥٥. مرشد الطالبين إلىٰ الكتاب المقدس الثمين، نخبة من اللاهوتيين ص٣٣١. مقدمة العهد الجديد " قراءة رعائية "، ٢٠٠٦م ص١٢٥.

(٣) انظر: مقدمة الرهبانية اليسوعية الفرنسية للكتاب المقدس، مترجم، طبعة ١٩٨٤م ص١٢٤.

الإنجيل: "فالذين في اليهودية فليهربوا إلىٰ الجبال" (مرقس، ١٣/ ١٤) فدل علىٰ أنه دوِّن قبل خراب أورشليم.

ب- لغته:

دُوِّن هذا الإنجيل باللغة اليونانية، وعلىٰ هذا تكاد تتَّفق كلمة معظم المؤرخين.

يقول الشيخ محمد أبو زهرة: وقد كتب هذا الإنجيل باللغة اليونانية، ولم نرَ أحدا من كتاب المسيحيين ناقض ذلك، سوىٰ بعض الروايات التي لا يعتد بها(١).

ج- كاتبه:

يُذكر عن مرقس أنه كان تلميذا لبطرس - كبير الحواريين -، وعلىٰ هذا فإن مرقس لم يرَ المسيح عليه السلام، ولم يسمع منه شفاها.

وهو ابن أخت برنابا الحواري، وقد رافقه في رحلاته التبشيرية، ويذكر المؤرخون أنه اقتبس إنجيله من إنجيل متىٰ ومن خطب بطرس، وهذا يعني أن مرقس قد اقتبس إنجيله مما تكلم به بطرس(٢). وذهب البعض إلىٰ أن بطرس كتبه عن مرقس، حسب رأي ابن البطريق ٢٦٣ هـ، وذهب فريق ثالث إلىٰ أن الذي كتبه مرقس، ولكن بعد موت بطرس(٣).

ويترجح - والله أعلم - أن أبعد الأقوال وأضعفها هو القول بأن بطرس كتب إنجيله عن مرقس، إذ إن مرقس كان من تلاميذ بطرس الحواري - كما تقدم -

---

(١) محاضرات في النصرانية، لمحمد أبو زهرة ص٤٣.

(٢) انظر: The Blackwell Companion to the New Testament, David E. Aune, A John Wiley & Sons, Ltd., 2010, First Edition.p.272

(٣) انظر: تفسير العهد الجديد - إنجيل مرقس - وليم باركلي، ترجمة القس فهيم عزيز، ص٢٣٢ والتفسير الكامل للكتاب المقدس، متىٰ هنري، ١١/ ٣٠١.

ومرقس هذا لم يكن من الحواريين، ولا من ملازمي المسيح، علىٰ العكس من بطرس، فكيف ينقل عن تلميذه هذا أمورًا حصلت للمسيح وكذلك الحواريين عمّن لم يعايشهم.

بقي احتمالان، والاحتمال الأخير ضعيف أيضا، لأن مرقس لم يكن من أتباع المسيح ولم يسمع منه - كما تقدم - فعلىٰ ماذا اعتمد في كتابته للإنجيل؟ حتىٰ وإن كانت معلوماته قد استقاها من بطرس أثناء حياته، فكيف تثق بأنه وعىٰ ما سمعه من بطرس وأدّاه كما سمعه؟ هذا إذا صحت نسبته إليه ولن تصح.

إضافة إلىٰ أن مرقس - كما يقول المؤرخون اللاهوتيون -: " كاتب غير حاذق، وأكثر المبشرين ابتذالا، فهو لا يعرف أبدا كيف يحرر حكاية"[1]فكيف يوثق به في أمانته وديانته ويستأمن علىٰ نقل أمور الدين.

بقي الاحتمال الأول وهو أن مرقس كتبه عن بطرس في حياته، فهذا مبني علىٰ صحة تتلمذه لبطرس، وهي ليست محل تأكيد، حتىٰ إن دائرة المعارف البريطانية صرحت بأن هذه العلاقة بين مرقس وبطرس لا تعدوا أن تكون مزعومة أو مفترضة فقط.

وعلىٰ كل حال فإن هذا الإنجيل ليس من مكتوبات بطرس الحواري، وحتىٰ لو كان كذلك فإننا نعتقد أنه حرّف عن كتابته الأولىٰ، لا سيما إذا عرفنا أن النُّسَّاخ في ذلك الزمن لا يتَّسمون بالنزاهة، خصوصا إذا عرفنا أن مقصود النسخ الأول، هو التوفيق بينها وبين الطائفة التي ينتمي إليها الناسخ.

ومما يؤيد ذلك، أن الفقرات الأخيرة في أواخر الإصحاح السادس عشر، التي

---

(١) نقلا عن القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، موريس بوكاي ص٨٥.

تذكر ظهور المسيح وقيامته، والأمر بالدعوة إلىٰ النصرانية، قد ألحق بذلك الإنجيل لأعراض خاصة، فتقول الطبعة المسكونية للرهبانية اليسوعية للكتاب المقدس: "من المسلّم به علىٰ العموم أن الخاتمة كما هي الآن ١٦/ ٢٠-٩ قد أضيفت... ولكننا لن نعرف أبدا هل فقدت خاتمة الكتاب الأصلية؟..."(١)

ويؤكد هذا أن هذه العبارات المضافة لم ترد في النسخ القديمة للكتاب المقدس، كالنسخة الفاتيكانية، والنسخة السينائية وهي أقدم النسخ اليونانية (٢)، وعليها علامات الريب في نسخ قديمة، وقد أنكرها في القرن الرابع كل من أوسابيوس وإيرونيوس.

أما غرض كتابة هذا الإنجيل فكان هو تنقيح ما تناثر مما أُثر عن معجزات المسيح أو الأحداث التي وقعت كما يقول دليل بلاكويل للعهد الجديد: " كان المبدأ الذي يوجه المؤلف هو التمييز بين التقليد والمحاكاة وكانت نتيجة هذا التمييز هو أن نية المؤلف تأكدت في المقام الأول من تنقيح التقاليد الموجودة سابقا"(٣)، إذن لم يكن غرضه هو نقل أقوال المسيح أو تعاليمه بل كان هدفه هو تنقيح التقاليد السابقة، ولا نعلم علىٰ ماذا اعتمد كأساس يعتمد عليه في تنقيحه، وما هي المُرجِّحات التي اختطها لنفسه، وما هو منهجه في هذا التنقيح، كل ذلك في جعبة التاريخ الذي لم يخرجه لنا.

---

(١) المدخل إلىٰ إنجيل مرقس، طبعة الرهبانية اليسوعية الفرنسية للكتاب المقدس، ١٩٨٤م، مترجم، ص١٢.

(٢) انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص٨٥٥.

(3) The Blackwell Companion to the New Testament, David E. Aune, A John Wiley & Sons, Ltd., 2010, First Edition.p.273

ثالثا: إنجيل لوقا:

أ- سنة تدوينه:

اختلف المؤرخون في سنة تدوين هذا الإنجيل، فذهب كثير من المُحققِّين إلىٰ أنه كتب إنجيله في سنة ٥٠م، وقيل: سنة٥١م، وقيل: سنة ٨٥ - ٦٠م، غير أن البعض يظنون أنه كتب قبل ذلك، وقيل أيضا: إن كتابته تمت سنة ٦٣م، وقيل سنة ٦٠م، علىٰ اعتبار أن سفر الأعمال الذي ألَّفه لوقا كان في سنة ٦٢ أو ٦٣م، وقيل إنه ألف بين عامي ٨٠ و٩٠م[1] ولكن تحديد تاريخ كتابة سفر أعمال الرسل غير متفق علىٰ تحديده أصلا.

وقد آثر كثير من مؤرخي وعلماء النصارىٰ عدم تحديد سنة كتابته، بل اكتفوا بالقول أنه ألف في عهد الرسل، وهذا يحتمل عدة عقود.

ب- **لغته**: كتب هذا الإنجيل باللغة اليونانية كما هو المشهور، ولم يخالف أحد في ذلك.

ح- **كاتبه**: المشهور أن كاتب هذا الإنجيل هو لوقا، وهو من أنطاكية، ومن الشراح من ظن أنه إغريقي متهود، لأنه لا يذكر الكتاب المقدس إلا نقلا عن الترجمة السبعينية، ومنهم من قال: إنه وثني قبل تنصره[2].

وقد ورد ذكر لوقا في رسائل بولس، حيث اجتمع مع بولس في ترواس، وذهب معه إلىٰ فيلبي في سفره الثاني، ثم اجتمع معه ثانية في فيلبي بعد عدة سنين، وبقىٰ معه

(١) انظر: المدخل إلي العهد الجديد، القس فهيم عزيز، ص٢٧٥. ومرشد الطالبين، نخبة من اللاهوتيين ص٢٢٤. قاموس الكتاب المقدس، ص٨٢٢. قصة الحضارة، ول ديورانت ١١/ ٢٠٩.

(٢) انظر: The Blackwell Companion to the New Testament, David E. Aune, A John Wiley & Sons, Ltd, 2010, First Edition.p.319

إلىٰ أن أُسر وأُخذ إلىٰ روميه، ولم يُعلم شيء من حياته بعد ذلك (أعمال الرسل، ١/١ و ٢٠ و ٢٨/ ٣٠)

أ- أهم تعاليمه:

يعدّ مؤلف هذا الإنجيل هو أول من ذكر عقيدة الفداء والإيمان بالمخلص، وهذا مما لا يخفىٰ أنه استقىٰ بعض معلوماته من أفكار بولس، مع وجود بعض التناقض بينهما أحيانا في نقل الأخبار في بعض النصوص المدونة في إنجيل لوقا، مع تعاليم بولس في غير العقائد الأساسية، مما يجعل شخصية هذ الرجل في غاية الغموض.

وعلل ذلك بعض كتاب النصارىٰ، بأن لوقا جعل إنجيله خاصا بيسوع المسيح وتاريخه وتعليمه[1] حيث ذكر هو في سفر أعماله للرسل الذي أنه ألّف "كتابه الأول في جميع ما عمل يسوع وعلم، منذ بدء رسالته إلىٰ اليوم الذي رفع فيه إلىٰ السماء" (أعمال الرسل، ١/ ١)

ويتضح أن هذا التعليل في غاية السذاجة، حيث إن بولس يعد من المقدسين لدىٰ النصارىٰ، لاتباعه لتعاليم المسيح - بزعمهم -، فتعاليمه لا تتعارض مع تعاليم المسيح علىٰ هذا الأساس.

وعلىٰ كل حال، فإن صاحب هذا الإنجيل علىٰ افتراض أنه لوقا صاحب بولس فإنه لا يعتد بقوله، لأنه من المتفق عليه أن صاحب هذا الإنجيل لم يكن من الحواريين، ولم يسمع من المسيح عليه السلام، بل ذكر هو في مقدمة إنجيله أنه استقىٰ تلك الأفكار عن شهود عيان، وهؤلاء الشهود مجهولون بالنسبة لغير لوقا.

---

(١) انظر: The Blackwell Companion to the New Testament, David E. Aune, A John Wiley & Sons, Ltd., 2010, First Edition.p.320

رابعا: إنجيل يوحنا:

أ- تاريخ تدوينه:

ذُكرت عدة أقوال في تاريخ كتابته، حيث ذكر أنها كانت سنة ٦٤م و ٩٤م و ٩٧م، وذكر أنها سنة ٧٠ أو ٩٥م.

وقد اتفقت كلمة معظم المؤرخين علىٰ أن سنة كتابة هذا الإنجيل، كانت في أواخر القرن الأول الميلادي أو زيادة بضع سنوات علىٰ رأس المائة الأولىٰ وأنه آخر الأناجيل الأربعة من حيث كتابته،(١) إذ تفصله عنها مرحلة زمنية كبيرة تبلغ زهاء ثلاثين عاما.

ب- لغته:

ترجح لغته إلىٰ اللغة اليونانية، وهو أرجح الأقوال في لغة هذا الإنجيل.

ج- سبب تدوينه:

سبب تدوين هذا الإنجيل أنه كُتب ليثبت ألوهية المسيح، ويسد النقص الذي في الأناجيل، وقد كان ذلك برغبة من الأساقفة، ونواب كنائس آسية، وإلحاحهم عليه أن يبقىٰ من بعده ذكره مخلدا.

وهذا هو الغرض الحقيقي من طلبهم يوحنا، وهو إرادة إثبات ألوهية المسيح، وتجسده وصلب المسيح وقيامته، وذكر المعجزات الكثيرة لإثبات ذلك(٢).

---

(١) انظر: تاريخ الكنيسة، يوسابيوس القيصري، ص٣١٧. وقاموس الكتاب المقدس، ص٩٣ و١١٠٨.

(٢) انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص١١١٠. ومرشد الطالبين،، نخبة من اللاهوتيين ص٣٣٠.

د- كاتبه:

اختلفت الآراء اختلافا كبيرا حول كاتب هذا الإنجيل، والمشهور بين أوساط النصارىٰ أن كاتب هذا الإنجيل هو يوحنا أحد الحواريين.

يقول متىٰ هنري صاحب تفسير الكتاب المقدس: "واثقون من أنه أُعطىٰ ليوحنا أخي يعقوب، الذي هو واحد من الاثني عشر رسولا، والمميز بتلك الصفة الجديرة بالاحترام التلميذ الذي كان يسوع يحبه"(١).

بينما يرىٰ بعض الباحثين أن القول بأن يوحنا هو كاتب الإنجيل قول ظاهر فيه التعصب، وإلا فإنه "لا يوجد عالم من العلماء المتحررين يعتبر هذا الإنجيل من أعمال يوحنا بن زبدي"(٢).

وعلىٰ هذين القولين افترق المؤرخون من النصارىٰ وغيرهم، غير أنه من المرجح أن كاتب هذا الإنجيل ليس من تلاميذ المسيح، وذلك لاحتوائه علىٰ مفاهيم فلسفية فيما يتعلق بألوهية الكلمة وعلاقتها بالله كما في مقدمة إنجيله، وأقرب الآراء -في نظري- إلىٰ الصواب هو القول بأن كاتب هذا الإنجيل أحد رواد الكنيسة الإسكندرية المتأثرة بالفلسفة اليونانية، وكان اسمه يوحنا أيضًا، ومما يعضد هذا الرأي هو تفريق المؤرخين القدامىٰ بين يوحنا تلميذ المسيح، وبين يوحنا شخص آخر من علماء الكنيسة، يطلقون عليه اسم يوحنا الشيخ، وأبرز من فرق بينهما قديما هو الأسقف بابياس، أسقف "هيرابوليس"١٣٠م حيث يقول: "نظرت في كلام الشيوخ مما قاله أندرواس أو بطرس أو توما أو يوحنا أو متىٰ، أو أحد تلاميذ ربنا أو

---

(١) التفسير الكامل للكتاب المقدس، متي هنري، ١/ ٥١.

(٢) الغفران بين الإسلام والمسيحية، عبد الأحد داود ص١٨.

أرستون أو يوحنا الشيخ" (١)، ويوحنا تلميذ المسيح لا يطلق عليه الشيخ، وإنما يطلق علىٰ يوحنا الآخر.

وبهذا يتبين أن الأناجيل الأربعة مجهولة المصدر، بل يرجح بعض الباحثين الغربيين أنها كتبت هي وسائر كتب العهد الجديد بواسطة العديد من الكتاب المختلفين في سنين طويلة ومضنية، ولا يزال بها العديد من الجوانب غير الواضحة(٢).

القسم الثاني: وهو فيما يتعلق بنقد نصوص الأناجيل ويمكن إيجاز أبرز ذلك فيما يلي:

أ- عدم تواترها واتصال أسانيدها:

لبيان انقطاع أسانيد تلك الأناجيل، لابد لنا أن نعرف معنىٰ التواتر الذي يحصل به اتصال السند، وبالتالي يحصل به العلم اليقيني، ويرتفع القول بضده.

فالتواتر عبارة عن إخبار عدد كثير، لا يجوز العقل اتفاقهم وتواطؤهم علىٰ الكذب بشيء قد أدركوه بحواسهم إدراكا صحيحا، لا شبهة فيه، وكان خبرهم بذلك متفقا لا اختلاف فيه.(٣)

فمن شروط قبول الكتاب الديني أن تكون نسبة الكتاب إلىٰ الرسول الذي نسب إليه ثابتة بالطريق القطعي، وذلك بأن يثبت تلقيه الأخلاف عن الأسلاف، جيلا بعد جيل من غير أي مظنة للانتحال.

(١) آباء الكنيسة الأولىٰ، أسعد رستم، ص٤٢

(2) The Blackwell Companion to the New Testament, David E. Aune, A John Wiley & Sons, Ltd., 2010, First Edition.P.91

(٣) انظر: تيسر مصطلح الحديث، الطحان، ص٢١.

والكتاب السماوي الذي يجب الخضوع له، والائتمار بأوامره، والانتهاء بنواهيه، لا يكفي في إسناده إلىٰ شخص ذي إلهام، مجرد الظن والوهم لا في وجوب اعتقاده، ولا في التمسك به في مقابلة طعن المخالف[(١)].

وهذه الأمور التي ذكرها أهل العلم لا تتوفر في الأناجيل، فلم يكتبها المسيح، بل لم يكتبها أناس معروفون متفق علىٰ معرفتهم، ولم يتفق النصارىٰ علىٰ نسخة واحدة قبل تقنينها، بل كانت كل نسخة مختلفة عن الأخرىٰ.

ب- الشك في أصالة الترجمة والنص المترجم من اللغة اليونانية:

من المعلوم أن الأناجيل قد كتبت باللغة اليونانية - كما سبق- سوىٰ إنجيل متىٰ فقد ترجح أنه كتب بالغة الآرامية، ثم ترجم إلىٰ اليونانية، ولكن النص الآرامي لم يعرف، وإنما عرف المترجم وهو النص اليوناني مع أن المسيح لم يكن يتكلم اليونانية.

ولكن الذي خفي علىٰ الكثيرين هو أن اللغة التي كتبت بها الأناجيل تسمىٰ اليونانية الكوينة المتوسطة (topolect) وقد عرفت فيما بعد القرن الأول إلىٰ القرن الثالث الميلادي فقط، وهي تختلف عن اللغة اليونانية الكلاسيكية التي عرفت من القرن الخامس إلىٰ القرن الرابع قبل الميلاد واللغة الكوينة المبكرة والتي عرفت من القرن الثالث إلىٰ الأول قبل الميلاد وكذلك عن الكوينة المتأخرة والتي عرفت من القرن الرابع إلىٰ القرن الخامس الميلادي[(٢)].

فإذا طرحنا عدة افتراضات وهي أن الكتب الإنجيلية قد كتبت في القرن الأول بمجموعها باللغة الكوينية المتوسطة، وهذه اللغة لم تعرف إلا من القرن الأول إلىٰ

---

(١) انظر: الفارق بين المخلوق والخالق، عبد الرحمن الباجه جي زاده، ١/ ١٤.

(٢) انظر: The Blackwell Companion to the New Testament, David E. Aune, A John Wiley & Sons, Ltd., 2010, First Edition.P.61.

القرن الثالث فقط، ثم اندثرت، ثم اعتمدت هذه الأناجيل في بدايات القرن الرابع، ثم انتشرت لغة يونانية أخرىٰ وهي اللغة اليونانية الكوينة المتأخرة التي عرفت منذ القرن الرابع.

وأمام هذه الافتراضات نطرح عدة تساؤلات من قبيل: كيف تمت ترجمة العهد الجديد إلىٰ اللغات الحية رغم موت اللغة اليونانية التي كتبت بها الأناجيل؟

في الجواب ننضم إلىٰ دليل بلاكويل للعهد الجديد حيث يقول: "إن مترجم العهد الجديد يواجه لغة لم يسمع بها من قبل، في الواقع لن يكون لدىٰ المترجم مطلقًا معرفة تامة بقواعدها ومفرداتها، حيث إن كل صلاحيته اللغوية تأتي من الدراسة والقراءة بدلًا من تجربة اللغة الحية نفسها. وإذا لم يتمكن من تحديد رأيه بين عدة تفسيرات محتملة لمصطلح غامض، فلن يتوفر له مترجم أو قاموس يستطيع من خلاله الوصول إلىٰ المعاني الغامضة حيث إن المترجمين لم يسمعوا أبدا بيونانية العهد الجديد الحية التي يتم التحدث بها".

ثم يقول: "وهذه مهمة سهلة نسبيا بالنسبة لأي لغة حية، لكنها تثبت صعوبة كبيرة بالنسبة للغة قديمة مثل يونانية العهد الجديد"(١).

ج- انحراف تعاليمها:

لا نريد التطرق إلىٰ التعاليم العقدية التي حرفت عن وجهها - وقد خصصنا لها فصولا للرد عليها - وإنما نريد هنا ذكر تلك التعاليم السلوكية، التي تأمر بذبح المخالف، وإرهاب كل من علىٰ غير دين المسيح، ونسبة تلك النصوص إلىٰ المسيح كذبا وبهتانا، فمن ذلك قوله: " لا تظنوا أني جئت لألقي سلاما علىٰ الأرض، ما جئت

---

(١) نفس المرجع.

لألقي سلاما بل سيفا، فإني جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه والابنة ضد أمها، والكنة ضد حماتها، وأعداء الإنسان أهل بيته" (متىٰ).

وقوله كذلك: " أما أعدائي أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم، فأتوا بهم إلىٰ هنا واذبحوهم قدامي." (لوقا، ١٩-٢٧) إلىٰ غير ذلك من هذه التعاليم.

د- اشتمالها علىٰ التناقضات والأخطاء:

أورد علماء الإسلام في نقدهم للأناجيل المعتمدة عند النصارىٰ كثيرا من النقد وبيان خطئها وخطلها بإيراد تناقضها فيما بين نصوصها، وهذا الدليل يعتبر من أبرز الأدلة التي تبرهن علىٰ وجود التحريف في نصوص تلك الأناجيل، ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء: ٨٢] ويمكن إيجاز أبرز التناقضات والاختلافات ونوعها في ما يلي:

١- الاختلافات بين النسخ الخطية للكتاب المقدس:

لا توجد نسختان متطابقتان من نسخ العهد الجديد أبدا، ولا توجد نسخة متطابقة بشكل كامل عن النموذج الذي تم إنتاجها منه- كما يقول دليل بلاكوير للعهد الجديد-The Blackwell Companion to the New Testament-.

وهذا يفسر سبب اختلاف كل المخطوطات الباقية والتي يرمز إليها برمز (ام اس اس) (MSS) من العهد الجديد عن بعضها البعض[1].

فعلىٰ سبيل المثال، تم العثور علىٰ الفصل الأخير (السادس عشر) من إنجيل مرقس في تسعة أشكال مختلفة علىٰ الأقل.

---

(١) انظر: The Blackwell Companion to the New Testament, David E. Aune, A John Wiley & Sons, Ltd., 2010, First Edition.P.77

ومن ذلك ما ورد في إنجيل مرقص، في الإصحاح ١٦، وفي الفقرة من ٩ إلىٰ الفقرة ٢٠، حيث ورد: " وبعد ما قام يسوع في صبح الأحد.." وهذا النص موجود في النسخة الإسكندرية، وغير موجودة في النسخ السينائية ولا الفاتيكانية.

ومنها ما ورد في إنجيل يوحنا، في الإصحاح ٨، والفقرة ١١، في قصة عدم رجم المرأة الزانية، وهذه القصة توجد في النسخ الحديثة، من نسخة الملك جيمس، ولا توجد في النسخة الفاتيكانية ولا الإسكندرية ولا السينائية، ولا النسخ القديمة[1].

ومنها ورود أصرح نص في التثليث في إنجيل يوحنا، الإصحاح ٥، والفقرة ٧، حيث ورد نص التثليث: "والذين يشهدون في السماء هم ثلاثة"، ولكن هذا النص لم يرد إطلاقا في النسخ القديمة.

٢- التناقضات الحاصلة بين نصوص الأناجيل:

منها ورود التناقض بين نصوص الإنجيل الواحد، مثل قول إنجيل يوحنا منسوبا إلىٰ المسيح: "لو كنت أشهد لنفسي فشهادتي باطلة، ولكن غيري يشهد لي" (متىٰ، ٢٦/ ٦٠) وفي الإنجيل نفسه: " أنا أشهد لنفسي، ولكن شهادتي صحيحة، لأني أعرف من أين جئت" (مرقس، ٨/ ١٤)

ومنها ورود التناقض بين نصوص الأناجيل الأربعة، فمثلا ورد في إنجيل مرقص في قصة قيامة المسيح من قبره: " قام يسوع من فجر الأحد، فتراءىٰ لمريم المجدلية، تلك المرأة التي أخرج منها سبعة شياطين، فمضت وأخبرت الذين صحبوه" (مرقس، ١٦/ ٩)

(١) نفس المرجع.

وفي إنجيل يوحنا: " وفي يوم الأحد جاءت مريم المجدلية إلىٰ القبر عند الفجر، والظلام لم يزل مخيما، فرأت الحجر قد أزيل عن القبر" (يوحنا، ٢٠/ ١)

وهذا تناقض ظاهر، فمتىٰ ينص علىٰ أنها رأته، ويوحنا ينص علىٰ أنها رأت القبر ولم تره.

وقد رأيت ألا أطيل في ذكر التناقضات، التي اشتملت عليها تلك الأناجيل، لأنه قد اعتنىٰ بذلك أهل العلم وبينوا ذلك أتم بيان.

وأختم هذا بشهادة بعض علماء النصارىٰ، التي تنص صراحة علىٰ وجود التناقضات والتحريفات في الأناجيل،

فمنهم الدكتور اللاهوتي ديفيد إي أوني حيث أثبت كثيرا من المتناقضات والتي لا يمكن معرفة الصحيح منها لأنه لا توجد نسخة أصيلة يرجع إليها عند التناقض فيقول" لا توجد النسخة الأصيلة من الكتاب وليست متاحة بحيث يمكننا حينها استبعاد النسخ والرجوع إلىٰ النسخة الرئيسية لتحديد ما كتبه المؤلف، فلم تبقىٰ أي نسخة أصلية من أي كتابة كلاسيكية أو إنجيلية أو قديمة لكتاب الكنيسة المقدس. وهاتان الحقيقتان - أنه لا تنجو أي نسخة رئيسية، وأن كل النسخ الموجودة تختلف عن بعضها البعض"[1].

ومن أولئك الدكتور (فريدريك جرانت) وهو أستاذ علم اللاهوت، الذي يقول في كتابه (الأناجيل أصلها ونموها): " إن نصوص جميع هذه المخطوطات تختلف كبيرا، ولا يمكننا الاعتقاد بأن أيًّا منها قد نجا من الخطأ، ومهما كان الناسخ حي الضمير فإنه

(١) انظر: The Blackwell Companion to the New Testament, David E. Aune, A John Wiley & Sons, Ltd., 2010, First Edition.P.77

ارتكب أخطاء بقيت في كل النسخ التي نقلت عن نسخته الأصلية"(١).

ويقول القس فهيم عزيزعن سبب وجود الاختلافات بين النسخ: "وذلك يرجع إلىٰ إهمال الكتبة، وإلىٰ التعمد في تغيير الترجمة، لتطابق نصًّا يونانيا يعرفه من يكتب النسخة (٢).

وهناك كثير من الأمور التي تبرهن علىٰ تحريف الأناجيل، وأنها ليست وحي الله، منها تناقض نصوصها مع الاكتشافات والعلم الحديث، وغيره من الأمور التي تؤكد ما ذكرناه.

فتبين من هذا أن النصارىٰ قننوا أربعة أناجيل من بين سائر الأناجيل المكتوبة وذلك في مجمع نيقية عام ٣٢٥م، وهذه الأناجيل التي كتبت بعد ضياع إنجيل المسيح تحوي شيئا من تعاليم المسيح وكثيرا من التحريفات والتناقضات ويتبين ذلك في دراستها سندا ومتنا، وهي إنجيل متىٰ ومرقس ولوقا ويوحنا، أما دراسة سند هذه الأناجيل فأولها إنجيل متىٰ، وقد اختلفوا في سنة كتابته علىٰ عدة أقوال وعمومها مما بين سنة ٣٩م إلىٰ سنة ١٠٠، واختلفوا كذلك في لغة كتابته، فمنهم من يقول بالآرامية ومنهم من يقول بالعبرية ومنهم من يقول باليونانية، والأولان أرجح، وأما مترجمه إلىٰ اليونانية فهو مجهول، وأما كاتبه فالمشهور أنه ينسب إلىٰ متىٰ الحواري، غير أن هناك دراسات حديثة تؤكد عدم نسبته إليه واستشهدت علىٰ ذلك بعدة شواهد.

وأما الإنجيل الثاني وهو إنجيل مرقس، فقد اختلفوا في سنة كتابته وعموم الأقوال ترجع ما بين سنة ٦١م إلىٰ سنة٧٠م، وأما كاتبه فأرجح الأقوال أنه مرقس تلميذ بطرس تلميذ المسيح، وهو الراجح، وهناك من قال إن بطرس كتبه عن تلميذه

(١) انظر: محاضرات في مقارنة الأديان، إبراهيم خليل أحمد، ص٤١.

(٢) انظر: المدخل إلىٰ العهد الجديد، القس فهيم عزيز ص٩.

مرقس وهذا رأي ضعيف، وقد كان هدف مرقس عند كتابته هو جمع الأحداث والمعجزات التي حدثت للمسيح وليس نقل أقوال المسيح كما تبين.

وأما الإنجيل الثالث وهو إنجيل لوقا فقد اختلفوا في سنة كتابته، وعموم الأقوال في ذلك ترجع إلىٰ ما بين عامي ٥٠م إلىٰ ٦٠م، وقد كتب باللغة اليونانية، وأما كاتبه فاتفق علىٰ أنه لوقا تلميذ بولس كان يهوديا أو وثنيا قبل تنصره علىٰ يد بولس، وأهم تعاليم هذا الإنجيل هو أنه أول من ذكر عقيدة الفداء والإيمان بالمخلص ابن الله.

وعلىٰ كل حال، فلوقا لا يعتد بقوله، لأنه لم يكن من الحواريين، ولم يسمع من المسيح عليه السلام ولم يره كما هو شأن صاحب إنجيل مرقس.

وأما الإنجيل الرابع وهو إنجيل يوحنا فقد كتب ما بين سنة ٦٤م إلىٰ سنة ٩٥م، واتفق علىٰ أنه آخر الأناجيل كتابة، وسبب تدوينه هو إثبات ألوهية المسيح وتدوين معجزاته كما نص علىٰ ذلك، وأما كاتبه فالمشهور أنه يوحنا الحواري، بينما ينفي بعض الباحثين اللاهوتيين نسبته إليه وينسبه إلىٰ أحد تلاميذ المدرسة الإسكندرية لاشتماله علىٰ فلسفات أفلوطينية شرقية، ولعدم معرفة كاتب هذا الإنجيل بمدن فلسطين.

وأما دراسة متن هذا الإنجيل وهو ما يتعلق بنقد نصوصه لإثبات تحريفه، فأول ما يقال: إنها غير متواترة وليس لها سند متصل، ثم إنه يتطرق إليها الشك في أصل الترجمة لأنها كلها لم تعرف إلا باليونانية، ولم نعرف أصالة الترجمة من النص الأصلي ولم نعرف نزاهة المترجم، فضلا عن معرفتنا بالنص الأصلي الذي كتبت به، إلىٰ جانب أنها تشتمل علىٰ كثير من التعاليم المنحرفة كذبح المخالفين وغيرها، ومما ينقد أيضا هو اشتمالها علىٰ التناقضات والأخطاء، كالاختلافات بين النسخ الخطية للكتاب المقدس بحيث لا توجد نسختان متطابقتان من نسخ العهد الجديد أبدا، إلىٰ

جانب التناقضات الحاصلة بين نصوص الأناجيل، وهي كثيرة جدا، فمنها ورود التناقض بين نصوص الإنجيل الواحد، ومنها ورود التناقض بين نصوص الأناجيل الأربعة، ولذلك اعترف بعض علماء النصارىٰ اللاهوتيين صراحة بوجود التناقضات بين نصوص الأناجيل ودعمنا كل ذلك بالأدلة والشواهد فيما سبق.

المبحث الثالث

البشارات الواردة في الكتاب المقدس في محمد ﷺ

سبق القول بأن توراة موسىٰ ونصوص العهد القديم وكذلك إنجيل المسيح الصحيح قد اختلطت نصوصها بنصوص التحريف وضاعت أصولها من أيدي أتباعها بسبب عوامل عدة أسلفنا ذكرها.

ورغم كل ذلك فقد بقيت عبارات وإشارات ودلالات وأمارات تشع شعاع الشمس وتبرق بريق الذهب، أبقاها الله حجة في تلك الكتب علىٰ أتباعها ومنارا يهتدي بها من أراد الوصول إلىٰ الحق.

ولا شك أن النبي السابق يبشر بالنبي اللاحق، ويحذرهم من صنوف الفتن اللاحقة حتىٰ تترابط دعوة الأنبياء فيما بينها وتتحد في إقامة الحق والبرهان تنير سير السائرين علىٰ مر الأزمان، فقد ذكرت التوراة أن أنبياء بني إسرائيل ذكروا أمورا عن حوادث لاحقة لبني إسرائيل رغم أنها كانت مؤقتة بعصر، فيستحيل أن يغفلوا عن ذكر ما يتعلق بمبعث خاتم الأنبياء وسيد المرسلين في كل عصر، ومن تلك الحوادث التي ذكروها مثل حوادث بخت نصر أو الملك قورش أو غيرهم، وقد اهتم علماء الإسلام بذكر هذه البشارات وبيان مراد الإشارات وتوضيح الدلالات، غير أنني أريد هنا اقتباس قلة من البشارات، ومن أراد الاستزادة فليراجع ما ذكره علماء الإسلام في ذلك، ومن تلك البشارات ما يلي:

١- ما ورد في التوراة في سفر التثنية في مخاطبة الله نبيه موسىٰ عليه السلام: "وسوف أقيم لهم نبيا مثلك من بين إخوتهم وأجعل كلامي في فمه بكل شيء آمرهم به" (تثنية١٨/ ١٨)

ففي هذا إشارة وبشارة بنبوة محمد ﷺ وذلك لأن قوله " من بين إخوتهم" أي من بني إسماعيل أخي إسحاق، فأولادهم بنو إخوة بني إسحاق، ومنهم محمد عليه السلام، وأما عيسىٰ وغيره من الأنبياء من بني إسرائيل فهم منهم وليسوا من بني إخوتهم، ثم إن عيسىٰ وغيره من بني إسرائيل لم يكونوا مثل موسىٰ في قوله " أقيم لهم نبيا مثلك" فموسىٰ جاء بشرائع جديدة ومحمد جاء بشرائع جديدة وأما عيسىٰ فقد كان متبع للتوراة بنص الإنجيل.

٢- ما ورد في سفر التثنية قوله: "هكذا هم أغاروني بغير إله وأغضبوني بمعبوداتهم الباطلة وأنا أيضا أغيرهم بغير شعب وبشعب جاهل أغضبهم" (تثنية٢١/ ٣٢) فالمراد بالشعب الجاهل هم أمة العرب وليس المراد بالشعب الجاهل هم اليوانان لأنهم كانوا متفوقين بالعلم والفنون والفلسفة والحكمة وغيرها.

٣- ما ورد في سفر التثنية: " جاء الرب من سيناء وأشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران " فهذه إشارة علىٰ نبوة موسىٰ من سيناء وعيسىٰ من ساعير ومحمد من فاران لأن فاران جبل بمكة بنص التوراة حيث تقول عن إسماعيل: " وكان الله معه ونما وسكن في بريّة فاران" (تثنية١/ ٣٣)

٤- ورد في إنجيل يوحنا: "إن لي أمورًا كثيرة أيضا لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، وأما متىٰ جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلىٰ جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية، ذاك يمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم" (يوحنا٦/ ١٢-١٤) وهذا الوصف شديد الانطباق علىٰ محمد ﷺ وكأنه تفسير لقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾ [النجم: ٣].

٥- جاء في سفر رؤيا من العهد الجديد: "ثم رأيت السماء مفتوحة، وإذا حصان أبيض يسمىٰ راكبه باسم الصادق الأمين الذي يقضي ويحارب بالعدل" (رؤيا ١٩/ ١١)،

ووصف (الصادق الأمين) ينطبق علىٰ سيدنا محمد لأن أهل مكة المكرمة كانوا قد أطلقوا عليه هذا الوصف من قبل بعثته الشريفة.

وهناك الكثير من البشارات ذكرها أهل العلم وبينوا انطباقها علىٰ النبي محمد ﷺ حجة علىٰ عباده وبيانا لمن أراد الهداية إلىٰ الطريق المستقيم.

الفصل الثالث

الأناجيل المرفوضة (أبوكريفا)،

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: عدد هذه الأناجيل وسبب رفض الكنيسة لها

المبحث الثاني: إنجيل برنابا وموقف الكنسية منه

المبحث الأول

عدد هذه الأناجيل وسبب رفض الكنيسة لها

إن الأناجيل الأربعة التي مرّ ذكرها تم اعتمادها في مجمع نيقية من بين عدد كبير من الأناجيل، أما بقية الأناجيل فقد رفضت وسميت (أبوكريفا) بمعنىٰ المنحولة.

وقد قيل إن تلك الأناجيل المرفوضة يفوق عددها سبعين إنجيلا، وإنجيل برنابا هو أحد هذه الأناجيل، التي رُفضت من قبل الكنسية، والتي كانت تعد بالعشرات في ذلك الوقت، فقد كثرت كثرة كاثرة.

ومما يدل علىٰ صحة ذلك ما جاء في مقدمة إنجيل لوقا: "إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة الأمور المتبقية عندنا، كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداما للكلمة" (لوقا، ١/ ١-٢)

وقد كانت بعض مذاهب النصرانية القديمة تتمسك ببعض الأناجيل المرفوضة عند أهل المذاهب المعروفة الآن، ولكن كل تلك الأناجيل منذ أن تم إقرارهم بعدم قدسيتها - في مجمع نيقية - وحرمت قراءتها تحريما مؤبدا هُمشت تماما، ولم يعد لها ذلك الأثر الكبير في حياة العالم المسيحي[١].

وقد وصل إلينا عدد من أسماء تلك الأناجيل وهي كما يلي:

١- بطرس ٢- توما

٣- مريم المجدلية ٤- العبرانيين

---

(١) انظر: The Origins of Christianity and the Quest for the Historical Jesus Christ. Acharya, S., (2011).p.12

٥- الناصريين ٦- المصريين

٧- برثولماوس ٨- نيقوديوس

٩- عمالائيل ١٠- التذكرة

١١- طفولة المسيح لمتىٰ الحواري ١٢- طفولة المسيح لمتىٰ الحواري

١٣- برنابا ١٤- ماركيون

١٥- الحق ١٦- الاثني عشر

١٧- الكمال ١٨- إنجيل السبعين

١٩- إنجيل آخر ليوحنا ٢٠- يهوذا الإسخريوطي[١]

(١) انظر: دائرة المعارف البريطانية، ٢/ ١١٥. ودائرة المعارف الأمريكية، ١٣/ ٧٠.

المبحث الثاني

إنجيل برنابا وموقف الكنسية منه

إنجيل برنابا هو أحد الأناجيل المرفوضة، إلا أنه سلم من أيدي الضياع التي عصفت ببقية تلك الأناجيل، وذلك لاكتشافه مؤخَّرا علىٰ يد بعض النصارىٰ، ويمكن ذكر أبرز الأمور عن هذا الإنجيل فيما يلي:

أولا: من هو برنابا:

هو أحد حواريي المسيح الذين يلقبهم رجال الكنيسة بالرسل[١]، وقد صحبه بولس زمنا، بل كان هو الذي عرّف التلاميذ ببولس بعدما اهتدىٰ بولس ورجع إلىٰ أورشليم[٢].

ثم انفصل برنابا عن بولس، وذلك بسبب شجار حصل بينهما، بسبب اختلافهما في شأن اصطحاب مرقس، وهو ابن أخت برنابا، كما يذكر كاتب سفر أعمال الرسل (أعمال الرسل، ١٥/ ٣٧)

وأما رواية برنابا في سبب افتراقه عن بولس فتختف عن رواية أعمال الرسل، حيث يُرجعه إلىٰ سبب ضلال بولس مع من ضل عن الطريق المستقيم، قاصدين تضليل الناس بدعوىٰ التقوىٰ، الذين بشروا بالتعاليم شديدة الكفر، حيث يقول عنهم: "الذين ضل في عدادهم أيضا بولس الذي لا أتكلم عنه إلا مع الأسىٰ"(مقدمة إنجيل برنابا، ١-٨) فالذي يظهر أن هذا هو السبب الحقيقي وراء افتراقهما، وذلك بعد أن ظهرت لبرنابا آراء بولس الإلحادية.

---

(١) انظر: تاريخ الكنيسة، يوسابيوس القيصري، ص٥٢.

(٢) انظر: مقدمة إنجيل برنابا، ص٣٢.

ثانيا: تاريخ هذا الإنجيل:

أقدم منشور رسمي يذكر هذا الإنجيل هو المرسوم الذي أصدره البابا جلاسيوس الأول، في أواخر القرن الخامس الميلادي في بيان الكتب التي تحرم قراءتها، فقد جاء من ضمنها إنجيل برنابا[1].

وأما أقدم خبر لهذا الإنجيل فهو ما ورد في كتابة المؤرخ إيريناوس في القرن الميلادي الثاني، والتي جاء فيها تأييد عقيدة التوحيد، ومعارضة بولس والنظريات الوثنية والفلسفية، التي أدخلها في النصرانية، وكان إيريناوس قد اقتبس بغزارة من إنجيل برنابا في عمله هذا، وفي عام ٣٨٣م احتفظ البابا داماسوس الأول بنسخة من هذا الإنجيل في مكتبته الخاصة[2].

ثالثا: ظهوره:

منذ أن صدر المرسوم البابوي بتحريم قراءة الأناجيل المبعدة، اندثرت أخبار ذلك الإنجيل، ولم يسمع أحد ذكرا لهذا الإنجيل إلىٰ أن عُثر في أوروبا علىٰ نسخة منه، حيث ظهرت هذه النسخة وكانت موضع اهتمام العلماء وعنايتهم، وموضوع بحثهم واجتهادهم، ثم ترجمت إلىٰ الإنجليزية.

وأول من عثر عليها هو كريمر، أحد مستشاري ملك بروسيا، فأخذها سنة ١٧٠٩م من مكتبة أحد وجهاء مدينة أمستردام، ثم أهداها بعد ذلك بأربع سنين إلىٰ البرنس أيوجين سافوي، الذي كان مولعا بالآثار التاريخية، ثم انتقلت النسخة

---

(١) انظر: مقدمة إنجيل برنابا للمقدم، ص٣٢.

(٢) انظر: Acts Of Barnabas، vol f Ami Nicene، 10. نقلا عن مقدمة الدكتور أحمد حجازي لإنجيل برنابا، ص٥٠. و The Cambridge History of Chritianity, Edited by; Margaret Mary M. Mitchell and Frances M.YOUNG,p245

المذكورة سنة ١٧٣٧م مع سائر مكتبة البرنس سافوي إلىٰ مكتبة البلاط الملكي في فيننا، حيث لا تزال هناك حتىٰ الآن وهي مكتوبة باللغة الإيطالية[١].

وظهرت نسخة أخرىٰ مكتوبة باللغة الإسبانية، وكانت عند رجل يدعىٰ الدكتور هلم، ثم أقرضها للمستشرق الشهير سايل، ثم تناولها بعد سايل الدكتور منكهوس، أحد أعضاء كلية الملكة في أكسفورد، فترجمها إلىٰ الإنجليزية، ثم دفع الترجمة مع الأصل سنة ١٧٨م إلىٰ الدكتور هويت، أحد مشاهير الأساتذة ثم طمست آثار هذه النسخة، ودرست رسومها واختفت عن الوجود.

وهذا الأخير - الدكتور هويت - الذي أخفىٰ تلك النسخة، كان يستشهد ببعض شذرات منها أثناء إلقاء محاضراته، يقول المؤرخ المسيحي الدكتور خليل سعادة وهو مترجم إنجيل برنابا إلىٰ اللغة العربية: "ولقد طالعت هذه الشذرات، وقابلتها بالترجمة الإنجليزية المنقولة عن النسخة الإيطالية، الموجودة الآن في مكتبة بلاط فيينا، فوجدت الإسبانية ترجمة حرفية عن تلك، ولم أر بينهما فرقا يستحق الذكر"، ثم ذكر فرقين لا يعدان من الفروق المهمة كزيادة كلمة ونحو ذلك[٢].

وقد بين الشيخ محمد رشيد رضا - وهو مقدم أول طبعة عربية إسلامية لهذا الإنجيل- أنه قد تمت طباعة النسخة الإنجليزية، من قبل جامعة أكسفورد وإنجلترا عام ١٩٠٧م، ثم وزعت علىٰ دور النشر، والمراكز العلمية في كثير من البلاد العربية، وهذه الترجمة العربية التي تمت علىٰ يد الدكتور خليل سعادة، ذكر الشيخ رشيد أنها ترجمة حرفية لا تصرف فيها.[٣].

---

(١) انظر: مقدمة الدكتور المسيحي خليل سعادة لإنجيل برنابا، ص١٤ ومجلة المنار، محمد رشيد رضا ١١/ ١١٥.

(٢) مقدمة الدكتور المسيحي خليل سعادة لإنجيل برنابا، ص١٥.

(٣) انظر: مجلة المنار، ١١/ ١١٦.

رابعا: مضمونه وتعاليمه ونماذج منه:

لقد جاءت تعاليم هذا الإنجيل مخالفة لأسس العقائد التي جاءت في الأناجيل الأربعة المعتمدة لدىٰ النصارىٰ، بل مخالف لأسس الديانة النصرانية المحرفة، التي سار عليها أتباع المسيح عليه السلام.

وقد ذكر برنابا في مقدمة إنجيله أولئك الذين حرفوا ديانة المسيح عليه السلام، بدافع التقوىٰ المزعوم، واصفا تعاليمهم بأنها شديدة الكفر - كما سبق -.

وإن الناظر في تلك الانتقادات التي وجهها برنابا إلىٰ أولئك الداعين إلىٰ الضلالة يرىٰ أن تلك التعاليم الشيطانية كانت من ابتداع بولس مما أدخله في الديانة النصراية، ولهذا صرح باسمه، وأخبر أنه لا يتكلم عنه إلا مع الأسىٰ (إنجيل برنابا، فقرة ٨)

وهذا الإنجيل المرفوض من قبل الكنيسة يوافق الأناجيل الأربعة، في كثير من مسائل التاريخ والوعظ الإرشادي، ولكنه يخالفها في أهم الأمور الاعتقادية المحرفة، كالتعبير عن المسيح عليه السلام بعبد الله ورسوله، وبيان أنه لم يصلب، والبشارة الصريحة عنه بمحمد صلى الله عليه وسلم، والتصريح بكون الذبيح إسماعيل لا إسحاق عليهما السلام.

ومن أهم العقائد التي جاءت في هذا الإنجيل ما يلي:

أ- التصريح بأن المسيح نبي مرسل ونفي ألوهيته (إنجيل برنابا ١١/ ١)

ب- التصريح بأن الذبيح هو إسماعيل وليس إسحاق ابني إبراهيم عليهم السلام (برنابا، ٢٢٠/ ١٩)

ج - البشارة الصريحة بمحمد صلى الله عليه وسلم (برنابا، ٤٣/ ٣١)

د- نفي الصلب عن المسيح (برنابا، الإصحاح ٢١٦-٢١٧)

هـ - رفع عيسىٰ عليه السلام (برنابا، ٢١٧/ ١-٧٩)

خامسا: كاتب هذا الإنجيل:

اختلف الباحثون الشرقيون والغربيون اختلافا كبيرًا في تعيين كاتب هذا الإنجيل، وعموم الأقوال في ذلك تعود إلىٰ قولين:

القول الأول: إن هذا الإنجيل صحيح النسبة إلىٰ برنابا، وقد قال بهذا القول كثير من العلماء والمثقفين المسلمين والنصارىٰ، كالدكتور مرجلبوث الذي "دحض شبهة من قال: إن لهذا الإنجيل أصلا عربيا، وأنه من وضع المسلمين. "[(١)] وممن قال بذلك أيضا أحد مترجمي ذلك الإنجيل إلىٰ اللغة الإنجليزية [(٢)].

وهناك بعض الباحثين الغربيين أقرُّوا بنسبته إلىٰ برنابا، ولكنهم يقولون بأنه مزيد عليه ومدسوس فيه ما ليس منه، وأن ذلك كان بفعل المسلمين، وقد قال بذلك المستشرق جورج سيل١٧٣٦م، الذي قال: "ومعظم الملابسات في الأناجيل الأربعة الصحيحة تجدها فيه، ولكن كثيرا منها قد عدلت باصطناع كافٍ لمجاملة النهج المحمدي" وقال: " إن المحمديين قد دسوا فيه وحرفوه"[(٣)]

القول الثاني: وهو أن كاتب هذا الإنجيل هو أحد المسلمين، وقد قال بهذا عدد من كتاب النصارىٰ، وأول من أشار إلىٰ هذا القول هو كريمر، حيث صدّر النسخة التي أهداها إلىٰ البرنس سافوي ببضعة أسطر من عنده، يذكر أن هذا الإنجيل المحمدي مترجم من اللغة العربية أو سواها وكذلك الدكتور هويت، الذي قال: "إن الأصل العربي لا يزال موجودا بالمشرق".-وهذا ظن منه وتخمين -.

---

(١) مجلة المنار، محمد رشيد رضا ١١/ ١١٦.

(٢) انظر: مقدمة أحمد غنيم لإنجيل برنابا، ص١٠٦.

(٣) مقدمة أحمد غنيم لإنجيل برنابا، ص٤٤.

ومنهم كذلك المستشرق سايل، الذي قال بأن عند المسلمين إنجيلا عربيا، يسمونه إنجيل القديس برنابا، ولكنه أقرّ بأنه لم يره، وما دام أنه لم يره، فلا ندري لماذا ادعىٰ هذه الدعوىٰ القائمة علىٰ التخمين.

وممن تبعهم علىٰ هذا القول الدكتور خليل سعادة، مترجم إنجيل برنابا إلىٰ اللغة العربية، الذي رجَّح بأن يكون كاتبه يهوديا أندلسيا، من أهل القرون الوسطىٰ، تنصر ثم دخل الإسلام، لما له من إلمام عجيب بأسفار العهد القديم [(١)].

هذه مجمل الأقوال التي ذهب إليها الباحثون في تعيين كاتب هذا الإنجيل، والمرجح منها -والله أعلم- هو القول الأول، وأن هذا الإنجيل منسوب إلىٰ برنابا الحواري، وكان مخبأ لدىٰ أحد النصارىٰ، الذين توارثوه خوفا من افتضاح أمره من الكنيسة التي تعصف بكل من خالفها، ويمكن ذكر أهم الأمور التي تؤيد ما رجحناه، وذلك فيما يلي:

أ- أن غاية ما يتشبث به أصحاب القول الثاني من الأدلة علىٰ تأييد دعواهم، بعض القرائن الظنية التي لا ترجّح ما ذهبوا إليه، فلا توجد أي قرينة قطعية، بل لا توجد قرينة ظنية صحيحة..

وقد نقل الشيخ محمد بيرم عن رحالة إنجليزي أنه رأىٰ في دار الكتب البابوية في الفاتيكان نسخة من هذا الإنجيل مكتوبة بالقلم الحميري، قبل بعثة النبي ﷺ وفيها يقول المسيح: "ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد." وذلك موافق لنص القرآن الكريم بالحرف[(٢)].

---

(١) مقدمة خليل سعاد لإنجيل برنابا ص٢٠ وص ٢٢.

(٢) انظر: إظهار الحق، ٥/ ١١٠٨. ومجلة المنار، ١١/ ١١٩.

ب- لـم ينقـل عـن أحـد المـسلمين أنـه رأىٰ شـيئا مـن هـذه الأناجيـل التـي فيهـا البشارات الصريحة بمحمد ﷺ كما حققـه الـدكتور مرجليـوث، مؤيـدا تحقيقـه بخلـو كتب المسلمين الذين ردوا علىٰ النـصارىٰ مـن ذكـره، وناهيـك بـابن حـزم الأندلـسي وابن تيمية، فقد كانا أوسع علماء المسلمين في الغرب والشرق اطلاعا، كما يعلـم مـن كُتبهما، ولم يذكرا في ردهما علىٰ النصارىٰ هذا الإنجيل أو استشهدا بأي نص منه.

ت- لا يـستبعد أن يكـون مـترجم برنابـا باللغـة الإيطاليـة قـد ذكـر اسـم محمـد ترجمة، وأنه في الأصل الذي ترجم هو عنه قد ذكر بلفظ يفيـد معنـاه، كلفـظ البـارقليط ومثل هذا التساهل معهود عند المسيحين في الترجمة[1].

ث- بمـا أن كاتـب هـذا الإنجيـل المنـسوب إلـىٰ برنابـا مـشهود لـه مـن علمـاء النصارىٰ وغيرهم، بسعة الاطلاع علىٰ كتب العهدين، بالإضافة إلىٰ أسلوبه القـوي في عرض الحجة، يقول الدكتور خليل سعادة: " ولاريب أن الكاتـب كـان علـىٰ مـا تقـدم الإلماع إليه بارعا جدا في أساليب التعبير، وإقامة الحجج والأدلة."[2]

فهذا يدل علىٰ أن تلك العقلية لـم تكـن عقليـة عاديـة مطلقـا، بـل كانـت في غايـة الفطنة والذكاء، ومع ذلك هل يعقل بأنـه قـد فاتـه أن يخفـي اسـم محمـد، فهـذا القـول مشتمل علىٰ مناقضة نفسه بنفسه.

ج- أن استدلالهم بالهوامش العربية الموجودة علىٰ بعض هوامشه إن صـحت فيحتمل أن تكون لأحد الرهبان الذين دخلـوا في الإسـلام حيـث يحتمـل أن يكـون قـد دخل الإسلام، فحمله ذلك علىٰ تعلم اللغة العربيـة ويـشهد لـذلك العبـارات المدونـة والتي تغلب عليهـا العجمـة، وإذا كـان كاتبـه أحـد العـرب، فلـيس هنـاك مـا يـدعو لأن

(١) انظر: مقدمة الشيخ رشيد رضا لإنجيل برنابا، ص٣٥.
(٢) مقدمة الدكتور خليل سعادة لإنجيل برنابا، ص٢٧.

يتعاجم في تلك الهوامش القليلة.

فتبين من هذا أن الاناجيل المرفوضة والتي تسمىٰ بـ أبو كريفا باليونانية، قد رفضت في نفس المجمع الذي قنن فيه الأناجيل الأربعة السابق ذكرها في مجمع نيقية عام ٣٢٥م وقيل: إن عدد المرفوض منها سبعون إنجيلا، وإنجيل برنابا هو أحد تلك الأناجيل، ومما وصل إلينا من أسماء تلك الأناجيل إنجيل بطرس وتوما ومريم المجدلية والعبرانيين والناصريين والمصريين وبرثولماوس ونيقوديوس وعمالائيل والتذكرة وبرنابا وماركيون والحق والاثني عشر والكمال وإنجيل السبعين ويهوذا الإسخريوطي. ومن أبرز تلك الأناجيل إنجيل برنابا، وبرنابا هو أحد حواريي المسيح، صحب بولس زمنا طويل بعد أن انخدع به وعرفه علىٰ بقية التلاميذ ثم انفصل عنه وحدث شجار بينهما لانحراف بولس عن تعاليم المسيح كما نص علىٰ ذلك برنابا في إنجيله، وأقدم ذكر لهذا الإنجيل هو في المرسوم الذي أصدره البابا جلاسيوس الأول، في أواخر القرن الخامس الميلادي، وأما أقدم خبر لهذا الإنجيل فهو ما ورد في كتابة المؤرخ إيريناوس في القرن الميلادي الثاني، وقد اكتشفت نسخة منه باللغة الإيطالية علىٰ يد كريمر، أحد مستشاري ملك بروسيا، سنة ١٧٠٩م في مكتبة أحد وجهاء مدينة أمستردام، ثم أهداها بعد ذلك بأربع سنين إلىٰ البرنس أيوجين سافوي، ثم انتقلت النسخة المذكورة سنة ١٧٣٧م مع سائر مكتبة البرنس سافوي إلىٰ مكتبة البلاط الملكي في فيننا، حيث لا تزال هناك، وظهرت نسخة أخرىٰ مكتوبة باللغة الإسبانية، وكانت عند رجل يدعىٰ الدكتور هلم، ثم أقرضها للمستشرق الشهير سايل، ثم تناولها بعد سايل الدكتور منكهوس، أحد أعضاء كلية الملكة في أكسفورد، فترجمها إلىٰ الإنجليزية، ثم دفع الترجمة مع الأصل سنة ١٧٨٤م إلىٰ الدكتور هويت، أحد مشاهير الأساتذة ثم طمست آثار هذه النسخة، ودرست رسومها واختفت عن الوجود، وهذا الإنجيل مرفوض من قبل الكنيسة

لاشتماله علىٰ تعاليم تخالف تعاليم النصارىٰ، منها التصريح بأن المسيح نبي مرسل ونفي ألوهيته، ومنها البشارة الصريحة بمحمد ﷺ ومنها نفي الصلب عن المسيح ورفع عيسىٰ عليه السلام، وقد بينا أن كاتب هذا الإنجيل هو برنابا غير أن هناك بعض الباحثين النصارىٰ ينسب كتابته إلىٰ أحد المسلمين وبينا عدم معقولية هذا الرأي وليس له ما يعضده من البراهين والشواهد فيما سبق.

الفصل الرابع

كتابات آباء الكنيسة الأوائل

والمجامع النصرانية

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: كتابات آباء الكنيسة الأوائل.

المبحث الثاني: المجامع النصرانية، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريفها ونشأتها وأهميتها

المطلب الثاني: أقسام المجامع المسيحية

المطلب الثالث: أهم المجامع النصرانية وأبرز قراراتها

المبحث الأول
كتابات آباء الكنيسة الأوائل

تعد كتابات آباء الكنيسة الأوائل من أهم المصادر المسيحية، بل يمكننا القول إن هذه الكتابات تعتبر هي المصدر الأساسي لبناء الديانة النصرانية الجديدة برمتها، وأهم تلك الكتابات هي الكتابات التي كُتبت منذ القرن الأول إلىٰ ما قبل مجمع نيقية،أي إلىٰ بدايات القرن الرابع للميلاد، فبناء قانون الإيمان المسيحي، واختيار الكتب المقدسة أيضا كان بناء علىٰ ما كتبته أيدي آباء الكنيسة الأوائل، ويمكن إلقاء الضوء علىٰ المصدر في الأسطر التالية:

أ- مفهوم كتابات آباء الكنيسة الأوائل:

يُعرَف علم البحث في حياة آباء الكنيسة وتعاليمهم وأقوالهم بعلم الباترولوجي "*Patrologia*"، وهي مأخوذة من الكلمة اليونانية(*Patir*) أي أب[1]، وتأتي هذه الكتابات لآباء الكنيسة ضمن ما يصطلح عليه عند النصارىٰ بالتقليد الكنسي، ويطلق علىٰ هذا التقليد في الإنجليزية Tradition(تراديشن) ويطلق عليه في اليونانية Paradises (بارادیسیس)، والمعنىٰ الحرفي لهذا المصطلح هو : التسليم من يد إلىٰ يد.

وأما في الاصطلاح الكنسي فيعرف بأنه ما تسلمه النصارىٰ من كتابات تلاميذ المسيح وآباء الكنيسة الأوائل.

ويعتقد النصارىٰ أن مصادر التقليد بوجه عام هي من عدة مصادر أبرزها تعاليم المسيح الغير مكتوبة والتي نقلها لنا أولئك الآباء، ثم تعاليم تلاميذ المسيح التي

(١) انظر: نظرة شاملة لعلم الباترولوجي، القمص تادرس يعقوب ، ص١.

يطلق عليهم الرسل، وقد جاءت كتاباتهم في مصادر مهمة مثل الدسقولية -وهو كتاب يضم وصايا وتعاليم ينسب إلىٰ تلاميذ المسيح- وكذلك ما جاء في رسائل بولس، ثم تعاليم الآباء الرسوليين الذين استلموا الكنيسة من تلاميذ المسيح باعتقادهم، ومن أبرزهم أغناطيوس وبوليكاربوس وإكليمندس، ثم ماجاء في قوانين المجامع المسيحية، وقد أفردنا لها المبحث التالي لأهميتها.

ب- أهمية هذه الكتابات:

تعتبر هذه الكتابات مصدرا أساسيا ومهما في مصادر المسيحية، وقد جاء الحث علىٰ اتّباعها في النصوص القديمة كرسائل بولس وكتب آباء الكنيسة الأوائل، كقول بولس: "وتمسكوا بالتعاليم التي تعلمتموها سواء بالكلام أم برسالتنا" (تسالونيكي الثاني ٢/ ٥)

وقد ذكر المؤرخ الكنسي يوسابيوس ٣٤٠م عن القديس أغناطيوس ١٠٨م أنه كان يكتب تقاليد الرسل فيقول عنه: كان يشدد الكنائس وينصحهم للتمسك بالتقاليد.. وكان يدعم تلك التقاليد بأدلة يكتبها"[(١)].

ويقول إكليمندس ٢١٥م :" لقد حافظ هؤلاء الأشخاص علىٰ علىٰ التقليد المسلم مباشرة من الرسل القديسيين.. حتىٰ وصل إلينا بإرادة الله".

ويقول القديس أوغسطين ٤٣٠م: " إن كل التقاليد الموجودة في الكنيسة هي لسان حال الروح القدس".

ويقول يوحنا فم الذهب ٤٠٧م: " الرسل لم يكتبوا كل شيء بل علموا أشياء

---

(١) تاريخ الكنيسة، يوسابيوس القيصري ص١٥١ وانظر: Ante- Nicene Fathers, Philip schaff,volume1.p360

كثيرة غير مكتوبة"[١].

ومما يبرز أهمية هذه الكتابات أنها كانت جزء لا يتجزأ من تعاليم وقدسية الكتاب المقدس، إلىٰ أن ظهرت البروتسانتية في القرن السادس عشر الميلادي وجعلت إيمانها يرتكز علىٰ الكتاب المقدس وحده، إلا أنها جوبهت من قبل الكنائس الأخرىٰ التي لا زالت تتمسك بالتقليد، وقد اشتهر قول العالم أريجانوس " بالتقليد عرفت الأناجيل الأربعة أنها صحيحة"[٢].

ج- أبرز كتابات تعاليم الآباء الأوائل للكنيسة:

هناك جملة من الكتابات المنسوبة إلىٰ آباء الكنيسة الأوائل والتي اعتبرت كمصادر مهمة للإيمان المسيحي، ويعتقدون أن هذه الكتابات الآبائية تلقاها أولئك الآباء عن أسلافهم إلىٰ أن دونوها ومن أبرزها ما يلي - كأمثلة-:

الدسقولية: وتسمىٰ تعاليم الآباء الرسل، وهو يعتبر من أهم المصادر المسيحية عند الكنيسة الأرثوذكسية ، بل يعد الكتاب الثاني من حيث الأهمية لديهم بعد الكتاب المقدس، ويزعمون أن هذا الكتاب مؤلف من قبل التلاميذ وبولس[٣].

والحقيقة أنه لا يمكن الوثوق بهذا الرأي إذ إن الدسقولية تتناقض في النص علىٰ كاتبها، فهي حينما أثبتت كتابتها من قبل تلاميذ المسيح المعروفون

---

(١) انظر: التقليد، القس إنجيلوس، ص ١٦.١٩.٤٢و نظرة شاملة لعلم الباترولوجي، القمص تادرس يعقوب ، ص٢.

(٢) انظر: What is Sacred Tradition, Mark-Shea.com و Ante- Nicene Fathers, Philip schaff,volume1.p55

(٣) انظر: الدسقولية ص٢.

بالرسل في قولها: " وكنا قد قررنا قوانين ووضعناها.."[١] إلا أنها في موضع آخر تشير إلىٰ مواضع من إنجيل يوحنا مما يعني أنها كتبت بعد القرن الأول، إذ أن إنجيل يوحنا كتب في آخر القرن الأول، مما يعني أن كتابتها متأخرة عنهم، وقد جاء فيها: " الذي أحيانا بهذه التعاليم الرسولية علىٰ أفواه رسله الأطهار وعتقنا من رق العبودية"[٢]، وهذا يشعر أن كُتّابها كانوا من غير الرسل - أي رسل المسيح-.

وتشتمل الدسقولية علىٰ مقدمة و٣٨ بابا، وتشمل موضوعات بارزة في المسيحية من أبرزها ما يتعلق بالأساقفة ورجال الكنيسة، وكثير من المواعظ ، بالإشافة إلىٰ التعاليم اللاهوتية والطقسية.

كتابات القديس أغناطيوس١٠٨م والقديس بوليكاربوس ١٥٥ موترتليان ٢٢٣م وكان هؤلاء من أبرز معلمي الكنيسة وآبائها في القرن الثاني للميلاد بالإضافة إلىٰ غيرهم[٣]، فقد كتب أغناطيوس سبع رسائل موجهة إلىٰ مختلف الكنائس، وكتب بوليكاربوس عدة رسائل موجهة إلىٰ الكنائس لم يصلنا منها إلا رسالته إلىٰ أهل فيلبي، وكتب ترتليان عدة كتابات إلىٰ الوثنيين وإلىٰ اليهود وإلىٰ حكام الرومان وكتابات ضد الغنوصية ومقالات في التجسد وقيامة المسيح وغيرها كثير[٤].

---

(١) نفس المرجع ص٤٩.

(٢) نفس المرجع ص٤٠.

(٣) انظر: Ante- Nicene Fathers, Philip schaff,volume1.p360-404

(٤) انظر The History of the Primitive Church, J Lebreton, vol. 2, London, 1944, p. 370. ونظرة شاملة لعلم الباترولوجي، القمص تادرس يعقوب، ص١٤وص٣٢.

كتابات أثناسيوس الرسول ٣٧٣م: وهو أحد أعظم آباء الكنيسة الإسكندرية وحامل لواء التثليث في وجوه الموحدين، وتعد كتاباته مصدرا مهما من مصادر النصرانية المثلثة ومن أهم كتبه الرسالة إلىٰ الوثنيين وكتاب تجسد الكلمة والرسائل إلىٰ سرابيون عن الروح القدس(١)، وقد أصدرته مؤسسة القديس أنطونيوس للدراسات الآبائية بالقاهرة والمقالات الأربع للقديس أثناسيوس ضد الأريوسيين، وقد طبع مؤخرا عدة طبعات.

❖ ❖ ❖

(١) وقد ترجمت كتبه إلىٰ العربية، انظر: رسالته عن الروح القدس، طبعة المركز الأرثوكسي للدراسات الآبائية بالقاهرة، ترجمها من اليونانية:د/ موريس تاوضروس ود/ نصحي عبد الشهيد، الطبعة الثانية،٢٠٠٥م.

المبحث الثاني

المجامع النصرانية

المطلب الأول: تعريفها ونشأتها وأهميتها

من الآثار التي لحقت بالنصارىٰ بعد رفع المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ نتيجة للاضطهادات المتلاحقة، وضياع الإنجيل الصحيح الذي أنزل علىٰ عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ونشأة كثير من الفرق، التي يخرج كثير منها عن تعاليم المسيح، وجد النصارىٰ أنفسهم في خضم كل تلك الأمور، تتقاذفهم الأمواج في بحر الوثنيات المتلاطمة، فحاولوا جمع شتاتهم للنظر في النوازل المحدثة، ولمحاولة جمع كلمتهم عقدوا ما يسمىٰ بالمجامع، تلك المجامع التي أصبحت مصدرا مهما في تشريع عقائدهم وإقرار شرائعهم.

وفيما يلي إلقاء الضوء علىٰ هذه المجامع:

أ-تعريفها:

المجامع هي عبارة عن اجتماعات تنظمها الكنيسة يجتمع فيها كبار رجال الدين للبت في الأمور الدينية. أو كما يعرفها ميشيل جرجس هي: "بأنها هيئات شورية في الكنيسة المسيحية، رسم الرسل نظامها في حياتهم، إذ عقدوا المجمع الأول في أورشليم سنة ٥١م، برئاسة أسقفها يعقوب الرسول، للنظر في مسألة ختان الأمم، ومن ثم نسجت الكنيسة بعد ذلك علىٰ منوالهم"(١).

وأصل كلمة هذه المجامع الدينية تسمىٰ بالينودس (Synods)، وهي مشتقة من الكلمة اليونانية سوندوس (Sundos)، التي تعني الاجتماع من أجل المناقشة في

(١) أعمال الرسل ١/ ١٥ ومجموعة الشرع الكنسي، الأرشمندريت: حنانيا إلياس كساب، ص١.

القضايا اللاهوتية للوصول إلىٰ اتفاق عام حولها.

ويعد في الأدبيات المسيحية الإغريقية مصطلح (Syond) سيوند، في غالب الأحيان علىٰ ملتقيات دينية محلية ضيقة، بينما يعد مصطلح الجمع (council) سيونسل، عنوانا للاجتماعات المسكونية ذات الصبغة العالمية.

ب- أسباب نشأتها:

السبب البارز في نشأتها هو رسم مسار العقائد المسيحية بعد التجاذب الكبير والاختلاط بينها وبين العقائد الوثنية الدخيلة علىٰ المسيحية، وذلك بعد أن دخل كثير من الوثنيين واليهود في الديانة النصرانية، الذين سعىٰ بعضهم إلىٰ زعزعة الأسس العقدية لديانة المسيح عليه السلام، وساعد علىٰ ذلك شتات النصارىٰ وعدم اجتماع كلمتهم، مع عدم وجود السلطة الدينية المتفق عليها فيما بينهم.

يقول نيافة الأنبا يوأنس: "وما لبثت المتاعب أن ظهرت من ناحية الأميين الوثنيين، بعد أن اتسعت دائرة الإيمان، وكثر عدد المؤمنين منهم، أولا: عن طريق الاضطهاد الخارجي الذي أثارته الوثنية، ممثلة في الدولة الرومانية، وثانيا: عن طريق بعض المحاولات التي قام بها بعض المفكرين والفلاسفة الوثنيين المتنصرين لتفسير المسيحية.."[1] مع العلم بأن كثيرا من الداخلين الوثنيين لم يتزحزحوا عن معتقداتهم الوثنية.

ويبدو أن السبب الحقيقي في دخول الوثنيين وعدم تركهم لعقائدهم هي التنازلات الكبيرة التي تنازل عنها النصارىٰ لجلب الوثنيين للديانة الجديدة والتي دعا إليها بولس -كما سبق- ونسبت إلىٰ تلاميذ المسيح زورا.

---

(١) محاضرات في التاريخ الكنسي، للأنبا يوأنس ص١١. وأعمال الرسل، ١٥.

ت- بداياتها:

تقدم الكلام عن ذكر أول اجتماع للنصارىٰ بعد رفع المسيح من قبل تلاميذ المسيح، غير أننا رجحنا أن ذلك المجمع كان لا يمثل كل المسيحيين الحقيقيين، بل كان مقتصرًا علىٰ بولس وتلاميذه فقط وطرحنا علىٰ ذلك البراهين المبرهنة علىٰ ذلك، ولذلك لا يعد - من وجهة نظري مجمعا بالمعنىٰ المقصود هنا-.

أما باكورة المجامع المتفق عليها من قبل النصارىٰ فقد كانت منذ منتصف القرن الثاني للميلاد، للنظر في بدعة منتانوس ٣١١م، وعقدت عدة مجامع في أفسس في أواخر القرن الثاني للميلاد، وفي فلسطين وبلاد ما وراء النهرين وبلاد البنط.

وقد ذكر ترتليانوس في بعض كتاباته، إلىٰ أن أول المجامع ورد في رسالة من فرمليانوس أسقف قيصرية فبادوكية، إلىٰ القديس كبريانوس في أوائل القرن الثالث.

ومما يدل علىٰ انعقادها قبل القرن الثالث للميلاد أن الدسقولية - وهي تعاليم الرسل- تقول في الباب الثامن منها: "يكون -أي الأساقفة- اجتماعكم للأحكام يوم الاثنين، فإن كان ثمة خصومة فصلتموها، وتكونون متفرغين للوعظ طول الجمعة إلىٰ يوم السبت، لتنقضي الخصومة، فإن كان يوم الأحد المقدس تكونون قد أصلحتم بين المتخاصمين، ليحضر معكم يا أساقفة الشمامسة والقسوس..."[(١)].

وهنا يتبين أن هذه المجامع المكانية تعقد كل أسبوع تقريبا، ثم لما كثر الاضطهاد عليهم وأحكم عليهم الخناق لجؤوا إلىٰ عقدها مرتين في السنة الواحدة.

يقول الكاتب النصراني حبيب سعيد في ذلك: "وسرعان ما تقرر كعرف متواضع عليه، وقانون مسلم به، أن يجتمع أساقفة الكنائس المستقلة في عاصمة الولاية، مرة

---

(١) الدسقولية ص١٤.

في الربيع وأخرىٰ في الخريف...وما انقضت سنوات قلائل حتىٰ عمَّ هذا النظام كل أرجاء الإمبراطورية."[١]

وهنا يبين أن المجامع قد أقيمت من قبل المسيحيين قبل رفع الاضطهاد عنهم وانعقاد المجامع القانونية بفترة طويلة، إذ إن المجامع القانونية لم تعقد ابتداء إلا في القرن الرابع عام ٣٢٥م وأولها مجمع نيقية، فالمجامع المسكونية القانونية كانت امتدادا للمجامع غير القانونية، غير أنها كانت أعم من حيث عدد وتنوع الأعضاء، وأعطيت صفة القداسة والقوة الملزمة للعالم المسيحي، والقدرة علىٰ عقاب مخالفيها، وحرمانهم بقوة السلطان.

خ- أهميتها:

كان الغرض -باعتقاد النصارىٰ -من إقامة هذه المجامع هو الحفاظ علىٰ روح وحدة الكنيسة، وتثبيت معتقداتها فقد تقررت كل العقائد النصرانية الجديدة أو جلها علىٰ يد هذه المجامع.

فترجع أهمية دراسة هذه المجامع إلىٰ كونها الركيزة الأساسية في بناء النصرانية الجديدة، فجلُّ العقائد التي يدين بها النصارىٰ أخذت عن تلك المجامع، فقد رسمت التقاليد الكنسية التي يسير عليها النصارىٰ إلىٰ الآن، وكانت بمثابة أداة بأيدي الأباطرة والملوك ورجال الكنيسة، لضرب الحركات التي ترنوا إلىٰ تصحيح الديانة النصرانية.

إلا أن الملاحظ علىٰ تلك المجامع، عوضا عن أن تكون واسطة لجمع أعضاء الكنيسة، قد صارت سببا لتمزيقها وتحقيق رغبات زعماء النصرانية - كما يقول العالم البروتسانتي ميخائيل مشاقة - وكانت إفادتها مقصورة علىٰ "نوال مشتهيات الرؤساء المجتمعين فقط بأنهم ثبتوا لأنفسهم الدرجات السامية والسلطة المدنية

(١) تاريخ المسيحية، حبيب سعيد، ١/ ٨٩.

والكنائسية.. وزعموا أن ما عملوه هو ترتيب الروح القدس الذي لا يعرفونه، وكانت نعمته بعيدة عنهم، وهذا مما لا يجب أن نشك فيه "[١].

فتبين من هذا أن المجامع النصرانية أحدثت بعد عصر المسيح بثلاثة قرون وذلك بعد أن مرت علىٰ النصارىٰ كثير من الاضطهادات المتلاحقة، والمجامع هي مكان اجتماع لزعماء الكنائس للتباحث والتشاور وتقرير القرارات الدينية الملزمة للعالم المسيحي، ومن أبرز أسباب قيامها هو إرادة زعماء الكنيسة رسم مسار واضح تسير عليه الديانة بعد أن تقاذفتها كثير من الاتجاهات الوثنية واختلاطها بها نتيجة تلك الاضطهادات، وقد بدأت - كما يذكر سفر أعمال الرسل- منذ رفع المسيح حيث اجتمع التلاميذ وقرروا فيه إسقاط أحكام التوراة، ورجحنا فيما سبق أن هذا المجمع كان من قبل بولس وحاشيته، ولا ينسب إلىٰ التلاميذ ودعمنا ذلك بالمرجحات، ومن المجامع المكانية الأولىٰ أيضا المجمع الذي انعقد للنظر في بدعة منتانوس قس منتصف القرن الثاني للميلاد، ثم عقدت بعده عدة مجامع في أواخر القرن الثاني وبدايات القرن الثالث، وكانت تعقد أيضا كل أسبوع، أما المجامع المسكونية العالمية، فكان أول مجمع في القرن الرابع عام ٣٢٥م في مجمع نيقية، فالمجامع تعتبر لها أهمية عظيمة عند النصارىٰ فقد تقررت كل العقائد النصرانية الجديدة أو جلها علىٰ يد هذه المجامع، وكانت مع ذلك أيضًا سببا لتمزيقها، فلم يعرف تاريخ النصرانية انتهاء عقد مجمع باتفاق المجتمعين، بل كان يختم باللعن والطرد من بعضهم لبعض.

(١) البراهين الإنجيلية ضد الأباطيل البابوية، كاتب إنجيلي [بروتستانتي] ص٧

المطلب الثاني: أقسام المجامع المسيحية

تنقسم المجامع إلىٰ قسمين:

١- مجامع مسكونية أو عالمية.

٢- مجامع مكانية.

ويعنون بالمجامع المسكونية: هي التي يشهدها ممثلون من جميع الكنائس في جميع الأقطار، ويبلغ مجموع هذه المجامع المتفق علىٰ مسكونيتها سبعة مجامع وهي:

مجمع نيقية ٣٢٥م، والمجمع القسطنطيني الأول٣٨١ م، ومجمع أفسس ٤٣١م، ومجمع خلقيدونية ٤٥١م، والمجمع القسطنطيني الثاني ٥٥٣م، والمجمع القسطنطيني الثالث ٦٨١م، ومجمع نيقية الثاني ٧٨٧م.

وأما المجامع المكانية: هي التي تعقدها الكنائس في حيزها الخاص، لإقرار عقائد معينة أو رفضها، وللنظر في بعض الشؤون المحلية الخاصة، وذلك لتدبير أمورهم الخاصة [(١)].

(١) انظر: تاريخ الأقباط، زكي شنودة ١/ ١٧١. مجموعة الشرع الكنسي، الأرشمندريت: حنانيا إلياس كساب ص١٠، ٤٠، ٣٦٤ وعصر المجامع، القمص كيرلس الأنطوني، ص٢٢.

المطلب الثالث: أهم المجامع النصرانية وأبرز قراراتها

أولا: مجمع نيقية: يعدُّ مجمع نيقية عام ٣٢٥م من أهم المجامع التي مرَّت علىٰ المسيحية علىٰ مدىٰ تاريخها؛ إذ قد تقرر فيه قانون الإيمان المسيحي الذي تؤمن به جميع الكنائس المثلثة، والذين أطبقوا علىٰ الاعتقاد بألوهية المسيح ومساواته لله في الجوهر، وفيما يلي دراسة قانون الإيمان المسيحي في ظروف هذا المجمع دراسة تفصيلية كحدث تاريخي مهم غيَّر مجرىٰ الديانة النصرانية برُمَّتها، فكل القوانين التي جاءت بعده إنما هي إضافات عليه أو توجيه لأحد المعاني التي وردت في هذا القانون:

أوَّلاً: تعريف قانون الإيمان المسيحي:

القانون هو تعريب لكلمة (Su,mbolon– Symbolon) اليونانيّة وهي كلمة إغريقية الأصل[١] وقيل إنها رومية وقيل فارسية[٢].

وقد انتقلت كلمة "قانون" إلىٰ العربية بأصلها اليوناني، وهي بمعنىٰ القاعدة أو العصا المستقيمة، ويفسر ذلك انتقالها إلىٰ اللغات الأخرىٰ بمعنىٰ "مستقيم".

وقد عبرت عنها اللغة الانجليزية بلفظ kanon والفرنسية بكلمة Droit وتقابلها في الإيطالية"Recht وفي الألمانية "Diritto" [٣] وهي بمعنىٰ الأنظمة والقواعد التي

---

(١) انظر: الآباء الرسوليون، المطران كيرلس سليم والأب حنا الفاخوري والأب جوزيف البولسي، ص١٤ وتاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، المطران كيرلس سليم، والأب حنا الفاخوري، والأب جوزيف البولسي، ص١٤.

(٢) انظر: المعجم الوسيط، طبعة١٩٨٥ – الجزء الثاني ص٧٩٣.

(٣) انظر: المنهج القانوني بين الرأسمالية والاشتراكية، ثروت أنيس الأسيوطي مقال بمجلة مصر المعاصرة –عدد يوليو ١٩٦٨م ص٦٦٠وما بعدها، والمدخل للعلوم القانونية – نظرية القانون – د/ أحمد محمد الرفاعي، ٢٠٠٧، www.pdffactory.com..

تنظم علاقة الفرد والجماعة[١].

وأما في الاصطلاح الكنسي: "هو العلامة التي تسلمها الرسل من المسيح وسلموها بدورهم إلىٰ خُلفائهم ومنهم إلىٰ سائر المسيحيين وبها يتعارفون"[٢].

أو هو "كلمةُ الله التي ألقىٰ بها المسيح السيّد والروح القدس إلىٰ الرّسُل، وينقلها بحذافيرها إلىٰ خُلفائهم"[٣].

وقد يرد مسمىٰ هذا القانون في مصادر النصارىٰ بلفظ "التعاليم المقدسة" أو "التقليد الكنسي" أو "التقليد الرسولي"[٤].

ويمكن القول بأن تعريف قانون الإيمان المسيحي هو: عبارة عن مجموعة من الألفاظ التي لخصت عقائد النصارىٰ الجديدة التي كانت نتاج المجامع الكنسية والتي تأخذ صفة الإلزام لعموم النصارىٰ.

ثانيا: أهميته:

يعتبر هذا القانون هو القاعدة التي يجب علىٰ كل مسيحي أن يؤمن بها، ورغم اختلاف فرق النصارىٰ إلا أنه لا يزال مشتركا بين جميع كنائس الشرق والغرب الكبرىٰ.

---

(١) انظر: المدخل إلىٰ القانون، حسن كيره،ص١٢ والمدخل للعلوم القانونية - نظرية القانون - د/ أحمد محمد الرفاعي www.pdffactory.com.

(٢) الآباء الرسوليون، المطران كيرلس سليم والأب حنا الفاخوري والأب جوزيف البولسي، ص١٤.

(٣) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، الجزء الأول، بهمة الشماس: جورج يلدا، لندن، ٢٠١٢، www.chaldean.org.uk، ص١٩ وموسوعة الأديان الحية، ر.س.ريفنز، المسيحية. ج.ج.ديفز، ص١٧٧.

(٤) مجموعة الشرع الكنسي م،الأرشمندريت: حنانيا إلياس كساب.

ولهذا يرى علماء اللاهوت النصارى أن دراسة قانون الإيمان المسيحي هو بمثابة دراسة مجموع علوم الكنيسة، يقول مارتن لوثر: (إن قانون الإيمان هو ملخص عقيدتنا وتعاليمنا)[١].

وقد جاء في موسوعة من تراث القبط: "القانون الكنسي هو التعبير عن حياة الكنيسة.. ولذلك فإن دراسة القانون الكنسي تعني في حقيقة الأمر دراسة مجموع علوم الكنيسة"[٢].

يقول البابا شنودة الثالث: "قانون الإيمان هو أساس عقيدتنا المسيحية وتؤمن به كل الكنائس المسيحية في العالم أجمع والذين لا يؤمنون به لا يعتبرون مسيحيين"[٣].

ويقول أستاذ علم اللاهوت في جامعة برمنجهاج.ج.ديفز عن اعتقاد الكنيسة البروتستانتية لقانون الإيمان المسيحي إن هذا القانون (هو الوحيد الذي يمكن القول: إنه حاز قبولا عالميا)[٤]

وهذا أيضا هو ما قرره علماء المسلمين، الذين ردوا على قانون الإيمان المسيحي، أو عقيدة الأمانة - كما يسمونها- كالقاضي عبد الجبار٤١٥هـ: (وهي أصل الأصول عند جميع هذه الطوائف لا يتم لأحد منهم عندهم إيمان إلا بها)[٥].

ويقول القاضي أبو البقاء الجعفري ٦٦٨هـ حيث يقول (هذه الأمانة التي أجمع عليها اليوم سائر فرق النصارى... وهي التي يزعمون أنهم لا يتم لهم عيد ولا قربان

---

(١) أصول التعليم المسيحي، الكتاخسيمس الصغير، مارتن لوثر، ص٨٥

(٢) موسوعة من تراث القبط، سمير جرجس المجلد الخامس، ص٥.

(٣) نفس المرجع.

(٤) موسوعة الأديان الحية، ر.س.ريفنز، المسيحية. ج.ج.ديفز، ص١٨٢.

(٥) تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار ١/ ٩٤.

إلا بها وهي مع كونها لا أصل لها في شرع الإنجيل ولا مأخوذة من قول المسيح)[١]

ويقول الإمام القرافي٦٨٤هـ بعد أن ذكر أن هذا القانون هو العقد الذي اجتمعوا عليه ثم قال: (ولم يختلفوا في ما اشتمل عليه)[٢]

فيعتبر هذا القانون هو المصدر الرئيس في عقائد النصرانية الجديدة، فقد جمع كل الاعتقادات الأساسية التي بنيت عليها هذه الديانة كما يقول البابا شنودة الثالث: (ويشمل قانون الإيمان الحقائق الإيمانية الأساسية وهي:

١- وحدانية الله، إذ يبدأ بعبارة " بالحقيقة نؤمن بإله واحد"

٢- عقيدة الثالوث القدوس. ولاهوت كل أقنوم وعمله.

٣- عقيدة التجسد والفداء والخلاص.

٤- عقيدة المعمودية لمغفرة الخطايا.

٥- عقيدة قيامة الأموات، والحياة الأخرىٰ في الدهر الآتي

٦- عقيدة المجيء الثاني للمسيح حيث تتم الدينونة

٧- الكنيسة الواحدة المقدسة الجامعة الرسولية")[٣]

ثالثا: إقراره وتقنينه في مجمع نيقية:

قنن هذا القانون في أول مجمع مسكوني عالمي في تاريخ المسيحية، وهو أهم مجمع علىٰ الإطلاق، فما هي الأسباب التي أدت إلىٰ عقده؟ وما هي نتائجه، وماهي الأحداث التي صاحبت ذلك؟ كل ذلك سيتبين في الآتي:

---

(١) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، القاضي أبو البقاء الجعفري ٢/ ٥٠٣.

(٢) أدلة الواحدانية في الرد علىٰ النصرانية، للإمام القرافي، ص٦٥.

(٣) قانون الإيمان،البابا شنودة الثالث، ص٢.

أولا: أسباب عقد مجمع نيقية:

أ- النزاع الشديد بين الآريوسسين الموحدين وبين الأثناسيوسيين القائلين بألوهية المسيح:

ظهرت علىٰ سطح المسيحية آراء كثيرة مختلفة فيما بينها قبل انعقاد هذا المجمع، وكانت سببا رئيسا في انعقاده، وكانت أبرز الآراء التي أحدثت ضجيجا كبيرا بين أوساط النصرانية آنذاك، هي حركة آريوس الليبي الذي كان يقول: إن الأب وحده هو الله، وأن الابن مخلوق مصنوع، وقد كان الأب إذ لم يكن الابن، وقد هاجم آريوس عقيدة ألوهية المسيح وأزليته، ودعا إلىٰ توحيد الإله الأزلي الذي لا يماثله شيء، وكان آريوس يُعرف بأنه واعظ بارع وزاهد متقشف، وذو معرفة دينية واسعة(١).

وتعد الحركة الآريوسية مضادة تمام التضاد لتعاليم بولس، الذي تبعته عليها كثير من الكنائس لا سيما الكنيسة الإسكندرية التي بنت أساسها علىٰ تعاليم بولس وأبرزها تعاليمه في تأليه المسيح، ولهذا فإن النصارىٰ يعدون حركة آريوس من أهم الحركات التي واجهت الكنيسة في تاريخها علىٰ الإطلاق.

يقول توماس تورانس :" لا عجب أن آباء نيقية اعتبروا أن الآريوسية هي أخطر الهرطقات علىٰ الإطلاق، لأنها طعنت في صميم جذور إيمان الكنيسة بإثارة الشكوك حول ألوهية المسيح"(٢).

(١) انظر The Council of Nicaea addressing of the Arianism controversy and its implication for the church. Hibbert, B.p.6

2 الإيمان بالثالوث، توماس ف.تورانس، ص١٧٦.

ويقول ج، ويللر: "تحتل الآريوسية المقام الأول من حيث قوتها واتساعها وديمومتها،كانت كنيسة مستقلة كبرىٰ، مع أساقفة ولاهوتيين ومجامع خاصة، هزت سلطتها أحيانا سلطة المجامع مستقيمة الرأي"[(١)]

ومع ذلك تعدُّ حركة آريوس من أخطر الحركات التي مرت علىٰ النصرانية علىٰ مر تاريخها، كما يعتقد أتباع المدرسة الأثناسيوية ولذلك يصفون آريوس وأتباعه بالملاحدة والهراطقة وغيرها من الأوصاف[(٢)].

ولا غرابة أن رأي آريوس في المسيح يقابل بكل هذه القوة والقسوة والاهتمام، من قبل القائلين بألوهية المسيح، وذلك لأن الاعتقاد برأي آريوس يهدم النصرانية الجديدة من أساسها.

ب- ميل الإمبرطور الروماني قسطنطين إلىٰ عقائد المثلثين في مجمع نيقية:

وقد كان له أثر بارز في تقنين النصرانية المحرفة، وذلك عندما مال إلىٰ عقائد المثلثين علىٰ عقائد الموحدين في جمع نيقية - كما سيأتي عند الحديث عن قسطنطين -.

ت- رغبة النصارىٰ في إنشاء أساس عقدي معتمد يسيرون عليه:

وذلك بعد ضياع الأساس الذي يسيرون عليه، عندما تقاذفتهم الأفكار الوثنية، والمذاهب الفلسفية، وفقدوا إنجيل المسيح، وانفصلت كثير من فرقهم المنحرفة انفصالا معنويا عن تعاليم وشرائع التوراة، وبزوغ الفرق المتناحرة التي يؤمن كل منها حسب ما يوافق هواه، مع الاختلاف الدائر حول شخص المسيح، أهو رسول من عند

---

(١) الهرطقة في المسيحية، ويللتر ص٧٦.وانظر: نظرة عن قرب في المسيحية، برابارا براون، ص٣٦. وكنيستي السريانية، المطران إسحاق ساكا، ص٣٩

(٢) تاريخ المسيحية، حبيب سعيد، ١/ ١٤٧ وعلم اللاهوت، مينا ميخائيل، ١/ ٢٤٧وانظر: تاريخ الفكر المسيحي، القس حنا جرجس ١/ ٦١٩.

الله فقط من غير أن تكون له منزلة أكثر ممن له شرف السفارة بين الله وخلقه؟ أم له بالله صلة خاصة أكبر من رسول، وهل هو من الله بمنزلة الابن، لأنه خُلق من غير أب، أم أنه مخلوق كسائر البشر لولادته من أم، أم أنه ليس مخلوق لأنه كلمة الله وله صفة القدم، كما لله تلك الصفة.

لأجل ذلك كله استشعر النصارىٰ ضرورة تحديد قانون يسار عليه في خضم كل تلك الاتجاهات[١].

ولهذا يقول كيرلس المقدسي ٤٤٤م وهو أحد قديسي الكنيسة الأرثوذكسية الأوائل: "عند تعليم العقيدة المسيحية وعند الاعتراف بها، فإن الأمر يتطلب أن تستوعب وتحفظ ما سلمته لك الكنيسة فحسب، لذا فقد اختصرنا كل العقائد الإيمانية المسيحية في سطور قلائل...لذا أقول لكل الحضور: أصغوا وأنا أتلوا عليكم ببساطة قانون الإيمان المسيحي..."[٢]

ث- تناقض الكتب المقدسة التي بأيديهم:

من ضمن أهم الأسباب التي أدت إلىٰ إقرار قانون الإيمان المسيحي، تناقض الكتب المقدسة التي بأيديهم، ولأجل هذا التناقض الحاصل بين نصوصها، اعتبرت الكنيسة أن مطالعة الكتب تعد هرطقة كفرية، وقصروا تفسيرها علىٰ رجال الكنيسة.

ولهذا فإن إباحة مطالعة الكتب كان من ضمن أهم مبادئ الطائفة البروتستانتية، التي جابهت بها كنيسة روما"[٣].

---

(١) انظر: Describe the contribution and impact of The Council of Nicea to the Church. Emberson, I., 2009.p.3

(٢) موسوعة الأديان الحية، ر.س.ريفنز، المسيحية. ج.ج.ديفز، ص١٨٠.

(٣) كتب المباحث في اعتقادات بعض الكنائس، كاتب إنجيلي[بروتستانتي] ص٧.

ولذا فلا يبعد عن الحقيقة القول بأن تلك التناقضات بين نصوص الكتب، أوردت رغبة لدىٰ رؤساء الكنيسة بإيجاد البديل الواضح، ورأوا أنه يكمن في عقد مجمع نيقية حيث يتم الاتفاق فيه علىٰ مبادئ وأسس الإيمان المسيحي.

ج- منافسة التعاليم الفلسفية الوثنية:

لا شك أن لانتشار التعاليم الفلسفية أثرًا بارزًا في إقرار قانون الإيمان المسيحي، فقد انتشرت التعاليم الفلسفية في ذلك العصر انتشار النار في الهشيم بين العوام، فضلا عن المفكرين والقادة، فأرادت الكنيسة أن تنافس تلك التعاليم، فأدركت أن عليها أن تتمكن من حيازة عقيدة واضحة ودقيقة وأخذت في مجملها تتبنىٰ السرد التبريري أمام تلك الفلسفات(١).

ومع ذلك الانتشار الواسع لشتىٰ الفلسفات والديانات الفلسفية الوثنية، ناهيك عن أن كل ديانة من تلك الديانات تعرض أحسن ما لديها، بقصد جذب الداعمين لها والمنتمين إليها في سباق محموم، في خضمّ ذلك، دخلت المسيحية ذلك السباق، متأهبة للفوز به، ولأجل هذا الهدف، غيّر رُوَّادها كثيرا من طقوسها، بل حتىٰ من أصولها لأجل مواكبة تلك الفلسفات. يقول بعض المؤرخين الغربيين: "ومن عساه قادر علىٰ استجابة هذا الأمل الكبير غير المسيحيين؟ هذا الإله الذي ضحَّىٰ بابنه الوحيد لإنقاذ البشرية، وإنقاذ كل إنسان بوجه خاص، عن طريق عمل لم يحدث أن فكر به من قبل أي من آلهة الوثنيين"(٢).

---

(1) The Cambridge History of Chritianity, Edited by; Margaret Mary M. Mitchell and Frances M.YOUNG,p107 and,p.145

(٢) الهرطقة في المسيحية ص٤٦. وانظر: موسوعة الأديان الحية، ر،س.رينز. الديانة النصرانية، ج.ج.ديفز، ص١٦١-١٦٢.

وهذا يعني الاعتراف بآلهة الوثنيين ولأجل عدم تفكير أي من تلك الآلهة قتل نفسه أو الانتحار لأجل خلاص البشر قرر المسيح قتل نفسه لأجل ذلك الخلاص - وشرُّ البلية ما يضحك-.

ثانيا: انعقاد المجمع ونتائجه:

خشي الإمبراطور قسطنطين أن يؤثر الاختلاف الدائر بين النصارىٰ علىٰ وحدة الإمبراطورية، فرأىٰ إقرار المسيحية كديانة للإمبراطورية، فحاول أن يوفق بين المذهب الآريوسي والإثناسيوسي، فأرسل هوسيوس أسقف قرطبة وصديق الإمبراطور إلىٰ الإسكندرية لهذا الغرض، ولكن جهوده لم تكلل بالنجاح.

فلما استيئسوا من ذلك خلص الإمبراطور إلىٰ ضرورة عقد مجمع، يقرر فيه العقائد التي يتفقون عليها، وفيما يلي عرض موجز لأحداث ذلك المجمع:

أ- توافد أعضاء المجمع:

تلبية لدعوة الإمبراطور سارعت كل الكنائس إلىٰ إرسال ممثلين لها، ومبعوثين عنها إلىٰ ذلك المجمع، فبلغ عدد الآباء الروحيين الذين حضروا المجمع ٢٠٤٨ أسقفا، وافترقوا إلىٰ ما بين مؤيدين ومعارضين لرأي آريوس، ولكن العدد الأكبر كان مع رأي آريوس.

وقد حضر ذلك المجمع عدد من رؤساء الكنائس من الأساقفة والبطاركة وغيرهم، فقيل إنه حضر ٣١٨ أسقفا، منهم ٣١٠ من الشرق و٨ أساقفة من الغرب، وقيل إنهم ٣٠٠ أو ٢٥٠، وقيل أكثر من ثلاثمائة أسقف، وقيل أيضا أن عددهم كان ٢٠٤٨ أسقفا[(١)]، وقيل غير ذلك، ولكن المهم أن الحضور كان ممثلا للجميع الكنائس من مختلف الأطياف.

---

(١) انظر: محاضرات في التاريخ الكنسي، للأنبا يوأنس ص٣٢ وكنيسة مدينة الله أنطاكية العظمىٰ، أسعد رستم ص١٩٨.

ب- آراء أعضاء المجمع:

تباينت مذاهب هؤلاء الأساقفة فيما بينهم تباينا كبيرا في اعتقادهم في المسيح، فمنهم من كان يقول: إن المسيح ليس إلها ولا ربا وأن له صفة التبني علىٰ سبيل الإكرام لا الحقيقة وهو رأي آريوس.

ومنهم من كان يقول: إن المسيح وأمه إلهان من دون الله، وهم البرابرانية.

ومنهم من كان يقول: إن المسيح من الأب بمنزلة شعلة نار انفصلت من شعلة نار، فلم تنقص الأولىٰ بانفصال الثانية، وهي مقالة سابليوس.

ومنهم من كان يقول: لم تحبل به مريم تسعة أشهر، وإنما مر في بطنها كما يمر الماء في الميزاب.

ومنهم من كان يقول: إنهم ثلاثة آلهة، لم تزل: صالح وطالح وعدل بينهما، وهي مقالة مرقيون وأصحابه.

ومنهم من كان يقول: بألوهية المسيح وهي مقالة بولس وأتباعه.(١)، لكن أهم تلك الآراء هو رأي آريوس ومقالته في عدم ألوهية المسيح ورأي أثناسيوي ومقالته بأن المسيح ابن الله من جوهر الآب.

ت- بدء انعقاد المجمع:

افتتح هذا المجمع الإمبراطور أو من ينوبه بخطاب قال فيه: "في رأيي أنه ليس هناك حرب أو معركة أشد رهبة من الصراع الداخلي في كنيسة الله، ذلك أن هذا

---

(١) انظر: The Council of Nicaea addressing of the Arianism controversy and its implication for the church. Hibbert, B. p.6

الصراع عدو ألدّ من أعداء الخارج"[(١)].

وما إن بدأ المجمع حتىٰ بدأ الصخب واللغط، مما دعا إلىٰ رفع الجلسة وانقضائها دون نتيجة، وفي اليوم التالي قال قسطنطين لآريوس: اشرح مقالتك. فقال آريوس: "أقول: إن الأب كان ولم يكن الابن، ثم خلق الابن من العدم، فكان كلمة له، ثم فوّض الأمر إلىٰ ذلك الابن المسمىٰ كلمة، فحصل علىٰ لاهوت مكتسب وكان هو خالق السماوات والأرض وما بينهما[(٢)].

فآريوس يرىٰ أن الابن وُجد بعد أن لم يكن، وهو ليس من جوهر الأب، بل من جوهر آخر، ولكنه مع ذلك إله، حصل علىٰ ألوهية مكتسبة.

وإذا نظرنا إلىٰ مقالة آريوس بعين الإنصاف، فإننا نجد أنها متناقضة، وهذا التناقض لا شك أنه من نسج خصومه، وهم الأثناسيوسيين، فالتاريخ لم ينقل لنا مقالة آريوس إلا من خلال كتابات خصومه، أما روايات آريوس والآريوسيين عن شرح هذه المقالة فقد دفنت مع رفاتهم ومزقت مع أجسادهم تحت حدّ المقاصل، وتغافل عنها التاريخ.

فكيف يعتقد أنه مخلوق ويعتقد أنه ليس من جوهر الآب أي ليس من جوهر الألوهية، ويعتقد أنه خلق من العدم، ثم يعتقد أنه خلق السموات والأرض وأنه حصل علىٰ ألوهية مكتسبة، وهل تكتسب الألوهية أصلا؟.

---

(١) الهرطقة في المسيحية، ويللتر ص٨١. وانظر: كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمىٰ، أسعد رستم ص٢٠٠. ومعالم في تاريخ الإنسانية، ولز، ص٣٠. والوضع الإلهي في تأسيس الكنيسة، الأنبا كيرلس مقار، ترجمه من الفرنسية، صاب مجلة صهيون، الجزء الثالث، ص٢٠.

(٢) انظر: تاريخ الفكر المسيحي، القس حنا جرجس ١/ ٦٣٤ والقديس أثناسيوس الرسولي، الأب متىٰ المسكين، و محاضرات في التاريخ الكنسي، للأنبا يوأنس ص٣٤. وتاريخ الكنيسة القبطية، منسي يوحنا، ص٢٥١.

ولو أن آريوس أقر بألوهية مكتسبة لوافق أثناسيوي ولانتهىٰ الخلاف، فما الفرق بين إله أصيل وإله مكتسب ما داموا قد اشتركوا في عرض الألوهية؟

ولو صح أن المسيح أقر بأن المسيح ابن الله فلا شك أن ذلك من قبيل المجاز الذي يرمز إلىٰ التكريم والمحبة، وهذا يعني أن البنوة أُطلقت من باب التكريم فقط وليس في الحقيقة، ولهذا نظائر كثيرة حتىٰ من أقوال المسيح كقوله عن اليهود "أنتم أب واحد هو إبليس" فلم يكن يقصد حقيقة هذا وإنما هو علىٰ سبيل المجاز.

ومما يؤيد هذا الطرح أيضا ما حصل في قرارات هذا المجمع من لعن كل من خالف القول بألوهية المسيح وأنه من جوهر الأب، ونص علىٰ المخالفين الذي يقولون بأن المسيح مخلوق أو أنه خلق من العدم -كما سيأتي-.

ولم ينص علىٰ لعن من قال بأن المسيح هو الخالق، مع أن التاريخ الأثناسيوسي المزوّر يروي لنا أن هذه من مقالة آريوس، فلو كان هذا رأي آريوس لنص المجمع عليه، ولكن لم يفطن أولئك الكذبة لهذا الأمر، وإلا لحرفوه ليوافق مزاعمهم.

ح- نتيجة هذا المجمع:

انحاز الإمبراطور قسطنطين إلىٰ القائلين بألوهية المسيح، بل وفرح بأصحاب ألوهية المسيح، وقال لأثناسيوس: "أنت بطل كنيسة الله"، واتفق الجميع علىٰ لعن آريوس وأصحابه، وكل من قال بمقالته [1].

ولتقرير عقيدة القائلين بألوهية المسيح، أصدروا من ضمن قرارات هذا المجمع قانونا يسمىٰ عند النصارىٰ بقانون الإيمان المسيحي، أو قانون الإيمان النيقوي.

(١) انظر: Emperor Constantine: The man and the myth. David Jr., J., History of Christianity CH 3312, Austin Graduate School of Theology, 2004, P.2

وهو كما يلي: " نؤمن بإلهٍ واحد أب ضابط الكل، خالق السماء والأرض، ما يُرىٰ وما لا يُرىٰ، وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله، المولود من الأب، المولود الوحيد الذي هو من جوهر الأب، إله من إله، نور من نور. إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساوٍ للأب في الجوهر، الذي به كان كل شيء في السماء وعلىٰ الأرض، الذي من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا، نزل وتجسّد وتأنّس وتألم، وقام أيضا في اليوم الثالث، وصعد إلىٰ السماء، وسيأتي من هناك ليدين الأحياء والأموات، وبالروح القدس"(١).

والذي اقترح أن تضاف كلمة (مساو في الجوهر Homo- ousious) هو أثناسيوس، غير أن الآريوسين رفضوا، وأرادوا أن يستبدلوها بعبارة (Homi- ousiou) أي مشابه في الجوهر، وبعد نقاش كبير قدم رأي أثناسيوس، ولما امتنع آريوس وأتباعه من التوقيع علىٰ هذا المعتقد، حرم هو وأتباعه وأحرقت كتبه(٢).

ثم لعنوا كل من خالف هذه العقيدة، فقالوا: " وأما الذين يقولون إنه كان زمان لم يوجد فيه ابن الله، وأنه لم يكن له وجود قبل أن يولد، وأنه خُلق من العدم، أو أنه من مادة أخرىٰ أو جوهر آخر، أو أن ابن الله مخلوق، أو أنه قابل للتغيير، أو متغير، فهم ملعونون من الكنيسة الجامعة الرسولية"(٣).

---

(١) قانون الإيمان المسيحي، البابا شنودة الثالث، المقدمة. والإيمان بالثالوث، توماس ف تورانس ص١٧٦

(٢) انظر: The Cambridge History of Chritianity, Edited by; Margaret Mary M. Mitchell and Frances M.YOUNG,p 6

(٣) انظر: اكلام عن هذه الأحداث في: تاريخ الفكر المسيحي ١/ ٦٣١ والهرطقة في المسيحية ج ويللتر ص٨٢و٧٦ وفلسفة الفكر الديني، لويس غارديه ٢/ ٢٨٧ وكيف نفهم علم اللاهوت، رت كندل ٣/ ٢٩ وموسوعة الأديان الحية، ر.س.رينز، النصرانية، جج ديفز، ص١٥٠ ومجموعة الشرع الكنسي، الأرشمندريت حنانيا إلياس كساب ص١٧٠

ولكن ذلك الحرمان الذي مني به أتباع الحزب الآريوسي، لم يمت عقيدة الآريوسيين الموحدين، بل الذي حصل هو العكس، فبعد انقضاء المجمع رجع الأساقفة إلىٰ أبرشياتهم، وعلم كل منهم بما كان يعلم به سابقا وانتشرت في سنتها الأولىٰ في جميع الأوساط المسيحية في الشرق.

ثانيا: مجمع القسطنطينية ٣٨١م:

أ-أسباب انعقاد هذا المجمع:

كانت هناك عدة أسباب تدعو لعقد مجمع طارئ لوجود مزيد من الاختلاف بين المنتسبين إلىٰ النصرانية غير أن الخلاف الأبرز والذي عجل دفَّة انعقاد المجمع، هو عندما نادىٰ أسقف القسطنطينية مكدونيوس بعدم ألوهية الروح القدس.

بالإضافة إلىٰ ظهور بعض البدع الثانوية، كبدعة أبوليناريوس الذي كان أسقفا علىٰ اللاذقية والشام، الذي أنكر وجود نفس بشرية في المسيح، وأن الذي صلب هو الذات الإلهية في المسيح، وأن الله المسيح وروحه كانا إنسانيين، ولكنهما استبدلتا باللوجوس (الكلمة) الإلهي، وكان يقول بأن المسيح مؤلف من ثلاثة جواهر، الجسد والنفس الحيوانية واللاهوت.

وانتشرت آنذاك أيضا دعوة سابليوس، الذي كان ينكر وجود ثلاثة أقانيم ودعوة أوسابيوس، وكان يقول بأن الثالوث القدوس إله واحد، ظهر في العهد القديم كأب، وفي العهد الجديد كابن، وحل علىٰ الرسل كروح القدس(١).

ولكن كان الأمر المهم في هذا المجمع، هو النظر في بدعة مكدونيوس، الذي كان يقول بأن الروح القدس ليس بإله.

---

(١) انظر: The Council of Constantinople II as a model reconciliation council. Frank, G., Theological Studies, 1991 Vol. 52(No.4), PP. 636-650

ب- أهمية هذا المجمع وأسبابه:

تأتي أه مية هذا المجمع عند النصارىٰ من حيث اعتباره امتدادا لمجمع نيقية المسكوني لدىٰ النصارىٰ، وتكملة لما بدأه ذلك المجمع، من وضع لبنات الثالوث المقدس، ويدل علىٰ ذلك ما جاء في القانون الأول من قوانين هذا المجمع وهو: "لا يجوز إغفال الآباء الثلاثمائة والثمانية عشرة الذين اجتمعوا في نيقية من أعمال بيثينية، بل يجب أن يبقىٰ ثابتا مؤيدا"(١).

ويؤيد ذلك أيضا، ما ورد في الخطاب الذي رفعه هذا المجمع بعد نهايته إلىٰ الإمبراطور، وجاء فيه: "إننا عندما اجتمعنا في القسطنطينية تلبية لرسالة تقواكم، جددنا قبل كل شيء عهد وحدتنا في القلب، أحدنا مع الآخر، ثم أعلنا تحديدات موجزة تثبيتا لإيمان آباء المجمع النيقوي، وإبسالا للبدع التي برزت مخالفة لهذا الإيمان"(٢).

ولهذا فإن القول بأن هذا المجمع ليس امتدادًا لمجمع نيقية، وأنه لا علاقة له بالقانون النيقوي - كما يزعم بعض اللاهوتيين-قول شاذ لا يعتد به.

فمجمع نيقية السابق قرر ألوهية المسيح، وأنه ابن الله، لكنه لم يتعرض للروح القدس، وإنما وردت فقرة تدل علىٰ مجمل الإيمان به، وهي (نؤمن بالروح القدس) ولم يتطرق إلىٰ تقرير ألوهيته من عدمها، فجاء هذا المجمع مقررا لألوهية الروح القدس.

---

(١) مجموعة الشرع الكنسي، الأرشمندريت: حنانيا إلياس كساب ص٢٥٧. وتاريخ الفكر المسيحي، القس حنا جرجس ١/ ٦٦٥.

(٢) انظر: The Council of Constantinople II as a model reconciliation council. Frank, G., Theological Studies, 1991.Vol. 52(No.4), PP. 636-650

ت– انعقاد جلسات المجمع ونتائجه:

حضر هذا المجمع ١٥٠ أسقفا، كلهم شرقيون، إذ لم يحضره أحد من أساقفة الغرب، وكان الذي حمل لواء القول بألوهية الروح القدس هو بطريريك الإسكندرية – كما سبق عند الحديث عن انقسام الكنيسة–.

وفي داخل هذا المؤتمر دُعي مكدونيوس لعرض اعتقاده، فبدأ يقول: إن روح القدس مخلوق، مستندا إلىٰ الفقرة التي تقول: "كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان" (يوحنا، ١/ ٣)

فأجاب آباء المجمع قائلين: إنه لا يوجد لدينا إلا روح واحد هو روح الله، ومن المعلوم أن روح الله ليس شيئا غير حياته، وإذا قلنا أن حياته مخلوقة فيصبح حسب زعمك غير حي، فهنا الكفر الفظيع والخطأ الشنيع[1].

وعلىٰ كل حال فقد تقرر فيه ألوهية الروح القدس، وأكمل قانون الإيمان النيقوي، الذي قرر في مجمع نيقية، وهذا النص المكمل في هذا المجمع: "ونؤمن بالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الأب، الذي هو مع الأب والابن، مسجود له وممجد الناطق بالأنبياء وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية، ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا، ونرتجي قيامة الموتىٰ، والحياة في الدهر الآتي آمين".

ووضع المجمع سبعة قوانين لسياسة الكنيسة، الأول منها يعلن التمسك بدستور الإيمان في مجمع نيقية، ورفض كل التعاليم الغريبة عنه[2].

(١) تاريخ البطاركة، للقديس أنبا يوساب، أسقف فوة القرن ١٣م، مكتبة المحبة، ص٤٧. ومجموعة الشرع الكنسي، الأرشمندريت: حنانيا إلياس كساب ص٢٤١وتاريخ المسيحية، حبيب سعيد، ٣/ ١٠٤.

(٢) انظر: تاريخ الفكر المسيحي، القس حنا جرجس ١/ ٦٦٥.وعلم اللاهوت النظامي، القس جمس أنس ص٤٤.

وهناك فروقات طفيفة بين القانون النيقوي والقانون القسطنطيني، لا تؤثر في الخطوط العريضة لذلك القانون.

ثالثا: مجمع أفسس الأول ٤٣١م:

أ- أهميته:

عقد مجمع أفسس عام ٤٣١م، وقرر فيه بالإجماع اعتبار الطبيعة الواحدة للمسيح، والاعتقاد بأن مريم والدة الإله، وتظهر أهمية هذا المجمع من خلال وضعه لمقدمة قانون الإيمان المسيحي، الذي قرر في نيقية وأكمل في القسطنطينية، ووضعت مقدمته في هذا المجمع، حيث نُص فيه على الطبيعة اللاهوتية للمسيح، وأن اللاهوت والناسوت متحدان في أقنوم الكلمة، وقد حضر هذا المجمع ممثلون من كل الطوائف، ولهذا يتمسك الأرثوذكس بأن نتائج هذا المجمع في طبيعة المسيح قد "اعترفت بها كافة الكنائس المسيحية شرقا وغربا"[1].

ولكن في الواقع ظهرت مناقضة غريبة لقرارات هذا المجمع بعد الانتهاء منه، ونقضت كل قراراته، في مجمع بعد سُمي بمجمع خلقديونية عام ٤٥١م، من قبل الكنيسة الغربية الكاثوليكية.

ولهذا يمكن أن يعد هذا المجمع مسكوني من جهة، وليس مسكونيا من جهة أخرى، فيعد مسكونيا من جهة أنه عقد من قبل رؤساء الكنائس وصدرت فيه المراسيم الكنسية بمباركة المراسيم الإمبراطورية.

بينما لا يمكن اعتباره قانونا مسكونيا مسيحيا مقبولا، على اعتبار أنه نقض بعد

---

(١) انظر: The Council of Constantinople II as a model reconciliation council. Frank, G., Theological Studies, Vol. 52(No.4, 1991,), PP. 636-650.

ذلك من قبل رؤساء الكنيسة أيضا واعتبرت نتائجه باطلة من قبل الكنيسة الكاثوليكية وصدرت بذلك المراسيم البابوية بمباركة المراسيم الإمبراطورية.

ب- أسباب انعقاد هذا المجمع:

سبب انعقاد هذا المجمع هو تحديد طبيعة المسيح فقط فلم يعد الاختلاف بين لاهوتي ومعلمي القرن الخامس للميلاد اختلافا علىٰ وجود اللاهوت في المسيح، بل أصبح النزاع مركّزا علىٰ كيفية الطبيعة اللاهوتية للمسيح، هل هي متحدة مع ناسوته؟ أم أن طبيعته اللاهوتية هي الوحيدة في المسيح؟ وهل حلّ الكلمة الأبدي في يسوع المسيح الإنسان، ثم رفع بسبب تقواه إلىٰ درجة اللاهوتية؟ أم حلت الكملة في بطن العذراء مريم عند سماعها للبشارة؟ وهل الجنين الذي كان في بطن مريم هو الله ؟ أم أنه هو الإنسان الذي اتحد الله به بعد خروجه ؟ وهل تُدعىٰ مريم والدة الله ؟ أم هي والدة الإنسان؟ إلىٰ غير ذلك من التساؤلات والآراء الكثيرة.

كل تلك الأسئلة هي مثارات التنازع بين معلمي الكنيسة، ويبدو أن أهم تلك الآراء التي ظهرت آنذاك، هي بدعة نسطور أسقف القسطنطينية، التي كانت هي السبب المباشر في عقد المجمع، حيث نادىٰ بأن للمسيح طبيعتين وشخصيتين وأقنومين لاهوتية وناسوتية، فهو شخصية إنسانية خالصة، إلا أن الألوهية حلت فيه علىٰ سبيل الامتزاج، ولذلك نفىٰ أن تسمىٰ مريم أم المسيح، والدة الإله (Theotokos)[1]، ويعتبر مذهبه محاولة للعودة إلىٰ التوحيد - كما يرىٰ بعض المؤرخين-.

---

(١) انظر: the worlds religions, pp 146 noss p, 480- ninian smart, p 260. نقلا عن النصرانية، فتاح عبد الحميد، ص٩١. محاضرات في التاريخ الكنسي،للأنبا يوأنس ٤٩، ومجموعة الشرع الكنسي،الأرشمندريت: حنانيا إلياس كساب ص٣٧٥. وتاريخ الفكر المسيحي، القس حنا جرجس ٢/ ٢٤٢.

حيث كان قد أظهر رأيه فقال: "إن هذا الإنسان الذي يقول: إنه المسيح بالمحبة متحد مع الأب ويقال إنه الله أو ابن الله، ليس بالحقيقة ولكن بالموهبة".

وأخذ يبرهن علىٰ صدق معتقده في أن مريم لم تلد إلها "لأنه لا لجسد أن يلد إلا الجسد، والله وهو ورح خالصة، لا يمكن أن يكون ولد من امرأة، لم يتمكن المخلوق من إنجاب الخالق، ومريم لم تلد إلا الإنسان الذي تجسد فيه كلمة الله"(١).

فاعتقاد نسطور يتخلص في أن مريم ولدت إنسانا، ولكنه كان إلها، وعلىٰ هذا فمريم لا تسمىٰ والدة الإله، بل والدة المسيح الإنسان، وقد جاء اللاهوت لعيسىٰ بعد ولادته، أي اتحد عيسىٰ بعد الولادة بالأقنوم الثاني، اتحادا مجازيا فمنحه ووهبه النعمة.

ويذكر عن نسطور قصة، لعلها كانت السبب في مراجعته لأفكار أمومة مريم لله، وهي أن أخت الإمبراطور أرادت أن تدخل الهيكل، لكي تتناول العشاء الرباني كعادتها بداخله، بعد تولىٰ نسطوريوس، فمنعها من دخوله وأخبرها بأنه لا يدخله إلا الكهنة، وشددت عليه في الدخول، وشدد لها في الرفض فقالت له: " ألا يحق لي بأن أدخل إلىٰ هذا المكان لأنني لم ألد الله"، فقال لها: "أنت ولدت الشيطان"(٢).

وهذه القصة كانت قبل نفيه لأمومة المسيح لله، وأنها ليست والدة الإله، وبعد تصريحه بهذا الأمر، أخذ يدعو الناس إلىٰ اعتناق هذه العقيدة، التي هي في الحقيقة مسكوت عنها في قانون الإيمان المسيحي في المرحلتين السابقتين.

---

(١) تاريخ ابن البطريق، ١/ ١٦٥ ونقله ابن تيمية في الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢/ ٧٧٢.

(٢) تاريخ الفكر المسيحي، القس حنا جرجس ٢/ ١٦٠.

وهذا ما أغاظ الكنيسة الإسكندرية، التي كان يترأس البابوية فيها كيرلس، الذي حاول بشتىٰ الطرق والأساليب ثني نسطور عن موقفه، إلا أن كل تلك المحاولات قوبلت بالصد الشديد من قبل نسطور.

ت- الدعوة إلىٰ عقد هذا المجمع وبدء انعقاده:

أدّىٰ تمسك نسطوريوس بقوله إلىٰ غضب بابا الإسكندرية عليه، فأرسل إلىٰ الإمبراطور ثيودسيوس يعلمه ببدعة نسطور، فأمر بعقد مجمع في إفسس عام ٤٣١ م، وكان عدد الحاضرين مائتي أسقف، برئاسة بابا الإسكندرية كيرلس.

وابتدأت أحداث المجمع، إلا أن نسطور لم يحضر، رغم وصوله إلىٰ أفسس، وأرسل إليهم يخبرهم بأنه لا يرىٰ ما يدعو لحضوره، ومن ثم ابتدأت الجلسة، وصدر الحكم غيابيا علىٰ نسطور، حيث جاء في الحكم عليه: "لهذا رأينا علىٰ القوانين المقدسة أن نبرز ضده هذا الحكم، بكل حزن ودموع، سائلين المولىٰ بواسطة هذا المجمع المقدس أن يعدمه درجة الأسقفية، وليكن مفرزا من أية شركة كهنوتية".

وأرسلوا كتابا لنسطور جاء فيه: " اعلم أنه لأجل تعاليمك النفاقية، وعصيانك علىٰ القوانين، قد عزلت وقطعت من هذا المجمع المقدس، بموجب قوانين الكنيسة، وحكم عليك بأنك عديم الدرجة، ومسلوب الوظيفة، وغريب من كل خدمة كنسية."(١).

ومن وجهة نظري أن السبب في عدم حضوره لعلمه المسبق بميل الأباطرة إلىٰ الرأي الوثني الذي تتزعمه الكنيسة الإسكندرية وبالتالي سيصدر القرار ضده في كل

---

(١) محاضرات في التاريخ الكنسي، للأنبا يوأنس ص٥٢- ٥٤ وتاريخ الأقباط، ١/ ١٦. والهرطقة في المسيحية، ج. ويللتر ص٩٣. وكنيستي السريانية، المطران إسحاق ساكا، ص٣٩.

الأحـوال، فمحاكمـة العقائـد في مثـل تلـك المجـامع كـان يـتم بحـد الـسنان وسـيف السلطان وليس بقوة الحجة والبرهان.

ث- نتائج هذا المجمع:

بالإضافة إلىٰ حرم نسطور من الشركة في الكنيسة، فقد أصدر المجمع بعض القرارات أهمها ما يلي:

١- القول بأن مريم والدة الإله، حيث جاء في قراراته والتي أصبحت مقدمة قانون الإيمان ما نصه: " نعظمك يا أم النور الحقيقي، ونمجدك أيتها العذراء المقدسة، والدة الإله، لأنك ولدت لنا مخلص العالم، أتىٰ وخلص نفوسنا، المجد لك يا سيدنا وملكنا المسيح، فخر الرسل، أكليل الشهداء، تهليل الصدّيقين، ثبات الكنائس، غفران الخطايا، نبشر بالثالوث المقدس، لاهوت واحد، نسجد له ونمجده، يا ربّ ارحم، يا ربّ بارك آمين."(١)

٢- قُرر في هذا المجمع أيضا أن المسيح له طبيعة واحدة، ومشيئة واحدة، طبيعة إلهية بشرية لا تنفصلان، لاهوت و ناسوت، وأن العذراء ولدت إلها، وتدعىٰ لذلك أم الإله(٢).

٣- أن تعاليم نسطور لم تمت بحرمه، وإنما تمسك بها من تتلمذ عليه، ونشروها حيث هربوا إلىٰ مدينة نصيبين بالشام، ومعهم بعض الكهنة، وهناك شيدوا مقرا لهم، وأقاموا رئيسا عليهم ودعوه (جاثليق)، وعملوا علىٰ نشر دعوتهم في بلاد فارس، ثم إلىٰ الجزيرة العربية، ثم كاشور والهند والصين وغيرها، وما زال بعض

---

(١) العذراء في التاريخ الكنسي، القس يوسف أسعد، ص٥٣.

(٢) انظر: The Council of Constantinople II as a model reconciliation council. Frank, G., Theological Studies, 1991 Vol. 52(No.4), PP. 636-650

النساطرة حتىٰ الآن في بعض هذه الأقاليم، خاصة في شمال العراق[١].

ثم أعقب هذا المجمع مجمع خلقديونية عام ٤٥١م، قرروا فيه أن المسيح له طبيعة واحدة، ونفوا القول بالطبيعتين، وهذا يعد من أبرز الخلاف بين الطائفة الكاثوليكية والطائفة الأرثوذكسية.

٤- أن كل الطوائف المفترقة في هذا المجمع والمؤلِّهة للمسيح، قد اتفقت بعد ذلك تدريجيا علىٰ أمر خطير، ألا وهو الاعتقاد بألوهية مريم، نعم، اتفقوا علىٰ أن لها خصائص الألوهية، حتىٰ وإن لم يصرحوا بألوهيتها، فهي والدة الإله "Theotokos" وأم الله.

وهي المحامية والنصيرة والظهيرة والشفيعة والوسيطة وهي التي تشترك في اللاهوت مع ابنها، وهي التي تصرف لها أنواع العبادات، فهي التي يتضرع إليها ويستشفع بها وهي التي بعد أن ماتت رجعت روحها في اليوم الثالث وصعدت إلىٰ السماء[٢].

فتبين من هذا أن أبرز المجامع وأهمها كان هو مجمع نيقية الذي انعقد عام ٣٢٥م حيث تقرر فيه قانون الإيمان المسيحي الذي يعد بوابة الدخول إلىٰ المسيحية، وثاني تلك المجامع تاريخيا وأهمية، هو مجمع القسطنطينية ٣٨١م، حيث انعقد

---

(١) انظر: جورج قنواتي، ولويس غارديه وج، ص٣٧٣ وعصر المجامع، القمص كيرلس الأنطوني، ص٢١٨.

(٢) انظر: التعليم المسيحي الكاثوليكي (المسيحية في عقائدها)، ص١٩٥ و The worlds religions, pp 146 noss p, 480- ninian smart, p 260وخلاصة اللاهوت المريمي، الأب أوغسطين دوبرة لاثور، ص٩٦.حياة مريم أم يسوع، الأب فرنسيس قندلا اليسوعي، ص٦٠. نساء الكتاب المقدس، إلياس مقار، ص١٩٩.

لوجود خلافات كبيرة بين الكنائس، كقول أبوليناريوس الذي يثبت أن الذي مات علىٰ الصليب هو الله وأن المسيح ليس فيه كطبيعة بشرية، وانتشر كذلك قول سابليوس، الذي كان ينكر وجود ثلاثة أقانيم وكذلك قول أوسابيوس، حيث كان يقول بأن الثالوث القدوس إله واحد، وأهمها قول مكدونيوس الذين كان ينكر أن يكون الروح القدس إله، ولكن الذي ظهر في أحداث المجمع هو قول مكدونيوس بطريرك الإسكندرية بنفي ألوهية الروح القدس، فاعترض عليه الأساقفة الغربيون وغيرهم مثبتين أنه روح الله فهو إذن إله، وثالث تلكم المجامع رتبة ومكانة وزمنا هو مجمع أفسس عام ٤٣١م حيث قرر فيه اعتبار الطبيعة الواحدة الإلهية للمسيح واعتقاد أن مريم أمه هي والدة الإله، وهذه القرارات كلها للرد علىٰ قول نسطور الذي تزعم القول بأن مريم ولدت إنسانا، ولكنه كان إلها، وعلىٰ هذا فمريم لا تسمىٰ والدة الإله، بل والدة المسيح الإنسان، وقد جاء اللاهوت لعيسىٰ بعد ولادته.

الباب الثالث

عقائد النصارى وشرائعهم

وفيه فصلان:

الفصل الأول: عقائد النصارى الأساسية

الفصل الثاني: أبرز الشعائر النصرانية.

الفصل الأول

عقائد النصارى الأساسية،

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: عقيدة النصارى في ألوهية المسيح وأنه ابن الله وإبطالها

المبحث الثاني: عقيدة التثليث عند النصارى وإبطالها

المبحث الثالث: عقيدة الصلب والفداء وإبطالها

المبحث الرابع: عقيدة النصارى في محاسبة المسيح للناس يوم القيامة وإبطالها

تمهيد:

للديانة النصرانية عقائد أساسية تقوم عليها، ويتفق عليها النصارىٰ المثلِّثة بمختلف طوائفهم، وقد استمدوا تلك العقائد من نصوص متفرقة من رسائل العهد الجديد، جمعوها كلها في قانون الإيمان المسيحي المشهور، الذي قرر في مجمع نيقية عام ٣٢٥م والذي أكمل في مجمع القسطنطينية عام٣٨١م والتي وضعت مقدمته في مجمع أفسس عام ٤٥١م – كما سبق–.

ويعتقد النصارىٰ أن هذه العقائد قد اعتمد في صياغتها علىٰ التقليد الرسولي وعلىٰ الكتاب المقدس، ويعتقدون أن التقليد الرسولي والكتاب المقدس "ينبجسان من ينبوع إلهي واحد، ويؤلفان وديعة مقدسة واحدة للإيمان، تستمد منه الكنيسة يقينها".

وتفسير هذه الحقائق الإيمانية يتم عند النصارىٰ بواسطة "سلطة الكنيسة التعليمية وحدها"[(١)].

وذلك لأن تقرير عقائد هذا القانون يقابل بصعوبة بالغة في تمريره علىٰ الأمة المسيحية، ولذا يصرح بعضهم بقوله:

"من الجدير بالذكر أن كثيرا من المسيحيين يلاقون صعوبات بالغة في فهم قانون الإيمان"[(٢)].

وفيما يلي سوف يتم تسليط الضوء علىٰ هذه العقائد، مع بيان بطلانها:

---

(١) التقليد الرسولي عند النصارىٰ هو: نقل رسالة المسيح من قبل الرسل والتلاميذ إلىٰ خلفائهم، ومن خلالهم إلىٰ جميع الأجيال في مختلف الأزمنة. انظر كتاب مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ص١٣.

(٢) المسيحية في عقائدها، فالتر كاسير،ص ٨٩.

المبحث الأول

عقيدة النصارى في ألوهية المسيح وأنه ابن الله وإبطالها

أ- أهميتها:

لهذه العقيدة أهمية كبيرة في الديانة النصرانية، إذ تعتبر مفتاح العقائد النصرانية كلها، وتظهر هذه الأهمية في قول يوحنا: "كل روح لا يعترف بيسوع المسيح أنه جاء في الجسد، فليس من الله" (رسالة يوحنا الأولىٰ، ٤/ ٣)

ولهذا يعتبرون أن "كل تعاليم المسيحية ليست ذات قيمة، إلا إذا صدرت عن التجسد الإلهي."[1]

ب- تعريفها:

ترتكز هذه العقيدة علىٰ الإيمان بأن يسوع المسيح ابن الله، وهو الأقنوم الثاني من الثالوث المقدس،انبثق من الأب، وهو مساوٍ للأب في الألوهية، ومتحد معه في الجوهر، اتحد فيه الناسوت باللاهوت، أي بين الطبيعة الإلهية والطبيعة البشرية، ويعبر عنه في اللغة اليونانية بلفظ"هوموأوسيوس" أي الواحد في الجوهر[2]، تسمىٰ

---

(١) المباحث المتصلة بالكتاب المقدس، موريس تاوضروس ص٦٦.

(٢) انظر الكلام عن هذه العقيدة في: حوار حول الثالوث، كيرلس الأول، ص١٢ وقد تحدث كثير من آباء وعلماء الكنيسة عن هذه العقيدة، انظر مثلا: وأصول التعليم المسيحي، الكتاخسيمس الصغير، مارتن لوثر، ص ٩٧. وعلم اللاهوت، مينا ميخائيل، ١/ ٣٥٢. ومختصر كتاب التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ص ٣٦وكيف نفهم علم اللاهوت،رت كندل ٣/ ٢٠ ومدخل إلىٰ العقيدة المسيحية، كوستي بندلي، ص ٥٩ وحقائق أساسية للإيمان المسيحي، القس فايز فارس، ص ٧٦ . الأشعة اللاهوتية في مبادئ التعاليم المسيحية، نيافة الدكتور مول، =

أيضا بعقيدة التجسد.

ج- تفسير هذه العقيدة:

تفسر هذه العقيدة بأن المسيح الابن اتحد اللاهوت والناسوت فيه، أي ينسب له كل ما ينسب لله لكونه هو الله، ومن جهة ثانية ينسب له كل ما ينسب إلىٰ البشر لأنه صار مثلنا، -كمايفسرها القديس كيرلس الأول ٤٤٤م[(١)]-.

وقد فسّر مجمع خلقديونية عام ٤٥١م هذه العقيدة، حيث جاء في اعترافات هذا المجمع وقراراته: "نؤمن بابن واحد هو سيدنا يسوع المسيح، الكامل في اللاهوت والكامل في الناسوت، هو إله حق، وإنسان حق، المركب من نفس عاقلة، ومن جسد، الذي جوهره جوهر الأب من حيث اللاهوت، وجوهره جوهرنا من حيث الناسوت، يشبهنا في كل شيء، ما عدا الخطيئة، الذي ولده الأب قبل جميع الدهور، من حيث الألوهة، وفي هذه الأيام الأخيرة ولد من مريم البتول، والدة الإله، من حيث الناسوت لأجلنا ولأجل خلاصنا"[(٢)].

فيعتقدون أن صدور هذا الابن كان بالولادة، ويرون أن وصف تعليل نسبة التوالد بين الأب والابن لا يمكن أن يُعرف، أو كما قال القديس أثناسيوس: "إنه أمر لا يفسر".

والبعض فسرها بتفسيرات زادتها غموضا علىٰ غموضها كما يفسرها الأنبا ساويرس الشهير بابن المقفع بمصطلحات غير مفهومة، في كتابه الدر الثمين في

= ص٧٦. والفروق العقدية بين المذاهب المسيحية، القس إبراهيم عبد السيد، راعي كنيسة مار جرجس بحدائق المعادي،ص ١٢. هل المسيح هو الله، القس لبيب ميخائيل، ص ٧٦.

(١) انظر: حوار في الثالوث ، القديس كيرلس ص٢١.

(٢) كتاب مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ص٣٧ وانظر: حوار في الثالوث، كيرلس الأول ص١٤

إيضاح الدين تحت عنوان (الاتحاد في قانون الإيمان): "وهذا غير المدرك وصار مدركا بهذا الجسد المدرك، ولم يزل غير مدرك صار بهذا الجسد المدرك، وهو لم يزل إلها صار هذا الإنسان، لأنه اتحد به اتحادا طبيعيا أقنوميا."[(١)] ففسر عدم الإدراك بعد الجهد بعدم الإدراك.

د- أدلتهم في إثبات هذه العقيدة:

أولا: الأدلة النقلية من نصوص العهد الجديد:

استدل النصارىٰ لهذه العقيدة بما ورد في بعض نصوص العهد الجديد من النصوص التي تنص علىٰ بنوة المسيح لله وتجسده.

يقول مارتن لوثر: "لماذا نؤمن بأن يسوع المسيح هو إله حق؟" ثم يجيب فيقول: "أؤمن بأن يسوع المسيح هو إله حق، لأن الكتاب المقدس ينسب إليه أسماء إلهية..وصفات إلهية...وأعمال إلهية." ثم أورد تحت كل دليل عدة نصوص من الكتاب المقدس[(٢)].

وأقدم دليل صريح لهم عليها هو ما ورد في بعض رسائل بولس، كرسالته الأولىٰ إلىٰ تيموثاوس حيث قال: "عظيم هو سر التقوىٰ الله ظهر في الجسد تبرر في الروح." (تيموثاوس الأولىٰ، ٣/ ١٦)

وكذلك بما ورد في رسالته إلىٰ أهل كولوسي، حيث قال عن المسيح: "الذي هو صورة الله غير المنظور، بكر كل خليقة، فإنه فيه خلق الكل" (كولوسي،١/ ١٦) وقوله: "إن الله صار إنسانا" (متىٰ ١٥/ ٣١) وقوله: "أرسل الله ابنه مولودا من امرأة" (غلاطية، ٤/ ٤)

---

(١) الدر الثمين في إيضاح الدين، الأنبا ساويرس، ص.١٧٢ وانظر: سوسنة سليمان في أصول العقائد والأديان، نوفل أفندي، ص١٣٧.

(٢) انظر: أصول التعليم المسيحي، الكتاخسيمس الصغير، مارتن لوثر، ص٦٩.

وغير ذلك من الأدلة التي تنص علىٰ بنوة المسيح في نظرهم.

ثانيا: الأدلة العقلية:

استدل النصارىٰ في إثبات هذه العقيدة ببعض الأدلة العقلية، ومن أبرزها دليل القياس، حيث شبهوا تولد المسيح من الله ببعض المخلوقات، كتولد شعاع الشمس من الشمس فكما أنه لا يرىٰ أبدا جرم الشمس بدون شعاع، هكذا لم يكن الأب أبدا بدون الابن، وكما أن شعاع الشمس مساوٍ للشمس في الوجود والزمن، هكذا الابن مساوٍ للأب في الأزلية والأبدية(١).

واستدلوا بأدلة عقلية أخرىٰ في نظرهم، كالتفاحة التي لها لون وطعم ورائحة، وغيرها من الأدلة، غير أن دليل الشمس يعد من أقوىٰ الأدلة - في نظرهم-.

ثالثا: الأدلة الحسية:

استدلوا بكثير من الأدلة، التي رأوا من خلالها ثبوت ألوهية المسيح، وأنه ابن الله المتجسد، ومدارها علىٰ الآيات والمعجزات التي أعطيت للمسيح دلائل تثبت ألوهيته، وأن الملكوت حاضر فيه.

ويصرحون بأن المعجزات من أدلّ البراهين التي حققت لاهوت المسيح، ويرون أن إنكار عجائب المسيح مما لا يمكن، لأنها مشهورة في العالم كله وليس للتلاميذ فقط (٢).

ومن أبرز تلك المعجزات الكثيرة إخراجه للشياطين، حيث يعتقدون أن "الرب يسوع المسيح كان هو أول، أي باكورة الذين يخرِجون الشياطين، إذ لم يكن لأحد

(١) علم اللاهوت، مينا ميخائيل ١/ ٢٢٣ و١٨٨.

(٢) انظر: المسيحية والألم، ص٣٥- ٢٨. وعلم اللاهوت، ١/ ٢٤٢. وكتاب مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ص٤٢. اللاهوت العقائدي، كوركيس كرمو، ص٢/ ١٤٥.

سلطان علىٰ الشيطان في العهد القديم برمته"[(١)]

ومنها كذلك علمه للمغيبات، ويعدّون ذلك من أهم الأدلة علىٰ ألوهية المسيح، حيث يرون أنه "من المسلم به عقلا ونقلا أن معرفة الغيب مطلقة، والعلم بالأشياء قبل كونها إنما هي من خصائص الخالق وإذ قد عرفنا ذلك، فلا مندوحة لنا عن الاعتقاد بألوهية السيد المسيح له المجد."[(٢)]

إبطال اعتقاد النصارى في ألوهية المسيح وأنه ابن الله:

لا شك أن اعتقاد النصارىٰ في اعتقاد ألوهية المسيح المتجسد وأنه ابن الله عقيدة باطلة، وفيما يلي نستعرض أبرز البراهين التي تدل علىٰ بشرية المسيح عليه السلام ونبوته، ثم نعقب بالرد علىٰ الأدلة التي استدل بها النصارىٰ في إثبات ألوهيته وذلك كما يلي:

أولا: الأدلة النقلية التي تثبت بشرية المسيح ونبوته ورسالته:

لقد جاءت كثير من نصوص الكتاب المقدس مضادة لتعاليم النصرانية المحرفة، القائمة علىٰ دعوىٰ ألوهية المسيح، وأنه ابن الله، وذلك كما يلي:

أ- الأدلة النقلية من العهد القديم مما نسب إلىٰ الله تعالىٰ:

ورد في سفر التثنية قول موسىٰ عليه السلام: "اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد، فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل قوتك.." (تثنية، ٤-٩/ ٦)

وورد في سفر أشعيا أن الله تعالىٰ قال: "أنا الرب صانع كل شيء، ناشر السماوات وحدي، باسط الأرض من معي." (أشعيا، ٤٤/ ٢٤)

---

(١) حول موت الرب المحيي علىٰ الصليب المكرم، من رسائل الأب صفرونيوس، www.coptology.org، ص٣ والمسيحية والألم، الأنبا يوأنس ص٢٩

(٢) علم اللاهوت، مينا ميخائيل ٢/ ٢٥١. وذكر عدة أمثلة لعلمه الغيب.

وقوله: "أنا الأول وأنا الآخر لا إله غيري." (أشعيا،٤٤/ ٦)

وكذلك قوله: "الرب هو الإله ليس آخر سواه."(تثنية، ٤/ ٣٥)

وقوله: "أنا هو هو وليس إله معي."(تثنية، ٣٢/ ٣٩)

وكذلك أولىٰ الوصايا العشر، وهو قوله: "أنا الرب إلهك الذي أخرجك من مصر من بيت العبودية، لا يكن لك آلهة أخرىٰ أمامي."(خروج، ٢٠/ ٢-٣)

وقد وردت نصوص نسبت إلىٰ الله تعالىٰ، تنفي تشبيه الله تعالىٰ بالمخلوقات، كما جاء في سفر أشعيا: "بمن تشبهونني وتسوونني وتمثلونني لنتشابه."(أشعيا، ٤٦/ ٥)

ب - الأدلة النقلية من العهد القديم مما نسب إلىٰ الأنبياء عليهم السلام:

فقد وردت كثير من أقوال الأنبياء في العهد القديم، كلها تدل دلالة صريحة علىٰ التوحيد، فمن ذلك قول موسىٰ عليه السلام: "فاعلم اليوم وردد في قلبك، أن الرب هو الإله في السماء من فوق، وعلىٰ الأرض من أسفل ليس سواه."(تثنية، ٤/ ٣٩)

وكذلك دعوة داود عليه السلام الشعب إلىٰ تعظيم الله الواحد: "ليسبحوا اسم الرب، لأنه قد تعالىٰ اسمه وحده، مجده فوق الأرض والسماوات."(مزمور، ١٤٨/ ١٣)

وورد في سفر نحميا أنه يخاطب الله تعالىٰ بقوله: "أنت الرب وحدك، أنت صنعت السماوات وسماء السماوات وكل جندها، والأرض وكل ما عليها، والبحار وكل ما فيها، وأنت تحييها كلها، وجند السماء لك يسجد."(نحميا، ٩/ ٦)

وأيوب يقول: " الباسط السماوات وحده، والماشي علىٰ أعالي البحر."(أيوب، ٩/ ٨)

وفي سفر ملاخي أنه قال: " أليس أب واحد لكلنا، أليس إله واحد خلقنا، فلم يغدر الرجل بأخيه لتدنيس نهج آبائنا."(ملاخي، ٢/ ١٠)

وكذلك حزقيال: "والآن أيها الرب إلهنا، خلصنا من يده، فتعلم ممالك الأرض كلها أنك أنت الرب الإله وحدك"(أشعيا، ٣٧/ ٢٠)فهؤلاء الأنبياء عليهم السلام كلهم مجمعون علىٰ التوحيد الخالص.

ج- الأدلة النقلية من نصوص التوحيد في العهد الجديد:

وردت كثير من نصوص العهد الجديد، التي تنص علىٰ التوحيد، ومن تلك النصوص ما نسب للمسيح أنه قال: "وهذه الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته."(مرقس، ١٢/ ٢٨)

فتبين أن الله تعالىٰ هو الإله وحده، وأنه هو رسوله، وهذا هو الذي دعا إليه القرآن، وكان يجب أن يكون هذا أساس عقيدتهم، بحيث يردون إليه كل ما يوهم خلافه.

وكذلك ما نقله مرقس عن المسيح أنه قال في جوابه لأحد الكتبة: "اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد.. فقال له الكاتب جيدا يا معلم بالحق قلت لأنه واحد وليس آخر سواه... فلما رأىٰ يسوع أنه أجاب بعقل قال له: لست بعيدا عن ملكوت السموات."(مرقس، ١٢/ ٣٤)

فعلم من هذا أن التوحيد الخالص هو العقيدة المعقولة، التي تؤخذ علىٰ ظاهرها بلا تأويل، فإن فرضنا أنه ورد ما ينافيها، وجب رده أو إرجاعه إليها.

ح- النصوص التي تنفي رؤية الله في الدنيا في العهد الجديد:

فقد وردت نصوص في العهد الجديد، تنفي رؤية الله تعالىٰ، فقد ورد في إنجيل يوحنا أنه قال: "الله لم يره أحد قط."(يوحنا، ١/ ١٨)

وورد كذلك عن المسيح أنه قال: "الله لم ينظره أحد قط." (رسالة يوحنا، ٤/ ١٢)
وقد صرح بذلك بولس في رسالته الأولىٰ إلىٰ أهل تيموثاوس: "لم يره أحد من

الناس، ولا يقدر أن يراه." (تيموثاوس الأولىٰ، ٦/ ١٦) وقد رأىٰ الناس المسيح وشاهدوه.

خ- النصوص التي تنفي عن المسيح علمه بالمغيبات في العهد الجديد:

حيث نص المسيح علىٰ عدم علمه بالغيب المطلق، وذلك حينما سئل عن وقت قيام الساعة، فأجاب فيما نسب إليه بقوله: "وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلم يعلم بها أحد، ولا الملائكة الذين في السماء، ولا الابن، إلا الأب."(مرقس، ١٣/ ٣٢)

د- النصوص الصريحة في رسالة ونبوة المسيح في العهد الجديد:

فقد ورد علىٰ لسان المسيح فيما نسب إليه بعض النصوص، التي تنص علىٰ أنه مرسل من عند الله، وتصرح بنبوته، وذلك كقوله: "كما أرسلتني إلىٰ العالم أرسلتهم أنا إلىٰ العالم، أما أنا فعرفتك، وهؤلاء عرفوا أنك أرسلتني"(يوحنا، ١٧/ ٢٥)

وقوله: "أنا لم أرسل إلىٰ خراف بني إسرائيل الضالة" ثم قوله: "الحق الحق أقول لكم، إنه ليس عبد أعظم من سيده، ولا رسول أعظم من مرسله.(يوحنا، ١٣/ ١٦)

وفي الحقيقة لا شك أن هذا التخاطب بين الأقانيم، وخروج أحدهما من الآخر، وإرسال أحدهما للآخر، يعني انفصالا بين الأقانيم، انفصالا يمنع الوحدة بينها، بل يمنع أيضا المساواة بينها، ففي موضوع الإرسال مثلا، لاشك أن المرسِل أعلىٰ درجة من المرسَل أو الرسول، فحين يرسل الأب الابن مثلا، فلا شك أن الأب أعلىٰ من الابن، فهو كإرسال السيد خادمه، أو كإرسال الرئيس مرؤوسه [1].

ثانيا: مخالفتها للعقل:

مما يؤيد القول ببطلان هذه العقيدة وفسادها ما تبين من أن هذه العقيدة يتعذر إدراكها بصريح العقل، وما علم أنه ممتنع في صريح العقل، لم يجز أن يخبر به

(١) الله واحد أم ثالوث، محمد مجدي مرجان ص٢٧.

رسول، فإن الرسل إنما تخبر بما لا يعلم بالعقل أنه ممتنع، فأما ما يعلم بصريح العقل أنه ممتنع، فالرسل منزهون عن الإخبار عنه.(١)

فهذه العقيدة تشتمل علىٰ أدنىٰ درجات الانحطاط العقلي، إذ كيف يصبح الإله العظيم، خالق الكون والسماوات السبع، والكواكب العظيمة، والأرضين وما بينهما، يدخل في بطن امرأة، ثم تلده ويتجسد بعد فيه، بعد أن يكتمل نموه، وإن عباد الأصنام، وهم أعداء الله تعالىٰ علىٰ الحقيقة، وأعداء رسله، ليأنفون من وصف آلهتهم المصنوعة من الحجارة والحديد والخشب، ويعبدونها من دون الله، ليأنفون من وصفها بتلك الصفات التي وصفت بها تلك الأمة إلههم، الذي هو رب العالمين القهار الغني عن العباد.(٢)

ثالثا: أن هذه العقيدة دخيلة علىٰ دين المسيح عليه السلام:

حيث لم ترد في كتبهم ما يدل عليها منسوبا إلىٰ المسيح عليه السلام، ولم يصرح بكلمة واحدة تدل علىٰ أنه هو الإله المتجسد، وقد تقدم القول بأن أقدم الأدلة لديهم من النصوص في هذه المسألة هي أقوال بولس، وبعض أتباعه المتأثرين بدعوته، حيث لم يرد في أقوال الحواريين ما يشير إلىٰ هذه العقيدة.

رابعا: أن سيرة المسيح تخالف هذه العقيدة:

فمن ينظر إلىٰ سيرة المسيح عليه السلام، وزهده في الدنيا وخوفه من الله، وسؤاله للمغفرة،وطلب النجاة، والاستعانة بالله في طلب المنافع، يدرك أن المسيح عليه

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية ٣/ ٣٠٩.

(٢) انظر إغاثة اللهفان، ابن القيم ٢/ ١٠٣٤. يقول القديس أغناطيوس: " إن إلهنا يسوع المسيح حسب التدبير الإلهي قد حمل في حشاء مريم وخرج من دم داود ". الآباء الرسوليون، تادرس يعقوب ص١٥٠.

الصلاة والسلام نبي من البشر، وليس بإله، وكل هذا بعد نبوته.

أما قبل نبوته، فتحدثنا الأناجيل عن صبي يكبر كسائر البشر، بين والديه أو مع والدته ومن هو في مرتبة والده، ولذا يصرح الإنجيل بكل وضوح فيقول: " إنه كان يتقدم في الحكمة والقامة والنعمة عند الله وعند الناس."(متى، ٢/ ٥٢)

وهذا التقدم معناه أنه كان يكبر كسائر البشر، فهل كان يكبر معه لاهوته، وإذا كان لاهوته يكبر معه، فهل يعني أن جوهر الله يكبر، وإذا كان الذي يكبر ناسوته، فأين كان لاهوته، هل تخلىٰ عنه إلىٰ أن تنبأ ؟ أم كان معه منذ الصغر؟ كل تلك الأسئلة لا جواب لها أمام طغيان هذه العقيدة الكنسية.

الأمر الثاني: الرد علىٰ أدلتهم في إثبات عقيدة ألوهية المسيح وأنه ابن الله المتجسد:

سبق ذكر أهم الأدلة التي استدلوا في إثبات هذه العقيدة، ويمكن الرد علىٰ هذه الأدلة فيما يلي:

أولا: الرد علىٰ استدلالهم بالأدلة النقلية التي تثبت بنوة المسيح وتجسده:

يمكن القول بأن كل تلك الأدلة التي استدلوا بها لا ترقىٰ لأن تكون في مصاف البراهين المبرهنة علىٰ إثبات أي عقيدة، وذلك لوجود الشك في أصل صحة نصوص الكتاب المقدس برمته، فهي فضلا عن أنها غير متواترة، فهي ليست سليمة من التناقضات والزيادة والنقصان[١]، كما صرح بذلك بعض كبار علمائهم[٢].

---

(١) انظر: الفارق بين المخلوق والخالق، الباجه جي زاده. ومحاضرات في مقارنة الأديان، إبراهيم خليل أحمد، ص٤١-٤٢.

(٢) انظر: مقدمة الرهبانية اليسوعية الفرنسية للكتاب المقدس، العهد الجديد، ط دار المشرق، ص٨. والمدخل إلىٰ العهد الجديد، القس فهيم عزيز، ص١٤٠.

وهذا يكفي في رد كل تلك النصوص، التي حسبوا أن الاعتماد عليها يبرهن علىٰ إثبات ألوهية المسيح عليه السلام، غير أنه يمكننا القول جدلا بأنه علىٰ فرض صحتها، فإن معانيها لا تدل علىٰ ألوهية المسيح عليه السلام.

ومن أكثر ما تعلقوا به تلك النصوص التي تثبت بنوة المسيح لله وأبوة الله للمسيح، ولعل مرد تعلقهم بها لأنها هي النصوص الصريحة في نسبة بنوة المسيح لله، ويمكن بيان ذلك فيما يلي:

أ- بيان المراد بلفظ (الأبوة) و(البنوة) الواردة في الكتاب المقدس:

فأول ما يقال عن تلك الألفاظ علىٰ فرض صحتها هو المجاز لا الحقيقة.(١)

وهذا ما تبينه نصوص الكتاب المقدس، حيث أُطلق لفظ الأبوة والبنوة وأريد منها معانٍ غير مرادة أولا، حيث يطلق ويراد به الرئيس المحترم، كما أطلق أيضا علىٰ كبار السن، وكذلك أطلق أيضا علىٰ الأنبياء.(٢)

ومما يؤيد هذا أن المسيح عليه السلام أطلق بعض العبارات التي فهموا منها أن المراد بها المجاز لا الحقيقية، ومن ذلك قوله: "أنا هو خبز الحياة." (يوحنا، ٦/ ٣٥) فلم يفهموا أنه هو خبز يؤكل غذاء للأبدان، بل فهموا أن تعاليمه غذاء للأرواح، كما قال متىٰ هنري في تفسيره للكتاب المقدس: " المسيح هو خبز الروح، وكما أن الخبز هو للجسد، فالمسيح هو خبز الحياة."(٣)

---

(١) الحقيقة: هي اللفظ المستعمل فيما وضع له، والمجاز: هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة. انظر: إرشاد الفحول، الشوكاني ١/ ٦٣.

(٢) انظر: الملوك الثاني، ٥/ ١٣ ورسالة يوحنا الأولىٰ، ٢/ ١٤ وسفر الملوك الثاني، ٢/ ١٢. انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص٢٠.

(٣) التفسير الكامل للكتاب المقدس، متىٰ هنري ٤/ ٦٢٠.

ومما يدل علىٰ ذلك أيضا قول المسيح لليهود: "أنتم من أب هو إبليس، وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا" (يوحنا، ٨/ ٤٤) ولا شك أن المسيح لا يقصد أن إبليس هو الذي أنجبهم عن طريق التناسل، فحمل ذلك علىٰ المجاز، فتعبير ابن الله" لم يكن يقصد به التفسير الحرفي، ولكن ليبرز الحب والحنان من الله تجاه المتقين والصالحين"[1].

ب- أن لفظ (البنوة) و (الأبوة) ورد في غير المسيح عليه السلام:

فقد ورد هذا اللفظ في حق غير المسيح، فلم يكن مقتصرا علىٰ المسيح فقط، فقد ورد في إبراهيم أنه أب للمؤمنين (رومة، ٤/ ١١) وداود يطلق لفظ أبي علىٰ الله (مزامير، ٨٩/ ٢٦) ولفظ الابن علىٰ يعقوب (خروج، ٤/ ٢٢) بل ورد أن أبناء آدم أبناء الله (تثنية، ٣٢/ ٨) وأطلق كذلك علىٰ الملائكة(صمويل الثاني، ٧/ ١٤) وعلىٰ آدم عليه السلام (لوقا، ٣/ ٣٨)

فلفظ الأبوة الذي كان شائعا في ذلك الوقت لا يعني الأبوة الحقيقية في شيء، وإنما تعني الخضوع والعبودية والملك.

فتبين أن لفظ ابن الله الذي كان يطلق في بعض الأحيان علىٰ السيد المسيح، لم يكن يقصد به علىٰ الإطلاق وجود علاقة نسب خاصة بين الله وبين المسيح، أو تناسله من الله، أو انفراده وحده ببنوة الله، وإنما قصد بها فقط إبراز قرب السيد المسيح عليه السلام من الله، يشترك في هذا القرب الإلهي مع السيد المسيح كافة أنبياء الله وخلصاؤه وباقي عباده الصالحين، وقد صرح المسيح نفسه في ذلك فقال: "إنما بنوة الله بالأعمال، وأنتم بأعمالكم أبناء إبليس"(يوحنا، ٨/ ٤٢)

---

(١) نظرة عن قرب في المسيحية، بربارا براون، ص٢٥.

ثانيا: الرد علىٰ استدلالهم بالأدلة العقلية:

أما استدلالهم بالأدلة العقلية كقياسهم تولد الابن من الأب، كانبثاق شعاع الشمس من الشمس، فنقول: إن تشبيههم للخالق بمخلوقاته من أبطل الباطل، إذ إن الكتاب المقدس قد نص علىٰ حرمة تشبيه الخالق بمخلوقاته، فقد نسب إلىٰ الله تعالىٰ أنه قال: "بمن تشبهونني وتسوُّونني وتمثلونني لنتشابه."(إشعيا، ٦/٤٦)

وهذا يدل علىٰ أن تشبيه المخلوقات بالخالق أو العكس لا يصح، ناهيك عن أن هذا الدليل لا يدل علىٰ ما ذهبوا إليه، حيث أن تشبيه انبثاق الابن من الأب كتولد الشعاع من الشمس، حيث إن شعاع الشمس لا ينفك عن جرم الشمس، بل يتحول معها حيث دارت، بخلاف الابن فهو في الأرض والأب في السماء.

ثالثا: الرد علىٰ استدلالهم بالأدلة الحسية:

أما استدلالهم بمعجزاته علىٰ ألوهيته فيمكن أن يجاب عنها فيما يلي:

- أن المسيح قد صرح بأنه رسول من عند الله، وأن معجزاته كانت بقدرة الله، وليس بقدرته هو، وبين أن المقصود منها هو الإيمان بنبوته ورسالته، وأنه كان يشكر الله إذا حدثت له تلك المعجزات (يوحنا، ١١/ ٤١)

- أن هناك من الأنبياء من شارك المسيح في معجزاته تلك، بل كان منهم من هو أعظم إعجازا من معجزات المسيح، حيث ورد أن النبي اليشع أحيا ميتا، وأن إيليا أبرأ أعمىٰ. وأعمىٰ جيشا كبيرا، ثم رد أبصارهم. (الملوك الأول، ١٧/ ١٧).

فتبين من هذا أن عقيدة ألوهية المسيح وأنه ابن الله هي مفتاح الديانة النصرانية، وهي تقوم علىٰ الاعتقاد بأن المسيح ابن الله وأنه منبثق من الآب ومساوٍ له وأنه هو الأقنوم الثاني من الثالوث المقدس، وأنه كامل في ناسوته ولاهوته، وهو من جوهر

الآب، واستدلُّوا علىٰ هذه العقيدة بعدة أدلَّة منها النصوص النقلية التي تثبت ألوهية المسيح وبنوته له في العهد الجديد، واستدلُّوا علىٰ ذلك بأدلة عقلية حيث قاسوا تولد المسيح من الله بتولد شعاع الشمس من الشمس، واستدلوا علىٰ ذلك أيضا بالأدلة الحسِّيَّة بمعجزات المسيح كإحياء الموتىٰ وإبراء المرضىٰ وغير ذلك، وكل تلك الأدلة لا تؤيد اعتقادهم بألوهية المسيح، بل تدل علىٰ بشريَّته وعبوديته لله وحده ورسالته، فقد وردت كثير من النصوص التي تنصُّ علىٰ تفرد الله تعالىٰ بالوحدانية في ألوهيته وربوبيته وذلك من نصوص الكتاب المقدس، وورد كذلك عن المسيح وقبل من الأنبياء نصوصٌ كثيرة تنصُّ علىٰ ذلك، إلىٰ جانب ورود نصوص تنص علىٰ نفي رؤية الله تعالىٰ من قبل خلقه في الدنيا، وكذلك النصوص التي تنفي علم المسيح بالمغيبات إلا ما علمه الله تعالىٰ، ونصوص تثبت رسالته من قبل الله ونبوته، وعضّدنا كل ذلك بالأدلة والبراهين، ثم بيَّنَّا مخالفة هذه العقيدة للعقل، وأن العقل ينفي أن يتجسَّد الله في بطن امرأة ليولد كسائر البشر، وبيَّنا أن هذه العقيدة دخيلة علىٰ دين المسيح فلم يصرح بها قط ولم تنقل نقلا موثقا عن أحد حوارييه، إلىٰ جانب مضادتها لأقواله وتعاليمه في سيرته حيث كان يلتجئ إلىٰ الله في طلب المغفرة مما ينفي دعوىٰ ألوهيَّته، وأما لفظ الأبوة والبنوة الوارد في نصوص الكتاب المقدس فبيَّنا أنه علىٰ فرض صحتها فهي لا تدل علىٰ بنوة حقيقية، وإنما تدل علىٰ بنوة مجازية، وتعني الحبة والتكريم فقد أثر عن المسيح أنه كان كثيرا ما يستعمل المجاز في ضرب الأمثال وغيرها لتقريبها إلىٰ الأفهام، ثم إنها وردت في حق غير المسيح من الأنبياء كيعقوب وآدم وغيرهما، مما يعني ثبوت الألوهية لهم جميعا أو نفيها عنهم جميعا، وأما استدلالهم بالشمس وغيرها فقد ورد في نصوص الكتاب المقدس ما ينهىٰ عن تشبيه الله بخلقه، وورد أن الله منزه عن قياسه بمخلوقاته كتشبيههم له بالشمس وغيرها، أما استدلالهم بمعجزاته فقد بينا أن المسيح صرح بأنه لا يعمل المعجزات بقوته بل بقوة

الله تعالىٰ وكان يدعوا الله ويسبحه، وكان تلاميذه وأتباعه يعلمون ذلك بنص الأناجيل، ولذلك وردت النصوص في تسبيح جموع أتباعه لله وليس للمسيح، مما ينفي دعوىٰ ألوهيته.

المبحث الثاني
عقيدة التثليث عند النصارى وإبطالها

أ- ظهور مصطلح التثليث:

هذه العقيدة بهذه التسمية لم تُعرف إلا بعد عصر المسيح بمدة طويلة، وأول شخص استعمل كلمة ثالوث في العقيدة المسيحية، هو أسقف أنطاكية (ترتليان) في القرن الثاني للميلاد، فقد استعمل هذا الاصطلاح في صيغة غريبة وهي ثالوث الله.

وقد تبلور ذلك الأساس علىٰ يد أغسطينوس في القرن الخامس الميلادي، وصار القانون عقيدة الكنيسة الفعلية من ذلك التاريخ[1].

ب- تقرير هذه العقيدة:

تعتبر عقيدة التثليث من العقائد الأساسية في الديانة النصرانية المحرفة، التي قننها قانون الإيمان المسيحي، الذي صرح بأركان التثليث الثلاثة، حيث صرح في أول القانون بألوهية الأب في قوله: " نؤمن بإله واحد ضابط الكل خالق كل شيء"، ثم أردفوه بالتصريح بألوهية الأقنوم الثاني، وهو الابن في قولهم: " ونؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله"، ونص كذلك علىٰ المساواة فيما بين الأب والابن في قوله عن الابن: "مساو للأب في الجوهر"، ثم قررت ألوهية الأقنوم الثالث، وهو الروح

---

(1) Christian theology: An introduction. McGrath, A. E.John Wiley & Sons, 2nd edition, (2016). P. 282

- وقاموس الكتاب المقدس، ص٢٣٢. وانظر: نظرة عن قرب في المسيحية، بربارا براون، ص٣٦.

القدس حيث جاء مصرحًا بألوهية الروح القدس في قوله: " ونؤمن بالروح القدس الإله الحي، المنبثق من الأب، المسجود له والممجد الناطق بالأنبياء"، وبهذا اكتملت عناصر الثالوث المقدس، الذي اعتبر من أهم العقائد الأساسية في الديانة النصرانية الجديدة.

ج- مفهوم هذه العقيدة:

مفهوم هذه العقيدة عندهم أنهم يعتقدون أن هذه الأقانيم الإلهية الثلاثة هو إله واحد في غير انفصال، إلا أنهم متميزون تميُّزًا حقيقيًّا فيما بينهم، فالأب يلد الابن، والابن يلده الأب، والروح القدس ينبثق منهما، وكلمة الأقنوم هي كلمة سريانية الأصل، وتشير إلىٰ كائن حي قدير مستقل بذاته، ينسب أفعاله إلىٰ نفسه، أو إلىٰ جوهر روحي قابل للاشتراك.(١)

ويحاول مارتن لوثر أن يميز بين هذه الثلاثة أقانيم فيقول: "الابن مع الأب منذ الأزل، فهو مولود من الأب قبل كل الدهور، والروح القدس منبثق من الأب والابن منذ الأزل، فعمل الخلق يعود إلىٰ الله الأب، وعمل الفداء يعود إلىٰ الابن، والتقديس يعود إلىٰ الروح القدس"(٢).

وأما حقيقة هذه العقيدة عند النصارىٰ فإنهم يعترفون بأنها غير مدركة وغير مفهومة، لذلك زعموا بأن مفهوم هذه العقيدة سر إلهي، لا يستطيع إدراكه العقل البشري.

وهذا التخويف من شأن التفكير في الأمور اللاهوتية كالتثليث مثلا أمر دعا إليه

(١) انظر: Christian theology: An introduction. McGrath, A. E.John Wiley & Sons, 2nd edition, (2016). P. 282.

(٢) أصول التعليم المسيحي، الكتاخسيمس الصغير، مارتن لوثر، المقدمة، ص٥٣.

باباوات الكنيسة المثلثة منذ بواكير نشأتها، وردوا ذلك إلىٰ صعوبة فهمها، يقول البابا كيرلّس الأول (بابا الكنيسة الإسكندرية ٣٧٦-٤٤٤م): "إن الدخول في الأمور اللاهوتية هو أمر صعب بكل تأكيد حتىٰ بالنسبة إلىٰ الذين لديهم حواس مدربة علىٰ إدراك الأمور اللاهوتية..والسبب وراء تلك الصعوبة يكمن في أن ذهن الإنسان مثقل جدا وغير قادر علىٰ إدراك الأمور الدقيقة"(١).

فالثالوث رغم أنه متأصل بقوة فيما بين المسيحيين، كما يرىٰ الدكتور (م.أ.ك.كيف) لكن من النادر أن نرىٰ شخصا يتدبر ما ينطوي عليه ثلاثة في إله واحد، وغالبية المسيحيين لا يتساءلون أبدا عن مدىٰ صحة هذه العقيدة(٢).

ولعل مرد ذلك إلىٰ الخوف من عدم تقبل العقلية المسيحية المعاصرة للأطروحات اللاهوتية في شرح عقيدة الثالوث المقدس، خصوصا بعد الانفتاح الكبير للعقلية المسيحية في تقييم العقائد اللاهوتية الكنسية في هذه العصور المتأخرة.

أدلتهم في إثبات عقيدة التثليث:

الأمر الأول: الأدلة النقلية:

وهذه الأدلة إما أنهم استقوها من العهد القديم أو العهد الجديد وذلك كما يلي:

أ - **العهد القديم**: استدلوا ببعض النصوص الواردة في العهد القديم، ومن أبرز ذلك ما ورد في لفظ (إلوهيم، אֱלוֹהַ) حيث ورد في سفر التكوين: " في البدء خلق الله السماوات والأرض، وكانت الأرض خاوية خالية، وعلىٰ وجه الغمر ظلام، وروح الله يرف علىٰ وجه المياه."(تكوين، ١/ ٣) حيث زعموا أن النص العبري في قوله (خلق

(١) انظر: كتابه حوار في الثالوث، البابا كيرلس السكندري ص٣.

(٢) انظر: عقيدة الثالوث هل هي من وحي الله، م.أ.ك.كيف، ص١٠

الله) جاء بصيغة الجمع (إلوهيم) أي الآلهة، وهذا يدل علىٰ التثليث(١).

ب - العهد الجديد: استدلوا علىٰ إثبات عقيدة التثليث بكثير من الأدلة الواردة في العهد الجديد، التي اعتقدوا أنها تدل علىٰ التثليث، ومن أبرز ما استدلوا به هو ما جاء في إنجيل متىٰ: "وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس."(متىٰ، ٢٨/ ١٩-٢٠) وهذا الدليل يعد من أهم الأدلة عندهم.

الأمر الثاني: الأدلة العقلية:

مما يستدل به النصارىٰ في إثبات عقيدة التثليث كثير من الشبه العقلية، والتي يرون من خلالها أنها تشير أو تدل علىٰ صحة التثليث، ومن أهمها استدلالهم بالشمس علىٰ هذه العقيدة، يقول الشاعر المسيحي ناصيف اليازجي:

نحن النصارىٰ آل عيسىٰ المنتمي ... حسب التأنس للبتولة مريم
فهو الإله ابن الإله وروحه ... فثلاثة في واحد لم تقسم
للأب لاهوت ابنه كذا ابنه ... وكذا هما والروح تحت تقنم
كالشمس يظهر جسمها بشعاعها ... وبحرها والكل شمس فاعلم (٢)

وقد شرح ذلك المفهوم عند النصارىٰ المهتدي محمد مجدي مرجان بقوله: فالشعاع منبعث من الجرم، والحرارة منبعثة من الشعاع، والجرم والكل شمس واحدة. فكذلك الله تعالىٰ، إلىٰ غير ذلك من الأدلة(٣).

(١) انظر: علم اللاهوت النظامي، القس جمس أنس ص٢٨٨ واللاهوت العقائدي، الله والإنسان، المطران كوركيس كرمو ١/ ١٨٤ ومختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ص٢٤.

(٢) نقلها صاحب تفسير المنار، محمد رشيد رضا ٦/ ٤٠٠.

(٣) انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص١٣.

الرد على عقيدة التثليث:

أ- الرد علىٰ عقيدة التثليث بنصوص كتابهم المقدس، فقد وردت كثير من النصوص في الكتاب المقدس التي تنص علىٰ التوحيد، وقد تقدم ذكر بعض الأمثلة علىٰ ذلك.

ب- أن عقيدة التثليث لم تعرف ولم يتكلم بها أي نبي قبل المسيح، وعندما جاء المسيح لم يتكلم بها أو يدعو إليها، وقد أورد البابا كيرلس الأول ٤٤٤م هذا الإيراد وأجاب عنه بقوله :" يجب أن لا تسبب قلقا ما دامت تحمل معنىٰ صحيحا"[1]، ولا شك ان هذا التعليل في غاية السخف، وإلا فما هي الطريقة التي سلكها في إثبات صحة معناه؟.

ج- الرد علىٰ عقيدة التثليث ببيان مخالفتها للعقل، حيث تعتبر هذه العقيدة من ضمن العقائد التي تخالف العقل تمام المخالفة، بل لا تفهم أصلا حتىٰ يحكم بمدىٰ معقوليتها، وهي متناقضة في نفسها، حيث إن العقل لا يفهم المراد بقولهم: إن الله واحد في ثلاثة أشخاص، وأن هؤلاء الثلاثة هم في الواقع واحد، فهذا الكلام يناقض بعضه بعضا، وهذا مدعاة إلىٰ التشويش والارتباك، الذي نفاه بولس في رسالته إلىٰ كورنثوس عن عقائده حيث يقول: "... إن الله ليس هو خالق التشويش والارتباك."(كورنثوس الأولىٰ، ١٤/ ٣٣)

ولما أدرك النصارىٰ أن عدم إدراك العقل لهذه العقيدة يعد من أكبر المثالب عليها، قالوا بأن الثالوث المقدس سر غامض، ينبغي الإيمان به دون فهمه وإدراكه.

ويظهر التخبط جليا في مفهوم هذه العقيدة عند كتابتهم عنها، ومن ذلك مثلا ما جاء في قاموس الكتاب المقدس من أن هذه الثلاثة أقانيم بينها تمايز، وأن الكتاب

[1] حوار حول الثالوث، البابا كيرلس الأول، ص١٢

المقدس يصف هذه الأقانيم "بطريقة تجعلهم شخصيات متميزة الواحدة عن الأخرىٰ"، ثم يقولون بعد ذلك: "هذا التثليث لايعني ثلاثة آلهة، بل إن هذه الشخصيات الثلاث جوهر واحد"(١).

وكذلك ما جاء في كتاب التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، حيث يقول عن الثالوث: "الأقانيم الثلاثة الإلهية هم إله واحد، لأن كل واحد منهم هو كمال الطبيعة الإلهية الواحدة في غير انفصال"، ثم يقول بعد ذلك: "إنهم متميزون تميزا حقيقيا فيما بينهم... الأب يلد الابن، والابن يلده الأب، والروح القدس ينبثق من الأب والابن"(٢). وهذا التناقض في عرضها وفهمها يعد من أعظم الردود عليها.

د - الرد على استدلالاتهم في إثبات عقيدة التثليث:

١ - الرد علىٰ استدلالهم بلفظ الجمع الوارد في العهد القديم (إلوهيم):

أ- في الحقيقة لم يرد ذكر شيء من الإشارات التي تدل علىٰ التثليث صراحة في العهد القديم -بغض النظر عما يزعمونه - وهذا ما أقر به بعض النصارىٰ، يقول قاموس الكتاب المقدس ما نصه: "ومعرفتنا بهذه الشخصية المثلثة الأقانيم ليست إلا حقًّا سماويا أعلنه لنا الكتاب في العهد القديم بصورة غير واضحة المعالم، لكنه قدمه في العهد الجديد واضحا"(٣)، والصواب أنه لم يرد شيء واضح أو غير واضح.

ب- علىٰ فرض ثبوت صحة هذا اللفظ فإن معناه هو جمع تعظيم ولا يفيد الكثرة، وقد اعتادت الأمم التعبير عن عظمائها باستخدام جمع التعظيم، فيقول

---

(١) قاموس الكتاب المقدس، ٢٣٢. وانظر: حقائق أساسية في الإيمان المسيحي، القس فايز فارس ص٥٣.

(٢) كتاب مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ص٢٥.

(٣) قاموس الكتاب المقدس، ص٢.

الواحد: نحن، ورأينا، وأمرنا، ومقصده نفسه، ولا يفهم منه مستمع أنه يتحدث عن ذاته وأقانيمه الأخرىٰ.

وقد ورد ذلك حتىٰ في الكتاب المقدس، وله صور منها قصة المرأة العرَّافة التي رأت روح صموئيل بعد وفاته، فعبرت عنه باستخدام صيغة الجمع، تقول التوراة: "فلما رأت المرأة صموئيل صرخت بصوت عظيم.. فقالت المرأة لشاول: رأيت آلهة يصعدون من الأرض، فقال لها: ما هي صورته؟ فقالت: رجل شيخ صاعد، وهو مغطىٰ بجبّة. فعلم شاول أنه صموئيل."(صموئيل الأول، ٢٨/ ١٢)

فقد كانت تتحدث عن صموئيل الذي رأته علىٰ هيئة رجل شيخ، وتستخدم مع ذلك صيغة الجمع (آلهة)، فالجمع لا يفيد العدد بالضرورة، بل هو جمع التعظيم.

وعندما عبد بنو إسرائيل العجل، وهو واحد سمَّته التوراة آلهة، مستخدمة صيغة الجمع في ثلاثة مواضع، تقول: "فأخذ ذلك من أيديهم وصوّره بالإزميل، وصنعه عجلا مسبوكا، فقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر... صنعوا لهم عجلا مسبوكا، وسجدوا له، وذبحوا له، وقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر"(خروج، ٣٢/ ٤-٨)، فتبين أن هذا النص لا يدل علىٰ التثليث.

ج- لو سلمنا جدلا بفرض صحة الجمع في لفظ ألوهيم، ودلالته علىٰ الكثرة، فإنه لا يدل مطلقا علىٰ التثليث، فغاية ما يمكن أن يدل عليه هو تعدد الآلهة، من غير تحديد لها بالتثليث أو التربيع أو غيره.

٢ – الرد علىٰ استدلالهم بنصوص من العهد الجديد:

وأما ما استدلوا به في إثبات عقيدة التثليث من نصوص العهد الجديد فقد تقدم القول بأنه لم يرد صيغة التثليث صراحة في العهد الجديد، يقول عبد الأحد داود:

"وأما العهد الجديد فلا يؤيدها بصراحة، ولكن حتىٰ لو احتوىٰ علىٰ تلميحات وإشارات حول التثليث فإنه ليس بحجة، لأن المسيح لم يشاهده، ولم يكتبه، ولم يوجد في كلامه الحالي ومضمونه علىٰ الأقل طيلة القرنين الَّذَيْنِ جاءا من بعده"(١).

فاستدلالهم بما ورد في إنجيل متىٰ علىٰ لسان المسيح أنه قال: "وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس." (متىٰ، ٢٨/ ١٩) لا يصح أن يستدل به علىٰ إثبات عقيدة التثليث وذلك لما يلي:

أ - عدم ذكر هذه الفقرة في بقية الأناجيل: وأول نقد يتجه لهذه الفقرة هو أن الأناجيل الأخرىٰ المعتمدة لدىٰ النصارىٰ لم تذكر تلك الوصية، وإنما انفرد بها متىٰ، وهذه العبارة التي انفرد بها متىٰ وردت في الأناجيل الأخرىٰ ولم تنص علىٰ ذكر الآب والابن والروح القدس، فقد وردت في إنجيل مرقص هكذا: "وقال لهم اذهبوا إلىٰ العالم أجمع، واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها، من آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يدن" (مرقس، ١٦/ ١٥).

وردت في إنجيل لوقا هكذا: "وأنت يكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم."(لوقا، ٢٤/ ٧٤)

ولم ترد مطلقا في إنجيل يوحنا، مع العلم بأن إنجيل يوحنا ما ألف إلا لإثبات ألوهية المسيح، والرد علىٰ منكريها،(يوحنا، ١٩/ ٣٥) ومع ذلك فإنه لم يذكر هذه الفقرة رغم أهميتها عند النصارىٰ.

وحين نقل المؤرخ الكبير (يوسابيوس القيصري) هذه الفقرة، لم يذكر فيها الأب ولا الروح القدس بل قال: "فقد ذهبوا إلىٰ كل الأمم ليكرزوا بالإنجيل، معتمدين علىٰ

---

(١) محمد في الكتاب المقدس، عبد الأحد داود، ص٤٧.

قوة المسيح الذي قال لهم: اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم باسمي."[١] كما أقر بذلك الدكتور (ج ريكارت) - أستاذ اللاهوت المعاصر في الكلية الإرسالية الإنجيلية (Texas،kaufman) في ولاية تكساس، ووافقه علىٰ ذلك (أدولف هرنك).

وأما إسحاق نيوتن فقد أثبت عدم وجود هذا الثالوث في هذا النص في النسخ اللاتينية القديمة، وأثبت أن أول ورود لهذا النص هو في إنجيل متىٰ في ترجمة الفولجاتا في القرن الرابع للميلاد علىٰ يد اللاهوتي جيروم بأمر من البابا داماسيوس[٢].

ب - عمل تلاميذ المسيح: من الأمور التي تدلُّ علىٰ عدم صحة هذا النص شكلا ومضمونا هو ما فعله التلاميذ أنفسهم، فنجد أن بطرس نفسه وهو أعظم التلاميذ يقول بعد قيامة المسيح المزعومة: " فقال لهم: أنتم تعلمون، كيف هو محرم علىٰ رجل يهودي أن يلتصق بأحد أجنبي أو يأتي إليه."(أعمال الرسل، ١٠/ ٢٨)

ويقول أيضا في نفس السفر: " وأوصانا أن نكرز للشعب، ونشهد بأن هذا هو المعين من الله ديَّانا للأحياء والأموات"(أعمال الرسل ١٠/ ٤٢) أي أن كرازة وتبشير التلاميذ مقصورة علىٰ الشعب فقط أي اليهود، وليس للأمميين أو للعالم أجمع.

ولزيادة التأكيد، نجد أن التلاميذ أنفسهم لم يغادروا أورشليم إلا مضطرين، ولما تشتتوا في أنطاكيا، وفينيقية، وقبرص، لم يقوموا بتبشير أحد سوىٰ اليهود فقط، وهذا نراه واضحا في أعمال الرسل، إذا يقول مؤلفه متحدثا عن تلاميذ المسيح: " أما الذين تشتتوا من جراء الضيق الذي حصل بسبب استفانوس، فاجتازوا إلىٰ فينيقية و قبرس وأنطاكية، وهم لا يكلمون أحدا بالكلمة إلا اليهود فقط."(أعمال الرسل، ١١/ ١٩)

(١) تاريخ الكنيسة، يوسابيوس القيصري، ص١٠٠.
(٢) انظر: وصف تاريخي لتحريفَيْنِ مهمَّيْن في الكتاب المقدس، إسحاق نيوتن، رقم (١٣)

فإن كان المسيح قد أوعز لتلاميذه بأن يعمدوا جميع الأمم فلماذا لم يكرز التلاميذ بين الأمميين! واقتصر عملهم فقط علىٰ اليهود؟ وجواب هذا يدل علىٰ أن أصل هذه العبارة ملفقة في الإنجيل ولم يتكلم بها المسيح.

ج - علىٰ فرض ثبوت تلك العبارة فإن معناها ليس كما ادعوه من دلالتها علىٰ التثليث، فهذا اللفظ لا يدل علىٰ أن هذه الأسماء الثلاثة عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية الجوهر، وأن كلا منها عين الآخر، وأنه يطلق عليه اسم الله الخالق لجميع الكائنات، ولا علىٰ أنها تتقاسم الأعمال الإلهية علىٰ السواء،(١) فحمل تلك العبارة علىٰ التثليث غير صحيح.

وقد بين بعض العلماء الوجه الصحيح الذي يجب أن تحمل عليه تلك العبارة المنسوبة إلىٰ المسيح، علىٰ فرض صحتها، - كما قال ابن تيمية - أي مُروا الناس أن يؤمنوا بالله وبنبيه الذي أرسله وبالملك الذي أنزل عليه الوحي، الذي جاء به، فيكون ذلك أمرا لهم بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، وهذا هو الحق الذي يدل عليه صريح المعقول وصحيح المنقول.(٢)

فالمقصود أن تجتمع لهم بركات الله وبركات نبيه المسيح، وروح القدس التي تُؤيَّد بها الأنبياء والرسل.

هـ - الرد على استدلالهم العقلي في إثبات عقيدة التثليث:

وأما استدلالهم بالأدلة التي سموها أدلة عقلية علىٰ صحة التثليث فهي لا تدل علىٰ تثليثهم البتة، بل تدل علىٰ قصور فهمهم وسوء أدبهم في تشبيههم الخالق

---

(١) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا ١٠/ ٣٠١.

(٢) الجواب الصحيح، ابن تيمية ٣/ ١٩٧.

بالمخلوقات، فمن تلك الأدلة العقلية - بزعمهم - أنهم شبهوا الله بالتفاحة، والإنسان، والنباتات، والحيوانات، والجبال المثلثة، والشمس.

ومن أشهر الأدلة العقلية التي استدلوا بها في إثبات عقيدة التثليث هو تشبيههم الله تعالىٰ بالشمس، حيث يجتمع فيها ثلاث صفات في جوهر واحد.

فلا ندري كيف استباح الكاتب لنفسه أن يمثل الخالق العظيم بمخلوقاته الضعيفة، بل كيف وصل به الإسفاف في التشبيه الذي وصل إلىٰ حد الهذيان، بتمثيل الله سبحانه وتعالىٰ بالحيوانات والنباتات والجبال المثلثة.

ومع ذلك نقول: إن تشبيه الله تعالىٰ بالشمس غير صحيح وتمويه باطل، لأن نور الشمس لا يُحدُّ بحدِّ الشمس، وكذلك جرمها لا يُحد بحد الشمس، لأن حدّ الشمس جسما مستديرا مضيئا، دائرا في وسط الأفلاك دورانا دائما، ولا يقال: إن نورها أو حرها جسم مستدير مضيء مسخن دائم الدوران، ولو كان نورها وحرها شمسا حقا من شمس حق من جوهر الشمس لكان هذا الاستدلال له معنىٰ، ولكن الأمر مخالف لذلك فلا يشبهه ولا يقع القياس عليه والحجة فيه باطلة.(١)

وبهذا يتبين لنا فساد استدلال النصارىٰ بالعقل والنقل في إثبات عقيدة التثليث، فهو مخالف للعقل الصحيح، ومخالف للنقل الصريح، بل دلت النصوص النقلية والبراهين العقلية علىٰ فساد اعتقاد التثليث.

فتبين من هذا أن عقيدة التثليث هي من العقائد الأساسية في الديانة النصرانية، ولم تستعمل إلا في القرن الثاني علىٰ لسان أسقف أنطاكية ترتليان، وقد قننت في قانون الإيمان المسيحي، حيث ورد وجوب الإيمان بالآب والابن عام ٣٢٥م في مجمع

---

(١) نفس المرجع ٤/ ١١٦.

نيقية ثم الإيمان بالروح القدس عام ٣٨١م في مجمع القسطنطينية، ومدار هذه العقيدة هو الإيمان بأن الآب والابن والروح القدس إله واحد في غير انفصال، إلا أنهم متميزون تميزا حقيقيا فيما بينهم، فالأب يلد الابن، والابن يلده الأب، والروح القدس ينبثق منهما، وهم يعترفون بأنها غير مدركة وغير مفهومة، وأن العقل يستطيع إدراكها، واستدلوا بعدة أدلة في إثباتها منها لفظ الجمع الوارد في نصوص العهد القديم"ألوهيم" الذي يعني آلهة، فدلَّ علىٰ الجمع وهم الثالوث، واستدلوا بنص ورد في إنجيل متىٰ يذكر وجوب التعميد بالأب والابن والروح القدس، واستدلوا كذلك بدليل عقلي وهو عدم استحالة الجمع لثلاثة في واحد وقاسوا ذلك علىٰ الشمس حيث تجمع بين الجرم والحرارة والضوء، وقد بيَّنا بطلان هذه العقيدة نقلا وعقلا، حيث وردت نصوص كثيرة جدًّا تدل علىٰ وحدانية الله وتفرُّده بالألوهية والربوبية، وأن هذه العقيدة لم يتكلم بها أو لم يعرفها أحد من الأنبياء قبل المسيح مما يلزم منه كون كل الأنبياء السابقين ماتوا علىٰ ضلال، ثم إنها مخالفة للعقل، فلا يعقل أن تكون ثلاثة آلهة مجتمعون في واحد، ونحن نرىٰ الانفصال بينهما، فواحد في الأرض وآخر في السماء والروح القدس بينهما، وأما استدلالهم بلفظ الجمع الوارد في ألوهيم فنقول لم يرد إطلاقا أي إشارة للثالوث في العهد القديم وعلىٰ فرض قبول هذا اللفظ كدليل فهو يدل علىٰ التعظيم وليس الكثرة كقول العظماء أمرنا وقلنا وهو معتاد في اللغة العبرية، وله شواهد في نصوص العهد القديم، ولو سلَّمنا أنه يدل علىٰ الكثرة فهو لا يدل علىٰ حصر الآلهة بثلاثة، بل قد يزعم البعض أنه يدل علىٰ أربعة أو سبعة، وأما استدلالهم بنص إنجيل متىٰ فهذا لا يثبت سندا ولا متنا، أما سندا فهو لم يرد في غيره من الأناجيل مطلقا، ولم يوجد في النسخ القديمة ولذلك أقر بعض علماء اللاهوت بأنه دخيل في نسخة الملك جيمس ولم يعرف قبله، وأما متنا فهو لا يثبت أيضا، فنجد أن تلاميذ المسيح الحقيقيين كانوا يحذرون من دعوة غير اليهود وهو ما

نص عليه بطرس وغيره من التلاميذ بنص العهد الجديد، وعلىٰ فرض ثبوتها فهي تدل علىٰ وجوب الإيمان بالأب والابن والروح القدس، أي بالله ونبيه والملاك الذي نزل عليه، ولا يلزم من هذا الإيمان أن يُتخذوا كلهم آلهة، وأما استدلالهم العقلي أي قياسهم الله علىٰ الشمس فهو قياس منهي عنه بنص الكتاب المقدس حيث ورد النهي عن عدم جواز قياس الله علىٰ مخلوقاته، ثم إنه قياس مع الفارق فالشمس لاينفك جرمها ولا ضوءها ولا حرارتها عنها، بخلاف الثالوث المقدس فهم منفكون عن بعض في الجوهر.

المبحث الثالث

عقيدة الصَّلب والفداء وإبطالها

من ضمن أسس العقائد النصرانية والتي نص عليها قانون الإيمان المسيحي، وتسمىٰ أيضا عقيدة الخلاص و عقيدة الكفارة. وسوف نلقي الضوء عليها فيما يلي:

أ- أهميتها ومفهومها:

هذه العقيدة لها أهمية كبيرة في الديانة المسيحية بأسرها، بل تعتبر أهم العقائد المسيحية إذا ما قورنت بغيرها من العقائد، لأنها جامعة لبقية العقائد الأخرىٰ، فلا يصح الإيمان بالمسيحية الجديدة حتىٰ يعتقد أن المسيح قد صلب من أجل فداء البشر.

وقد نص قانون الإيمان المسيحي النيقوي علىٰ بعض تفاصيل الإيمان بهذه العقيدة، حينما يقول: "ونؤمن برب واحد يسوع المسيح الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا، نزل من السماء، وتأنس وتجسد وتألم، ثم صلب ومات ودفن، ثم قام من قبره في اليوم الثالث وصعد إلىٰ السماء."

وعند النظر في مفردات هذا المقطع من هذا القانون نرىٰ أنه احتوىٰ علىٰ جملة من الأمور منها أنه نزل من السماء، ومنها أنه عندما نزل ذاق أنواع الآلام والأحزان، ومنها أنه صلب بعد ذلك، ومنها أنه مات علىٰ الصليب، ومنها أنه دفن بعد الموت، ومنها أنه قام من دفنه بعد موته وعاد إلىٰ الحياة، ومنها أنه عندما عاد إلىٰ الحياة صعد من علىٰ الأرض إلىٰ السماء.

يشرح القديس أغناطيوس هذه العقيدة فيقول:

"لقد مات يسوع المسيح من أجلنا، ليحفظنا من الموت، لقد احتمل هذه الآلام جميعا، لأجل خلاصنا، لقد مات من أجلنا، وقام من أجلنا، لقد سُمّر حقا بمسامير لأجلنا بجسده، في أيام بيلاطس البنطي، ولقد حصلنا علىٰ الحياة بصليبه وآلامه المقدسة"(١).

ويشرح مارتن لوثر هذه العقيدة فيقول: "أؤمن بأن يسوع المسيح هو إله حق، مولود من الأب قبل كل الدهور، وأيضا إنسان حق مولود من مريم... افتداني وأعتقني من جميع الخطايا والموت، ومن سلطة الشيطان، ليس بذهب ولا فضة، بل بدمه الطاهر الثمين، وبآلامه وموته"(٢).

ومفهوم هذه العقيدة بشكل مبسط هو أن آدم وحواء عندما أكلا من الشجرة غضب الله عليهما، وغضب علىٰ الحية التي أغوتهما، فقال للحية: "ملعونة أنت من جميع البهائم، ومن جميع وحوش البرية، علىٰ بطنك تسعين، وتأكلين ترابا كل أيام حياتك." وغضب علىٰ المرأة وقال لها: "تكثيرا أكثر أتعاب حبلك، بالوجع تلدين أولادا، وإلىٰ رجلك يكون اشتياقك، وهو يسود عليك" وقال لآدم: "ملعونة الأرض بسببك، بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك، وشوكا وحسكا تنبت لك، بعرق وجهك تأكل خبزا حتىٰ تعود إلىٰ الأرض التي أخذت منها" (تكوين، ٣/ ١٤-١٩)

وهذا الذنب الذي وقع فيه آدم وحواء، تعاقب بفعل الوراثة في دم الأبناء، فأصبح كل من ولد منهما ومن عقبهما واقع تحت تلك الخطيئة، إلىٰ أن جاء المسيح، فقرر الله بذل ابنه الوحيد لكي يقتل ويصلب طائعا محبا مختارا فداء عن البشر، لكي يصالحهم،

---

(١) انظر: Crucifixion in the Ancient Mediterranean World. Cook, J., 2014, P.7 والآباء الرسوليون، القمص تادرس يعقوب ص١٥١. وانظر: يسوع الكاهن الأوحد، الأب جيد البندكتي، ص١٠٩ والمسيحية في عقائدها، فالترك اسبر، ص١٥١.

(٢) أصول التعليم المسيحي، الكتاخسيمس الصغير، مارتن لوثر، ص٩٣.

فانتقلت تلك الخطيئة مع الولادة إلىٰ جميع البشر وبعد قتله وصلبه مات موتا حقيقيا، ودفن دفنا حقيقيا، ثم قام من قبره وصعد إلىٰ السماء ليجلس عن يمين الآب[(١)].

وتعليلهم في اختيار المسيح وحده لحمل الفداء، ذلك لأنه لم يعرف الخطيئة ولم يرتكبها كالبشر المخطئين.

وترتبط عقيدة أخرىٰ ملازمة لعقيدة الصلب والفداء وهي عقيدة قيامة المسيح من قبره:

حيث يعتقد النصارىٰ أن المسيح قام من قبره بعد دفنه، منتصرا في اليوم الثالث وأظهر نفسه حيا، وهذه العقيدة لها أهمية كبيرة جدًّا في المسيحية، ولذلك تفرد وينص عليها علىٰ الرغم من ارتباطها ارتباطا وثيقا بعقيدة الصلب والفداء، ولذا يصرح بعضهم بأن المسيحية برمتها متعلقة بمسألة قيامة المسيح، وأنها" قطب رحىٰ الإيمان المسيحي"، وأنه "لولا القيامة لضاعت المسيحية كلها"[(٢)].

---

(١) انظر الكلام عن هذه العقيدة في: Crucifixion in the Ancient Mediterranean World. Cook, J., 2014, P.7 والخلاصة اللاهوتية، الأب متىٰ المسكين ٤/ ٤٦٥. وكتاب مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ص٣٢و ص٤٥- ٤٦. ونظرة عن قرب في المسيحية، برابارا براون، ص٣٩. وشرح رسالة بولس إلىٰ رومية، الأب متىٰ المسكين، ص٩٠. ولا إله إلا الله، دراسة تحليلية لأخطر قضية من قضايا الألوهية، لبيب ميخائيل، ص٦. ماذا كان في البدء، جان دانيلو، ص٦٧. والمسيحية في عقائدها، فالتر كاسبر، ص٢٢٣. وتأملات في قانون الرسل، هانس أوس وفان بلستر، ص٣٧.والخلاص في المفهوم الأرثوذكسي، البابا شنودة الثالث، ص١٨ والمسيحية والألم، الأنبا يوأنس، أسقف الغربية، ص١٧. وعلم اللاهوت، مينا ميخائيل، ١/ ٣٥٢.

(2) Wilpur moorehead smith, therefore stand christian apologetics,p. 577 وThe Cambridge History of Chritianity, Edited by; Margaret Mary M. Mitchell and Frances M.YOUNG,p3-5

أدلتهم في إثبات عقيدة الصلب والفداء:

يمكن أن ترجع الأدلة التي يستدل بها النصارىٰ لإثبات هذه العقيدة إلىٰ أدلة نقلية وأدلة عقلية، وذلك كما يلي:

أولا: الأدلة النقلية:

أولا: استدلوا ببعض نصوص العهد الجديد وخصوصا بأقوال بولس، فمن ذلك قوله في الخطيئة الأصلية: " لأنه جعل الذي لم يعرف خطيئة خطيئة لأجلنا، لنصير نحن بر الله فيه."(كورنثوس الثانية، ٥/ ٢١)

وقوله: "من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلىٰ العالم، وبالخطيئة الموت وهكذا اجتاز الموت إلىٰ جميع الناس إذ أخطأ الجميع." (رومية، ٥/ ١٢)

ومن ذلك ما قاله بولس: "ذلك بأن جميع الناس قد خطئوا فحرموا مجد الله، ولكنهم برروا مجانا بنعمته، بحكم الفداء الذي تم في المسيح يسوع ذلك الذي جعله الله كفارة في دمه."(رومة، ٣/ ٢٣- ٢٦)

ويقول الإنجيل المنسوب إلىٰ مرقس: "لأن ابن الإنسان أيضا لم يأت ليخدِم بل ليُخدَم، وليبذل نفسه فدية عن كثيرين"(مرقس، ١٠/ ٤٥)

ويقول إنجيل يوحنا: "لأنه هكذا أحب الله العالم حتىٰ بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية، لأنه لم يرسل الله ابنه إلىٰ العالم ليدين العالم، بل ليخلص العالم "(يوحنا، ٣/ ١٦)

ويعتقدون أن من أقوىٰ الدلائل علىٰ قيامته من قبره، هو رؤية بعض النساء لقبره الخالي، ورأينه بعد قيامته، واستدلوا كذلك ببعض نصوص العهد القديم، التي زعموا

أن فيها إشارات إلىٰ هذه العقيدة.[١]

ثانيا: استدلوا ببرهان عقلي:

وهو أن العدل والرحمة يوجبان علىٰ الله وقوع الصلب والفداء ويرون أنه كان واجبا وضروريا لمنفعة الناس، ولإظهار وجود الله، ولتمجيد عدله ورحمته. يقول القس عوض سمعان: " بما أننا لا نستطيع بالصلاة والصوم والتوبة والأعمال الصالحة، أن نفي مطالب الله وقداسته التي لا حد لها...لابد من الفداء أو التعويض، أو بالحري لابد من إيفاء مطالب عدالة الله وقداسته بواسطة كائن عوضا عنه"[٢].

إبطال عقيدة الصلب والفداء:

يتبين بطلان هذه العقيدة فيما يلي:

أولا: بيان بطلان تلك العقيدة بدليل مخالفتها للعقل:

إنَّ أول ما يردّ به علىٰ عقيدة الصلب والفداء هو القول بأن هذه العقيدة مخالفة للعقل، فلا يعقل أن ينزل الإله من السماء، أو أن ينزل ابنه إلىٰ الأرض، فيعذب علىٰ أيدي البشر من أجل خطيئة البشر، ثم يموت بعد أن يعذب ويصلب ثم يدفن[٣].

كل هذا مما يمقته العقل ويكذبه، إذ إن الإله إذا كان بهذا الضعف والخور من عبيده بحيث يعذب ويصلب ويقتل ويدفن فلا يستحق أن يكون إلها للبشر، وهذه الأوصاف لا تنطبق إلا علىٰ البشر المضطهدين، وليس الآلهة الأقوياء، ولهذا نجد أن بعض النصارىٰ

---

(١) انظر: المسيحية والألم، الأنبا يوأنس، أسقف الغربية، ص١٧ وكتاب مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ص٤٨.

(٢) كفارة المسيح، عوض سمعان ص٧٠ وانظر: علم اللاهوت، مينا ميخائيل، ١/ ٣٢٣ و٣١٦.

(٣) انظر: الرد الجميل لألوهية عيسىٰ بصريح الإنجيل، لأبي حامد الغزالي، ص١٢٧.

حينما يصف المسيح يصفه بقوله: "يسوع المسيح رجل الأوجاع ومختبر الحزن"(١).

فهل هذه صفات كمال في الإله؟ وهل الإله تناله الأوجاع والأحزان؟ وهل يثق الإنسان برب تتملكه الأوجاع والأحزان؟ أترك الإجابة لذهن القارئ.

ثانيا: بيان بطلان تلك العقيدة لعدم وجود النقل الموثق لها:

إن السؤال المتبادر إلىٰ ذهن كل من سمع خبرا غريبا أو حدثا عجيبا هو عن من رأىٰ هذا الحدث، أو من شهده وحضره، حتىٰ يحكم بعد ذلك علىٰ صحة ذلك الخبر من عدمه وصدقه من كذبه.

فما بالك إذا كان هذا الحدث، هو موت الرب المحيي علىٰ خشبة الصليب، فإن هذا الحدث العجيب يتطلب نقلة أتقياء ثقات، ينقلون للأجيال اللاحقة ما لحق برب العالمين من الحوادث والنكبات، وحمله علىٰ أعناق الرجال، وصلبه علىٰ الخشبات، وطعنه بالحراب، ولبسه للأشواك، ودفنه في باطن الأرض مع مخلوقاته.

وإذا نظرنا إلىٰ نقلة كل تلك الأخبار التي لحقت بالمسيح بعين الإنصاف والعدل، فإننا سوف نجد أن نقلة أخبار صلبه وموته ودفنه، نقلة غير موثوق بهم حتىٰ عند النصارىٰ، فشهود تلك الحوادث من الرومان الوثنيين واليهود المكذبين، ولكن تلقفتها الأناجيل بعد ذلك بعين الرضىٰ والقبول، من غير تمحيص وتدقيق ومعرفة وتحقيق.

ويتبين ذلك في الآتي:

١ - هجوم الجنود الرومان واليهود علىٰ المسيح:

عندما هجموا علىٰ المسيح حينما كان في جثسيماني كان يتقدمهم يهوذا الخائن، وكانت العلامة بين الخائن وبين أولئك الجنود هي تقبيل الخائن ليد المسيح، وعندما

(١) المسيحية والألم، الأنبا يوأنس، ص٢٣.

قبله قال له المسيح: "يا يهوذا أبقبلة تسلم ابن الإنسان" (متىٰ، ٢٦/ ٤٧. ولوقا، ٢٢/ ٤٨)

ويعني ذلك أنهم لم يكونوا يعرفونه، وإلا لما احتاجوا إلىٰ تلك العلامة بين الخائن والجنود، ثم إن المسيح عندما رأىٰ أولئك الجند المتعطشين لدمه لم يخاطب تلاميذه، وإنما خاطب الجنود قائلا: "كأنه علىٰ لص خرجتم بسيوف وعصي، إذ كنت معكم كل يوم في الهيكل لم تمدوا علىٰ الأيادي" (لوقا، ٢٢/ ٥٢)

فهل كانوا يعرفونه أم لا؟ وأين التلاميذ في ذلك الوقت الذي كان المسيح فيه في أشد الحاجة لوقوف التلاميذ بجانبه؟

تخبرنا الأناجيل أن التلاميذ هربوا من ذلك المكان، "فتركه الجميع وهربوا" (مرقس، ١٤/ ٥٠)سوىٰ بطرس الذي هرب هو بعد ذلك أيضا وأنكره، ليس مرة واحدة بل ثلاث مرات (يوحنا، ١٣/ ٢٧)

ولهذا يحق لنا أن نتساءل كما تساءل الأنبا يوأنس، حينما يقول: أين بطرس وبقية التلاميذ؟ هل نسوا معلمهم ومحبته لهم؟ هل محيت من أذهانهم كل معجزاته؟ لقد صحبوه أكثر من ثلاث سنوات، أين ذهبت أحداث هذه السنوات؟ هل نسوا سلطانه علىٰ كل الكائنات؟ كل تلك الأسئلة تحتاج إجابات تشفي صدور المحبين للمسيح في الحقيقة، لكن الأنبا يعتذر بعد ذلك للتلاميذ فيقول: لكنه الضعف البشري ما زال فينا، وما زال يسبب آلاما مبرحة للمخلص[(١)].

ولكن هذه الإجابة لا يمكن أن تقنع أحدا، فضلا عن أن تشفي صدور المؤمنين، إن الإجابة علىٰ هذه الأسئلة هي من قول المسيح نفسه حينما يقول: "إني ذاهب إلىٰ أبي وأبيكم ولا ترونني أيضا"(يوحنا، ١٦/ ١٠).

---

(١) المسيحية والألم، الأنبا يوأنس ص٤٤.

فهنا أخبر المسيح أنه ذاهب إلىٰ أبيه ولا يراه التلاميذ ولا الناس، لأن اللفظ هنا عام في عدم الرؤية، ولم يخصص أحدا برؤيته، وأما المصلوب فقد رآه بطرس قبل أن يهرب، ورآه اليهود ورآه الرومان، فكيف يمكن أن يطابق ذلك النص مع وصف المصلوب؟

كل هذا يجعلنا نجزم بأمر مهمٍّ جدا، وهو أن التلاميذ كانوا مصدقين بأقوال المسيح عليه السلام أنه سوف يرفع إلىٰ السماء، وعلمهم التام بأنه قد رفع إلىٰ الله حقيقة، ولهذا لم يلحقوا بذلك المصلوب، ولم يكلفوا أنفسهم عناء الذهاب إليه، أو المدافعة عنه، أو حتىٰ رؤيته. وهذا هو الاعتقاد اللائق بمكانة أولئك التلاميذ، وإيمانهم بالمسيح عليه السلام.

٢ – في محاكمة المسيح حدثت أحداث هامة ثم أصدر الحكم عليه بأنه مجدّف من قبل الحاكم الروماني، بعد محاولات عديدة من قبل اليهود، واقتيد إلىٰ الصليب ليحكم عليه بالموت، ثم علق علىٰ خشبة الصليب، وألبس تاجا من الشوك، وبصق علىٰ وجهه، وضرب وطعن وأسلم الروح (متىٰ، ٢٧/ ٢٩). كل هذه الأحداث مَنْ نقلها؟ وعلىٰ ماذا اعتمد كتاب الأناجيل في إثباتها؟ بل علىٰ ماذا اعتمد النصارىٰ في تقريرها؟

الجواب هو: أن كل نقلة هذه الأحداث لم يكن فيهم أحد من تلاميذ المسيح وتابعيه، بل نقلها النصارىٰ عن أعداء المسيح، فلم ينقلها أحد من المسيحيين الحقيقيين. وإلا فأين الدليل علىٰ ضد ذلك، ومن المحال أن يجدوا دليلا واحدا.

ثالثا: أن كتب العهد القديم تدل علىٰ بطلان عقيدة الصلب والفداء:

إن كتب العهد القديم لا تدل علىٰ التنبؤ بواقعة الصلب – كما يزعم النصارىٰ – بل تدل علىٰ بطلان أساس عقيدة الصلب والفداء، وذلك لأنه قد ورد في نصوص العهد القديم التصريح بأن الإنسان لا يحمل خطيئة غيره، بل يحمل خطيئته فقط.

فقد ورد في سفر إرميا: "لا يقال بعد إن الآباء أكلوا الحصرم، وأسنان البنين ضرست، بل كل واحد بإثمه يموت، وكل إنسان يأكل الحصرم تضرس أسنانه"(إرميا، ٣١/ ٢٩)

وورد في سفر حزقيال عن الرب أنه قال: "النفس التي تخطئ هي التي تموت، الابن لا يحمل إثم الأب، والأب لا يحمل إثم الابن، بر البار عليه يكون، وشر الشرير عليه يكون "(حزقيال، ١٨/ ٤)

وورد في سفر التثنية: "لا يقتل الآباء عن الأولاد، ولا يقتل الأولاد عن الآباء...كل إنسان بخطيئته يقتل"(تثنية، ٢٤/ ١٦)

وعند ما أدرك بولس أن أنبياء الله تعالىٰ لم يكونوا يعرفون ذلك الفداء، بدليل عدم إشارتهم إليه، رأىٰ أن أجدىٰ وسيلة وأنفع حيلة هي القول بأن ذلك سر خفي علىٰ جميع من كان قبله من الرسل والأنبياء واكتشفه هو.

يقول بولس عن ذلك: "السر المكتوم منذ الدهور ومنذ الأجيال، لكنه الآن قد ظهر لقديسيه الذين أراد الله أن يعرفهم ما هو غنىٰ مجد هذا السر في الأمم" (كولوسي، ١/ ٢٦)

ولكن هذا السر لم يعرفه أحد قبله، ولا المسيح عليه السلام -في نظره- فإنه لو كان يعرفه لصرح به منذ أول وهلة، ثم بعد ذلك رأىٰ بولس أن يحصر كشف ذلك السر عليه فقال: "إنه بإعلان عرفني السر كما سبقت فكتبت بالإيجاز"(أفسس، ٣/ ٣)

ومما يؤيد بطلان هذه العقيدة، هو أن العهد القديم قد حكم علىٰ كثير من الأنبياء بالبر والثناء العطر، وأنهم قد دخلوا ملكوت الله، دون أن يشير إلىٰ وقوعهم في الخطيئة مجرد إشارة، فهؤلاء الأبرار ذكرَتهم نصوص التوراة، وأثنت عليهم، ولم تتحدث عن قيدهم بالخطيئة الموروثة (من أمثلة ذلك انظر: حزقيال، ١٨/ ١٩ - ٢٣. و التكوين، ٥/ ٢٤. و عبرانيين، ١١/ ٥. والتكوين، ٦/ ٩و التكوين، ١١/ ١. والتكوين، ٢٤/ ١)

فلم يحتج أولئك الأبرار من أنبياء الله لدم بشر مسفوح حتىٰ ينالوا البر، بل نالوه بصالح أعمالهم.

رابعا: إن الإيمان بهذه العقيدة يلزم منه كثير من اللوازم الباطلة والأمور الفاسدة:

فمن ذلك الانتقاص في جناب الله تعالىٰ، واتهامه بالكذب والظلم، ونسبته إلىٰ السفه والنقص والعجز، وعدم معرفة عواقب الأمور، وجعله كآحاد البشر، يحبل ويولد به ثم يصلب.

ويمكن تلخيص تلك اللوازم الباطلة إلىٰ ما يلي:

أ-أن الذي صلب وقتل ومات ودفن وعذب هو اللاهوت، وهذا عند أصحاب الطبيعة الواحدة، الذين نصوا علىٰ أن الذي صلب وتألم هو ابن الله الأزلي، وهو الذي ولد من البتول وبما أن الابن والأب متحدان في الجوهر، فيعني أن الذي تألم وصلب هو الله - تعالىٰ -.

ب- يلزم منه أن يكون المسيح واقع تحت اللعنة، لأن التوراة قد صرحت بلعنة كل مصلوب (تثنية، ٢١/ ٢٢).

أ- يلزم منه أن الله تعالىٰ حين خلق آدم لم يكن يعلم أنه سيعصي أمره.

ب- يلزم منه ثبوت الجهل لله، وذلك لأن الله أخذ قرونا طويلة، يجهل كيفية خلاص البشر من هذه الخطيئة.

ت- يلزم منه أنه تعالىٰ أهين إهانات بالغة من قبل اليهود عندما قبض عليه، منها أنهم كانوا يبصقون في وجهه، وألبسوه تاجا من الشوك ويستهزئون به (متىٰ، ٢٧/ ٢٧-٣١)

ث- يلزم منه أنه كان يعبد نفسه، وذلك عندما اقتربت ساعة القبض علىٰ

المسيح -بزعمهم- أخذ يبتهل ويدعو الله، وأخبر حوارييه أن نفسه خائفة حد الموت (متىٰ، ٢٦/ ٣٦-٤٤. و مرقس، ١٤/ ٣٢-٣٩)

وكل هذه الصفات لا يمكن أن تكون لإله له القدرة النافذة في كل ما يريده، وإلا فإنه يلزم أن يكون علىٰ زعمكم ذليلا عزيزا، مهانا منيعا، قويا ضعيفا، ميتا حيا، وذلك لا يرضاه أجهل الناس فهما وأسخفهم عقلا[١]، ولا شك أن إثبات التناقض يعد من أقوىٰ الأدلة علىٰ بطلان هذا الاعتقاد.

خامسا: تناقض قصة الصلب والفداء بين نصوص الأناجيل:

لا شك أن الأناجيل تعد المصدر الوحيد -للنصارىٰ-لوقائع محاكمة المسيح وصلبه، فليس هناك أي مؤرخ أو كاتب يهودي أو وثني، ذكر وقائع محاكمة المسيح وصلبه[٢].

ولكن هذا المصدر الوحيد متناقض في سرده للقصة، خصوصا وأن هذه القصة لا تعد حادثة عادية، وإنما حادثة فريده من نوعها في تاريخ العالم- من وجهة نظر النصارىٰ - وهذا التناقض الحاصل بين نصوصها يوهن هذه الحادثة، بل يدعو إلىٰ نفيها بالكلية، وتلك التناقضات ما يلي:

١ - يتناقض حال المسيح قبيل صلبه من أنه صلب طائعا مختارا، وبين ما ذكرته الأناجيل التي تصرح بأنه حزن واكتأب، عند ما شعر بقرب أجله، وطلب من الله أن يصرف عنه هذه الكأس[٣].

---

(١) الفارق بين المخلوق والخالق، عبد الرحمن البغدادي، الباجه جي زاده ٢/ ٥٨.

(٢) انظر صلب المسيح ومسؤولية اليهود، نصري سلهب، ص٢٢.

(٣) ولذلك يقول الشيخ أحمد ديدات: "ولو كانت تلك هي خطة الله ومشيئته من أجل الخلاص، فإنها إذن خطة ومشيئة لا قلب لها، كانت عملية اغتيال بالدرجة الأولىٰ، ولم تكن خلاصا قائما علىٰ أساس من تضحية تطوعية". مسألة صلب المسيح، أحمد ديدات، ص٤٠.

٢- من جملة المتناقضات في واقعة الصلب مسألة اللصين اللذين قالوا إنهما صلبا معه، حيث ذكر مرقس ومتىٰ (مرقس ١٥/ ٣٢ و متىٰ، ٢٧/ ٤٤) أنهما كانا يجدفان عليه، وأما لوقا فقد ذكر بأنه كان واحدا فقط من المذنبين المعلقين معه يجدف عليه قائلا: " إن كنت أنت المسيح فخلص نفسك وإيانا، فأجاب الآخر وانتهره"(لوقا، ٢٣/ ٣٩-٤٣)

٣- ومنها مسألة دفنه ليلة السبت، وقيامه من القبر قبل فجر يوم الأحد، مع أن البشارة أنه يكون في بطن الأرض ثلاثة أيام بلياليها، وهي مدة يونان في بطن الحوت(متىٰ، ١٢/ ٤٠)، وهذا يتناقض ما ذكرته الأناجيل أيضا، من أن المسيح دفن مساء الجمعة، وجاء النسوة قبره فجر الأحد، فلم يجدنه، فمدة المسيح إذن لا تتجاوز يوما وليلتين[١].

٤- منها مسألة النساء اللواتي جئن إلىٰ القبر، حيث يذكر مرقس أنهن ثلاث نسوة (مرقس ١٦/ ١) ويذكر متىٰ أنهن اثنتين(متىٰ، ٢٨/ ١) بينما يذكر لوقا أنهن جمع من النسوة(لوقا، ٢٤/ ١) وأما يوحنا فقد ذكر أن الزيارة كانت من مريم المجدلية بمفردها، التي تذهب لتحضر معها بطرس ويوحنا (يوحنا،٢٠/ ١١-١٢)

٥- اتفق مرقس ومتىٰ ويوحنا(مرقس،١٦/ ١. ومتىٰ، ٢٨/ ١. ويوحنا، ١٥/ ٢٠) علىٰ أن الظهور الأول للمسيح كان من نصيب مريم المجدلية، التي لم تعرفه وظنته البستاني، بينما أسقط لوقا تلك الرواية تماما، وجعل الظهور الأول من نصيب اثنين كانا منطلقين إلىٰ قرية عمواس.[٢]

٦- اتفق مرقس ومتىٰ (مرقس،١٤/ ٢٨. ومتىٰ، ٢٨/ ١٠) علىٰ أن الظهور للأحد عشر

---

(١) يقول موريس بوكاي معلقا علىٰ ذلك: "المعلقون علىٰ الأناجيل يسكتون في غالب الأحيان أمام هذا الحدث." القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، موريس بوكاي ص٨٣.
(٢) وهي بلدة علىٰ بعد ٦٠ كيلو من القدس. انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص٦٤١.

تلميذا حدث في الجليل، فاختلفا في ذلك مع لوقا الذي جعله في أورشليم(لوقا، ٢٤/ ٣٣) أما يوحنا فتوقف في ذلك ولم يصرح باسم البلد.

وبهذا يتبين أن قصة حادثة صلب المسيح عليه السلام، لم تثبت بالأدلة التاريخية ولا العقلية ولا حتىٰ النقلية، وذلك لتضادها مع نصوص الكتاب المقدس ولعدم معقوليتها ولتضارب أقوال تلك الحادثة فيما بين الأناجيل، ولعل مرد ذلك إلىٰ اختلاف نقلة تلك الرواية، فهي لم تنقل إلا من جهة من حضرها، والذين حضروها هم خليط من اليهود والرومان، باعتراف الإنجيل، ثم بنيت المسيحية الجديدة علىٰ الإيمان بها اعتمادا علىٰ هؤلاء النقلة، وهم ليسوا مؤتمنين في نقلها ولا في روايتها، بل ليسوا مؤتمنين حتىٰ علىٰ كتبهم، فضلا عن كتب غيرهم، وكيف يوثق بنقلهم وهم ألد أعداء المسيح، وقتلة أتباعه من بعده.

فتبين من هذا أن عقيدة الصلب والفداء من أسس العقائد النصرانية وتسمىٰ أيضا عقيدة الخلاص والكفارة، وقد قررت في قانون الإيمان المسيحي في مجمع نيقية، وهي تقوم علىٰ الاعتقاد بأن هناك خطيئة متوراثة في النسل البشري من لدن آدم وحواء وذلك عندما أكلا من الشجرة المنهي عن أكلها، فتوُرِّثت الخطيئة في دماء نسلهم إلىٰ أن جاء المسيح ابن الله ففدىٰ الناس وقدم نفسه كذبيحة ليعلق علىٰ خشبة الصليب ليخلص الناس من إثم هذه الخطيئة، وقد ستدلوا علىٰ ذلك بعدة أدلة نقلية أهمها تلك النصوص التي وردت في رسائل بولس في العهد الجديد والأناجيل، وأما استدلالهم العقلي فهو يدور حول أن العدل والرحمة يوجبان علىٰ الله وقوع الصلب والفداء وذلك لمنفعة الناس ولتخليصهم من وراثة الخطيئة، وهو أن العدل والرحمة يوجبان علىٰ الله وقوع الصلب والفداء، ويرون أنه كان واجبا وضروريا لمنفعة الناس، وقد بينا بطلان هذه العقيدة نقلا وعقلا، أما نقلا فقد ورد لعن من علق علىٰ خشبة الصليب في العهد القديم، فيلزم منه لعن المسيح، ولذلك نص بولس علىٰ أن

المسيح صار لعنة، وهذا مع مافيه من سوء أدب مع الرب يسوع المسيح فيه برهان علىٰ عدم ألوهيته فكيف يكون لاعنا وملعونا في الوقت نفسه، ثم إن هذه العقيدة مخالفة للعقل فلا يعقل أن يعذب الإله ويعلق رب العالمين علىٰ الصليب ويطعن ويدفن، فكيف تثق النفوس وتطمئن إلىٰ مثل هذا الإله، وأما استدلالاتهم النقلية فهذا يجرُّنا إلىٰ معرفة سند ومتن تلك الكتب وهل يوثق بها وهو ما خصصنا فصلا كاملا لبيان ذلك، ثم إننا لو افترضنا قبول قصتها في نقل تلك الحادثة، فهي تنص علىٰ أنه لا يوجد أحد من تلاميذ المسيح رؤي وقت تعليق المسيح علىٰ الصليب، بل تنص علىٰ أن جميع التلاميذ تركوه وهربوا، مما يلزم من ذلك أن نقلة تلك الحادثة هم أعداء المسيح فقط، الذين رووا تلك الحادثة، مما لا يؤمن اللبس والتدليس في نقلهم وهم قد حاربوا المسيح ووصفوه بالمجدف ولا يؤمن الكذب من جانبهم، وهنا يمكنني أن أتبرع بالجواب وأقول هربوا لأنهم كانوا يعرفون أن نبيهم ذهب إلىٰ ربه ولذلك لم يكلفوا أنفسهم عناء اللحاق به، ثم إن هناك نصوصا كثيرة في العهد القديم تدل علىٰ إبطال عقيدة الصلب والفداء حيث ورد النص الصريح أن النفس التي تخطئ هي التي تحاسب وورد النص علىٰ أن الأبناء لا يحملون إثم الآباء وكذلك العكس، ثم إن الإيمان بهذه العقيدة يلزم منه لوازم باطلة منها بينا بعضها فيما سبق، وهذه القصة بوجه عام متناقضة في نقلها بين الأناجيل، فمنهم من يقول إنه صلب مختارا ومنهم من يقول إنه كان خائفا، ومنهم من يقول إنه صلب معه لصان ومنهم من يقول لص واحد، وبعد قيامته منهم من يقول إنه لقي ثلاث نسوة جئن إلىٰ القبر ومنهم من يقول إنهن اثنتان ومنهم من يقول إنهن مجموعة، وكذلك لقاؤه التلاميذ بعد قيامته من قبره منهم من يقول لقيهم في الجليل ومنهم من يقول إنه لقيهم في أورشليم مما يثبت تناقض القصة وعدم صحتها سندا ومتنا وعقلا في نسبة الصلب إلىٰ المسيح مع عدم إنكار الصلب لغيره ﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧].

المبحث الرابع

عقيدة رجعة المسيح ومحاسبته للناس يوم القيامة وإبطالها

تمهيد:

تعد عقيدة الدينونة في العالم الأخروي للإنسان من العقائد المشتركة بين كثير من الديانات، وبما أن دراستنا تتمركز حول المسيحية، فسوف نقتصر علىٰ الإشارة إلىٰ نصوص اليوم الآخر في اليهودية.

فاليهودية تؤمن بمبدأ البعث والجزاء والحساب، ويظهر ذلك جليا في نصوص العهد القديم فقد جاء في سفر إشعيا: "تحيا أمواتك تقوم الجثث استيقظوا يا سكان التراب"(إشعيا، ٢٦/ ١٩)

وفي سفر دانيال: " وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون، هؤلاء إلىٰ الحياة الأبدية، وهؤلاء إلىٰ العار للازدراء الأبدي."(دانيال، ١٢/ ٣٠١)

وقد أثبت التلمود أيضا مبدأ الحساب والجزاء الأخروي، فقد جاء في الفصل الرابع من الباب التاسع من القسم الرابع من أقسام المشنا (نزيقين أضرار) ما نصه: "المولودون مصيرهم للموت، والموتىٰ مصيرهم للبعث، والأحياء للحساب، ليعرف الإنسان ويعرف غيره أنه إله هو الخالق، وهو البارئ، هو المدرك، وهو القاضي، وهو الشاهد، وهو المدعي، وهو الذي سوف يحاسب تبارك وتعالىٰ، ليس عنده ظلم ولا نسيان ولا محاباة ولا رشوة، لأن الكل له...لأنك رغما عنك خلقت، ورغما عنك سوف تمثل للحساب أمام ملك الملوك القدوس تبارك وتعالىٰ"[١].

---

(١) ترجمة متن التلمود، المشنا، القسم الرابع (نزيقين أضرار)، ص٣١٨.

وقد وردت كثير من الأمارات التي تدل علىٰ قرب يوم القيامة الكبرىٰ، في نصوص أسفار الأنبياء في العهد القديم، فمن ذلك مثلا: "ظلام الأرض في النهار، وذلك بغياب الشمس (عاموس، ٨/ ٩)وتُنسىٰ التوراة، وتضيع من أيدي اليهود (عاموس، ٨/ ١١)وتتحول الشمس إلىٰ ظلمة، والقمر إلىٰ دم"(يوئيل، ٢/ ٢٨)

اليوم الآخر عند النصارى:

تعتبر عقيدة محاسبة المسيح للناس يوم القيامة من أهم العقائد المسيحية، ويسمون الأمور التي تتعلق بالآخرة بـ(الإسخاتولوجيا)وهي كلمة مركبة من كلمتين يونانيتين معناهما (عِلم الأخرويات)، أي الأمور المختصة بمستقبل النفس، ونهاية العالم، ومجيء المسيح ثانية، والقيامة، والدينونة، ونصيب الأبرار السماوي، وقصاص الأشرار الأبدي[1].

فقد ورد في إنجيل يوحنا عن المسيح قوله: " لا تتعجبوا من هذا، فإنه تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إِلىٰ قيامة الحياة، والذين عملوا السيئات إلىٰ قيامة الدينونة."(يوحنا، ٥/ ٢٨)

ويخبر متىٰ عن المسيح قوله: "ولكن أقول لكم: إِن صور وصيداء تكون لهما حالة أكثر احتمالا يوم الدين مما لكما."(متىٰ، ١١/ ٢٢)

---

(١) انظر الكلام عن هذه العقيدة في: كتاب مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ص٥٠. وانظر: تاريخ الأقباط، زكي شنودة ص٢٥٢. وعلم اللاهوت النظامي، القس جمس أنس ص٩١٧ وص ١١٦٧ والكتاخسيمس الصغير –، مارتن لوثر، ص١٢٦.(واستشهادي في المواضع التي تتفق عليها الكنائس الثلاثة الكبرىٰ بمرجع لكل كنيسة حتىٰ يتبين اتفاقهم علىٰ ذلك من مصدر كل كنيسة، فمثلا كتاب مختصر التعليم المسيحي مختص بالكاثوليك، وكتاب تاريخ الأقباط للأرثوذكس وكتاب علم اللاهوت والكتاخسيمس للبروتستانت).

ويقول بولس في رسالته الأولىٰ إلىٰ كورنثوس: "الراقدون بيسوع سيحضرهم الله أيضا معه" (كورنثوس الثانية، ١- ٩) وورد في سفر أعمال الرسل: "إنه سيكون القيامة للأبرار والأثمة." (أعمال الرسل، ٢٤/ ١٥)

ويمكن ذكر أهم الأمور التي تحدثت عنها نصوص العهد الجديد، فيما يتعلق بأحوال اليوم الآخر، قبل دينونة المسيح للعالم، وذلك فيما يلي:

أ-الموت: الموت في مفهوم المسيحية هو نتيجة الخطأ الذي ارتكبه أبوا البشر، ولذلك قال له الله: " لأنك من تراب وإلىٰ تراب تعود"(تكوين، ٣/ ١٩) وبهذه العقوبة فقد آدم وحواء الخلود نتيجة تلك الخطيئة[1].

ب- النفخ في البوق للبعث: حيث يعتقد النصارىٰ أنه عند مجيء المسيح للدينونة ينفخ في البوق، فيقوم الأموات في المسيح، ويتغير الأحياء المؤمنون في لحظة من الزمان، ويخطفون جميعا إلىٰ السحب لملاقاته، ويمكثون معه كل حين(كزرنثوس الأولىٰ، ١٥/ ٥١)

ت- أن المسيح هو من يتولىٰ حساب الخلائق: يقول يوحنا في إنجيله: "لأنه كما أن الأب يقيم الأموات ويحيي، وكذلك الابن أيضا يحيي من يشاء، لأن الأب لا يدين أحدا، بل قد أعطىٰ كل الدينونة للابن"(يوحنا، ٥/ ٢١)

ويصف بولس المسيح بقوله: "ديانا للأحياء والأموات علىٰ الأبرار والخطاة." (أعمال الرسل،٢٤/ ١٥)

ويقول بطرس كما في سفر أعمال الرسل: " المسيح هو المعين من الله، ديانا للأحياء والأموات."(أعمال الرسل، ١٠/ ٣٤)

---

(١) شرح رسالة بولس إلىٰ العبرانيين، الأب متىٰ المسكين، ص٩٠.

ث- أن تلاميذه الاثني عشر سوف يساعدونه في الحساب، حيث ورد في إنجيل متىٰ علىٰ لسان المسيح مخاطبا تلاميذه: "تجلسون أنتم أيضا علىٰ اثني عشر كرسيا تدينون أسباط إسرائيل"(متىٰ ٢٧/ ٥)

و- ملائكية الحياة الأخروية: ويعني ذلك بأنهم يؤمنون بأن تلك الحياة الأخروية حياة ملائكية بحتة، أي إنها ليست حسية بل هي معنوية[١].

وأهم دليل لديهم هو ما جاء في إنجيل متىٰ علىٰ لسان المسيح في رده علىٰ الصدوقيين من اليهود، عندما سألوه عن الحياة في الآخرة، فقال: "تضلون إذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله، لأنهم في القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون، بل يكونون كملائكة الله في السماء"(متىٰ، ٢٢/ ٢٣ - ٣٠) وهذا هو الاعتقاد السائد لدىٰ البروتستانت، أما الكاثوليك والأرثوذكس فيعتقدون أنها حسية.

إبطال اعتقادهم محاسبة المسيح للناس:

إن أول ما يردُّ به علىٰ هذه العقيدة هو أقوال المسيح عليه السلام، التي نقلتها الأناجيل، ومن تلك النصوص ما يلي:

أولا: تصريح المسيح بأنه لا يحاسب الناس: فقد ورد في إنجيل يوحنا تصريح المسيح نفسه بأنه لا يدين الخلق، فقال: "لست أدين العباد بأعمالهم، ولا أحاسبهم بأعمالهم، ولكن الذي أرسلني هو الذي يلي ذلك منهم"(يوحنا، ٥/ ٣٠)

وقد صرح المسيح أنه مرسل لخلاص الناس بتعليمهم فقط، ولم يأت ليحاسب الخلق فقال: "لأنه لم يرسل الله ابنه إلىٰ العالم ليدين العالم، بل ليخلص به العالم."(يوحنا، ٣/ ١٧)

(١) انظر: الكنز الجليل في تفسير الإنجيل، وليم أدي ١/ ٢٢٥.

ويقول كذلك: "إن سمع أحد كلامي ولم يؤمن فأنا لا أدينه، لأني لم آتِ لأدين العالم، بل لأخلص العالم."(يوحنا، ١٢/ ٤٧)

ثانيا: تصريح المسيح بأن الذي يحاسب الناس هو الله: فقد ورد في إنجيل مرقص: " وأما ذلك اليوم وتلك الساعة، فلا يعلم بهما أحد، ولا الملائكة الذين في السماء، ولا الابن إلا الأب."(مرقص، ١٣/ ٣٢)فلو كان المسيح هو الذي يجازي الناس بأعمالهم، لعلم وقت وقوع الساعة.

ثالثا: طلب المسيح للمغفرة: ومما يدل علىٰ بطلان ذلك أيضا ما ورد في لوقا منسوبا إلىٰ المسيح أنه قال: "يا أبتاه، اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون."(لوقا، ٢٣/ ٣٤) فلو أنه كان هو المجازي لما احتاج إلىٰ الدعاء بغفران ذنوبهم من قبل الله تعالىٰ، بل غفر لهم هو.

رابعا: لا يعقل أن يحاسب المسيح البشر لأنه فدىٰ البشر بنفسه وعلق علىٰ الصليب لاشتماله علىٰ جزء ناسوتي وجزء لاهوتي في طبيعته، فلماذا يحاسب الناس وهو قد افتداهم، فإما أن يكون ذلك الفداء لا معنىٰ له وقتل نفسه هباء، وإما أن يكون ذلك الفداء صحيحا، وإذا كان صحيحا فإما أن يكون علىٰ علم بفدائه وإما أن لا يكون علىٰ علم، فإن لم يكن علىٰ علم فهذا قادح في ألوهيته؛ إذ يجهل فيم قتل ولم قتل ولأجل مَنْ، وإن كان علىٰ علم فإما أن يكون محاسبته لهم من باب خداعهم فأوهمهم بفدائه لهم وإما أن يكونوا مستحقين للمحاسبة، فإن كان من باب خدعهم فهذا قادح في ألوهيته إذ الرب منزه عن خداع خليقته، وإن كانوا مستحقين فلم يقتل نفسه ويزهق روحه لأجل فدائهم فمعنىٰ ذلك أن الفداء كان عبثا. وهكذا تدور التساؤلات التي تؤدي في نهاية المطاف إلىٰ عدم معقولية محاسبته للناس.

فتبين من هذا أن مبدأ الإيمان باليوم الآخر والجزاء الأخروي هو من الأمور التي ورد النص عليها في العهد القديم، والإيمان بها من قبل اليهود إلا من بعض فرقهم، فلما جاء المسيح أثبت كثيرا من عقائد التوراة، وكان منها هذا الاعتقاد وذلك لم يقابل بالإنكار في هذا الجانب بوجه عام، وقد وردت نصوص كثيرة تثبت ذلك في الأناجيل ورسائل بولس، وتسمىٰ هذه العقيدة في اللاهوت المسيحي بـ "الإسخاتولوجيا" أي "عِلم الأخرويات" وقد ورد النص علىٰ أحداث بعض اليوم الآخر في نصوص العهد الجديد كالنفخ في البوق للبعث، وأن المسيح هو من يتولىٰ حساب الخلائق وأن تلاميذه الاثني عشر سوف يساعدونه في الحساب، وكذلك ملائكية الحياة الأخروية أي إنها ليست حسية بل هي معنوية، وقد بينا بطلان اعتقادهم في محاسبة المسيح للناس، حيث ورد النص عن المسيح نفسه بنص الإنجيل أنه لا يحاسب ولا يدين العباد، بل نص علىٰ أن الذي يتولىٰ ذلك هو الذي خلقهم، ونص علىٰ أنه مرسل لتعليم الناس، ومما يعضد ذلك أن المسيح كان يطلب المغفرة من الله، فكيف يطلب المغفرة وهو الغفار؟ ثم إنه لا يعقل أن يحاسب المسيح البشر لأنه فدىٰ البشر بنفسه وعلق علىٰ الصليب، فلماذا يحاسب الناس وهو قد افتداهم، وإلا لزم أن يكون ذلك الفداء لا معنىٰ له وقتل نفسه هباء.

الفصل الثاني

أبرز الشعائر النصرانية

وفيه ثمانية مباحث:

المبحث الأول: الكنيسة ورتب رجال الدين

المبحث الثاني: الأسرار السبعة

المبحث الثالث: الصلاة عند النصارى وإبطالها

المبحث الرابع: الصوم عند النصارى

المبحث الخامس: تقديس الصور والتماثيل والصليب

المبحث السادس: الأعياد النصرانية وإبطالها

المبحث السابع: تقديس يوم الاحد

المبحث الثامن: الرهبنة.

المبحث الأول

الكنيسة ورتب رجال الدين

أَوْلت رسائل العهد الجديد اسم الكنيسة اهتماما بالغا، حيث ورد ذكرها فيها أكثر من خمسين مرة،[١] وأصل هذه الكلمة يعود إما إلىٰ اليونانية (εκκλησια *إكلسيا*) بمعنىٰ: تجمع أو دعوة، أو إلىٰ السريانية (ܟܢܘܫܐ كنشا) بمعنىٰ: تجمع أو حشد من البشر، ويقال إن أصل كلمة كنيسة عبراني، مأخوذ من كلمة (كنيسي)، ومعناها: مجمع أو محفل.

ولعل الأرجح أن اسم الكنيسة في صورتها الحالية مقتبس من السريانية ومعناه: مجمع، أما الكلمة اليونانية المستعملة في العهد الجديد (اكليزيا)، فإنها تعني: مجمع المواطنين في بلاد اليونان، التي كانت الحكومة تدعوهم للتشريع أو لأمور أخرىٰ[٢].

بينما يرجح البعض - كول ديورانت - أنها مقتبسة من كلمة (الإكليزيا Ekklesia)، وهو اللفظ اليوناني الذي كان يطلق علىٰ الجمعية الشعبية في حكومات البلديات."[٣] ولعل الأرجح هو الرأي الأول.

والكنيسة هي مكان العبادة المسيحية، وذلك - حسب اعتقادهم- لأنه "لما رأىٰ الآباء الرسل أنه لا بد من وجود مكان للاجتماع فيه لسماع كلام الله، ولتغذية أرواحهم وتسبيحه وتقديسه، شرعوا في بنيان الكنائس في كل الأصقاع، لاجتماع

---

(١) حاولت عدَّ هذه اللفظة في نصوص العهد الجديد، فكان عددها يتجاوز الخمسين مرة بقليل والله أعلم.

(٢) انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص٧٨٨ و٧٢.

(٣) قصة الحضارة، ول ديورانت ١١/ ٢٧٧.

المؤمنين فيها، ولاشتراكهم في أسرارها السبعة المقدسة"(١).

وللكنائس أنظمة معينة تبنىٰ عليهم عند النصارىٰ، من أبرزها ما يلي:

أ - إن بنيان الكنيسة يكون لجهة الشرق، لأن آدم لما خرج من الجنة خرج من الباب الغربي واتجه نحو الشرق، ولأن شمس البر تشرق من الشمس، ولأن الجنة وموضع الخلقة وصلب المسيح، وما يتعلق به كلها نحو المشرق.

ب- أن طولها يكون أربعة وعشرين ذراعا، عدد أنبياء العهد القديم، وعرضها اثني عشر ذراعا، عدد رسل المسيح.

ج - أن عدد أبوابها يكون ثلاثة: باب للرجال، وهم الخراف الناطقة للراعي الصالح في الغرب، وباب للنساء وهن النعاج الناطقة في الجنوب، وباب لدخول النذورات والقرابين سرا وهو الشمالي.

د - تكون عليها قبة مثل قبة سفينة نوح(٢).

ولكن يبدو أن هذه التعليمات في بناء الكنائس غُيّر كثير منها وبدّل، أو أنها ترجع إلىٰ اجتهادهم، فلم يعد طولها أربعة وعشرين، بل أصبح كثير منها أضعاف هذه المسافة، وأصبح لدىٰ كثير منها أبواب كثيرة.

فتبين من هذا أن الكنيسة من أبرز شعائر النصرانية الظاهرة، وقد ورد ذكرها في العهد الجديد أكثر من خمسين مرة، وقد اقتبس اسمها من اللغة اليونانية أو من

(١) الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة، يوحنا بن زكريا المعروف بابن سباع، ص٤٢ والمجموع الصفوي، ابن العسال، الجزء الأول، ص٩ ومجموعة الشرع الكنسي، الأرشمندريت: حنانيا إلياس كساب ص١ والمدخل إلىٰ العهد الجديد، القس فهيم عزيز، ص٢٦٤.

(٢) انظر: المجموع الصفوي، ابن العسال، ص٩- ١٠. وكذلك في الدسقولية، الباب العاشر والباب الخامس والثلاثين.

السريانية والذي يعني التجمع، وهي مكان العبادة المسيحية، ولبناء الكنائس أنظمة معينة كأن تكون مبنية جهة الشرق وأن تبنىٰ عليها قبة مثل قبة سفينة نوح، وأن يكون طولها أربعة وعشرين ذراعا وعرضها اثنا عشر ذراعا وهذا علىٰ سبيل الاستحسان فيما يظهر.

المبحث الثاني
الأسرار السبعة

وفيما يلي دراسة موجزة لهذه الأسرار السبعة:

١ - المعمودية:

تعتبر المعمودية عند النصارىٰ بمثابة الولادة الثانية بالروح القدس، ولمغفرة الخطايا، وأولها الخطيئة الموروثة من آدم، ولا يدخل أحد في المسيحية إلا بالمعمودية.

وكل طائفة لا تعترف بمعمودية الطوائف الأخرىٰ، فمن انتقل من طائفة إلىٰ أخرىٰ يُعاد تعميده عند الطائفة التي دخل فيها، وهذا هو تفسيرهم لنص قانون الإيمان المسيحي: "ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا" [(١)]، هذا هو رأي الكاثوليك والأرثوذكس.

بينما "لايؤمن البروتستانت أن المعمودية لازمة للخلاص، بل يعتبرونها مجرد علامة للإيمان أو فريضة، ويعتبرون أن الخلاص يكون بالإيمان وحده."[(٢)] ويمكن إلقاء الضوء علىٰ هذه الشعيرة فيما يلي:

أ- أهميته:

لسر المعمودية أهمية عظيمة في العقائد الكنسية، فهي عندهم أجمل وأبهىٰ عطية من عطايا الله، ومن أسمائها عندهم عطية ونعمة ومسحة واستنارة، وثوب عدم

---

(١) انظر: سيرة المسيح وتعاليمه، دنيس كلارك، ص٢٧٦. وأسرار الكنيسة السبعة، حبيب جرجس، ص٢١.

(٢) سلسلة محاضرات تبسيط الإيمان، للأنبا نيشوىٰ،ص١١، www.pdffactory.com

الفساد، وغسل الميلاد الثاني، وختما، وتغطيس، ومسحة، وملكية واستنارة، وثوب وغسل، وختم، ويرون أن المسيحي لا يعد مسيحيا إلا إذا اعتمد[١].

يقول القديس كيرلس الأورشليمي: "عظيمة هي المعمودية المعدة فداء للمأسورين، وصفحا للأوزار، وموتا للخطيئة، وولادة ثانية للنفس، وثوبا نيرا، وختما مقدسا لا ينفك، ومركبة إلىٰ السماء، وتعليم الفردوس، وعلة المكلوت، ومنحة التبني"[٢].

ب- وجوبها:

تجب المعمودية علىٰ الرجل والمرأة صغيرهم وكبيرهم، وقد كان الكاهن لا يعمّد أحدا، إلا إذا بلغ عمره الثلاثين سنة. ونظرًا لموت البعض من رعية الله طفلا بغير عماد، ولا يبلغ عمره حد الثلاثين سنة- أوجب الآباء أن كل طفل ذكر يولد بعد أربعين يوما يعمد بلا تأخير، وكل طفلة أنثىٰ بعد ثمانين يوما وهذا لئلا يفوتهم ملكوت الله، ويبقون مع الشيطان في الهواء"[٣].

وقد تقررت هذه العقيدة كما جاء في نتائج مجمع قرطاجة سنة ٤١٨م فقد جاء من ضمن قراراته "أن من ينكر ضرورة المعمودية للصغار الخارجين حديثا من بطون أمهاتهم، أو يقول إنهم يعمدون لمغفرة الخطايا، ولكن ليس فيهم أثر من خطيئة آدم،

(١) انظر: التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ص٣٧٦. وموسعة آباء الكنيسة، عادل فرج عبد المسيح، ص٨٦ والدر الثمين في إيضاح الدين، القديس الأنبا ساويرس، الشهير بابن المقفع اسقف الاشمونيين ص٦٦ وإيماننا الأقدس، الأنبا يوأنس، ص١٨٠.

(٢) تعليم ابتدائي للموعوظين، ف ١٦. نقلا عن أسرار الكنيسة السبعة، حبيب جرجس، ص٢٥.

(٣) الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة، يوحنا بن زكريا المعروف بابن سباع، ص٤٩. والمجموع الصفوي، ابن العسال، ص١٤. وانظر: أسرار الكنيسة السبعة، حبيب جرجس ص٢٧.

يكفر بغسل الميلاد الثاني...فليكن مبسلا"[١].

وجاء في المجمع التاسع عشر المسكوني المسمىٰ بالتريدنتيتي ١٥٤٥م، في الجلسة السابعة من المجمع (مرسوم في الأسرار)، وفيه (قوانين في شأن سر المعمودية) ومما جاء فيه عن مسألة تعميد الأطفال: "إذا قال أحد: إن الأطفال لايجوز أن يُعدُّوا من المؤمنين بعد نيلهم المعمودية، أو من الأفضل إرجاء معموديتهم فليكن محروما"[٢].

ج - كيفيتها:

تكون ممارسة سر المعمودية بالماء، حيث يقام بتغطيس المعتمد ثلاث غطسات في الماء باسم الأقانيم الثلاثة، باسم الأب والابن والروح القدس، إشارة إلىٰ موت المسيح ودفنه وقيامته.

وإن كان رجلا كبيرا فيرفع يده إلىٰ الشمال، للدلالة علىٰ أنه كان من أهل الشمال، ويتلو صلاة إنكار الشيطان، ويكون وجهه إلىٰ الغرب، للدلالة علىٰ أنه كان غريبا عن الله، وقبل ذلك يرشم المتعمد من قبل المعمد بالزيت، علىٰ ثلاث مراحل: الأولىٰ بالزيت الفارغ والدهن، وهذا يجري قبل خلع ملابس الطفل، والثانية بالغاليليون بعد عري الطفل، والثالثة بالميرون وهو نظير الحنوط[٣].

(١) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها، دنتسنغر هونرمان ١/ ٧٦.

(٢) المرجع نفسه، ١/ ٤١٠.

(٣) وعلىٰ هذا تتفق الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة الأرثوذكسية، الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة، يوحنا بن زكريا المعروف بابن سباع، ص٤٦-٤٨ والمجموع الصفوي، ابن العسال، ص١٥. والتعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ص٣٨١وأسرار الكنيسة السبعة، حبيب جرجس ص٣١

واستدلوا بكثير من الأدلة النقلية والعقلية، التي زعموا من خلالها إثبات شعيرة المعمودية، بل ونسبوا إلىٰ الأنبياء السابقين تقديسهم للمعمودية.

ومن أهم أدلتهم علىٰ ذلك ما ورد في إنجيل يوحنا: "الحق الحق أقول لكم، إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل مكلوت الله."(يوحنا، ٣/ ٣).

وكذلك قوله: "المولود من الجسد جسد هو، والمولود من الروح هو روح"(يوحنا، ٣/ ٦)

وأما من العهد القديم فمن أبر ز أدلتهم ما استدل به غريغوريوس من عصا موسىٰ، التي كانت من اللوز، واللوز هو نوع من الخشب العادي، يستطاع تقطيعه وتشكيله وإلقاؤه في النار، ولكن قدرة الله جعلت منها حية لموسىٰ، وحول بها الماء إلىٰ دم، وأخرج بها ضفادع، وشق بها البحر، ثم يقول عن سر التعميد: "وبنفس المنطق، فالمياه أيضا بالرغم من كونها مجرد ماء، فهي تجدد الإنسان للميلاد الروحي، عندما تقدس بالنعمة التي من فوق"[(١)].

ولا شك أن استدلالهم بعصا موسىٰ من أغرب الأدلة؛ إذ ليس هناك أي علاقة بين مصدر خلق الإنسان أو التعميد وبين معجزة موسىٰ في عصاه، وأما استدلالهم بالعهد الجديد فنصوصه تتحدث عن تكوين أصل خلقة الإنسان وأنه من ماء وروح أو من طين ورح، وقد وردت عدة نصوص تشير إلىٰ هذه الحقيقة في الكتاب المقدس فمن ذلك مثلا ماجاء في سفر التكوين: " وجبل الرب الإله آدم ترابا من الأرض ونفخ فيه نسمة حياة"(تكوين ٢/ ٧) وهذا يبين أصل تكوين الإنسان وأنه من عنصرين مادي وروحي وليس فيه أي إشارة إلىٰ التعميد.

---

(١) انظر: أسرار الكنيسة السبعة، حبيب جرجس ص٨. وسلسلة محاضرات تبسيط الإيمان، ص١، www.pdffactory.com

٢- الميرون أو سر التثبيت:

أي الزيت المقدس يناله المسيحي بعد تعميده، الذي يمسح الكاهن أو الأسقف، لتثبيته وتقويته في الحياة الروحية، ولفهم حقائق الإيمان، وليمنح الروح القدس الذي يحل في جسد المتنصر، وهو لا يتكرر عند الأرثوذكس فقط، أي إن الروح القدس لا يخرج من الإنسان و لو كفر بالمسيحية. ويتم مسح ٣٦ موضعا من الجسد، هي الأعضاء الخمسة والمفاصل والفتحات، وقالوا إنه مصنوع من الحنوط، التي تم وضعها علىٰ جثة المصلوب عند دفنه، وأنه يحتوي علىٰ الروح القدس، وذلك بصلاة الأساقفة عليه، أي إن الروح يتجسد في الزيت، ثم يتجسد في كل شخص مرشوم بالزيت، ويقيم في زجاجة الزيت التي يحملها الكاهن في جيبه.

٣- سر العشاء الرباني أو الإفخارستيا أو التناول:

وهو من الأسرار أي الأكل من جسد المسيح، وشرب دمه تحت أعراض الخبز والخمر، وتؤمن كل الطوائف إلا البروتستانت بالتحول الفعلي للخبز والخمر، إلىٰ جسد ودم حقيقي للمسيح، ولا يتم أي سر إلا بالكاهن أو الأسقف أو البطريرك، وبحضور الشماس.

٤- التوبة والاعتراف للكاهن أو الراهب:

التوبة والاعتراف للكاهن أو الراهب عند الكاثوليك من وراء حجاب، وعند الأرثوذكس مواجهة، ويكون لكل إنسان أب اعتراف ثابت، وكل الخطايا تغفر بأمر الكاهن فقط، ولا شيء بدونه.

٥- مسحة المرضى و القنديل:

ويمسح الكاهن بمقتضاه المريض بزيت مقدس، للشفاء من أمراض الجسد، ولمغفرة خطايا المرضىٰ.

٦- الزواج:

يتم بصلاة الإكليل علىٰ يد الكاهن، بل يقوم الكاهن بتأدية صلاة أخرىٰ، اسمها صلاة تحليل وتبريك، والأرملة والمطلقة إذا تزوجتا ثانية لا تتم لهما صلاة.

٧- الكهنوت:

وهو عمل مقدس يضع به الأسقف علىٰ رأس الشخص المنتخب، ويطلب من أجله فينال النعمة الإلهية، فهو يعطي الإنسان موهبة خدمة الأسرار وتوجيه الروح القدس إلىٰ حيث يريد الكاهن، ويعنون بها الدخول في سلك خدام الكنيسة والمنتسبين إليها من رجال الدين، ودرجات الكهنوت هي ست درجات وهي: البابا والبطريرك والمطران والأسقف والقس والشماس(١).

فتبين من هذا أن الأسرار السبعة هي الشعائر الأساسية في المسيحية، وأول تلك الأسرار سر المعمودية وهو له أهمية عظيمة إذ يعتبر الميلاد الثاني للمعمد علىٰ المسيحية، وهو بوابة الدخول في المسيحية، ولا تعترف كل طائفة بتعميد الأخرىٰ، وهو يجب علىٰ الرجال والنساء صغارا وكبارا، وقد تقررت هذه العقيدة في مجمع قرطاج عام ٤١٨م وكيفيته هو أن يقام بتغطيس المعتمد ثلاث غطسات في الماء،

(١) ولمزيد من الاطلاع علىٰ هذه الأسرار السبعة ينظر: أسرار الكنيسة السبعة، حبيب جرجس ص١٤٩ - ١٩١. والمعاني الروحية في سر الزواج المسيحي،جوزيف عبدالمسيح حنا، مركز قانا الجليل للعائلة والحياة، ٣ - ١٣. ونظم الياقوت في سر الكهنوت، الأنبا إيسوذورس، ص٣٣ فما بعدها. الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة، يوحنا بن زكريا المعروف بابن سباع، ص٤٣-٤٦. موسوعة الأديان الحية، ر.س.ريفنز، المسيحية. ج.ج.ديفز، ص١٦٩-١٨٠. ومختصر كتاب التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ص٦١. ولاهوت الكنيسة عند القديس أغناطيوس، ص٢٦. ومختصر التعليم المسيحي - الكتاخسيمس الصغير، مارت لوثر، ص١٢٠.

باسم الأقانيم الثلاثة، باسم الأب والابن والروح القدس، ويرفع يده إلىٰ الشمال، للدلالة علىٰ أنه كان من أهل الشمال، ويتلو صلاة إنكار الشيطان، ويكون وجهه إلىٰ الغرب، للدلالة علىٰ أنه كان غريبا عن الله، وأما السر الثاني وهو سر الميرون أو التثبيت، فهو أن يمسح المتعمد من قبل الكاهن أو الأسقف بالزيت المقدس المصنوع من الحنوط لتثبيته وتقويته إيمانيا ويتم مسح ٣٦ موضعا من الجسد وهي الأعضاء والمفاصل والفتحات، وأما السر الثالث وهو سر العشاء الرلتني أو الأفخارستيا، وهو الأكل من خبز خمير وخمر علىٰ أنه لحم المسيح وجسده حقيقة، وأما السر الثالث وهو سر التوبة والاعتراف، حيث يعترف المذنب أمام الكاهن بذنوبه مواجهة أو من وراء حجاب ليغفر له، وأما السر الخامس وهو مسحة المرضىٰ، ويمسح الكاهن بمقتضاه المريض بزيت مقدس، للشفاء، وأما السر السادس وهو الزواج، حيث يقوم الكاهن بصلاة تحليل والأرملة و المطلقة إذا تزوجتا ثانية لا تتم لهما صلاة، وأما السر السابع وهو سر الكهنوت، حيث يضع الأسقف علىٰ رأس الشخص المنتخب، ليعطىٰ موهة خدمة الأسرار وتوجيه الروح القدس، ودرجات الكهنوت هي ست درجات وهي: البابا والبطريرك والمطران والأسقف والقس والشماس.

المبحث الثالث
الصلاة عند النصارى وإبطالها

أ- تعريف الصلاة:

الصلاة عند النصارىٰ: هي مخاطبة الإنسان لله تعالىٰ بشكره وتمجيده، والإقرار بربوبيته والاعتراف له بالذنوب [(١)].

والصلاة عندهم ليس لها كيفية محددة، وإنما هي عبارة عن أدعية وتسابيح، وعبارات مدح وشكر وأدعية أخرىٰ، وفيها تواضع واستغفار، يختارونها في الغالب من الأدعية المنسوبة إلىٰ المسيح عليه السلام، أو الأدعية المنسوبة إلىٰ داود عليه السلام في سفر المزامير.

وقد وردت نصوص من الكتاب المقدس تحضُّ علىٰ الصلاة، كما ورد لوقا فيما نسبه إلىٰ المسيح أنه قال: "إنه ينبغي أن يصلي كل حين ولا يملّ."(لوقا، ١٨/ ١) ويقول أيضا: " ومتىٰ صليت فلا تكن كالمرائين"(متىٰ، ٦/ ٥)

ب- شروط الصلاة:

للصلاة عند النصارىٰ شرطان أساسيان وهما:

الشرط الأول: أن تكون باسم المسيح.

فقد جاء في إنجيل يوحنا: "الحق أقول لكم: إن كل ما تسألونه من الأب باسمي يعطيكموه، وإلىٰ الآن لم تسألوا باسمي شيئا" (يوحنا، ١٦/ ٢٣)

---

(١) انظر: كتاب صلوا هذه الصلاة، قراءة في الصلاة الربانية، الأب إيليا متري، ص١٨ و ٢٢.

الشرط الثاني: أن يسبق الصلاة إيمان كامل بعقائدهم.(١)

فقد جاء في إنجيل مرقص مانصه: "كل ما تطلبونه حينما تصلون، فآمنوا بأن تنالوه فيكون لكم." وجاء في رسالة يعقوب: "وليكن ليطلب بإيمان غير مرتاب."(يعقوب، ١/ ٦-٧)

ج- أنواع الصلاة وكيفيتها:

أولا: أنواع الصلاة:

الصلاة عند النصارىٰ علىٰ أنواع، وهي كما يلي:

أ- صلاة فردية سرية.

ب- صلاة عائلية في البيت.

ت- صلاة العامة في الكنيسة، وأهمها صلاة يوم الأحد، تعد فيها الجماعة أمرا واجبا، وينادىٰ لها بدق الأجراس والنواقيس للإعلام بنداء الصلاة، حيث يقرأ الكاهن عليهم الصلاة الربانية، أو شيئا من المزامير، أو غيرها من الكتاب المقدس، والجميع وقوف يستمعون، وعند نهاية كل مقطع يؤمِّنون والصلاة مع الجماعة في الكنيسة - عندهم - أفضل وأولىٰ من الصلاة الفردية ثم يتجه ناحية الشرق، لأنها الجهة التي قال المسيح إنه سيظهر منها في المجيء الثاني.(٢)

وإلىٰ جانب صلاة يوم الأحد هناك صلوات أخرىٰ تقام بحسب المناسبات والحاجات مثل: صلاة الطلب، وصلاة السلم، وصلاة الاستسقاء، وصلاة الجنازة،

---

(١) انظر: حقائق أساسية في الإيمان المسيحي، القس فايز فارس ص٢٠٠.

(٢) انظر: صلوا هذه الصلاة، الأب إيليا متري، ص٢٠ وحقائق أساسية في الإيمان المسيحي، القس فايز فارس ص٢٠٠. وقاموس الكتاب المقدس، ص٥٤٨ واللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة، القمص يوحنا سلامة ١/ ١٧٤-١٧٦.

وصلاة تبريك الزوجين، وصلاة التعميد، وغيرها من المناسبات الدينية، وهذه الصلوات التي تكون بحسب المناسبات.(١)

ثانيا: هيئة الصلاة وكيفيتها:

هيئة الصلاة غير محددة، فللنصراني أن يصلي واقفا، أو راكعا أو ساجدا، أو رافعا رأسه أو حانيها، باسطا يديه أو رافعها، له الحرية في كل ذلك.

لكن عليه في بداية الصلاة أن يرسم علامة الصليب علىٰ الوجه قائلا: باسم الرب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين.

وصيغة الصلاة التي تعتبر قاعدة الصلاة هي المسماة بالصلاة الربانية، والتي وردت في إنجيل لوقا، عندما طلب منه أحد تلاميذه تعليمه الصلاة، فقال المسيح: " متىٰ صليتم فقولوا: أبانا الذي في السماوات، ليتقدس اسمك، ليأت ملكوتك، لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك علىٰ الأرض، خبزنا كفافنا أعطنا كل يوم، واغفر لنا خطايانا، لأننا نحن أيضا نغفر لكل من يذنب إلينا، ولا تدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير"(٢).

د- أوقات الصلاة:

ليس للنصارىٰ عدد معين من الصلوات لكل يوم، ولا تنحصر الصلاة في موضع، ولا في زمن، بل يجوز أن يصلي في أي موضع كان، علىٰ أنه يليق حفظ أوقات معينة للصلاة (٣).

---

(١) انظر: الصلاة في الأديان الثلاثة، ص١٥٣. وص ١١٨

(٢) انظر: لوقا، ٢٢/٢-٥. ومتىٰ، ٦/٩-١٣. وقاموس الكتاب المقدس، ص٥٥١ واللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة، القمص يوحنا سلامة ١/١٦٧. ومعجم اللاهوت الكتابي صلىٰ - صلاة.

(٣) انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص٥٤٩.

وهذه الأوقات المعينة يفضل أن تكون كالآتي:

١- صلاة البكور: وهي عند شروق الشمس، وهو وقت ظهور المخلص، ووقت القبض عليه، وفيها شكر لله تعالىٰ علىٰ حفظه لهم ما مضىٰ من الليل، ويسألونه أن يحفظ يومهم بلا خطية.

٢- صلاة الساعة الثالثة (حوالي الساعة التاسعة صباحا): وهو وقت تقديم المسيح للصلب، ووقت حلول روح القدس علىٰ تلاميذه.

٣- صلاة الساعة السادسة (وقت الظهر تقريبا): وهو وقت صلب المسيح، فيصلون فيها ليساعدهم المسيح علىٰ النصرة في جهادهم.

٤- صلاة الساعة التاسعة (حوالي الرابعة بعد الظهر): ورتبت في هذا لأنه وقت موت المسيح علىٰ الصليب، ويصلون فيها ليصنع المسيح معهم رحمة.

٥- صلاة الساعة الحادية عشرة، وهي صلاة الغروب، ورتبت فيها لأن فيها أنزل جسد المسيح من علىٰ الصليب، ويسألون الله فيها أن يحرسهم، ويشكرونه علىٰ حفظه لهم طوال النهار.

٦- صلاة الساعه الثانية عشرة، لأنه فيها وضع المسيح في القبر، ويسألون الله فيها أن يجيز ليلهم بسلام.

٧- صلاة نصف الليل: لأن في تلك الساعة سوف يأتي المجيء الثاني للمسيح[1].

وتستعمل بعض الكنائس المسيحية كتبا للصلاة، تجمع فيها الطلبات والابتهالات والاعترافات، التي نطق بها القديسون في كثير من أجيال الكنسية، وهي

(١) انظر: اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة، القمص يوحنا سلامة ١/ ١٤٩-١٥٥. وقاموس الكتاب المقدس، ص٥٤٩.

تعبر عن اختبارات روحية، وتستعمل كنماذج للمؤمنين فيما يجب أن تحتوي عليه الصلاة، وكل هذه الصلوات تقدم باسم المسيح، لأن الإنسان خاطئ، لا يستطيع أن يدنو إلىٰ الله بدون المسيح - بزعمهم -.

تعقيب:

يمكن أن نعقب ببيان شيء من المآخذ علىٰ صلاة النصارىٰ، من خلال انتقاد العلماء لصلواتهم التي اخترعوها، وإيجاز ذلك فيما يلي:

أ-أنها لاتحوي إلا ترديد بعض العبارات والأهازيج، التي يرددونها فيما يزعمون أنه صلاة، وهي لا ترقىٰ إلىٰ التأثير في النفوس، ناهيك عن إرشادها إلىٰ الحق لنيل السعادة.

ب- أن النص الذي يسمونه بالصلاة الربانية، التي تعتبر هي الركيزة الأساسية للأهازيج التي يرددونها، يزاد عليها وينقص منها كلما رأوا ذلك.(١)

ت- أنهم يصلون إلىٰ مشرق الشمس، ويتخذونها قبلتهم، وقد كان المسيح عليه السلام طول مقامه، يصلي إلىٰ قبلة المقدس قبلة موسىٰ.

يقول القاضي أبو البقاء الجعفري: "لو كنتم أولي ألباب لمقتم جهة الشرق، وأبغضتموها وتطيرتم بها، ورفضتموها في أمور العادة فضلا عن العبادة وذلك لأنها الجهة التي لم يصلّ إليها المسيح، ولا شهدت لها الأناجيل، ولا صلىٰ إليها نبي من الأنبياء البتة، ثم إنها الجهة التي تشتت بها شملكم، وبددت كلمتكم، وفرقت جموعكم، فتعظيمكم لهذه الجهة، وهي أشأم الجهات عليكم، أمر يقتضي السخرية بكم"(٢).

(١) تفسير المنار، محمد رشيد رضا ١/ ٧١.

(٢) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، القاضي أبو البقاء الجعفري ٢/ ٥٩٣.

ث- عدم اشتراطهم الطهارة في دخول الصلاة عندهم، وقد شنع علماء الإسلام علىٰ النصارىٰ في ذلك وبينوا أن ذلك مخالف لشرائع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقد بين ابن القيم رحمه الله أن النصراني "يقوم ويبول ويتغوط ولا يمس الماء، ولا يستجمر، والبول والنجو ينحدر علىٰ ساقة وفخذه ويصلي، كذلك صلاته صحيحه تامة، ولو تغوط وبال وهو يصلي لم يضره، فضلا عن أن يفسو أو يضرط، ويقولون إن الصلاة بالجنابة والبول والغائط أفضل من الصلاة بالطهارة، لأنها حينئذ أبعد من صلاة المسلمين"(١).

فصلاة النصارىٰ صلاة مبتدعة، اتخذوها لأنفسهم من غير اتباع لدين المسيح، أو أحد من الأنبياء عليهم الصلاة السلام.

فتبين من هذا أن الصلاة عند النصارىٰ: هي مخاطبة الإنسان لله تعالىٰ بشكره وتمجيده، وليس لها كيفية محددة، ويشترط أن تكون باسم المسيح بعد الإيمان بعقائدهم، ولها عدة أنواع فمنها الصلاة العائلية ومنها صلاة العامة في الكنيسة، وأهمها صلاة يوم الأحد، تعد فيها الجماعة أمرا واجبا، وينادىٰ لها بدق الأجراس والنواقيس،حيث يقرأ الكاهن عليهم الصلاة الربانية، أو شيئا من المزامير، أو غيرها والجميع وقوف يستعمون، وعند نهاية كل مقطع يؤمِّنون وإلىٰ جانب صلاة يوم الأحد هناك صلوات أخرىٰ، تقام بحسب المناسبات والحاجات مثل: صلاة الطلب، وصلاة السلم، وصلاة الاستسقاء، وصلاة الجنازة، وصلاة تبريك الزوجين، وصلاة التعميد، وغيرها، وليس لها هيئة فله أن يصلي واقفا، أو راكعا أو ساجدا، أو رافعا رأسه أو حانيها، باسطا يديه أو رافعها، له الحرية في كل ذلك. لكن عليه في بداية الصلاة أن يرسم علامة الصليب علىٰ الوجه قائلا: باسم الرب والابن والروح القدس

(١) هداية الحيارىٰ، ابن القيم ص٤٨٣.

الإله الواحد آمين. وليس هناك عدد معين من الصلوات لكل يوم وفي أي موضع، ومن أهم الصلوات صلاة البكور وصلاة الساعة الثالثة وصلاة الساعة السادسة وصلاة الساعة التاسعة وصلاة الساعة الحادية عشرة، وصلاة الساعه الثانية عشرة، وصلاة نصف الليل، ولنقد هذه الصلوات نرىٰ أنها تهذب النفوس ولا تؤثر فيها بل هي أهازيج مختلطة جماعية، ونرىٰ أنهم في قبلتهم يتجهون إلىٰ المشرق مع أن المسيح كان يتجه إلىٰ بيت المقدس وكان يدخل الهيكل، مع عدم اشتراطهم الطهارة في دخول الصلاة عندهم.

المبحث الرابع

الصوم عند النصارى

أ- تعريف الصوم عند النصارى وحكمه:

الصيام في اللغة: هو الإمساك والكف عن الشيء(١).

ومعناه في شرع المسلمين: هو الإمساك عن الأكل والشرب وغشيان النساء، من الفجر إلىٰ المغرب احتسابا لله، كما كتب علىٰ أهل الملل السابقة يقول الله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣].

وكان من ضمن هذه الأمم التي شُرع لها الصوم أمة النصارىٰ.

والصوم عند النصارىٰ: هو الامتناع عن الطعام من الصباح حتىٰ منتصف النهار، ثم تناول طعام خال من الدسم(٢).

ويعرّفُه آخرون بأنه امتناع عن كل طعام وشراب، وعند الضرورة عن العلاقات الجنسية، خلال يوم أو أكثر من الغروب إلىٰ الغروب(٣).

وقد ورد ذكر الصوم في الأناجيل، غير أنه لم يرد الأمر به وجوبا، وإنما ورد الترغيب فيه، وظاهر النص يشعر أنه يكون بالاختيار، فقد جاء في إنجيل متىٰ منسوبا إلىٰ المسيح أنه قال: " مَتىٰ صمتم فلا تكونوا عابسين كالمرائين فإنهم يغيرون وجوههم لكي يظهروا للناس صائمين "(متىٰ، ٦/ ١٦)

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور ٤/ ٢٥٩٢.

(٢) انظر: المبادئ المسيحية الأرثوذكسية، حبيب جرجس، ٢/ ١٤٩.

(٣) انظر: معجم اللاهوت الكتابي، مادة (صوم).

والأصل في الصوم عند النصارى هو أنهم متبعون لشرائع التوراة في ذلك، وإنما جاء المسيح موثقا لها كما يقول قاموس الكتاب المقدس: "ولا شك أن ربنا -يعنون المسيح- حفظ الصوم بحسب الشريعة"(١) ولكن النصارى لم يلتزموا بالصوم بحسب شريعة التوراة بل استبدلوا ذلك بأنواع كثيرة من الصوم.

ب- أنواع الصوم:

ينقسم الصوم عند النصارى إلى قسمين:

أولا: صوم الصمت: وهو الامتناع عن الكلام، وهذا تلتزم به كنيسة دون أخرى، وقد أقره مجمع الرسل في أورشليم سنة ٧٠ م، وهذا النوع من الصيام يكاد يكون مقتصرا على رجال دينهم، ويرتبط غالبا بأيام مناسباتهم وأعيادهم.

ثانيا: وهو الصوم عن الطعام والشراب.

وبما أن صوم الصمت لم يخاطب به عموم النصارى، فإننا سوف نتحدث هنا عن النوع الثاني، حيث تختلف الكنائس المعاصرة فيما بينها في كيفية هذا الصوم وتوقيته وذلك كما يلي:

أولا: الكاثوليك:

١ - يبدأ صومهم من منتصف الليل إلى منتصف النهار.

٢ - يكون لمن جاوز سن السابعة عشر من العمر، وينتهي بسن الستين للرجال، وسن الخمسين للمرأة.

٣- الصيام الواجب عند الكاثوليك هو الصيام الكبير، وعدد أيامه ٥٥ يوما، وهي عبارة عن أربعين يوما التي صامها المسيح، بالإضافة إلى أسبوع قبلها وأسبوع بعدها.

---

(١) قاموس الكتاب المقدس، ص٥٦٢.

٤- هناك عدة مواسم يكون فيها الصوم علىٰ سبيل التطوع وهي كما يلي:

* صوم الأحد من كل أسبوع.

* صوم يوم القديس مرقس.

* صوم أسبوع الفصح.

* صوم جميع أيام السبت والجمعة.

٥- يمتنعون فيها عن أكل اللحم والألبان والبيض والجبن والزبدة والحليب(١).

٦- تقرّ الكنسية الكاثوليكية صيام الصمت، حتىٰ بالغت إحدىٰ الراهبات في جنوب فرنسا في ذلك فأوجبت ألا تتكلم طيلة حياتها، ويعرفون بطائفة الترابيست.

٧ - أعطت الكنيسة الكاثوليكية فرصة إسقاط الصوم لرهبانها فيمن رغب ذلك من الناس(٢).

ثانيا: الكنسية الأرثوذكسية:

١- الصوم الواجب هو الصوم الكبير، وتتفق مع الكنسية الكاثوليكية في وجوبه.

٢- صوم الميلاد ومدته أربعين يوما ينتهي بعيد الميلاد.

٣- صوم أهل نينوىٰ ومدته ثلاثة أيام ويبدأ يوم الإثنين.

٤- صوم العذراء ومدته خمسون يوما.

٥- صوم العنصرة أو الرسل، وليس له عدد محدد من الأيام، ويربط بيوم أحد

---

(١) انظر: Encyclpbdia With Fasting Gaster Eodord، 1987 U.S.A International، vol1,p43.

(٢) انظر: الصيام من البداية حتىٰ الإسلام، علي الخطيب ص.١٥٤

العنصرة، فإذا تقدم الأحد زادت أيام الصيام، وإذا تأخر نقصت.

٦- صوم البراموت أو الاستعداد، ومدته ثلاثة أيام ويقع قبل عيد الظهور.

٧- صوم يومي الأربعاء والجمعة.

ويمتنعون خلال أيام الصوم الكبير من أكل اللحم أول أسبوع، ثم بعد ذلك يمتنعون عن أكل السمك والجبن واللبن والزبدة والدهن والحليب، عدا أيام السبت والآحاد(١).

ثالثا: الكنيسة البروتستانتية:

تترك الكنيسة البروتستانتية الحرية الكاملة للشخص في مسألة صومه من عدمه، وكيفية صيامه أيضا.

ولا شك أن هذا الاختلاف بين الطوائف النصرانية في شأن الصوم بل حتىٰ بين أتباع الطائفة الواحدة أو الفرقة الواحدة يوحي بعدم اتفاقهم علىٰ مشروعية أوقات الصوم وكيفياته ومواقيته والأناجيل لم تذكر المفروض والمسنون من الصيام، وذلك لأن المسيح هو في الأصل متبع لشريعة التوراة، فلم يحتج أن يبين لهم ما يشرع لهم من الصيام لمعرفتهم به، بل كل ما في الأمر هو أن حضهم علىٰ الإخلاص فيه، وعدم مراعاة الناس، وقد طبق ذلك المسيح عمليا حيث صام عيد الفصح، وصامه أتباعه الحواريون، والنصارىٰ لا ينكرون ذلك.

فتبين من هذا أن الصوم عند النصارىٰ هو الامتناع عن الطعام من الصباح حتىٰ منتصف النهار، ثم تناول طعام خال من الدسم**أو** خلال يوم أو أكثر من الغروب إلىٰ

---

(١) انظر: نفس المرجع، ص١٧٥. وانظر: موسوعة تاريخ الأقباط المسيحية، زكي شنودة ١/ ٢٧٣.

الغروب وقد ورد ذكر الصوم في الأناجيل، غير أنه لم يرد الأمر به وجوبا، والأصل في الصوم عند النصارىٰ هو أنهم متبعون لشرائع التوراة في ذلك ولكنهم لم يلتزموا بتعاليمها، والصوم عند النصارىٰ علىٰ نوعين صوم عن الكلام وصوم عن الطعام، وصوم الصمت قد أقره مجمع الرسل في أورشليم سنة ٧٠ م، وهو مقتصر علىٰ الرجال في المناسبات، وأما الصوم عن الطعام، فيبدأ من منتصف الليل إلىٰ منتصف النهار لمن جاوز سن السابعة عشر من العمر، وينتهي بسن الستين للرجال، وسن الخمسين للمرأة، وأوجب الصوم عند الكاثوليك هو الصوم الكبير وعدد أيامه ٥٥ يوما، وهناك صوم الأحد وصوم يوم القديس مرقس وصوم أسبوع الفصح وصوم جميع أيام السبت والجمعة ويمتنعون فيها عن أكل اللحم والألبان والبيض والجبن والزبدة والحليب. الصوم الواجب هو الصوم الكبير، وتتفق مع الكنسية الكاثوليكية في وجوبه. وأما الأرثوكس فيوجبون صوم الميلاد ٤٠ يوم بعد عيد الميلاد، وصوم أهل نينوىٰ ثلاثة أيام وصوم العذراء خمسون يوما وصوم العنصرة أو الرسل، وليس له عدد محدد من الأيام، وصوم يومي الأربعاء والجمعة ويمتنعون خلال أيام الصوم الكبير من أكل اللحم أول أسبوع، ثم بعد ذلك يمتنعون عن أكل السمك والجبن واللبن والزبدة والدهن والحليب، عدا أيام السبت والآحاد.

المبحث الخامس
تقديس الصور والتماثيل والصليب

من ضمن شعائر النصارىٰ هو تقديسهم للصور والتماثيل، التي لا تخلو منها كنيسة، ولا سيما صورة المسيح وأمه، أو صورة الصليب في إشارة إلىٰ صلب المسيح بزعمهم، أو صور القديسين وآباء الكنسية الأولين[1].

وتجدر الإشارة إلىٰ أن الكنيسة المسيحية في أول أمرها كانت تكره الصور والتماثيل، وتعدُّها من بقايا الوثنية إلىٰ عهد الملك قسطنطين، حيث خفَتَ بريق هذه المقاومة بتأثير الحضارة اليونانية والعبادات الوثنية، فابتدأ عصر انحراف الكنيسة، وخالفت الكنيسة البابوية وغيرها من الكنائس هذه الوصية، ووضعت التماثيل والصور لمريم العذراء والقديسين وذخائرهم قدام رعيتها، وذلك للتكريم والعبادة، وأصبح الصليب في نظر ذوي العقول الساذجة طلاسم ذات قوة سحرية عجيبة، فحولت الآثار والصور والتماثيل المقدسة إلىٰ معبودات، يسجد الناس لها، ويقبلونها ويوقدون الشموع، ويحرقون البخور أمامها، ويتوِّجونها بالأزهار، ويطلبون المعجزات بتأثيرها الخفي، وقد قررت هذه الشعيرة في مجمع نيس، الذي عقد سنة ٧٨٧م، وحضره ٣٧٧ أسقفا، حيث قرروا فيه تقديس صور السيد المسيح وأمه وصور القديسيين[2].

وتقديسهم للصليب والصور والتماثيل يمكن أن ينتقد من عدة نواح فيما، وفيما يلي نقد ذلك بإيجاز:

---

(١) انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت ١٤/ ٤٣٣.

(٢) انظر: مناظرة بين الإسلام والنصرانية، ص٢٥٤.

أ- أن هذا مخالف لما جاء في التوراة من النهي عن اتخاذ الصور والتماثيل، كما جاء في الوصايا العشر: " لا تصنع لك تمثالا منحوتا أية صورة، مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت، لا تسجد لها ولا تعبدها، لأني أنا الرب إلهك إله غيور" (تثنية، ٥/ ٨)

ب- أنهم ألّهوا الصليب وعبدوه وسجدوا له، يقول المهتدي نصر بن يحيىٰ المتطبب منكرا علىٰ النصارىٰ عبادتهم للصليب: " ثم إنكم تتخذون الصليب من المعادن أو النباتات وتعظمونه كتعظيم المسيح، وتضعونه في قبلتكم علىٰ منبر عال، وتحته الثياب الفاخرة، وفي خدمته جماعة من الكهنة قد كشفوا رؤوسهم، يهللون بأعلىٰ أصواتهم ويتفانون لخدمته، ويقبلون الأرض بين يديه."(١)

ت- أن تقديسهم الصليب من الأمور المخالفة للعقول والفطر الصحيحة، فإما أن يكون تعظيمهم له لأن جسد المسيح قد مسّه؟ وإما أن يكون لأن دم المسيح سال عليه؟

فأما إن كان السبب لأن جسد المسيح قد مسّه، فالمسيح ذكرت الأناجيل أنه كان يركب الحمير، فعلىٰ هذا فالحمار أولىٰ بالتأليه من هذا المنظور من الصليب، وهو ذو روح بخلاف الجمادات، وقد دخل به ممجدا إلىٰ أورشليم، وأما إن كان لأن دم المسيح سال عليه، فالأولىٰ أن تمجد الأشواك، لأنها لامست دم المسيح، عندما ألبس تاجا من الشوك. وفي كل الأحوال يجب أن يبغض الصليب لأنهم يذكرهم بموت المخلص ونهايته الحزينة علىٰ الأرض.

ث- أن التوراة ذكرت أن كل من علق علىٰ الصليب فهو ملعون، فقد جاء فيها: " ملعون من علق علىٰ خشبة الصليب." (تثنية، ٢١/ ٢٢) ولهذا أقر بذلك بولس فقال:

---

(١) النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية، نصر بن يحيىٰ المتطبب، ص٧٤.

"المسيح.. صار لعنة لأجلنا" (غلاطية، ٣/ ١٣) ومادام ذلك كذلك فالأولىٰ أن يحرق الصليب، وأن يهان ويبعد؛ إذ صلب إلههم عليه، وصار لعنة من أجل ذلك[1].

فتبين من هذا أن تقديس الصور والتماثيل كصورة أم المسيح أو صورة الصليب أو القديسين وغيرهم هي من شعائر النصرانية، بعد تحريفها، حيث ابتدأ ذلك بتأثير من الديانات الوثنية اليونانية وغيرها، وقد قُررت في مجمع نيس عام ٧٨٧م، مع ان اتخاذ الصور والتماثيل أمر ورد النهي عنه في الكتاب المقدس، وأما عبادتهم للصليب فالواجب عليهم ان يعادوا الصليب لأنه يذكرهم بموت إلاههم عليه، فإن كان تعظيمهم له لأن جسد المسيح قد مسه، فإن المسيح قد ركب علىٰ حمار، فهل يقدس الحمار مثلا؟ وقد نصت التوراة أن كل من عُلق علىٰ الصليب فهو ملعون.

(١) انظر: هداية الحيارىٰ، ابن القيم، ص٢٥٢.

المبحث السادس
الأعياد النصرانية وإبطالها

هناك الكثير من الأعياد التي أُدرجت ضمن الديانة النصرانية، وهي كثيرة جدا بحيث يخطئها الحصر، حتىٰ ذُكر أنها تربو علىٰ مائة وأربعين عيدا[١]، وكانت هذه الأعياد كلها أحداثا مثيرة في حياة الفرد والمجتمع- كما يرىٰ ول ديورانت - حيث يتذكر ذنوبه، ويستحم ويحلق لحيته أو يقص شعره، ويلبس خير ملابسه، ويطعم الله في العشاء الرباني، ويحس أعمق الإحساس بالمسرحية المصورة في آلام المسيح، تمثل في كثير من المدن، تتضمنها مسرحية دينية ذات حوار وأغانٍ بسيطة[٢].

أ- أصل مشروعية الأعياد في الكتاب المقدس:

وردت أكثر نصوص الأعياد في أسفار التوراة، وبالأخص في سفر اللاويين، وذلك بعد أن جاء فيها: "وكلم موسىٰ الرب قائلا: خاطب بني إسرائيل، وقل لهم مواسم الرب التي تدعون بها إلىٰ محافل مقدسة، تلك هي مواسمي"(لاويين ٢٣/ ٢).

ثم ذكر بعد ذلك من هذه المواسم والأعياد، وهي كما يلي:

١- عيد الفصح ويسمىٰ الفطير. وعيد الفصح أنشئ تذكارا لخروج بني إسرائيل من أرض مصر[٣].

(١) انظر: الآثار الباقية، البيروني، ص ٢٦٥.

(٢) انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت ١٦/ ٢٢١.

(٣) كما جاء في سفر الخروج، ١٢/ ١٤.وكذلك ورد في وجوب عيد الفطير - الفصح - ماجاء في سفر الخروج، ١١٢/ ١٧: "وتحفظون هذا اليوم مدىٰ أجيالكم فريضة أبدية"، ويسمىٰ عيد الفصح كما في إنجيل لوقا، ٢٢/ ١: "وقرب عيد الفطير الذي يقال له الفصح".

وعيد الأسابيع، ويأتي هذا العيد بعد سبعة أسابيع من عيد الفصح، ومن هنا تسميته. ومدة هذا العيد يومان، هما السادس والسابع من شهر سيفان (٩ - ١٠ يونيه)، ومناسبته هو تذكار نزول التوراة والوصايا العشر على موسى فوق جبل سيناء[١].

٢- عيد المظال ويسمى عيد الحصاد للاحتفال ببداية السنة الزراعية وسقوط الأمطار، ويُحتفَل به أحيانا ليلا حول حمام السباحة، وهو يبدأ في الخامس عشر من شهر تشرين (أكتوبر)، ومدته سبعة أيام، بعد عيد يوم الغفران والمناسبة التاريخية لهذا العيد هي إحياء ذكرى خيمة السعف التي آوت العبرانيين في العراء أثناء الخروج من مصر [٢].

٣- عيد يوم الغفران يوم الغفران، وهو في الواقع يوم صوم، ولكنه مع هذا أضيف على أنه عيد، يقع في العاشر من تشرين ولأنه يُعتبَر أقدس أيام السنة، فإنه لذلك يُطلَق عليه سبت الأسبات، وهو اليوم الذي يُطهِّر فيه اليهودي نفسه من كل ذنب، ويسبق بتسعة أيام تسمى أيام التوبة، حيث يطهر اليهودي خلالها تطهيرا بحيث يكفل له النقاء خلال عام كامل، وبحسب التراث اليهودي فإن يوم الغفران هو اليوم الذي نزل فيه موسى من سيناء، للمرة الثانية، ومعه لوحا الشريعة. ويسمى بالعبرانية - شميني عتسيريت[٣]- وغير ذلك من الأعياد.

---

(١) انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ٥/ ٢٧٣.

(٢) عيد المظال (لاويين، ٢٣/ ٤٣).. انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري ٥/ ٢٦٤.

(٣) انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري ٥/ ٢٦٥. وانظر: اليهودية، أحمد شلبي، ص٣٠٥.

ب- اختراع النصارى لأعياد جديدة:

اخترع النصارىٰ أعيادا كثيرة جدا، شرعوها لأنفسهم، ورتبوها علىٰ أحوال المسيح، والأعياد التي ابتدعوها لكبرائهم، وقد خالفوا فيها أعياد التوراة في كثير منها.ومن أبرزها مايلي:

١- عيد الميلاد: يوم يحتفل فيه النصارىٰ بذكرىٰ مولد المسيح عليه السلام، فيذهبون إلىٰ الكنيسة ويقيمون الصلوات الخاصة، وأول ذكر لاحتفالات عيد الميلاد ورد عام ٣٣٦م في تقويم روماني قديم، جاءت الإشارة فيه إلىٰ يوم ٢٥ ديسمبر علىٰ أنه يوم الاحتفال، وفي أواخر القرن الرابع الميلادي، أصبحت النصرانية الديانة الرسمية للإمبراطورية الرومانية، وبحلول القرن الثالث عشر الميلادي، أصبح عيد الميلاد أهم الاحتفالات الدينية في أوروبا.

٢- عيد الغطاس: هو إحياء لذكرىٰ تعميد المسيح عيسىٰ عليه السلام، وهو يأتي بعد عيد الميلاد بعدة أيام، تحتفل به الكنائس الرومانية الكاثوليكية، والكنائس البروتستانتية، والكنائس الأرثوذكسية.[1]

٣- عيد الشعانيين: وهو يوم دخول المسيح إلىٰ أورشليم راكبا علىٰ جحش ابن أتان[2].

٤- عيد القيامة: وهو ذكرىٰ قيامة المسيح من قبره بزعم النصارىٰ، ولا يكون إلا في يوم الأحد، ويكون بعد صيام أيام الفصح، من يوم الاثنين إلىٰ يوم السبت،

(١) انظر: الكنائس السيدية في الكنيسة القبطية، البابا شنودة الثالث، صو. اللآلئ النفيسة في علوم الكنيسة، القمص يوحنا سلامة ص١٤٣ وورد ذكره في الدسقولية، ص١٢٢.

(٢) انظر: اللآلئ النفيسة في علوم الكنيسة، القمص يوحنا سلامة ص١٤٣. ومدخل إلىٰ الطقس الكنسي – الإكليريكية، ص٥٠.

يؤكل فيها الخبز والملح والماء ويحرم أكل اللحم والخمر، ويصام يوم الجمعة والسبت معا لمن يستطيع إلىٰ وقت صياح الديك في منتصف الليل[(١)].

٥- عيد الصعود: وفيه يكون إحياء لذكرىٰ صعود المسيح إلىٰ الأب، وجلوسه عن يمينه، ويكون بعد أربعين يوما إلىٰ خامس السبوت من أول جمعة بعد عيد القيامة [(٢)].

٦- عيد الخمسين: ويزعم النصارىٰ فيه أن الروح القدس أو البارقليط نزل علىٰ التلاميذ وتكلموا بلغات وألسنة مختلفة، ويكون بعد عشرة أيام من أول الجمعة الأولىٰ بعد عيد الصعود [(٣)]. إلىٰ غير ذلك من الأعياد الكثيرة[(٤)].

وفي الحقيقة لا شك أن كل تلك الأعياد المخترعة في الديانة النصرانية الجديدة هي في حقيقتها مقتبسة من الديانات الوثنية المتاخمة للنصرانية آنذاك، وكلها أيضا لم تعرف في عهد المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ بل عرفت بعده بقرون وكان للأعياد الوثنية والطقسية الوثنية أثر بارز في الأعياد المسيحية.

وبالفعل فإن دارس تاريخ الأديان الوثنية والمسيحية لابد أن يلاحظ أن الأعياد المسيحية قد وقتت بذكاء من قبل الكنيسة، وصار يحتفل بها في أيام الأعياد الوثنية نفسها، لأن آباء الكنيسة كانوا يعلمون أن الأعياد الوثنية لها شعبية جدا، واقتلاعها من المسيحية قد يضر بالمسيحية فحاولوا دمجها وصبغتها بصبغة الإيمان المسيحي.

---

(١) انظر: الدسقولية، ص١٥٥.

(٢) انظر: الدسقولية، ص١٥٦. ومدخل إلىٰ الطقس الكنسي - الأكليريكية، ص٥٣.

(٣) انظر: الدسقولية، ص١٥٧. وتأملات في عيد الروح القدس، نيافة الأنبا يوأنس ص١٤- ٢٠. ومدخل إلىٰ الطقس الكنسي - الأكليريكية، ص٥٣.

(٤) انظر الأعياد السيدية في الكنيسة القبطية، البابا شنودة الثالث، ص٢.

فتبين من هذا أن النصارىٰ اخترعوا لهم أعيادًا كثيرة تزيد علىٰ مائة وأربعين عيدا، وأصل مشروعية الأعياد ورد في التوراة، وخصوصا في سفر اللاويين، كعيد الفصح، وعيد المظال، وعيد يوم الغفران، إلا أن النصارىٰ اخترعوا لهم أعيادًا جديدة غير هذه الأعياد القديمة، منها عيد الميلاد، وعيد الغطاس، وعيد الشعانيين، وعيد القيامة وعيد الصعود وعيد الخمسين، ولا شك أن كل تلك الأعياد المخترعة في الديانة النصرانية الجديد هي في حقيقتها مقتبسة من الديانات الوثنية المتاخمة للنصرانية آنذاك.

المبحث السابع

تقديس يوم الأحد

جاءت الشريعة التوراتية الموسوية بتقديس يوم السبت، وعدم العمل فيه - بغض النظر عن صحته-وقد جاء التشديد علىٰ ذلك اليوم، وقد جاءت كثير من النصوص التي تدل علىٰ حرمة يوم السبت، ووجوب تقديسه، وعدم العمل فيه (خروج، ١٦ / ٢٣)

ولم يرد ما يدل دلالة صحيحة علىٰ أن المسيح عليه السلام قد حوّل قداسة ذلك اليوم إلىٰ يوم الأحد.

فالمسيح عليه السلام جاء مصلحًا في اليهود، مزحزحًا لهم عما كانوا عليه من الجمود، ولذلك أباح الأعمال الضرورية والخيرية في يوم السبت فقط، ولم يأمر بتقديس يوم الأحد ولا غيره (متىٰ،١٢/ ٣ - ٤)

وفيه ذكر المسيح مثلا يُفهم منه حِلِّية عمل الضروريات يوم السبت، فقال: " أي إنسان منكم يكون له خروف واحد، فإن سقط هذا في السبت في حفرة، أفما يمسكه ويقيمه..." (متىٰ، ١٢/ ١١).

وورد عنه أيضا أنه قال: " السبت إنما جعل لأجل الإنسان، لا الإنسان جعل لأجل السبت."(مرقص،٢/ ٢٧)

أما تحريم العمل يوم الأحد فهو من تقاليد الكنيسة، لأجل مخالفة اليهود في شعائرهم وتقاليدهم، ويعللون ذلك بأن يوم الأحد قد صارت له مزية ليست ليوم السبت، بقيام المسيح فيه وسماه بولس بـ (يوم الرب) (تسالونيكي الأولىٰ، ٥/ ٢).

يقول ابن العسال: "لا يجب للنصارىٰ أن يبطلوا يوم السبت مثل اليهود، بل

يعملون في ذلك اليوم كالنصارىٰ، وإذا وجد قوم في أعمال اليهود، فإنهم يكونون مطرودين من وجه المسيح"[١].

فتبين من هذا أن تقديس يوم الأحد لم يعرف في الشريعة التوراتية، ففي العهد القديم جاء الأمر بتقديس يوم السبت، ولم يرد ما يدل دلالة صحيحة علىٰ أن المسيح عليه السلام قد حوّل قداسة ذلك اليوم إلىٰ يوم الأحد، فالمسيح لم يلغ تقديسه وإنما أحلّ العمل فيه بالأعمال الصالحة، ولعل مردّ ذلك إلىٰ علم المسيح بأن اليهود قد ابتدعوا عدم العمل فيه، ولذلك أباح لهم العمل فيه، وبعد عصر المسيح اعتمد النصارىٰ تقديس يوم الأحد، وسمي يوم الرب، وذلك من مخترعات بولس التي دعا إليها، مع العلم أن المسيح لم يدع إلىٰ تقديس يوم الأحد ولا غيره.

(١) المجموع الصفوي، لابن العسال،ص ١٩٦.

المبحث الثامن
الرهبنة

عرفت الرهبنة في المسيحية في القرن الثالث للميلاد، علىٰ يد الأنبا أنطونيوس، الذي قام بتوزيع أملاكه علىٰ الفقراء، واعتزل في البرية، واعتزل مخالطة الناس، وسكن بين القبور ملتزما الزهد، وكان يصوم ثلاثة أو أربعة أيام يمتنع فيها عن الأكل والشرب، ولم يغتسل طيلة حياته الرهبانية، واستمر علىٰ ذلك عشرين سنة(١).

وقد كان مهد الرهبانية في مصر(٢) ثم انتشرت بعد في العالم المسيحي كله، وقام معتنقوها بقمع الجسد وإذلاله، لكي تنطلق الروح من قيدها الجسماني، فأرهقوا الأجسام وفنوا في تعذيبها، وكثرت القصص الغريبة في امتناعهم عن الطعام والشرب لأيام أو أسابيع، مع عدم الاغتسال والتبتل وعدم الزواج(٣).

ولا شك أن هذه الرهبنة المسيحية لم يأمر بها المسيح، بل لم تعرف علىٰ عهده، فقد ذكرت الأناجيل أنه كان يغسل أرجل تلاميذه، (يوحنا، ٤/ ١٣) وينزل في النهر (متىٰ، ٣/ ١٣) ويأكل الطعام ويشرب (متىٰ، ٢١/ ١٩) ولم ينهَ عن الزواج، وكان يخالط الناس، ويذهب إلىٰ الأعراس وغير ذلك.

---

(١) انظر: الرهبنة القبطية وأشهر رجالها، موسوعة الأنبا غريغوريوس، ٣/ ٢٨.

(٢) انظر: تاريخ المسيحية، فجر المسيحية، حبيب سعيد، ص١٧٤-١٧٨. وموسوعة تاريخ الأقباط، زكي شنودة، ١/ ١٩٥.

(٣) انظر: موسوعة تاريخ الأقباط، زكي شنودة، ١/ ١٩٤ وتاريخ الأمة القبطية، ا.ل.بتشر، ترجمة إسكندر تاضروس، ١/ ٢٧٥.

ولا شك أن عقيدة الرهبنة المسيحية مقتبسة من الديانات الوثنية كالبوذية ونحوها، فهي تكاد تكون المعلم الأبرز في مظاهر التدين بين البوذيين، حيث تعد الرهبانية هي الطريق الأول، الذي يسلكه السالك لاعتناق هذه الديانة، ولها أهمية عظمة، فحياة الزهد والتقشف والرهبنة لا تنفك عن حياة المتدين بالديانة البوذية [(١)].

وهذه الرهبانية البوذية نقلت إلىٰ الديانة النصرانية الجديدة، وقد اعترف بذلك بعض اللاهوتيين من النصارىٰ كما يقول الأب ألبير إبونا: "لقد ادعىٰ البعض أن للرهبانية المسيحية سوابق من الديانات الوثنية عند البوذيين مثلًا، ولدىٰ الأفلاطونية الجديدة في اليونان، وفي البلاد اليهودية بواسطة شيعة الأسينيين العائشين علىٰ ضفاف البحر الميت".

ثم قال: "لا نكير أن بين هذه الطرق وبين الرهبانية المسيحية بعض أوجه الشبه، ذلك لأن الإنسان التواق إلىٰ الكمال قد وجد في مختلف الأجيال طريقه إلىٰ هذا الكمال - حسب ما فهمه -في الإماتات وضبط النفس وقهر الحواس"[(٢)].

وهذا الاعتراف سهّل الطريق أمام الباحثين في إثبات اقتباس عقيدة الرهبنة المسيحية من عقائد الهندوس والبوذية، وهذا ما يثبته التاريخ أيضا، غير أن تعليل الأب باقتباس الرهبنة من البوذية إلىٰ أن الإنسان تواق إلىٰ الكمال، فلا أدري هل يقصد أن الكمال يؤخذ من غير شريعة المسيح فيكون مناقضا لأصل الإيمان المسيحي، أم أن مقصده أن البوذية أكمل فيكون خارجا من الإيمان المسيحي.

---

(١) للاطلاع عليها ينظر: فلاسفة الشرق، أ. ف.توملين ص٢١١. والهند القديمة، للندوي ص٩٤٥. والفكر الشرقي القديم،جون كولر،ص ١٨٨

(٢) تاريخ الكنيسة الشرقية، الجزء الأول من انتشار المسيحية إلىٰ مجيء الإسلام، الأب البير أبونا، ص٢٠٥.

وعلىٰ كل الأحوال، فعقيدة الرهبنة ليست بدعا من العقائد التي اقتبست من الوثنيات السابقة علىٰ المسيحية، وهي من العقائد التي جاء المسيح بما يخالفها في أفعاله وأقواله، فنصوص الزهد والورع في الإنجيل لا تمت إلىٰ عقيدة الرهبنة التي اخترعت بعد ذلك بأية صلة.

فتبين من هذا أن الرهبنة عرفت في القرن الثالث للميلاد، علىٰ يد الأنبا أنطونيوس، الذي قام بتوزيع أملاكه علىٰ الفقراء، واعتزل في البرية، واعتزل مخالطة الناس وقد كان مهد الرهبانية في مصرثم انتشرت بعد في العالم المسيحي كله، وقام معتنقوها بقمع الجسد وإذلاله، ولا شك أن هذه الرهبنة المسيحية لم يأمر بها المسيح، بل لم تعرف علىٰ عهده، ولا شك أن عقيدة الرهبنة المسيحية مقتبسة من الديانات الوثنية كالبوذية ونحوها.

الباب الرابع

عوامل انحراف الديانة النصرانية

وفيه فصلان:

الفصل الأول: أثر بولس والاضطهادات والإمبراطور قسطنطين على الديانة المسيحية

الفصل الثاني: أثر الفلسفات والديانات الوثنية على المسيحية

الفصل الأول
أثر بولس والاضطهادات والإمبراطور قسطنطين على الديانة المسيحية،

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: بولس وأثره على الديانة المسيحية.

المطلب الأول: التعريف ببولس

المطلب الثاني: أثر بولس على الديانة المسيحية

المبحث الثاني: الاضطهادات.

المبحث الثالث: ضياع إنجيل المسيح

المبحث الرابع: الإمبراطور قسطنطين.

السحبة الرابعة ٣٠ أكتوبر ٢٠١٨

المبحث الأول

بـــولس

المطلب الأول: التعريف ببولس

يعد بولس ودوره في الديانة النصرانية من الركائز الأساسية عند الحديث عن عوامل انحراف النصرانية، فقد لعب هذا الرجل دورا كبيرا في تحريف هذه الديانة عن منهجها الذي رسمه لها المسيح عليه السلام، فقد قرر كثيرا من العقائد المخالفة لشريعة المسيح، والتي قننت بعد ذلك في مجمع نيقية وما بعده، وذلك من قبل المتأثرين بأفكاره.

فيعتبر بولس هو المشرع الجديد للمسيحية، ولذلك يرى عدد من الباحثين المسيحيين أن مؤسس هذه الديانة المسيحية، هو القديس بولس وليس السيد المسيح[(١)].

لهذا سوف يكون الكلام هنا عن بيان شيء من حياة بولس، ثم عن أثره على النصرانية، وذلك فيما يلي:

أولا: حياة بولس:

أ - اسمه ونشأته:

يذكر أن اسمه كان قبل اعتناقه النصرانية (شاول)، وهو اسم عبري ومعناه (المطلوب) أو (المرغوب فيه)[(٢)]، واستمر هذا الاسم حتى بعد أن دخل النصرانية

---

(١) انظر: The Blackwell Companion to the New Testament, David E. Aune, A John Wiley & Sons, Ltd., 2010, First Edition.P.373

(٢) المسيحية دين الله أم ديانة بولس، نيقولا جورج ص٢٦.

بوقت وجيز، يقول سفر أعمال الرسل: "وأما شاول الذي هو بولس أيضا، فامتلأ من الروح القدس وشخص إليه."(أعمال الرسل، ١٣/ ٩)

وقد ولد هذا الرجل بمدينة طرسوس، هذه المدينة التي كان بها الكثير من العقائد الوثنية والفلسفية[١]، وغير ذلك من العقائد الوثنية، التي تعطينا انطباعا أوليا عن الأفكار التي نشأ فيها بولس.

وطرسوس عاصمة ولاية كيليكية بآسيا الصغرىٰ، وهي تقع حاليا بتركيا علىٰ بعد ١٧ كم تقريبا من البحر المتوسط[٢].

ولم تتفق المصادر علىٰ تاريخ ولادته، ولكنها اتفقت علىٰ أنه ولد بعد عصر المسيح عليه السلام، وقد تفاوتت التقديرات في تحديد سنة ولادته ما بين سنة ٦ إلىٰ سنة ١٥ بعد رفع المسيح عليه السلام.

أما نشأته فقد نشأ شاول نشأة دينية يهودية، إلىٰ جانب معرفته التامة بالفلسفة الهلنستية معرفة متعمقة. ولذا نشأ مبغضا للمسيحية بغضا شديدا، ولا غرابة، إذ إنه صرح أنه تتلمذ علىٰ يد أشهر معلمي اليهود ويسمىٰ غمالائيل، فقد ذكر تلميذه لوقا عنه بأن: "كان يسطو علىٰ الكنيسة، وهو يدخل البيوت ويجر رجالا ونساء ويسلمهم إلىٰ السجن." (أعمال الرسل، ٨/ ٣)

وذكر عنه أيضا بغضه لتلاميذ المسيح فقال: " أما شاول فكان لم يزل ينفث تهديدا وقتلا علىٰ تلاميذ الرب، فتقدم إلىٰ رئيس الكهنة، وطلب منه رسائل إلىٰ

---

(١) يقول المؤرخ ول ديورانت: "ومن حقنا أن نعتقد أن بعض المبادئ الدينية والأخلاقية الرواقية انتقلت من البيئة المدرسية في طرسوس إلىٰ مسيحية بولس". انظر: قصة الحضارة، ١١/ ٢٤٩.

(٢) انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص٥٧٥. وموسوعة الكتاب المقدس، ص٢٠٨.

دمشق إلىٰ الجماعات، حتىٰ إذا وجد أناسا من الطريق رجالا أو نساء يسوقهم موثقين إلىٰ أورشليم." (أعمال الرسل، ٩/ ١ - ٢)

بل هو يتحدث عن نفسه فيقول: " فأنا ارتأيت في نفسي أنه ينبغي أن أصنع أمورا كثيرة، مضادة لاسم يسوع الناصري، وفعلت ذلك أيضا في أورشليم، فحبست في سجون كثيرين من القديسين.."(أعمال الرسل، ٢٦/ ٩)ويقول هو عن نفسه: "كنت أضطهد كنيسة الله بإفراط وأتلفها."(غلاطية، ١/ ١٣)

ب - اعتناقه المسيحية:

كان لاعتناقه المسيحية أحداث وتطورات يمكن إبرازها فيما يلي:

١ - قصة دخوله المسيحية: بعد بضع سنوات من استمراره في هذا الاضطهاد، أعلن بولس أنه أصبح رسولا للمسيح، علىٰ إثر حادثة زعم أنها وقعت له أثناء سيره إلىٰ دمشق، حيث انقلب بعدها " هذا الكاسر إلىٰ حمل وديع"[(١)]

وكان الشاهد الوحيد علىٰ هذه القصة هو بولس نفسه، وتلميذه لوقا، بل حتىٰ لو لوقا لم يكن شاهدا وإنما ناقلا عنه، حيث ذكر أنه سقط فجأة بغير مقدمات، ورأىٰ نورا في السماء وصوت يناديه ويعاتبه، لماذا تضطهدني ؟ فسأله: من أنت ياسيد، فأجاب الرب: أنا يسوع الذي أنت تضطهده. (أعمال الرسل، ٩/ ١)

وبعد هذه الحادثة الأسطورية، أصبح بولس يدعو إلىٰ الديانة النصرانية الجديدة المحرفة، بسبب هذا النداء له، الذي لا يعدو أن يكون شيطانا- إن صدق- بينما يعزي بعض علماء الطب المتأخرين سبب سقوطه "أن الرجل تعرض لضربة شمس سببت له حالة هذيان".[(٢)]

(١) كنيستي السريانية، المطران إسحاق ساكا، ص٢٣.

(٢) المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية، إ. س. سفينسيسكايا ص١٠٠.

٢- ادعاؤه أنه مرسل من المسيح: انقلب شاول اليهودي من مضطهد عنيف للنصارىٰ، إلىٰ مؤمن بالنصرانية، بل من أكبر الدعاة إلىٰ النصرانية في عهده - فيما يزعم-، فقد حاول بولس بهذه القصة الساذجة الأسطورية، أن يقنع النصارىٰ بأنه دخل النصرانية عن قناعة وإيمان تام، حاول أن يبين لهم أنه مرسل من المسيح، ليقطع صلته بتلاميذ المسيح، ونقلة كلامه من جهة، وبين إنجيل المسيح وتعاليمه من جهة أخرىٰ.

٣- تلون بولس: لقد تلون بولس بشتىٰ الألوان وأتقن النفاق أيما اتقان، فنراه يصف نفسه بشتىٰ الأوصاف، بل ويقدح في شخصه وذاته تارة، ويغير في نسبه وعقيدته تارة أخرىٰ، فمرة يصف نفسه بأنه غبي فيقول: "قد صرت غبيا وأنا أفتخر" (كورنثوس الثانية، ١٢/ ١١)

ويصف نفسه مرات عديدة بأنه منافق متقن للنفاق، يتلون حسب ما تقتضيه المصلحة فيقول: " فصرت لليهود كيهودي لأربح اليهود، وللذين تحت الناموس كأني تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس، وللذين بلا ناموس كأني بلا ناموس... صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء، صرت للكل كل شيء لأخلص علىٰ كل حال قوما."(كورنثوس الأولىٰ، ٩/ ٢٢)

ويصف نفسه في مرات أخرىٰ بأنه كذاب دجال فيقول: "فإنه إن كان صدق الله ازداد بكذبي لمجده، فلماذا أدان أنا بعد كخاطئ."(رومية، ٣/ ٧)

وهذه الأوصاف تخالف تماما ما كان يدعو إليه المسيح، من النهي عن النفاق وعمل الأعمال الحسنة، لتكون هي داعية إلىٰ الخير، كالقول المنسوب إلىٰ المسيح: " فليمضي نوركم هذا قدام الناس، لكي يروا أعمالكم الحسنة، ويمجدوا أباكم الذي في السموات." (متىٰ، ٥/ ١٦)

٤- زعمه أنه تسلم الإنجيل من المسيح: من الأمثلة التي تبين كذب بولس في دعواه النصرانية، وصدقه في حكمه علىٰ نفسه بأنه كذاب غبي، هو زعمه أنه تسلم من المسيح مباشرة الإنجيل، الذي يبشر به، وأن علاقته وتعاليمه يستمدها من المسيح مباشرة(غلاطية، ١/ ١١) وأن الله أفرزه من بطن أمه ودعاه بنعمته(غلاطية، ١٦/١) ثم يصرح بعد ذلك بأنه صعد إلىٰ أورشليم، ليعرض إنجيله علىٰ تلاميذ المسيح، وذلك كما يقول هو: "لئلا أكون أسعىٰ أو قد سعيت باطلا."(غلاطية، ٢/ ١)

وفي الحقيقة أن هذا التلون لبولس لَيوحي بأن هذا الرجل يخطط تخطيطا عظيما لقلب المسيحية برمتها، وهو ما سوف يتضح فيما يلي:

ج - علاقته بتلاميذ المسيح:

أراد بولس أن يقترب من تلاميذ المسيح، إلا أنهم كانوا لا يثقون بصدقه ولا صدق إيمانه، ولكن بولس نجح في إحدىٰ تلك المحاولات، من التقرب إلىٰ أحد التلاميذ وهو برنابا، وبرنابا هو أحد تلاميذ المسيح، الذين يلقّبهم رجال الكنيسة بالرسل، صحبه بولس زمنًا، بل كان هو الذي عرّف التلاميذ ببولس، بعدما اهتدىٰ بولس ثم رجع إلىٰ أورشليم(فيلبي، ٣/ ١٩. وغلاطية، ٢/ ٧. ومقدمة برنابا، فقرة ٧).

ولكن بعد ذلك افترق بولس عن التلاميذ، وذلك لظهور كذبه وخداعه لهم(إنجيل برنابا، فقرة ٧) فناصبهم العداء، وكال عليهم الشتائم والسباب، فمن ذلك أنه سماهم (أعداء صليب المسيح) (فيلبيي، ٣/ ١٩) ووصفهم بـ(الإخوة الكذبة) (غلاطية، ٢/ ٧)، ووصف بطرس وبرنابا بـ(المرائين) (غلاطية، ٢/ ٧)، وسمىٰ جميع مخالفيه بـ (الكلاب) (فيلبيي، ٣/ ٢)، وأخذ يدعو إلىٰ نصرانيته الجديدة، في مختلف المدن باستقلالية تامة عن تلاميذ المسيح وأتباعه الحقيقيين، وهذا ما يعرض تعاليمه لمساءلة العقلاء، فهل يعقل أن يأتي رجل بعد المسيح ولم يلتقِ به، ثم يقرر عقائد لم تكن معروفة لدىٰ المسيحيين قبله؟

هذا الإشكال إشكال عميق يزعزع ثوابت التعاليم البولسية، إلا أن بعض علماء اللاهوت آثر أن يجيب عن ذلك بزعم غريب، وهو تَتلْمُذ بولس على تلاميذ المسيح(١)، وهذا الجواب المفترى يحوي من الزعم مالم يقله حتى بولس بنفسه، من أنه تتلمذ على يد تلاميذ المسيح!

د – مكانة بولس عند النصارى:

احتل بولس مكانا مرموقا عند النصارى، بل عدوه في رتبة الحواريين والقديسين،وقد ملأ رسائله بأكاذيبه، التي صدقها النصارى المؤمنون به، وقننتها المجامع المسكونية، حيث ذكر فيها أنه المسيح سماه بـ "نور الأمم لتكون أنت خلاصا إلى أقصى الأرض". (أعمال الرسل، ١٣/ ٤٧)

وأن المسيح قال له: "لأني لهذا ظهرت لك، لأنتخبك خادما وشاهدا".(أعمال الرسل، ٢٦/ ١٦)

بل ويصرح بأنه رسول المسيح فيقول: " ألست أنا رسولا، ألست أنا حرا، أما رأيت يسوع المسيح ربنا، ألستم أنتم عملي في الرب"(كورنثوس الأولى، ٩/ ١) ويقول: " بولس المدعو رسولا ليسوع المسيح"(كورنثوس الأولى، ١/ ١)، ونص على أن الله ائتمنه على إنجيل المسيح فقال: "حسب إنجيل مجد الله المبارك الذي ائتمنت أنا عليه"(تيموثاوس الأولى، ١/ ١١)، وهذه المدائح والتزكيات التي كالها لنفسه بغير مكيال، هي في الحقيقة مدائح كذب، وشهادات زور، وأقوال بهتان، وإلا فكيف يأتمنه المسيح على دينه وإنجيله، مع أنه لم ير المسيح ولم يلتق به في أيام حياته.

ولكن النصارى سلموا بهذه المدائح، وآمنوا بصحتها وصدق قائلها، ولذا يرون

(١) معالم تاريخ الإنسانية، ولز، ص٢٧.

أن بولس هو (معلم المسكونة)، و(رجل الصلاة)، و(رسول الإيمان)، و(رجل المحبة)، و(رجل الاتضاع)، و(الخادم الغيور)، و(رسول الأمم)، و(الطوباوي)، و(فيلسوف النصرانية الأكبر).(١)

وعلىٰ الرغم من ذلك فقد ظهرت في الآونة الأخيرة جملة من الباحثين الأحرار الذين تقصّوا مصادر بولس وموارده ورأوا أن كثيرًا من مصادره غير معروفة وهي موضع جدل، يقول دجليل بلاكويل للعهد الجديد: "إن لاهوت بولس أصبح موضع تساؤل حيث يقدم بولس إجابات مختلفة متناقضة"(٢). ولكن هذا ليس موضع قبول من قبل الكنيسة.

وعلىٰ كل حال، فقد استطاع بولس أن يجعل من مؤلفاته نبراسا يسير عليه المسيحيون الجدد، فكتب المؤلفات الكثيرة، وأرسلها إلىٰ كل مكان تهادىٰ إلىٰ سمعه أن به من يؤمن بالمسيح، فأصبحت مؤلفاته بعد ذلك مقدسة، وتعاليمه مقننة، وتعد رسائله من الكتب المقدسة في العهد الجديد كقدسية الأناجيل، ومجموع رسائله في العهد الجديد هي أربع عشرة رسالة هي كما يلي:

١ – إلىٰ أهل رومية.

٢ – إلىٰ أهل أهل كورنثوس.

٣– إلىٰ أهل كورنثوس.

٤ – إلىٰ غلاطية.

---

(١) انظر: القديس بولس الرسول الخادم الغيور، الأنبا يوأنس ص٧– ١٢ وص ٣٠.وكنيستي السريانية، المطران إسحاق ساكا، ص٢٣.

(2) The Blackwell Companion to the New Testament, David E. Aune, A John Wiley & Sons, Ltd., 2010, First Edition.P.374

٥- إلىٰ أفسس.

٦- إلىٰ أهل فيلبي.

٧- إلىٰ أهل كولوسي.

٨- إلىٰ أهل تسالونيكي.

٩- إلىٰ أهل تسالونيكي.

١٠- الأولىٰ إلىٰ تيموثاوس.

١١- إلىٰ تيموثاوس.

١٢- إلىٰ تيطس.

١٣- إلىٰ فليمون.

١٤- إلىٰ العبرانيين.(١)

وهذه الأربع عشرة رسالة تعد جزءا لا يتجزأ من الكتاب المقدس بوجه عام، ومن العهد الجديد بوجه خاص، وهي أكثر من النصف من مجموع رسائل العهد الجديد.

فتبين من هذا أن بولس قد لعب دورا كبيرا في انحراف المسيحية عن وجهها، فقد قرر كثيرا من العقائد المخالفة لشريعة المسيح، والتي قننت فيما بعد، وقد كان اسمه شاول واستمر هذا الاسم إلىٰ أن دخل المسيحية بفترة وجيزة، ولد بمدينة طرسوس، وقد نشأ شاول نشأة دينية يهودية، إلىٰ جانب معرفته التامة بالفلسفة

(١) انظر: الكتاب الكتابالمقدس للرهبانية اليسوعية، طبعة عام، ١٩٨٦. ومقدمة طبعة جمعية الكتاب المقدس، عام ٢٠٠٦م. وقاموس الكتاب المقدس، ص٦٤٤.

الهلنستية معرفة متعمقة. ولذا نشأ مبغضا للمسيحية بغضا شديدا، ونتيجة لهذا البغض اخترع قصة مدارها أنه رأىٰ المسيح عيانا وذلك بعد رفع المسيح بعقدين من الزمان تقريبا، يؤنبه علىٰ اضطهاده واضطهاد النصارىٰ، فتحول بهذه الأسطورة من مناوئ للمسيح إلىٰ أحد القديسين، حيث ادعىٰ أنه مرسل من المسيح وكان شديد التلون وأتقن النفاق أيما اتقان، وذلك بنص رسائله حيث يغير معتقداته حسب مايراه حسب المصلحة، وقد وصف نفسه بأنه كذاب ودجال، وقد زعم أنه تسلم الإنجيل من المسيح، وأما اقترابه من تلاميذ المسيح فقد اقترب من برنابا الذي وثق به وقربه إلىٰ بقية التلاميذ، إلا أنه افترق عنه برنابا بعد لما رأىٰ خبث عقيدته وانحرافه عن منهج المسيح بنص إنجيل برنابا، وقد ألف بولس أربع عشرة رسالة قدست ضمن الأناجيل، واتخذ بولس مكانة مرموقة في المسيحية، ورسائله هي رسالته إلىٰ أهل كورنثوس وغلاطية وأفسس وفيلبي وكولوسي وتسالونيكي الأولىٰ والثانية وتيموثاوس الأولىٰ والثانية وتيطس وفليمون والعبرانيين.

المطلب الثاني: أثر بولس على الديانة المسيحية

يترجح أن الرأي القائل بأن بولس هو صاحب الديانة النصرانية الجديدة هو القول الصحيح، حيث استطاع ذلك الرجل أن يكّون ديانة جديدة، لا تمت لديانة المسيح بأدنىٰ صلة، فديانة بولس الجديدة مزيج من الوثنيات والفلسفات الوثنية، وذلك لتضليل النصارىٰ عن الطريق الذي دعا إليه جميع الأنبياء.

لذا فإنه يمكن القول بأن النصرانية هي ديانة مستقلة عن ديانة المسيح، ويمكن إيجاز أثره علىٰ النصرانية فيما يلي:

١- تأثر قانون الإيمان المسيحي تأثرا كبيرا بأفكار بولس:

بل يعد ذلك القانون- أعني به قانون الإيمان النيقوي-تجسيدا لأفكار بولس بصورة مقننة دون أدنىٰ مبالغة، ويدلك علىٰ صحة هذا كثرة الأقوال في ذلك القانون المقتبسة من النصوص البولسية بنصها، والتي وردت في رسائل بولس، والبعض الآخر عدل تعديلا طفيفا، لا يخل بالمعنىٰ، ثم أدرج كذلك، وفي هذا يقول القس حنا جرجس: "لقد نطق الرسول بولس بهذه العبارات وعبارات أخرىٰ، لكي يخلص بها محتوىٰ الإيمان المسيحي، واستعملت الكنيسة الأولىٰ هذه العبارات كقوانين للإيمان، وكان علىٰ كل طالب للعماد والانضمام للكنيسة أن يردد هذه الآيات كاعتراف منه بأن يسوع الناصري هو الرب."(١)

٢- أدخل كثيرا من الأفكار الوثنية في المسيحية: ولهذا يصرح بعض المؤرخين واللاهوتيين بأن القديس بولس من أعظم من أنشئوا المسيحية الحديثة، وهو لم يلقَ عيسىٰ قط، ولم يره يبشر الناس، وكان شديد الاهتمام بفلسفات زمانه الدينية، فنقل إلىٰ المسيحية كثيرا من الأفكار، بل قد أدخل علىٰ ديانته بعض تعاليم اليهود، ليجذب إليه العامة منهم، وأدخل صورا من فلسفة الإغريق، ليجذب إليه أتباعا من اليونان، ونتيجة لذلك أصبح عيسىٰ ابن الله، واحتلت صورة العذراء والمسيح مكانا مقدسا، احتلته قديما صورتا (حورس) و (أوزيوس) ووضعتا في كل الكنائس(٢).

لقد اخترع بولس كثيرا من العقائد والأفكار، التي أدرجها ضمن ما كان يدعو إليه بين الناس، وإظهارها علىٰ أنها عقائد المسيح الحقيقية التي أوصاه بها، ورغم ذلك فقد كانت لها الغلبة بين النصارىٰ، وأخذت بالقبول والحظوة عندهم، فمنها ما

---

(١) تاريخ الفكر المسيحي، القس حنا جرجس ١/ ٣٨٥.

(٢) انظر: الأديان العالمية، بيري، ص١٨١.

كـان بقـوة الـسيف والـسلطان، ومنهـا مـا كـان بالقيـاس علـىٰ أفكـار الفلاسـفة وأهـل الأوثان، ويمكن إبراز أهم تعاليمه فيما يلي:

أولا: إلغاء العمل بشريعة التوراة:

سبق بيان اتباع المسيح وتلاميذه لشرائع التوراة، لكن النصرانية انفصلت تماما بعد ذلك عن اليهودية وكان صاحب السبق في تلك الفكرة هو بولس، الذي بذل جهدا كبيرا في ترسيخ مفهومه الجديد، وهو فصل النصارىٰ عن شرائع التوراة فصلا تاما.

وقد أكد علىٰ هذا المعنىٰ في كثير من رسائله وكتبه، فمن ذلك قولـه: "وأمـا الآن فقد تحررنا من الناموس، إذ مات الذي كنا ممسكين به"(رومية، ٧/ ٦) وقولـه: " لأنـه إذا كان بالناموس بر فالمسيح إذا مـات بـلا سـبب"(غلاطية، ٣/ ١٣) ثـم اعتـبر بعـد ذلـك أن الناموس كله لعنة، وأنه لا بد من تركه فيقول: "المسيح افتـدانا مـن لعنـة النـاموس، إذ صار لعنة لأجلنا" (غلاطية٣/ ١٣)، ويقـول: "لأن النـاموس ينـشئ غـضبا، إذ حيـث لـيس ناموس ليس أيضا تعد"(رومية، ٤/ ١٥)

ويلتمس بعض كتاب المسيحية العـذر لبـولس، في إقـصائه للتـوراة والعمـل بهـا، ورده لنصوص المسيح التي يشير فيها إلىٰ اتباع التوراة، بأن بولس أراد تسهيل اعتنـاق المسيحية من قبل الوثنيين من غير اليهود[1]، ولكن هذا العذر أقبح مـن ذنـب بـولس، فشرائع الأنبياء ليست قابلة للنسخ والإزالة، لكل من أراد نسخها وتبديلها، ولـو كـان القصد شريفا، فكيف والمقصد وضيع كمقاصد بولس.

---

(١) انظر: H.maccopy; the mythmaker paul and the invention of christianity

ثانيا: القول بألوهية المسيح وتجسده:

أول من أسس لهذه الفكرة الجديدة فيما يتعلق بالإيمان بالمسيح عليه السلام هو بولس، حيث جاء بأفكار خالفت التوحيد الصريح المنصوص عليه في الكتاب المقدس (تثنية، ٥/ ٨. وإنجيل يوحنا، ١٧/ ٣) فزعم ألوهية المسيح وتجسده.

فبولس يعلن ألوهية المسيح، وتجسد الله فيه بكل وضوح، حينما يقول: "فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضا، الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلا لله، لكنه أخلىٰ نفسه آخذا صورة عبد، صائرا في شبه الناس.. ويعترف كل لسان أن يسوع هو رب لمجد الله الأب." (فيلبي، ٢/ ٥-١١)

ويقول أيضا عن المسيح: "الذي هو صورة الله غير المنظور، بكر كل خليقة، فإنه فيه خلق الكل، ".(كولوسي، ١/ ١٥-١٧)

ويقول في موضع آخر عن المسيح أيضا: "فإنه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسديا"(كولوسي، ٢/ ٩)

ويعد بولس هو الذي زرع بذور التثليث في النصرانية، التي حاول إرساءها فيقول: "نعمة ربنا يسوع المسيح، ومحبة الله، وشركة الروح القدس، معكم جميعا." (كورنثوس الثانية، ١٣/ ١٤)

فبولس قد أضاف هذا اللاهوت، وآراء صوفية غامضة -كما يقول ول ديورانت- متأثرا بالفلسفة القديمة[١]، ومن ذلك قول بولس إن المسيح هو (حكمة الله) وقد استطاع بولس بهذه التفسيرات كلها أن يغض النظر عن حياة يسوع الواقعية، وعن أقواله التي لم يسمعها منه مباشرة، واستطاع بذلك أن يقف علىٰ قدم المساواة مع الرسل الأولين، الذين لم يكونوا يجارونه في آرائه الميتافيزيقية.

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ١١/ ٢٦٥

ثالثا: أرسى دعائم عقيدة الخلاص:

رسخ بولس مفهوما في غاية الخطورة، حيث أحدث نقلة كبيرة في مسيرة الديانة النصرانية، وأصبح هذا المفهوم البولسي الجديد، هو المفهوم الذي ارتكزت عليه النصرانية فيما بعد، وهذا المفهوم هو أن المسيح قد جاء مخلصا للعالم كله من الخطيئة، فلا حاجة بعده للقيام بالعمل والعبادة، ولذلك يقول قانون الإيمان المسيحي النيقوي في تقنين هذا المفهوم عن المسيح: " الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا، نزل من السماء وتجسد وتألم ثم صلب في عهد بيلاطس.. ثم مات ودفن..".

وهذا المفهوم الإيماني كان من بنيات أفكار بولس، حيث ورد ذكره في رسائل بولس قبل هذا القانون بقرنين من الزمان تقريبا، حيث يقول بولس عن المسيح: " فهو يبررهم بالإيمان بيسوع المسيح، ولا فرق بين البشر، فهم كلهم خطئوا وحرموا مجد الله، ولكن الله يبررهم مجانا بنعمته المسيح يسوع الذي افتداهم"(رومة، ٣/ ٢٢-٢٤)

ويقول: "نعمة لكم وسلام من الله الأب، ومن ربنا يسوع المسيح، الذي بذل نفسه لأجل خطايانا، لينقذنا من العالم الحاضر الشرير"(غلاطية، ١/ ٣)

فلا معنىٰ للعمل الصالح في المسيحية حسب مفاهيم بولس، فما دام أن البشر بزعمه كلهم مخطئون من عهد آدم، فالفداء قد خلصهم من تلك الخطيئة، وإلا كان الفداء عبثا، يقول ول ديورانت: "ولقد أنشأ بولس لاهوتا، لا نجد له إلا أسانيد غامضة أشد الغموض في أقوال المسيح... أما هذه الأسس فأهمها أن كل ابن أنثىٰ يرث خطيئة آدم، وأن لا شيء ينجيه من العذاب الأبدي إلا موت ابن الله، ليكفر بموته عن خطيئته"[(١)].

(١) قصة الحضارة، ١١/ ٢٦٤. وانظر: نظرة عن قرب في المسيحية، بربارا براون، ص٤٤.

رابعا: ادعاؤه أن دعوة المسيح كانت عامة لجميع البشر:

لقد كان الفضل في ترسيخ المفهوم السائد لدى النصارى، بعالمية دعوة المسيح وعموميتها لجميع البشر لبولس اليهودي.

فقد كان هذا المفهوم العالمي للمسيحية، من ضمن مبتكرات بولس أيضا، فهو قد نص على أن ديانة المسيح ليست مقتصرة على بني إسرائيل فقط، كما في قوله: " لأنكم جميعا أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع، لأن كلكم اعتمدتم بالمسيح، قد لبستم المسيح، ليس يهوديا ولا يونانيا ليس عبدا ولا حرا، ليس ذكرا ولا أنثى، لأنكم جميعا واحد في المسيح يسوع."(غلاطية، ٣/ ٢٨) ويقول أيضا: "إني مديون لليونانيين والبرابرة للحكماء والجهلاء"(رومة١/ ١٤)

ولكن يظهر أنه جوبه بقوة من قبل تلاميذ المسيح الحقيقيين، أو أنه جوبه من قبل عوام الناس بإنكارهم دعوته لغير اليهود، مستشهدين بتلاميذ المسيح الحقيقيين، ولذلك نراه يختص نفسه بنعمة دعوة غير الإسرائيليين فيقول: "لي أنا أصغر جميع القديسين أعطيت هذه النعمة، أن أبشر بين الأمم بغنى المسيح الذي لا يستقصى." (أفسس، ٣/ ٨)

ولهذا يذكر ذلك مؤرخ الكنيسة يوسابيوس اختصاص بولس بدعوته بين سائر الأمم فيقول: "وواضح مما كتبه بولس ومما دونه لوقا في سفر أعمال الرسل، أنه أي بولس بشر الأمم، ووضع أساسا للكنائس"[1]، فالحمد لله الذي نجى تلاميذ المسيح من الوقوع في هذه الفرية.

---

(١) تاريخ الكنيسة، يوسابيوس ص٢٨.

خامسا: أوجد عقيدة قيامة المسيح وأنه سوف يدين العالم:

حيث صرح بقيامة المسيح من قبره بعد صلبه وجلوسه عن يمين الأب، وأنه سوف يأتي ويعود ليدين العالم. (تيموثاوس،٢ ٤/ ١)

وهذا أمر مناقض لما دلت عليه النصوص المنسوبة إلىٰ المسيح، من أنه لا يدين أحدا، بل إنه لا يعلم حتىٰ وقت قيام الساعة، فضلا عن دينونة الناس.

سادسا: أنه أباح شرب الخمر:

بعد أن كانت محرمة في شريعة التوراة، ففي الرسالة الأولىٰ إلىٰ تيموثاوس: "لا تكن فيما بعد شراب ماء، بل استعمل خمرا قليلا، من أجل معدتك وأسقامك الكثيرة"(تيموثاوس الأولىٰ ٥ / ٢٣) ولكن ورد التحريم عنه في التوراة، فالخمر داء ليس فيه دواء، وما أسكر قليله فكثيره حرام.

سابعا: أوجب ترك الختان، مع أنه قد فُرض عليهم في الشريعة الموسوية، وجعله الله علامة عهد أبدي بينه وبينهم، وأوجب قتل كل من نكث هذا العهد، وقد ختن عيسىٰ عليه السلام ولكن بولس - وهو لم ير المسيح في حياته - قال لهم: "إن اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئًا "(غلاطية ٥/ ٢)

ثامنا: إحلاله لحم الميتة والخنزير:

وقد وردت حرمة لحم الخنزير والميتة في كثير من ثنايا نصوص العهد القديم، التي لم يتطرق المسيح إلىٰ نسخها، ومن ذلك ما جاء في سفر اللاويين في تعداد المحرمات: "والخنزير لأنه يشق ظلفا ويقسمه ظلفين، لكنه لا يجتر فهو نجس، لكم من لحمها لا تأكلوا وجثثها لا تلمسوا إنها نجسة لكم"(لاويين١١/ ٧).

وعندما جاء المسيح لم ينقض هذا التحريم، ولم يخففه، ولكن عندما جاء

بولس لم يفرق بين حيوان وحيوان، بل الجميع طاهر في نظره، ولذلك نسخ هذه النصوص، وأحل للنصارىٰ كل الحيوانات، مع أن بولس ليس له حق نسخ نصوص العهد القديم، لأنه ليس من أنبياء الله حتىٰ عند النصارىٰ، ومع ذلك نراه يقول: "كل الأشياء تحل لي، الأطعمة للجوف، والجوف للأطعمة، والله سيبيد هذه وتلك" (كورنثوس الأولىٰ، ٦/ ١٢-١٣) فما دام أن الله سيبيد جميع الأطعمة في الجوف فهي حلال - في نظر بولس-.

وقد اعتمد بولس في تحليل ذلك إلىٰ رغبة الإنسان من عدمها وليس إلىٰ نص شرعي فيقول: "إني عالم ومتيقن في الرب يسوع أن ليس شيء نجسا بذاته، إلا من يحسب شيئا نجسا، فله هو نجس"(رومية، ١٤/ ١٤)

فبهذه النظرية التي وُكل فيها الإنسان إلىٰ حدسه في تحليل المحرمات، تبعه النصارىٰ عليها، وعطلوا نصوص العهد القديم.

فتبين من هذا أن بولس هو صاحب الديانة النصنرانية الجديدة ومخترعها بحق، وهي ليست ديانة المسيح التي نسخت بعقائد بولس، فقد تضمن قانون الإيمان المسيحي في مجمع نيقية ومجمع القسطنطينية كل عقائد بولس التي كان يدعوا إليها، وقد أدخل كثيرا من الأفكار الوثنية في المسيحية، ومن أبرز ما اخترعه في المسيحية ما يلي:

١- القول بألوهية المسيح.

٢- ألغىٰ العمل بشريعة التوراة.

٣- القول بتجسده.

٤- القول بأن المسيح قد خلص البشر بصلبه وفداهم علىٰ خشبة الصليب.

٥- القول بأن رسالة المسيح عامة لجميع البشر.

٦- القول بقيامة المسيح من قبره.

٧- القول بأن المسيح هو الذي يحاسب الناس يوم القيامة.

٨- أباح شرب الخمر.

٩- أباح لحم الخنزير.

١٠-حرم الختان.

المبحث الثاني
الاضطهادات

تقدم الكلام عن الاضطهادات التي مرت بها المسيحية منذ نشأتها، إلىٰ وقت برزوها وتقنينها علىٰ يد الإمبراطور قسطنطين، فقد خلفت تلك الاضطهادات المتلاحقة آثارا كبيرة، وشروخا دامية في جبين الديانة النصرانية، وكانت من أهم الأسباب التي أدت إلىٰ انحراف الديانة النصرانية عن صراطها المستقيم، غير أنه تجدر الإشارة هنا إلىٰ أثر تلك الاضطهادات علىٰ الديانة النصرانية، وتتجلىٰ أبرز تلك الآثار فيما يلي:

١ - فقد السند المتصل لكتابهم المقدس، وضاع الإنجيل الأصلي والكتب المقدسة، إبان تلك الاضطهادات، وألفت الكثير من الأناجيل المبنية علىٰ التخمين[1].

ولا شك أن ضياع المصدر الذي يعتمد عليه، أدىٰ لجعل كثير من النصارىٰ متخبطين في اعتقاداتهم، وسهل للمنافقين مهمة تحريف تلك الاعتقادات، مع اختلاف المصادر المسيحية التي كانت متداولة في أوساط المسيحيين آنذاك.

٢ - أنه نتيجة للضعف والتشرد، عمد النصارىٰ إلىٰ تقريب الشعائر الوثنية الرومانية، وذلك لتقريب الرومان إليهم، ابتغاء دخولهم في الديانة النصرانية، وقد رأوا أن هذه هي الطريقة الوحيدة لتقريب الديانة المسيحية إلىٰ أذهان الوثنيين، ومع مرور الزمن ستتطهر وتعود إلىٰ صفائها...ولكن الواقع الأليم أن الذي حدث هو العكس، فقد تغلبت الوثنية وطمست رسالة المسيح.

(١) انظر: دليل إلىٰ قراءة تاريخ الكنيسة،الأب جان كمبي، ص٦٥. والدليل الصحيح لتأثير دين المسيح، القس منسي يوحنا، ص٧٥.

٣- أنه نتيجة لهذه الاضطهادات، حصل انحراف في مسار التدين من ناحية الإفراط أو التفريط، فكان بعضهم يرتد عن دينه ولو مؤقتا، أو يتظاهر بعدم نصرانيته، كما حدث في عهد ديسيوس، والبعض الآخر ينتهي به حماسه إلىٰ المغالاة فيه.

٤- نتيجة للظلم المتراكم عليهم من قبل الحكومة والأباطرة، أوجد تعاطفا من قبل أفراد الشعب مع المسيحيين جراء هذا الظلم، فقد "تحول الرومان إلىٰ التعاطف مع الضحايا والمعذبين، لأنهم رأوا أنهم لا يقتلون في سبيل ما فيه منفعة اجتماعية، بل بسبب تعطش الأباطرة لسفك الدماء."(١)

وذلك أدىٰ ولا شك إلىٰ نصرة المسيحية وازدياد عدد أفرادها، ولكن ذلك الازدياد والنصرة لم تكن تعرف حقيقة المسيحية الصحيحة، أمام خضم الدعوات المتناقضة بين أتباعها.

٥- ظهرت عقب الاضطهادات المتلاحقة علىٰ النصارىٰ ظاهرة جديدة وهي الرهبنة، وهي الاعتزال بقصد التعبد،(٢) وهذه وغيرها من الآثار التي خلفتها تلك الاضطهادات علىٰ المسيحية، والتي كان لها أبرز الأثر في انحراف المسيحية عن صراطها المستقيم.

فتبين من هذا أن الاضطهادات التي مرت علىٰ المسيحية قد خلفت آثارا لا يمحوها تقادم السنين في شتات هذه الديانة المظلومة، ومن أبرز تلك الآثار فقد السند المتصل واختلاط الشعائر الوثنية بالمسيحية وانحرافها في مسار التدين وظهور الرهبنة المستترة عن أعين الجلادين وغيرها من الآثار.

---

(١) المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية، إ. س. سفينسيسكايا ص١١٧.

(٢) انظر: موسوعة آباء الكنيسة، عادل فرج عبد المسيح، ص٦٢.

المبحث الثالث

ضياع إنجيل المسيح

سبق القول بأن المسيح عليه السلام قد أنزل عليه كتاب مقدس وهو الإنجيل، ونريد هنا أن بين أثر ذلك علىٰ تحريف الديانة النصرانية بعد فقده وضياعه.

فقد ورد ذكره في كثير من نصوص العهد الجديد، إلا أن النصارىٰ كتبوا عشرات الأناجيل، والتي حكم ببطلانها في مجمع نيقية سوىٰ أربعة أناجيل، ألبست لباس القدسية، واعتبرت مقننة ومقدسة، وهي إنجيل متىٰ، وإنجيل مرقس، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا [١].

ولا شك أن الإنجيل المذكور في العهد الجديد ليس واحدا من هذه الأناجيل، لأن هذه الأناجيل لا تنتسب إلا إلىٰ أصحابها باتفاق النصارىٰ، ولأن المسيح قد وعظ به، ولم يكن واحدا من هذه الأناجيل قد وجد في عهده بالاتفاق، وليس من المعقول أن يعظ بأقوال تلاميذه، وهم لايزالون بعد في دور التعلم، ولأن هذا الإنجيل قد ذكر في هذه الأناجيل علىٰ أنه قائم في عهد عيسىٰ عليه السلام، ولأنه قد ذكر من غير نسبة، وليس واحدا من هذه الأناجيل تنصرف إليه كلمة إنجيل من غير نسبته إلىٰ صاحبه، ولأنه ذكر أنه منسوب إلىٰ المسيح الابن، وليس واحد من هذه الأناجيل يستحق هذا الاسم[٢].

بالإضافة إلىٰ أن هذه الأناجيل لا تشتمل إلا علىٰ القليل من أقوال عيسىٰ عليه السلام، ومعظم ما جاء فيها عبارة عن تاريخ المسيح وأحواله.

---

(١) انظر: مقدمة الرهبانية اليسوعية للكتاب المقدس - العهد الجديد - ص٨.

(٢) محاضرات في النصرانية، لأبي زهرة ص٥١.

فأين هذا الإنجيل وهل هو موجود ؟

ولكن الإجابة هي أن ذلك الإنجيل فقد من الوجود.

ونتيجة لذلك فقد قرر النصارىٰ اعتماد أربعة أناجيل من ركام الأناجيل وقننوها في مجمع نيقية وحكموا علىٰ سواها بالحرق والإعدام، ولكن هذه الأناجيل الأربعة موضع انتقاد كبير، ولذلك تلقىٰ كثير من المختصين المقطع التالي من رواية ديفينشي بالقبول حيث تقول: "لم يصل الكتاب المقدس من السماء بالفاكس... إن الكتاب المقدس هو نتاج الإنسان... ولم يسقط الكتاب المقدس من السحاب بطريقة سحرية" يقول دليل بلاكويل للعهد الجديد مؤيدا هذا النص: "وبغض النظر عن القيمة التاريخية المريبة لرواية دافينشي ولكن الكتاب محق في هذه النقطة الوحيدة، فعلىٰ الأقل لم يسقط الكتاب المقدس من السماء"[1]

وما هذا إلا لما وجدوا فيه اختلاط الحق بالباطل والمعقول بغير المعقول والمنقول بالمكذوب فجنحوا إلىٰ هذا الاعتقاد

وهناك عدة عوامل وأسباب تظافرت علىٰ فقد ذلك الإنجيل، أدت في نهاية المطاف إلىٰ فقدانه وضياعه، ومن أهم تلك الأسباب، هو أن ذلك الإنجيل لم يدون كالتوراة، بل كانت تتناقله ألسنة الحفاظ مدة طويلة من الزمن، إلىٰ أن ابتدئ في كتابة الأناجيل، بالإضافة إلىٰ ما مر علىٰ النصارىٰ من الاضطهادات التي قاسوها، إلىٰ ظهور كثير من الأفكار المنحرفة، التي أسهمت في ضياع الإنجيل الذي يحوي العقائد الحقة.

(1) The Blackwell Companion to the New Testament, David E. Aune, A John Wiley & Sons, Ltd., 2010, First Edition.P.90

فتبين من هذا أن الله قد أنزل الإنجيل علىٰ عبده ورسوله عيسىٰ المسيح ابن مريم، إلا أنه ضاع واندثر من بين أيدي النصارىٰ نتيجة أمور مختلفة، فكتبت عشرات الأناجيل واختير منها أربعة أناجيل اشتملت علىٰ شيء يسير من إنجيل المسيح مما تنقلته الألسن أو مما حفظ، وهذه الأربعة لا تنسب إلىٰ المسيح لأنها لم تكتب إلا بعده باتفاق النصارىٰ.

المبحث الرابع
الإمبراطور قسطنطين

يعدُّ إظهار الإمبراطور قسطنطين اعتناقه للمسيحية أمرا غيَّر مجرىٰ تاريخ المسيحية - كما سبق - ونريد هنا أن نبين أثر ذلك في انحراف المسيحية.

فمن أهم الأحداث التي مرت في التاريخ العام علىٰ المسيحية منذ نشأتها، حيث تمت له السيادة في الغرب اللاتيني، ثم أتبعه بالسيادة علىٰ الشرق البيزنطي، بعد بناء القسطنطينية عام ٣٣٠م، واتخذها عاصمة له في الشرق، فأصبحت المسيحية خليطا من الثقافة اللاتينية والبيزنطية، التي أرسىٰ دعائمها أباطرة الرومان، والتي أرست هي بضلالها علىٰ التعاليم المسيحية المحرفة التي قننتها المجامع المسيحية.

لقد سار كثير من المؤرخين علىٰ اعتبار أن قسطنطين كان متقنّعا بقناع المسيحية، لتحقيق مآرب أمنية وسياسية، وفيما يلي إيجاز آرائهم:

أ- إن الإمبراطور قسطنطين، وخلفاءه من بعده يعتبرون أنفسهم أصحاب سلطة مزدوجة، فعدوا أنفسهم الورثة الشرعيين لأباطرة الرومان من الناحية السياسية، وعدوا أنفسهم كذلك ورثة السلطة الروحية للرسل والمسيحية بوجه عام، باعتبارهم نصارىٰ، ولذلك كان لهم القدح المعلّىٰ في تحديد معالم الديانة المسيحية، وطقوس العبادات، وأصول العقيدة، وأول أولئك الأباطرة الذي يعد حامي حمىٰ المسيحية المحرفة- في نظر النصارىٰ- بل حامل لوائها هو الإمبراطور قسطنطين(١). وقد

(١) تاريخ الكنيسة، يوسابيوس القيصري، ص٤٤٤-٤٤٥. الفصل الخامس من الكتاب العاشر (١٠/ ٥).

وصف قسطنطين نفسه بأنه: "عين الله الساهرة علىٰ من هم خارج حظيرة الكنيسة."[١]

ب- أراد الإمبراطور جمع شتات كلمة الشعب:

عندما ظهر التناحر والتضاد بين أتباع الكنيسة، رأىٰ الإمبراطور قسطنطين الذي أعدم ابنه، وألقىٰ زوجته في الماء المغلي وهي حية، رأىٰ أن الصورة التي ظهرت بها المسيحية منافية لوحدة الإمبراطورية، وفي حقيقة الأمر، لم يكن رفضه لهذه الصورة غير المشرفة للمسيح نابعا عن غيرة للمسيح وللمسيحية فقط، بل كان يرىٰ من هذه الانقسامات والمعارك اللاهوتية عاملا خطيرا وهداما لوحدة الإمبراطورية الرومانية.

بالإضافة إلىٰ أنه يرىٰ أن توحيدها وسيلة نافعة لتقوية قدرته العسكرية، وفي توحيد الإمبراطورية الواسعة والمضطربة[٢].

ويبدو أنه قد أخذ علىٰ عاتقه صيانة وحدة الكنيسة بالطريقة نفسها لصيانة وحدة الإمبراطورية، وهكذا لم تعد تعتبر الهرطقة مجرد جرم ديني، بل تعتبر جرما عاما واعتداء علىٰ النظام المدني.

---

(١) الإمبراطورية الرومانية،تشارلز ورث، ص٢١٨.

(٢) انظر: The Cambridge History of Chritianity, Edited by; Margaret Mary M. Mitchell and Frances M.YOUNG,p 6 وانظر: الإمبراطورية الرومانية، تشارلز ورث، ص٢١٨ ودليل إلىٰ قراءة تاريخ الكنيسة، الأب جان كمبي، ص٩٤. وحياة قسطنطين العظيم، يوسابيوس، ص٨٠. وتاريخ الكنيسة، يوسابيوس، ٤٢٨ (١٠/ ٢)وتاريخ العالم، جون.ا.هامرتن ٤/ ١٨٧وتاريخ الحضارات العام، كروزيه ٢/ ٥٦٥ وتاريخ أوروبا في العصور الوسطىٰ، هـ. فيشر ص٦-٧.

ولكن الحقيقة هي أن تدخل الإمبراطور قسطنطين أذكىٰ نار الفرقة بين النصارىٰ كما يرىٰ المؤرخ اللاهوتي- أفيريل كاميرون - حيث امتدت الخلافات من القرن الرابع وما بعده بشكل رهيب(١).

ج- عزم علىٰ عقد مجمع يجمع في كل الأطراف المسيحية المتصارعة: حيث سارع إلىٰ إصدار الأوامر تلو الأوامر، بعقد مجمع يجمع فيه شتات الأساقفة المتناحرين، ولعله خشي أن يتطور الخلاف إلىٰ خلاف عملي، بعد أن كان الخلاف عقديًّا فيما بينهم.

ومن ضمن تلك المراسيم التي دعا فيها أساقفة الكنائس إلىٰ عقد مجمع ما يلي: "من قسطنطين أوغسطس إلىٰ كرستوس أسقف سيراكوزا، لما بدأ البعض يختلفون فيما بينهم فيما يتعلق بالعبادة الطاهرة، والقوة السماوية، والعقيدة الجامعة، رأيت أن أضع حدا لهذه المنازعات التي بينهم، فأصدرت الأوامر بأن يقوم بعض الأساقفة من بلاد الغال، وأن يستدعىٰ من إفريقيا الطرفان المتخاصمان، اللذان كانا يتنازعان مع بعضهما البعض بعناد وبصفة مستمرة، لكي يفحص بكل دقة موضوع النزاع، بحضورهم وحضور أسقف روما."(٢)

وعقد المجمع بحضور أولئك الأساقفة، ولكن الذي حدث هو أن ذلك الإمبراطور الروماني مال إلىٰ عقائد المثلثين، في مجمع نيقية عام ٣٢٥م، حتىٰ يضمن ولاء مصر - برأي كثير من المؤرخين - وذلك كان بهدف السعي إلىٰ وحدة النظام في الإمبراطورية، فأهداف قسطنطين كما يراها بعض المؤرخين: "كانت أهدافا سياسية،

---

(١) انظر: The Cambridge History of Chritianity, Edited by; Margaret Mary M. Mitchell and Frances M.YOUNG,p 538

(٢) تاريخ الكنيسة، يوسابيوس ص٤٤٧.

حيث رأىٰ أن الديانة النصرانية تنشر علىٰ حساب الأديان الأخرىٰ، كما أنه أراد أن يكونوا عونا في القضاء علىٰ إمبراطورية بيزنطة ليسينيوس، وهذا ما تحقق له فيما بعد، وكان قسطنطين يعتبر نفسه الكاهن الأعظم للديانة النصرانية، وهو في نفس الوقت يجمع بين عبادة الشمس والانتساب للنصرانية، ولم يسمح بتعميده إلا وهو علىٰ فراش الموت، وذلك سنة ٣٣٧م".

فاعتناق قسطنطين للمسيحية وجعها الديانة الرسمية، كانت للحصول علىٰ امتيازات اجتماعية وأمنية واقتصادية في رأي بعض المؤرخين - كما سبق-.

وقد نقل أسقف قيصرية إيوزيب (Eusepe) قصة نسبها إلىٰ قسطنطين، وذلك أنه عندما أراد أن يأخذ بزمام المسيحية، زعم أنه قد ظهر له صليب في السماء، مكتوب عليه "بهذا تغلب " فقال لأصحابه: "رأيتم ما رأيت؟"، قالوا نعم، فآمن حينئذ بالنصرانية، وتجهز لمحاربة مكسنتيوس القيصر، وفي صباح اليوم التالي، رأىٰ قسطنطين فيما يرىٰ النائم أن صوتا يأمره بأن يرسم جنوده حرف (X) علىٰ دروعهم، وفي وسطه خط يقطعه، وينتهي حول أعلاه علامة الصليب، فلما استيقظ، أخبر بما رأىٰ، وخاض المعركة خلف لواء رسم عليه الحرفان الأولان من لفظ المسيح، يربطهما صليب، فلما انتصر علىٰ مكسنتيوس، اعترف اعترافا قانونيا كاملا بالمجتمع المسيحي عام ٣١٣م[(١)].

ولا شك أن هذه القصة إن صحت فهي من المخترعات التي أراد بها قسطنطين الدخول إلىٰ عالم المسيحية، وذلك باختراع هذه القصة الأسطورية وهي توحي بوجود التشابه بينها وبينها قصة بولس عندما سمع صوتا يناديه من السماء في قصة

---

(١) انظر: Emperor Constantine: The man and the myth. David Jr., J., History of Christianity CH 3312, Austin Graduate School of Theology, 2004.p.2

دخوله إلىٰ المسيحية، خصوصا وأن قصة قسطنطين لا يستحيل قبولها من المجتمع المسيحي بسبب عدة أمور من أبرزها تشبثهم بأي قشة يمكن أن ترفع عنهم الضعف والاضطهاد والقتل والتدمير الحاصل لهم من قبل الأباطرة، فكيف وقد تشبثوا بإمبراطور الأباطرة آنذاك قسطنطين، ومنها قبولهم لما هو أفظع من رؤية صليب علىٰ كبد السماء، وذلك أنهم صدقوا سماع كلام الرب يسوع المسيح لبولس بعد رفع المسيح.

فتبين من هذا أن الإمبرطور قسطنطين بعد أن أرسىٰ دعائم الإمبراطورية رأىٰ تعميم الديانة النصرانية درءا للخلاف السياسي والشقاق المجتمعي بين مواطني الإمبرطورية، فأظهر النصرانية علىٰ ماعداها ورأىٰ أنه هو الوراث الشرعي للمسيحية، ولذلك يعد عين الله الساهرة في أعين النصارىٰ، ثم دعىٰ إلىٰ عقد مجمع نيقية وكان هو الفيصل بين الموحدين والمثلثين، فمال إلىٰ عقائد المثلثين، ثم تعمّد في آخر حياته علىٰ عقيدة التوحيد -كما يقال-.

الفصل الثاني
أثر الفلسفات والديانات الوثنية على المسيحية،

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: المصدر الهندوسي.

المبحث الثاني: المصدر البوذي.

المبحث الثالث: المصدر اليوناني.

المبحث الرابع: المصدر المصري والفارسي.

مدخل:

تعد دراسة الأديان دراسة مقارنة من صميم دراسة علم الأديان، إذ من خلالها تتباين الأسس أو تتوافق، ومن خلالها يعرف المتقدم من المتأخر، والأصيل من الدخيل، كل ذلك بهدف سبر تلك الأديان والوصول إلىٰ العقائد الدخيلة فيها وبيان المآثر والمآخذ عليها.

ومثل هذه المقارنات حق مشروع لكل باحث، إذ قد صرح بهذه المقارنة بعض القديسيين القدماء في المسيحية، فهذا مثلا القديس يوستينوس الشهيد ١٦٥م - الذي يسمىٰ بطل النصرانية- كتب إلىٰ المصريين الوثنيين يدعوهم إلىٰ المسيحية ويبين لهم توافق العقائد بينهم فيقول: " عندما نؤكد لكم أن الكلمة معلمنا يسوع المسيح الذي هو المولود الأول الله، ولم تكن هذه الولادة نتيجة لعلاقة جنسية فإننا في ذلك لاندعي شيئا جديدا أو مختلفا عما تقولونه عن المدعوين أبناء زيوس"[(١)]

من هنا رأىٰ بعضىٰ المؤرخين والمختصين في علم مقارنة الأديان ضرورة دراسة تاريخ الديانات القديمة حتىٰ يتسنىٰ لنا معرفة أثرها علىٰ المسيحية بل بعض المؤرخين، كالمؤرخ المسيحي الفرنسي أندريه نايتون ضرورة دراسة تلك الديانات الوثنية لفهم المسيحية فيقول: "لم يعد يكفي دارس تاريخ الأديان أن يشير إلىٰ العلاقة الوثيقة بين الوثنية والمسيحية، بل ينبغي القول إننا لا نستطيع أن نفهم مسيحيَّتنا حق الفهم إذا لم نعرف جذورها الوثنية"[(٢)]

وقد سبق القول بأن دعوة الرسل كلهم كانت إلىٰ توحيد الله تعالىٰ، ومنهم

---

(١) النصوص المسيحية في العصور الأولىٰ " القديس يوستينوس" الدفاع الأول ص٤٩

(٢) الماتيح الوثنية للمسيحية، أندريه نايتون، نقلا عن الأصول الوثنية للمسيحية ص٢٠

المسيح عليه السلام، وكذلك أتباعه الذين كانوا على الهدى والنور، وقد وردت كثير من النصوص التي تدل على ذلك، ثم بعد ذلك طرأت عقائد جديدة على الديانة النصرانية، كألوهية المسيح، والتثليث، والصلب، والفداء، وقيامة المسيح من بين الأموات، وإدانته للعالم، وألوهية مريم والدة المسيح، وغيرها من العقائد والشرائع، وذلك بعد قرون من المسيح، وتبين أنها دخيلة على دين المسيح عليه السلام.

يقول المؤرخ اللاهوتي سانتراك: " هناك عدد من اللاهوتيين القدماء وكذلك المعاصرين يدعون أن بعض العقائد المسيحية ترجع في أصولها إلى الفلسفة التأملية اليونانية، وأنها عقيدة لا تعكس رؤية الكتاب المقدس للرب"(١).

فمن أين جاءت تلك العقائد الدخيلة إذن؟

تلك العقائد التي قننت في مجامعهم الأولى، كان كثير منها مقتبس من الفلسفات اليونانية وغيرها من الفلسفات الوثنية، وقد تضافرت جملة من الأسباب التي سهلت ولوج تلك الأفكار إلى الديانة المسيحية ومن أهم الأسباب التي ساعدت في ذلك ما يلي:

أولا: أسباب تأثر المسيحية بالفلسفات والديانات الوثنية:

أ- تظاهر كثير من الفلاسفة الوثنيين بالنصرانية:

فقد كان كثير ممن دخلوا في النصرانية -أوائل عهدها- أناسا مثقفين بالثقافة اليونانية، أو الرومانية الفلسفية وغيرها، فآمنوا بالمسيحية ولم يكفروا بالفلسفة الوثنية فحصل دمج بينهما أعقب تلك العقائد الغريبة، فدخلت كثير من العقائد.

---

(١) انظر: Three I know not what: The influence of Greek philosophy on the doctrine of Trinity', Santrac, A., 2013, P.1

ب- دعم الإمبراطورية الرومانية للفلسفة:

كانت الإمبراطورية الرومانية، التي نشأت المسيحية في كنفها، مولعة بالفلسفات والعقائد الوثنية، ولهذا يقول المؤرخ المسيحي ميخائيل مشاقة ١٨٨٨م: "والذي يتضح من سياق التاريخ، ومن المشاهدات في عصرنا أن للرومانيين ميلا طبيعيا للتشبث بالخرافات الوثنية والمحاماة عنها."(١)

ولكنهم سرعان ما اندمجوا تحت راية المسيحية، حينما تقاربت العقائد المسيحية بالعقيدة الرومانية الوثنية فحاولوا التوفيق بينهما.

ج- ولع الكثير من زعماء الكنيسة بالفلسفات الوثنية:

لقد أضحت الفلسفة اليونانية في ذلك الوقت لها مكانة كبيرة في نفوس الكثيرين من النصارىٰ، حتىٰ رجال الدين منهم، ولهذا -كما يقول بعض المؤرخين الغربيين- فقد استخدمت نظريات علوم اليونان لتهذيب الآراء الدينية وترتيبها، وذلك في محاولة للدخول إلىٰ معقل المثقفين في العالم اليوناني، وصارت لغة اللاهوت المسيحي لغة فلسفية معقدة.

وكان علىٰ هذا النهج كثير من كبار دعاة النصرانية، ورؤساء الكنيسة الشرقيين آنذاك، حيث أدخلوا كثيرا من الوثنيات والفلسفات إلىٰ النصرانية، كأمثال يوستسينيوس المسمىٰ بالشهيد ١٠٣م، وتاتيان السوري ١٧٢م، وأثيناغورس الأثيني ١٩٠م، وثاوفيلوس الأنطاكي١٨١، وأكلمندوس الإسكندري٢١٥م.

وأبرز تلك المدارس الفلسفية كانت مدرسة أمنيوس الوثني ٢٤١م، الذي ارتد عن المسيحية، وأفلوطين٢٧٠م الذي ارتحل إلىٰ بلاد الهند، ثم عاد إلىٰ الإسكندرية،

---

(١) البراهين الإنجيلية ضد الأباطيل البابوية، ميخائيل مشاقة ص٣.

وقد كان له أكبر الأثر في صبغة المسيحية الشرقية بصبغة الفلسفات الوثنية[1].

وقد كان غرضهم هو تحويل المسيحية من ديانة صغيرة ممقوتة إلىٰ ديانة تدين بها الإمبراطورية بأكملها، وللوصول إلىٰ هذه الغاية استخدموا تقريبا كل وسيلة، بغية تنصير الوثنية، لكنهم في الحقيقة وثّنوا النصرانية ولم ينصّروا الوثنيات.

د- دخول كثير من عوام الوثنيين في المسيحية:

يروي لنا التاريخ أنه في القرن الثاني والثالث والرابع الميلادي، قد دخل الرومان والمصريون أفواجا في المسيحية، ولكل منهم كثير من الأفكار الدينية، والمناحي العقدية، فاندرجوا ضمن دائرة المسيحية دون أن تتمكن المسيحية الحقة من نفوسهم نتيجة لتلك الاضطهادات.

ولعل من ضمن أهم الأسباب التي أدَّت إلىٰ دخولهم بتلك الكثرة في المسيحية، هو الهرب من نير العبودية الذي كان معظم عوام تلك الشعوب يقاسونه علىٰ أيدي رجال الدولة، وأصحاب النفوذ والجاه، فهرعوا إلىٰ الدين الذي يرون فيه تنفيسا لهم من حمأة ذلك الحال، خصوصا وأن ذلك الدين يبشرهم بحياة أخروية، يستمتعون منه بما حرموا في هذه الحياة فنشأت كثير من الفرق المسيحية الفلسفية والوثنية، التي كانت تستقي عقائدها من أفكار الفلاسفة وآرائهم.

وأمام هذه الحقائق التاريخية التي تبرهن علىٰ تأثر المسيحية بتلك الفلسفات، بل اقتباسها منها معظم عقائدها وشرائعها وشعائرها يقف اللاهوتيون والمؤرخون النصارىٰ من ذلك علىٰ اتجاهين:

---

(1) Copleston; A History of Philosophy, Image Booksm New York, 1962,vol – Part II, PP.219-228

الاتجاه الأول:

منهم من رأىٰ أن تشبه المسيحية بالوثنيات لا ضير فيه، بل هو دليل علىٰ صحة معتقدات المسيحية، ومن أبرزمن يمثل هذا الاتجاه القديس أوغسطينوس وتبعه علىٰ ذلك الأب توما الأكويني حيث استدلا علىٰ صحة التثليث بأقوال أرسطو وأفلاطون[١].

ومنهم من يرىٰ أن تشابه المسيحية أو اقتباسها من الوثنيات لا ضير فيه ما دام القصد هو الوصول إلىٰ الكمال، كما يرىٰ ذلك - الأب الكلداني ألبير أبونا ١٩٢٨م - حينما يقول عن اقتباس المسيحية للرهبانية الوثنية: " لقد ادعىٰ البعض أن للرهبانية المسيحية سوابق من الديانات الوثنية عند البوذيين مثلا، ولدىٰ الأفلاطونية الجديدة في اليونان، وفي البلاد اليهودية، لا نكير أن بين هذه الطرق وبين الرهبانية المسيحية بعض أوجه الشبه، ذلك لأن الإنسان التواق إلىٰ الكمال، قد وجد في مختلف الأجيال طريقه إلىٰ هذا الكمال."[٢].

وبعض أصحاب هذا الاتجاه كالقس صموئيل مشرقي يرىٰ أن اقتباس المسيحية من الوثنيات هو من نور الحق الإلهي في تلك الوثنيات حيث يقول: "وهذا ليس بغريب لارتباطه بعلم الإنسان وإمكانية أن تكون هناك شهادات باقية لله في سائر الفلسفات والديانات القديمة كأثر لانعكاس نور الحق الإلهي في عقول وضمائر البشر فإن لله شهودا في كل مكان"[٣].

---

(١) انظر: الخلاصة اللاهوتية.

(٢) تاريخ الكنيسة الشرقية، من مجيء المسيحية حتىٰ انتشار الإسلام، الأب ألبير أبونا، ص٢٠٥.

(٣) مصادر الكتاب المقدس، القس صموئيل مشرقي ص١٠٤

وهذه التعليلات يحسب لها صدقها في إثبات اقتباس المسيحية من الوثنية، ولكن تعليلهم في ذلك يلزم منه كثير من اللوازم الباطلة، وهو مما يعجب منه الجاهل وينفر منه العالم، وإلا فبماذا نفسر أن اقتباس المسيحية من الوثنيات لا ضير فيه مادام القصد الوصول إلىٰ الحق، أو نفسر أنهم اقتبسوا منها انعكاس نور الحق الإلهي من تلك الوثنيات؟

لا نفسر ذلك إلا بصحة ماجاء في تلك الوثنيات حسب هذا التعليل، فلماذا قامت المسيحية إذن؟ شر البلية ما يضحك.

الاتجاه الثاني:

هناك اتجاه آخر، وهو أن بعضهم رأىٰ أن أقرب السبل هو إنكار تلك الحقائق جملة وتفصيلا، ويرىٰ أن المسيحية لم تقتبس شيئا من الوثنيات، وأن "كل الادعاءات التي تقوم في سبيل إثبات سرقة المسيحية من الأديان الأخرىٰ، لهي مغالطة منطقية واضحة" ويرون أن "العديد من ادعاءات التشابه بين المسيحية والأديان والأساطير الأخرىٰ، تم طرحها بشكل مبالغ فيه، وصل إلىٰ حد التلفيق في بعض الأحيان"، وأنها "تنطوي علىٰ مغالطة تاريخية وخطأ تسلسلي زمني".[(١)]

ودفاع النصارىٰ هذا عن عقائدهم بنفي اقتباسها من الديانات الوثنية السابقة، ليس بأقبح من الذين يرون أن اقتباسها من الوثنيات لا ضير فيه، لكن أصحاب الاتجاه الأول امتازوا عليهم بأن وفروا الجهد علىٰ الباحثين في سرد البراهين المبرهنة علىٰ تأثر المسيحية بالوثنيات، وتضييع دين المسيح عليه السلام.

---

(١) انظر: مدونة يد المسيح، مقال بعنوان: المسيحية والوثنية، ٦/ ٤/ ٢٠١٣م. وانظر: Parallel Teachings in Hinduism and Christianity. Wolfe, G. Jomar Press, Cameron Road, Austin, Texas, (1995) P.1.

أما أصحاب الاتجاه الثاني وهم النفاة فهم بمثابة من أراد أن يحجب الشمس بغربال، إذ التشابه لم يحصل في عقيدة أو اثنتين، حتىٰ يعزىٰ إلىٰ الصدفة، بل حصل في جل عقائد النصارىٰ الأساسية، إن لم يكن كلها - كما سيأتي -.

ولذا فالصدفة بريئة من ذلك كل البراءة، إذ إنه وبدون أدنىٰ مبالغة لو أرجعت كل عقيدة من عقائد النصرانية الجديدة إلىٰ أصلها في الديانات والوثنيات الفلسفية، لأصبحت المسيحية الجديدة بدون أدنىٰ عقيدة ملوثة بتلك الوثنيات، ولتخلت المسيحية عن جل عقائدها وشرائعها، ولم يتبق إلا أقوال التوراة والإنجيل التي تدعو إلىٰ التوحيد، لأنه ليس بينها وبين تلك الوثنيات تشابه.

المبحث الأول
المصدر الهندوسي

عرفت الهندوسية بكثرة آلهتها، التي نشأت قبل مئات القرون من نشأة المسيحية والتي تعرف بتعدد آلهتها وعباداتها، ومظاهر تلك الآلهة أيضا وتجسداتهم. بالإضافة إلىٰ وجود كثير من الآلهة التي كانت منتشرة بينهم، لا سيما الآلهةالأم، وبعض تماثيلها الصغيرة إلىٰ وجود آلهة نسائية عارية، ذات ياقات عالية، وأغطية للرأس، مع وجود عدد كبير من تماثيل الحيوانات المقدسة حوله، وعدد كبير من التماثيل الحجرية لعضوي التناسل عند الرجل والمرأة.

ويرىٰ الباحث اللاهوتي وولف ج أن هناك تأثيرا للأوبانيشاد علىٰ الأناجيل وبالأخص في وجود بعض التعليمات في العهد الجديد التي تتشابه إلىٰ حد كبير مع كتاب الفيدات المقدس ومن أمثلة ذلك مقولة عيسىٰ " من يريد أن يتبعني يجب عليه ألا يسير في الظلام، ولكن عليه أن يمتلك نور الحياة" بينما يقول كريشنا "إنني أدمر الظلام المتولد عن الجهل عن طريق الضوء الساطع للحكمة"، هل هما بذلك يفكران بنفس النور؟[١]

ولكن هناك من المؤرخين استمرأ مخالفة الواقع، ورأىٰ أن الهندوسية هي المتأثرة بالمسيحية كما يرىٰ الباحث (أ.ل. باشام) أستاذ الدراسات الشرقية الإفريقية في جامعة لندن، في بحث له عن الهندوسية، حينما يقول في ذكره للتجسدات الكثيرة للإله فشنو: " أما التجسد الأخير المعروف باسم كالكين فلم يحن وقته بعد، ففي

(١) انظر: Parallel Teachings in Hinduism and Christianity. Wolfe, G., Jomar Press, Cameron Road, Austin, Texas, (1995)، P. 13

نهاية هذا العصر الآثم المظلم سيهبط الإله فشنو مرة أخرىٰ، لكن هذه المرة سيتجسد في صورة مقاتل قوي علىٰ صهوة جواد أبيض، والمسيحيون أيضا يؤمنون بهذا التجسد، وبالتالي ليس من المستبعد أن تكون عقيدة الكالكين متأثرة بالمسيحية النسطورية"[١].

ولكن يرد عليه بأن الهندوسية متقدمة علىٰ المسيحية بأكثر من ألفي عام، ومن المحال أن يكون المتقدم هو المتأثر بالمتأخر، بل يثبت عكس ذلك تماما.

وفيما يلي يتم تسليط الضوء علىٰ التطور التاريخي والشرائع المقتبسة وبيان التأثر المسيحي بالديانة الهندوسية:

أولا: تأثر بعض لاهوتيي الكنيسة بالفلسفات الهندوسية:

لقد سجل التاريخ تأثر بعض آباء الكنيسة الأوائل بمدارس الهندوس وفلسفاتها، فمثلا نرىٰ المدرسة الإسكندرية، مع ثقلها الواضح في الديانة النصرانية في تلك العصور، نرىٰ أن شيخ هذه المدرسة (أمنيوس)٢٤٢م اعتنق في صدر حياته الديانة المسيحية، ثم تأثر بالفلسفات الهندوسية والهندية، ثم ارتد عن المسيحية إلىٰ وثنية اليونان الأقدمين.

وجاء من بعده تلميذه (أفلوطين)٢٧٠م، وقد تعلم في مدرسة الإسكندرية أولا، ثم رحل إلىٰ فارس والهند، واستقىٰ من ينابيع الهندوسية والبوذية، ثم رجع إلىٰ الإسكندرية، وأخذ يلقي بآرائه علىٰ تلاميذه، وجلها يدعو إلىٰ التعرف إلىٰ ما وراء الطبيعة، ومنشئ الكون، ويلخص اعتقاده في منشئ الكون في ثلاثة أمور:

(١) موسوعة الأديان الحية، "الديانة الهندوسية " أ.ل. باشام، أستاذ الدراسات الشرقية الإفريقية، جامعة لندن، ر.س. رينز، ص٦٩.

أولها: أن الكون قد صدر عن منشئ أزلي لا تدركه الأبصار.

ثانيا: أن جميع الأرواح شعب لروح واحد، وتتصل بالمنشئ الأول بواسطة العقل.

ثالثا: أن العالم في تدبيره وتكوينه خاضع لهذه الثلاثة وهو تحت سلطانها، فالله هو منشئ الأشياء، وأول شيء صدر عن هذا المنشئ هو العقل المصدر عنه، ومن العقل تنبثق الروح التي هي وحدة الأرواح، وعن هذا الثالوث يتولد كل شيء[1].

ثانيا: المشابهة الكبيرة بين قانون الإيمان المسيحي وقانون الإيمان الهندوسي:

وصل التأثر الكبير للمسيحية بالهندوسية إلىٰ حد التشابه في قانون الإيمان الهندوسي بقانون الإيمان المسيحي، ويتبين مدىٰ ارتباط قانون الإيمان النصراني بقانون الديانة الهندية الوثنية، لدىٰ بعض فرق الهندوس في عقيدتهم التي يدينون بها، وهذا نصه: (نؤمن بسافتري أي الشمس إله واحد، ضابط الكل خالق السموات والأرض، وبابنه أغنىٰ أي النار، نور من نور، مولود غير مخلوق، تجسد من فايو أي الروح، وفي بطن مايا العذراء، ونؤمن بفايو الروح المحيي، المنبثق من الأب والابن، الذي هو مع الأب يسجد له ويمجد"[2].

---

(١) انظر: الجانب المظلم في التاريخ المسيحي، هيلين إليبريص ٣٠.و plato; Timaeus (pp.30-40), English Translation by D. LEE, penguin Booksm London, 1976, pp.42-46

(٢) الله واحد أم ثالوث، محمد مجدي مرجان، ص٦٨. مع أن بعض المؤرخين ينفي أن يكون للهندوس قانون إيمان، انظر: مشكلة التأليه في فكر الهند الديني، د. محمد الشرقاوي، ص٦٤.

وبمقارنته مع قانون الإيمان المسيحي نجد أن هناك تشابها بل اقتباسا ملحوظا لقانون الإيمان المسيحي بهذا القانون، وبما أن قانون الإيمان الهندوسي هو المتقدم على قانون الإيمان المسيحي، فلا شك أن قانون الإيمان المسيحي هو الذي اقتبس تلك الألفاظ من الهندوس.

والتشابه بين القانونين ليس في العقائد فحسب، بل حتى في ألفاظ القانون نفسه، وفيما يلي أعرض عرضا موجزا لمقدار التشابه بين القانونين:

أ- "إله واحد ضابط الكل خالق السماء والأرض" وهذا النص هو هو لدى الديانتين، والفرق بينهما أن ضابط الكل عند الهندوس هو سافتري أي الشمس، وعند النصارى هو الأب.

ب- "وبابنه.. مولود غير مخلوق " وهذا النص في كلا القانونين، والفرق بينهما أن الابن عند الهندوس هو أغنى، وعند النصارى هو المسيح.

ج- "تجسد من.. أي الروح وفي بطن مايا العذراء " وهذا المفهوم في كلا الديانتين، والفرق بينهما أن الابن المتجسد عند الهندوس تجسد من فايو، وعند النصارى تجسد من الروح القدس، وفايو عند الهندوس هو الروح، فلا فرق بينهما هنا.

د- "وفي بطن مايا العذراء" وهذا المفهوم في كلا القانونين، والفرق بينهما أن العذراء عند الهندوس هي مايا، وعند النصارى هي مريم.

هـ- "ونؤمن بفايو الروح المحيي المنبثق من الأب والابن، الذي هو مع الأب، يسجد له ويمجد" وهذا النص في كلا القانونين، فكلاهما يؤمنان بالروح أنه إله، وأنه مسجود له ويمجد. ولا نعلم حقيقة ذلك الروح على حقيقته في كلتا الديانتين.

فهذا التشابه الكبير بين القانونين، في العقائد والمفهوم والألفاظ، يدل على مدى تأثر النصرانية الجديدة بالديانة الهندوسية، ولهذا لا عجب أن تصبح النصرانية

الجديد تابعة للوثنيات، وأصبحت الكنيسة ورجالها يتبارزون في نقل الفلسفات الهندوسية إلىٰ النصرانية بحذافيرها، عدا تغيير المسميات أحيانا، ولو خالف نصوص الأناجيل.

وعلىٰ كل حال، فإذا كان هذا هو حال القانون الذي ترتكز عليه النصرانية الجديدة بأسرها، وقد تأثر بقانون الإيمان الهندوسي كل ذلك التأثر الكبير، فلا ريب أن العقائد الأساسية النصرانية اشد انحرافا وتأثرا بالهندوسية منه.

ثالثا: التثليث:

يعتبر الثالوث المقدس من أهم العقائد في الديانة النصرانية– كما سبق– وإذا نظرنا إلىٰ الديانة الهندوسية القديمة، سوف نجد أن هذه العقيدة تعتبر من العقائد المهمة لدىٰ الهندوس أيضا، فقد كان للهندوس عدد لا يحصىٰ من الآلهة، التي يعتقد قداستها وعباداتها أيضا، وهناك آلهة مشهورة وأخرىٰ مندثرة مغمورة.

ولكن هناك ثالوث معروف لدىٰ الهندوس مكون من ثلاثة آلهة، وهم فشنو وشيفا وبراهما، وأكبر هذه الثلاثة هو براهما، إلا أن صور فشنو وشيفا تملأ المعابد بالأشكال والصور، ولكن براهما لا يصور ولا يمثل تمثيلا ظاهريا، بل يظل هو الروح الكبرىٰ التي تهب الحياة للجميع.(١)

وهناك ثالوث آخر، وهو كرشنا وسكاندا وجانيشا، فالإله عندهم له ثلاثة أقانيم، حسب فعله في الوجود، فهو برهما حين يكون الموجد الخالق، وهو فشنو حين يكون الحافظ، وهو سيفا حين يكون المهلك، ويسمون هذا التعليم بلغتهم (تري مورتي)، وهي عبارة مركبة من كلمتين بلغتهم السنسكريتية،كلمة تري ومعناها ثلاثة، ومورتي

(١) انظر: حضارة الهند، غوستاف لوبون، ص٦٠١. وهذا ينطبق علىٰ ما نشاهده في كنائس النصارىٰ، حيث يصور المسيح ووالدته، ولا يصورون الأب.

ومعناها هيئات أو أقانيم، وهذه الثلاثة متحدة بزعمهم لا تنفك عن الوحدة، فهي إله واحد، وهذه الأقانيم يرمزون إليها بثلاثة أحرف وهي (أ. و. م).[(١)]

ويبدو أن الهندوس كانوا مغرمين بالتثليث، منذ عهد الآريين الغزاة الذين دخلوا الهند، حيث كانت النار من أهم المقدسات لديهم، "وكان أهم الواجبات التي يلتزم بها رب الأسرة، فهي واجبات نحو الأباء أو الأسلاف... عليه أيضا أن يقدم لهم البندا (Pinda) أي كرة الأرز(Rice-Ball) في يوم ظهور القمر الجديد من كل شهر. وتسمىٰ العناصر الرئيسية في هذا الاحتفال (شراذاShradha)، وهي كما يأتي: يجلس فقهاء البراهمة -الذين هم علىٰ خلق لا يرقىٰ إليه الشك- في مكان مكشوف علىٰ مقاعد منسوجة من العشب قدس، ويفتتح رب الأسرة الاحتفال، وينهيه بحرق قربان للآلهة في النار المقدسة لكن الحدث الرئيس هو التقريب للآباء، فهو يصنع ثلاث كرات أرز، ويضعها فوق سجادة منسوجة بالعشب المقدس، بعد رش الماء وتذهب هذه إلىٰ الموتىٰ الثلاثة من أسلافه وهم: الأب والجد وأب الجد"[(٢)].

وهذا يبين أن التثليث يكاد يكون السمة السائدة علىٰ معتقدات الهندوس بشكل عام.

إنه تشابه تام بين العقيدتين، لا اختلاف بينهما إلا في الأسماء، فبينما يسمي النصارىٰ الإله أبا، ويسوع المسيح ابنا، وروح الحياة المنبثقة روح القدس، نجد قدماء الهنود يسمون الأب (سافتري)، والابن (آني)، والروح (فايو)، وبينما تجسد

---

(١) انظر: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، للتنير ص٥٥. و قصة الديانات، سليمان مظهر،ص ٨٩-٩٨. وموسوعة الأديان الحية، (الديانة الهندوسية) ر.س. رينز، ص٧٢ وقصة الحضارة، ١/ ٣/ ٢٠٤. ودائرة المعارف البريطانية، مادة: المسيحية والمعتقدات الدينية لدىٰ الشعوب، جفري بارندر ص١٠٧.

(٢) المعتقدات الدينية لدىٰ الشعوب، جفري بارندر،ص ١١٢.

يسوع في بطن مريم العذراء، يتجسد (فايو) في بطن (مايا) العذراء عند الهنود، ونرىٰ هذا الثالوث واضحا في الديانة الهندوسية.

رابعا: التجسد:

تعتبر عقيدة التجسد من العقائد الأساسية في الديانة النصرانية، وهذه العقيدة جزء لا يتجزأ من الإيمان بألوهية المسيح – كما سبق –.

وإذا نظرنا إلىٰ هذه العقيدة لدىٰ أتباع الديانة الهندوسية، فسوف نتفاجأ بتطابق هذه العقيدة لدىٰ النصارىٰ والهندوس علىٰ السواء، سواء كان في هدف الآلهة من التجسد، أو كان في ثمرات ذلك التجسد.

فقد جاء في أحد الكتب المقدسة عند الهندوس وهو الباغافاد-جيتا (Bhagafad-Gita): "يقول الرب: جيلا بعد جيل جئت إلىٰ العالم لحماية المستقيمين ولتدمير الذين يقترفون الإثم ولترسيخ الشرائع"

ولذلك يقول المؤرخ ويدجيري: "وأساطير الديانة البرهمية تحتوي علىٰ عدد من القصص تتعلق كلها بتجسدات إلهية"[(1)]

وبالفعل، فهذه العقيدة من أبرز عقائد الديانة الهندوسية وتسمىٰ بعقيدة (أفتار)، حيث يعتقدون أن الرب ينزل إلىٰ الأرض بأن يحل في جسد إنسان،أو أجساد أخرىٰ، بغرض إصلاح الناس أو خلاصهم.

ومن أبرز الآلهة المتجسدة عند الهندوس الإله شيفا والإله فشنو، حيث يهدف ذلك الإله المتجسد إلىٰ إنجاز مهمة، كإهلاك أو إصلاح أو رفع أثقال الأرض من المعاصي أو غيرها.

---

(١) المذاهب الكبرىٰ في التاريخ،ج.ويدجيري ص٤٨

فالإلـه فـشنو كـان يظهـر في مظهـر إنـساني بـشري، في واحـد مـن الشخـصيات الرئيسية، وقد كان صديقا وناصحا مخلصا للأبطال، أما كريشنا فقد كـان هـو الأمير الشجاع، الذي عانىٰ من النفي الاختياري، مطيعا في ذلك أمر أبيه، وأخيرا جاء ليحكم مملكة آبائه وأجداده بحكمة وإحسان(١).

ويذكر بعض المؤرخين أن فشنو هو إلـه الحـب لـدىٰ الهنـدوس، الـذي كثيـرا مـا انقلـب إنـسانا، ليتقـدم بـالعون إلـىٰ بنـي الإنـسان، وأعظـم مـن يتجسد فيـه فـشنو هـو (كرشنا)، وهو في صورته (الكرشنية) هذه، قد ولد في سجن، وأتىٰ بكثير من أعاجيب البطولـة والغـرام، وشـفىٰ الـصم والعمـي، وعـاون المـصابين بـداء الـبرص، وذاد عـن الفقراء، وبعث الموتىٰ من قبورهم، وكان له تلميذ محبب إلىٰ نفسه، وهـو (أرجونـا)، وأمام أرجونا تبدلت خلقة فشنو حالا بعد حال.

ويزعم بعض الرواة أنه مات مطعونا بسهم، ويزعم آخرون أنه قتل مـصلوبا علـىٰ شجرة، وهبط إلىٰ جهنم ثم صعد إلىٰ السماء، علىٰ أن يعود في اليوم الآخر، ليحاسـب الناس أحياءهم وأمواتهم.

وجاء في بعض كتبهم أن كرشـنا قـال: "سأتجسد في (متواربيـت يـادوا)، وأخـرج من رحـم (ديفاكي)، أولد وأموت، وقد حان الوقت لإظهـار قـوتي، وتخليص الأرض من حملها"(٢)

وهذا التجسد لا يخفىٰ أنه هو الأساس الذي ارتكزت عليه النصرانية المحرفة في

(١) انظر: Parallel Teachings in Hinduism and Christianity. Wolfe, G., Jomar Press, Cameron Road, Austin, Texas, (1995)، P. 13

(٢) انظر: قصة الحضارة، ١/ ٣/ ٢٠٤. ودائرة المعارف البريطانية، مادة: المسيحية وبحث بعنوان "الديانة الهندوسية " أ.ل. باشام، ضمن موسوعة الأديان الحية، ر.س. رينز، ص٦٨.

قولها بالتجسد، وبمقارنة موجزة يتبين أوجه التشابه، بين تجسد النصارىٰ وتجسد الهندوس فيما يلي:

أ- تشترك كلا الديانتين في مفهوم التجسد، وهو تقمص الإله في شكل بشري.

ب- تشترك كلا الديانتين في هدف من أهداف التجسد، وهو رفع الذنوب عن البشر.

ج- تشترك كلا الديانتين في أعمال الآلهة بعد التجسد من شفاء الصم والبكم والعمي وعمل المعجزات.

د- تشترك كلا الديانتين في نهاية الإله المتجسد من بعض الأوجه، من حيث صلب ذلك الإله، وقتله علىٰ يد أتباعه.

هـ- تشترك كلا الديانتين في أعمال الإله المتجسد الأخروية، وأنه يتولىٰ عقاب الناس وحسابهم في الدنيا أو في الاخرة.

خامسا: الخلاص:

تعتبر عقيدة الخلاص من أسس العقائد في الديانة النصرانية، وقد جاء ذكرها في رسائل العهد الجديد، ونص عليها قانون الإيمان المسيحي - كما سبق -.

وأما عند الهندوس، فعقيدة الخلاص تعد من العقائد المهمة عندهم، وقد أخذت حيزا كبيرا في أذهان الهندوس، وانقسموا إلىٰ نحل متباينة في شرح سبيل الخلاص.

فمنهم من يسمي سبيل الخلاص بالسبيل القردية، ومنهم من يسميها بالسبيل القطية، ويقصدون بهذه التسمية هي أن الله يخلص الإنسان إذا تشبث به، كما يتشبث ولد القرد الصغير بأمه، وهي تصعد به إلىٰ رؤوس الأشجار، أو أن الله علىٰ اعتقاد

الآخرين يخلص الإنسان وهو مغمض العينين مستسلم للقضاء، كما يستسلم ولد القطة لأمه، وهي تحمله مغمضا من مكان إلىٰ مكان(١).

أهم الآلهة المخلصة عند الهندوس:

أهم الآلهة الهندوسية التي صلبت وخلصت البشر، هو الإله كرشنا، وقد اتخذ عدة طرق في سبيل الخلاص، فحينا يكون بالصلب والفداء، وذلك حينما يصفون كرشنا بالبطل الوديع، المملوء لاهوتا، لأنه قدم شخصه ذبيحة، وأن عمله هذا لايقدر عليه أحد سواه، وأنه تحرك حنوا كي يخلص الأرض من ثقل حملها، فأتاها وخلص الإنسان بتقديم نفسه ذبيحة عنه، ويذكرون موت كرشنا بأشكال متعددة، أهمها أنه مات معلقا علىٰ شجرة سمر، بها ضربة حربة مثقوب اليدين والرجلين، ومعلق بقميصه قلب إنسان.

ويرىٰ الهندوس أيضا أن الخلاص يكون أحيانا بنزول الإله، والتجسد بجسد حيوان هائل، كأسد أو حتىٰ خنزير أو سلحفاة، وذلك لإنقاذ العالم، والأكثر أهمية من بين كل تلك التجسدات، هو تجسده في البطل راما، والبطل كريشنا أيضا.(٢)

ومن الطريف أن دعوة المبشرين النصارىٰ لم تنجح في الهند - كما يصرح بذلك بعض الباحثين النصارىٰ - وذلك لأن عقيدة التجسد المسيحية، هي اقتباس كامل لعقيدة التجسد الهندوسية عدا المسميات، وتعليلهم لذلك بأن "الهندوس نصارىٰ أكثر من النصارىٰ"(٣) والحقيقة أن النصارىٰ هندوس أكثر من الهندوس.

---

(١) انظر: موسوعة عباس محمود العقاد، ١/ ٦١.

(٢) انظر: موسوعة الأديان الحية، "الديانة الهندوسية " ر.س. رينز، ص٦٧-٦٨ وقصة الحضارة، ١/ ٣/ ٢٠٤ والعقائد الوثنية، للتنير ص٧٥والفلسفات الهندية، د.علي زيغو، ص١٦٨.

(٣) حضارة الهند، غوستاف لوبون، ص٦٠٧.

سادسا: القيامة من بين الأموات:

تعتبر عقيدة قيامة المسيح من بين الأموات من العقائد الأساسية في الديانة النصرانية، وقد جاء النص عليها في نصوص العهد الجديد، وفي قوانين الإيمان المسيحي، كما في قولهم عن المسيح: " ثم قام من قبره في اليوم الثالث وصعد إلىٰ السماء" - كما سبق -.

وهذه العقيدة، أعني بها عقيدة قيام الآلهة بعد الموت وتغلبهم علىٰ الموت هي عقيدة هندوسية قديمة، حيث يعتقد الهندوس أن (كرشنا) قام من بين الأموات، وصعد إلىٰ السماء بجسده، وأنه سيأتي ثانية في الأيام الأخيرة.

بل ظهر في الديانة الهندية أن الآلهة نفسها لابد أن تموت، ثم تولد من جديد مرة بعد مرة، وأن ميلاد (الشخص)كإله أو برهمان أو إنسان عادي أوحيوان أو نبات، يتوقف علىٰ الفضائل والآثام التي اقترفها في التجسد السابق(١).

سابعا: التعميد:

جاء ذكر المعمودية في نصوص العهد الجديد، ونص علىٰ وجوده قانونُ الإيمان المسيحي، وهذا التعميد عند النصارىٰ واجب علىٰ الرجل والمرأة صغيرهم وكبيرهم، وضرورة لازمة للدخول إلىٰ ملكوت النعمة، وتكون ممارسة سر المعمودية بالماء، حيث يقام بتغطيس المعتمد ثلاث غطسات في الماء، باسم الأقانيم الثلاثة، باسم الأب والابن والروح القدس، إشارة إلىٰ موت المسيح ودفنه وقيامته - كما سبق-.

وهذا التعميد المسيحي مقتبس من الهندوس، الذين كانوا يعتقدون أن التعميد من أهم الشرائع الهندوسية، وهو مشابه للتعميد المسيحي من أوجه كثيرة.

---

(١) انظر: المعتقدات الدينية لدىٰ الشعوب، جفري بارندر، ص١٢٥. العقائد الوثنية، ص١٦٧.

ولهذا يعترف بعض اللاهوتيين بذلك، حينما يتحدث عن التعميد الهندوسي فيقول: "وهو طقس مهم جدا في الهندوسية التقليدية، وهو شبيه جدا بطقس العماد في المسيحية، فهو يجعل الطفل طفلا كامل العضوية في المجتمع الآري، وعادة ما يرتبط هذا الطقس بالأبناء الذكور في الطبقات العليا الثلاث، رغم أنه كان يطبق على البنات في فترة قديمة."(١)

وهناك تشابهات أخرى بين الاعتقادات المسيحية والهندوسية - تركناها اكتفاء بما سبق - كالرهبانية والتبتل، أو كعبادة والدة الإله أو الإلهة،وهي زوجة الإله شيفا، وجذور عبادة والدة الإله قديمة جدا، فقد كان الناس يعبدون الربة الأم، طوال ألف سنة قبل هذا التاريخ، في أطراف المجتمع الآري، حتى وجدت هذه العبادة أخيرا مكانا لها في النسق العقائدي للهندوسية، أو اتخاذ الأيقونات والصور والتماثيل التي تصور الآلهة في المعابد(٢)، وكلها فيها تشابه عجيب بين الديانتين، واتفاق غريب بين العقيدتين.

فتبين من هذا أن الديانة الهندوسية نشأت قبل المسيحية بمئات القرون، وقد عرفت بتعدد آلهتها وتجسداتهم المختلفة، وفلسفاتها الكثيرة، والتي تأثرت بها المسيحية فيما بعد، خلافا لمن رأى من المؤرخين الغربيين أن الهندوسية هي المتأثرة بالمسيحية، فقد سجل التاريخ تأثر بعض آباء الكنيسة الأوائل بمدارس الهندوس وفلسفاتها، فمثلا نرى شيخ المدرسة الأسمتندرية (أمنيوس)٢٤٢م اعتنق

---

(١) موسوعة الأديان الحية، " الديانة الهندوسية " أ.ل. باشام، أستاذ الدراسات الشرقية الإفريقية، جامعة لندن، ر.س. رينز، ص٩٣.

(٢) انظر: Parallel Teachings in Hinduism and Christianity. Wolfe, G., Jomar Press, Cameron Road, Austin, Texas, (1995)

في صدر حياته الديانة المسيحية، ثم تأثر بالفلسفات الهندوسية والهندية، ثم ارتد عن المسيحية إلىٰ وثنية اليونان الأقدمين.وجاء من بعده تلميذه (أفلوطين)٢٧٠م، وقد تعلم في مدرسة الإسكندرية أولا، ثم رحل إلىٰ فارس والهند، واستقىٰ من ينابيع الهندوسية والبوذية، ثم رجع إلىٰ الإسكندرية، ثم نرىٰ التشابه الكبير بن قانون الإيمان المسيحي وقانون الإيمان الهندوسي تشابه في المعاني والألفاظ

حيث يشتركان في نسبة الابن له، وعقيدة التجسد، وعقيدة العذراء والدة الإله، وعقيدة ألوهية الروح القدس، ثم نرىٰ التشابه الكبير بين عقيدة الثتليث المسيحي، الآب والابن والروح القدس، وعقيدة التثليث الهندوسي براهما وفشنو وشيفا، وكذلك عقيدة التجسد عند الهندوس التي تسمىٰ أفتار، ومن أبرز الآلهة المتجسدة عند الهندوس الإله شيفا والإله فشنو، حيث يهدف ذلك الإله المتجسد إلىٰ إنجاز مهمة، كإهلاك أو إصلاح أو رفع أثقال الأرض من المعاصي أو غيرها، وكذلك عقيدة الخلاص، وهو مجيء الإله المخلص الذي يقدم نفسه فداء للبشر، غير أن خلاص الهندوس أوسع من خلاص المسيحية حيث عندهم خلاص بالسبيل القردية، ومنهم من يسميها بالسبيل القطية، ويقصدون بهذه التسمية هي أن الله يخلص الإنسان إذا تشبث به، كما يتشبث ولد القرد الصغير بأمه، ومن أهم الآلهة الهندوسية التي صلبت وخلصت البشر، هو الإله كرشنا، ومن التشابهات أيضا عقيدة القيامة أي قيامة الآلهة من الموت، فنرىٰ المسيح قام من بين الأموات، ونرىٰ كذلك الإله كرشنا قام أيضا من بين الأموات، ومن الشعائر المتشابهة شعيرة التعميد، فنرىٰ التعميد من أسس الشعائر المسيحية وهو أيضا من أسس الشعائر الهندوسية،للأطفال المولودين، وهناك تشابهات أخرىٰ بين الديانتين كالرهبانية والتبتل، أو كعبادة والدة الإله أو الإلهة.

المبحث الثاني

المصدر البوذي

تنسب الديانة البوذية إلىٰ بوذا، واسمه سيدهارتا غوناما، الذي ظهر عام ٦٢٣ق.م، ويرىٰ كثير من الباحثين والمؤرخين أن بوذا أسس مذهبه علىٰ أسس أخلاقية، ولم يهتم بالعقائد ولم يقررها.

ولذا لم تكن لديه أي تعاليم عقدية أو شرائع دينية -فيما يظهر -وقد كانت تعاليمه منصبّة علىٰ الأخلاق والسلوك فقط، وتتركز علىٰ سبب الألم، وطرق التخلص من الألم، وقد قامت البوذية التي بشّر بها البوذا جوتاما، قبل الميلاد المسيحي بحوالي خمسة قرون.(١)

وهذه الديانة تعدُّ إحدىٰ الديانات الفلسفية الوثنية، التي تعتمد علىٰ الفلسفة في إثبات وثنيتها، والتي نشأت في الهند، بل نشأت في كنف الديانة الهندوسية -السابق ذكرها - ولهذا فإن هناك تشابه إلىٰ حد ما بين هاتين الديانتين الوثنيتين - ليس هنا موضع بحثه -.

وقد تأثرت النصرانية الجديدة بكلتا الديانتين تأثرا ملحوظا فأخذت من كل ديانة ما يناسب هوىٰ رجال الدين، واتجاهات رهبان الكنيسة.

وعند الحديث عن الديانة البوذية يجب أن يفرّق بين البوذية في جنوب الهند وسيلان، عن تلك البوذية التي انتشرت في التبت ومنغوليا والصين واليابان، إذ إن

---

(١) انظر: المذاهب الكبرىٰ في التاريخ، البان. ويدجيري ص٦٤ والفكر الشرقي القديم، جون كوبريا، ص٨٨-١٨٩ ص٣٥. وقصة بوذا، عبد العزيز الزكي ١/ ١٤ بحث بعنوان (البوذية الثيرافادا) آي بي هورنر، سكرتير جمعية دراسة النصوص اللغة الباليّة، ضمن موسوعة الأديان الحية، ر.س. رينز، ص١٣٨.

البوذية الأولىٰ لا تؤله بوذا، بل هو معلم عظيم ومثل أعلىٰ، بينما نجد أن البوذية الثانية تؤمن بألوهية بوذا.

وإيرادها هنا هو من باب بيان تأثر النصرانية بالبوذية الوثنية التي ظهرت قبلها، وللمشابهة الكبيرة بين عقائدها، ولا شك أن المتأخر هو المتأثر بالمتقدم، خلافا لبعض اللاهوتيين من النصارىٰ، الذين يرون أن البوذية هي المتأثرة بالمسيحية، مثل (أي كونز) أستاذ الأديان بجامعة لندن، الذي يرىٰ تشبه البوذية بالمسيحية في القرن الأول من ظهور المسيحية، فيقول: "كيف نغفل ملاحظة أن البوذية وقت ظهور المسيحية قد أجرت إصلاحات راديكالية في عقائدها الأساسية مما جعلها أكثر شبها بالمسيحية مما كانت عليه قبل ذلك"

ثم يحاول أن يفرض هذا الزعم بكل قوة فيقول: " وليس هذا كل ما قيل في الأمر، فإننا نجد أحيانا تقاربا زمنيا، بين وضع الكتب المقدسة في كل من المسيحية والبوذية الماهاينا، وفي هذا المجال يكفي أن نذكر مثالا واحدا، ففي الوقت الذي كان القديس يوحنا يكتب إنجيله.. كان الماهاينيون يضعون في جنوب الهند واحدا من أكثر كتبهم تبجيلا (تمام الحكمة)"[1].

والحقيقة أن البوذية كانت في وقت كتابة يوحنا لإنجيله مكتملة العقائد معروفة المصادر، وفي المقابل كانت المسيحية منكفئة علىٰ نفسها آنذاك، وفي غاية الضعف والتقوقع من قبل أفرادها، جرّاء ما يلاقونه من فتك وتشريد وقتل من قبل أعدائهم، فكيف تأثر البوذيون بالمسيحية وقت تشرذمها وتشردها، خصوصا وأن البوذية نشأت قبل المسيحية بخمسة قرون – كما سبق – فتأثر المسيحية البوذية هو الموافق للتاريخ والعقل لا العكس، ويظهر ذلك فيما يلي:

---

(١) موسوعة الديانات الحية، – البوذية الصينية واليابانية – ر.س.زينر، أي كونز، ص١٩١.

أولا: التثليث:

نصت قوانين المسيحية الأولىٰ علىٰ ألوهية الثالوث المقدس، المكون من الأب والابن والروح القدس - كما سبق-.

وهذه العقيدة التثليثية كان يعتقد بها البوذيون قبل ذلك، ويسمونها باللغة البالية (راتناتري)، ومعناه الجواهر الثلاثة وتتكون من: بوذا (Atahe Buddha) مؤسس البوذية، ومن دهارما (The Dharma) أي تعاليم البوذية، ومن ستانغها أي أصحاب بوذا القديسين[1] وهي متساوية في العظمة والقداسة والكرامة، وهذه الثلاثة هي المعبود المقدس عند جميعهم.

والبوذية الشرقية تشتهر فيها عبادة الجواهر الثلاثة بوذا وذرما وسمجا، ويقدمون لها الهدايا والصلوات - كما يقول ريتشارد هـ. روبينسون - أستاذ قسم دراسات شرق آسيا بجامعة تورنتو-.

وتتمثل هذه الهدايا في الأشياء الجميلة التي توضع عند الأضرحة، وكذلك التي تقدم لجماعة الرهبان، أما الدعوات والصلوات فتتمثل في ترتيل الكتب المقدسة، والدعوات الطقسية، والقيام بأعمال طقسية، كضغط راحتي اليدين معا، في وضع تعبد وحرق البخور، تلك هي المظاهر الخارجية للعبادة، أما العبادة الداخلية فتتمثل في تأمل بوذا، وتركيز الإيمان فيه، والتكريس له، وتأمل بوذا يشبه إلىٰ حد كبير صلاة التأمل في المسيحية بالإضافة إلىٰ عبادة كثير من البوذات المعبودة البشرية، وفوق البشرية.[2]

---

(١) انظر: تري بيتاكا (سوتان)، ٢١٤، عن البوذية، عبدالله نومسوك، ص١٧٨.

(٢) انظر: موسوعة الديانات الحية،- ر.س.زينر، - البوذية الصينية واليابانية، ريتشارد هـ. روبينسون ص٢٤٩.

ومن المؤرخين من يرىٰ أن البوذيين جميعهم يقولون بأن بوذا له ثلاثة أقانيم، وأكثر سكان الصين واليابان يعبدون إلها مثلث الأقانيم، يسمونه (فو)، ومتىٰ أرادوا ذكر هذا الثالوث المقدس يقولون (الثالوث النقي فو)، ويصورونه في هياكلهم بشكل الأصنام التي وجدت في الهند، ويقولن أيضا (فو) واحد لكنه ذو ثلاثة أشكال[1].

فتبين موافقة التثليث النصراني للتثليث البوذي، خصوصا فيما يتعلق بدعوىٰ انبثاق الآلهة من بعضها البعض.

ثانيا: التجسد:

تعتبر عقيدة التجسد من العقائد الأساسية في الديانة النصرانية - كما سبق -.

وهذه العقيدة من العقائد المهمة التي تؤمن بها الديانة البوذية، حيث يؤمن أتباع الديانة البوذية، بأن بوذا تجسد بواسطة حلول الروح القدس علىٰ العذراء مايا.

فيعتقدون أن بوذا ليس إنسانا محضا، بل له اللاهوت والناسوت، حيث إن الإله "أوتار" قد تجسد فيه، فأصبح كائنا إلهيا، وهذا المذهب في البوذية يعرف بمهايان (mahayan) أو المذهب الجديد، فجعلوا بوذا إلها في صورة إنسان، وأطلق علىٰ هذا الإله اسم (براهمات ساتجا brahmat satja) وأنه الإله الخالق المدبر لهذا الكون، وأنه يجيء إلىٰ العالم الأرضي بين حين إلىٰ آخر، متقمصا جسد أحد بني الإنسان لينقذ البشرية[2].

---

(١) انظر: العقائد الوثنية، التنير ص٥٨.

(٢) بوذية مهايان، ص٣٨- ٣٩. نقلا عن البوذية، د. عبد الله نوموسوك، ص٣٥١وص ١٦٣. وأديان الهند الكبرىٰ، شلبي ص١٦٨ ومجلة الأديان، مقال بعنوان "الدين الخالد" فريذيوفشون، ترجمة: مريم إسحاق الخليفة، ص٦٥.

وهذا هو عين اعتقاد النصارىٰ في المسيح، حيث يعتقدون أن المسيح هو الله المتجسد، كما جاء في نصوص العهد الجديد، كما في رسالة بولس إلىٰ كورنثوس: " عظيم هو سر التقوىٰ الله ظهر في الجسد " (تيموثاوس الأولىٰ ٣/ ١٦)

ثالثا: الصلب والفداء:

تعتبر عقيدة صلب المسيح من أجل فداء البشر من أسس عقائد النصارىٰ، و تعتبر كذلك من عقائد البوذيين الأساسية في تخليص الآلهة البوذية للبشر، حيث يعتقد البوذيون أن بوذا العظيم، ومخلص العالم والممسوح والمسيح الوحيد المولود، وغير ذلك، وأنه قدم نفسه ذبيحة ليكفر آثام البشر، ويجعلهم ورثة ملوك السماوات، وبولادته ترك كافة مجده في العالم، ليخلص الناس من الشقاء والعذاب كما نذر(١).

فالإله عندهم تجسد في بوذا من أجل خلاص البشرية، حيث يحمل عنهم عبء خطاياهم القديمة، ويحول بينهم وبين ارتكاب خطايا أخرىٰ جديدة، وأنه تجسد في صورة بوذا لإنقاذ البشرية من الآلام، فنزل إلىٰ الأرض واتخذ شكلا بشريا لخلاص البشرية من الآلام.(٢)

وهناك آلهة مخلصة غير البوذا الكبير، المسمىٰ سيد هارتا جوتاما، باعتقاد البوذيين، كالبوذا ساكيا موني، المعروف بالمخلص عند الصينيين البوذيين، أو المخلص بيزاجيابورا بوذا، الذي نذر اثني عشر نذرا لتخليص عابديه من متاعب الدنيا ومن الكارما، وكذلك المخلص أفالوكيتيسفارا بوذيساتفا، الذي ينقذ عابديه

(١) انظر: موسوعة الديانات الحية، البوذية الصينية واليابانية، ر.س.زينر، ص٢٤٩.

(٢) انظر: الفلسفة الهندية، زيغور ص٢٩٢. الهند القديمة حضاراتها ودياناتها، د. محمد إسماعيل الندوي، ص١١٣و١٣٤و١٥٣ والفلسفة الشرقية، غلاب ص١٤٥.

المرددين لاسمه من النار والسيف والسم والمرض وجنوح السفن، والحيات المفترسة، والشياطين والسحر، وكذلك المخلص كشيتيجار بوذيساتفا، الذي يخلص من الجحيم، وإنقاذ المجرمين والأطفال والموتىٰ[(١)].

فتبين من هذا أن الديانة البوذية تنسب إلىٰ بوذا واسمه سيدهارتا غوتاما، وقد ظهرت عام ٦٢٣ق.م، وهي في جملتها تشتمل علىٰ فلسفات أخلاقية متعمقة، والبوذية في جنوب الهند تؤله بوذا بينما البوذية في الصين واليابان تعده عظيما من غير تأليه، ومن أهم المقارنات بين البوذية والمسيحية عقيدة التثليث فبينما نرىٰ المسيحية تؤله الثالوث الأب والابن والروح القدس، نرىٰ هذه العقيدة تسمىٰ في البوذية (راتناتري)، باللغة البالية، ومعناها الجواهر الثلاثة وتتكون من: بوذا ومن دهارما أي تعاليم البوذية، ومن ستانغها أي أصحاب بوذا القديسين وهذه الثلاثة متساوية في العظمة والقداسة والكرامة، والبوذية الشرقية تشتهر فيها عبادة الجواهر الثلاثة بوذا وذرما وسمجا، ويقدمون لها الهدايا والصلوات ومن العقائد المشتركة أيضا عقيدة التجسد حيث يؤمن أتباع الديانة البوذية، بأن بوذا تجسد بواسطة حلول الروح القدس علىٰ العذراء مايا، وكذلك عقيدة الصلب والفداء حيث يعتقدون أن بوذا العظيم، ومخلص العالم والممسوح والمسيح الوحيد المولود، وغير ذلك، وأنه قدم نفسه ذبيحة ليكفر آثام البشر.

---

(١) موسوعة الديانات الحية، البوذية الصينية واليابانية، ريتشارد هـ. روبينسون، أستاذ الأديان الآسيوية بجامعة تورنتو، ر.س.زينر، ص٢٤٩-٢٥١.

المبحث الثالث

المصدر اليوناني

من ضمن الوثنيات التي تأثرت بها النصرانية تأثرا ملحوظا، هي الفلسفات والديانات اليونانية، التي انتشرت بل ترعرعت الديانة النصرانية الجديدة في كنفها وبين ردهاتها، فكان ممن دخلوا في النصرانية أوائل عهدها أناس مثقفون بالثقافة اليونانية أو الرومانية الفلسفية وغيرها، فضلا عن أن لليونان ميلا طبيعيا للتشبث بالخرافات الوثنية والمحاماة عنها(١).

فأفرز ذلك نوعا من الاندماج الفلسفي الوثني بالديانة المسيحية، فأصبحت في كثير من عقائدها ومصطلحاتها مزيجا مشوها من هذا وذاك، وأصبح كثير من رجال الكنيسة هم السدنة والحراس لفلسفات اليونان، فقاسوا عقائد المسيحية عليها، ولم يقيسوها علىٰ عقائد المسيحية الصحيحة، فدخلت كثير من العقائد التي استقت مصادرها من الوثنيات والفلسفات اليونانية المنتشرة في ذلك العصر.

يقول روز وهو أحد الآباء اللاهوتيين الفرنسيين: "وكان للمسيحية عقيدة تؤمن بالخطيئة والخلاص، وهما أمران ألفتهما من اليونانيين، ومن الآداب الأروفية وغيرها من الآداب."(٢)

ويقول الفيلسوف برتراند رسل ١٩٧٠م: "ففي اللاهوت المسيحي عناصر كثيرة من الديانات، التي تتميز بما يكتنفها من أسرار، سواء في ذلك الديانات الأورفية أو الآسيوية".

---

(١) انظر: البراهين الإنجيلية ضد الأباطيل البابوية، ميخائيل مشاقة ص٣.

(٢) الديانة اليونانية، ص١٧٦.

ويذكر الدكتور القس فهيم عزيز الخطوط الأساسية للديانات السرية فيقول: "والديانات السرية كلها تشترك في عناصر أساسية، لا تختلف فيها ديانتان، تتلخص في أن بالإنسان عنصرا إلهيا جاء من الإله في السماء، ولكنه سجن في جسم الإنسان، سجن ليتعذب ويتألم، ولا بد له من التحرر من هذا السجن، والحل هو الموت والقيامة"[١].

وعند المقارنة والحديث عن تأثر المسيحية باليونان وعلومهم، يجب أن يفصل فيه بين فلسفات فلاسفة اليونان، وبين الديانات التي يمكن أن أُطلق عليها (الديانات الشعبية).

حيث إن تأثر النصارىٰ بالفلسفة هو الأظهر والأجلىٰ، ولا يعني ذلك عدم تأثرها بتلك الديانات الشعبية

ولكن بلورة الفكر المسيحي يكاد ينحصر علىٰ مصطلحات الفلاسفة، وتبريراتهم في شتىٰ المجالات الدينية والنفسية والاجتماعية، ولذا سوف يكون الكلام علىٰ كل قسم علىٰ حدة، ويظهر ذلك فيما يلي:

القسم الأول: تأثر المسيحية بالديانات اليونانية الشعبية:

تمهيد: المقصود بالديانات اليونانية الشعبية:

الديانات اليونانية الشعبية هي الديانات التي يدين بها عامة الشعب اليوناني، بخلاف الفلسفات التي يعتنقها الفلاسفة وأتباعهم، حيث إنها تقتصر عليهم فقط.

وهذه الديانات الشعبية بالغة التعقيد في عرضها وفهمها، إذ امتزجت الأساطير والخرافات بالسحر والكهانة والطلاسم، إلىٰ جانب الأسرار التي لا يفهمها عادة إلا

---

(١) المدخل إلىٰ العهد الجديد، د. فهيم عزيز، ص٦٧.

الكهان، التي هي من نتاج أفكارهم ومخيلاتهم، مع اقتباس بعض الآراء الفلسفية عند الضرورة.

كل ذلك جعل كثيرا من الباحثين يرىٰ أن تفسير الطقوس والاعتقادات اليونانية، أمرا محيرا في الفكر الديني القديم، ويدلل علىٰ ذلك ما اكتشف من آثار في جزيرة كريت للحضارتين المينوية والمسينية.(١)

وقد قسم بعض المؤرخين الأطوار التي مرت بها الديانات اليونانية إلىٰ عدة أقسام، غير أننا سنعتمد أحد التقسيمات التي يترجح قربها من واقع التاريخ اليوناني وهو كما يلي:

الطور الأول: العبادة الأرضية.

الطور الثاني: الديانة الأوليمبية.

الطور الثالث: الديانات السرية.(٢)

ويمكن إيجاز كل طور من أطوار الديانات اليونانية، مع إبراز مظاهر تأثر النصرانية بها، وذلك فيما يلي:

١ - الديانة الأرضية:

وهي التي تهتم بعبادة الأسلاف، ومظاهر الطبيعة، وجملة من الحيوانات والأصنام التي نسب إليها التصرف في الكون.

ويظهر لي أن تسميتها بالديانة الأرضية هو تمسكها بحب الأرض والحياة عليها

---

(١) الحضارة المينوية أنشأها سكان جزيرة كريت (٢٧٠٠-١١٠٠) ق م. والمسينية لأقوام شبه جزيرة اليونان وجزر بحر إيجة (١٦٠٠-١١٠٠) ق م.

(٢) انظر: كتاب الله، عباس العقاد، ص١٠٥. وقصة الحضارة، ول ديورانت ٢/ ١/ ٣٢١-٣٢٦.

وتوصيل عالم الماوراء بعالم الظلام، يقول الإله اليوناني آشيل أُفضّل أن أعيش عاملا في الأرض لحساب شخص آخر، ساكنا في إنسان لا أرض له، علىٰ أن أكون ملكا علىٰ شعب من الأموات"

ولذلك يرىٰ المؤرخ ويدجيري بأن صدور اليونانيين قد امتلأت بحب عميق للحياة علىٰ الأرض[١].

وأبرز مظاهر هذه الديانة هو عبادة الأباطرة والعظماء والأبطال، ويزعمون أنهم مظاهر للتجلي الإلهي فيهم، فقد جاء في آثارهم أنه "عندما زار دتريوسف اتحاد أثينا عام٣٠٧ ق.م. أنشدوا له ترنيمة جميلة، تعلن أن الآلهة الأخرىٰ غائبة صماء، غير مكترثة أو غير موجودة، أما هو فتجلىٰ فيه الإله الواحد الحق، وبعد ذلك اتخذ الحكام ألقابا مثل (Euergetes) المحسن أو المنقذ وتجلىٰ الإله."[٢]، وعبادة الأباطرة اليونان ألقت بظلالها علىٰ دولة الرومان فيما بعد، فقد تأثر بذلك أباطرة الرومان وأجبروا الناس علىٰ تقديم القرابين لهم وعبادتهم، واشتهر هذا في القرون الأولىٰ للميلاد ولذلك كثر القتل بين اليهود والنصارىٰ الرافضين لفكرة عبادة الإمبراطور.

٢ - الديانة الأوليمبية:

وتعتبر آلهتها من أشهر آلهة اليونان القدماء، وأكثرها ذيوعا وانتشارا بينهم، وقد ورد ذكرها بالتفصيل في الرسائل الهومرية (الإلياذة والأوديسيا) التي تنسب إلىٰ هوميروس، والتي نقلت وقننت كثيرا من معبودات اليونا، حتىٰ أطلق بعض الباحثين علىٰ قصائد هوميروس اسم (إنجيل الإغريق)[٣].

---

(١) انظر: المذاهب الكبرىٰ في التاريخ،البان. ويدجيري ص٧٨

(٢) المعتقدات الدينية لدىٰ الشعوب، جفري بارندر ص٦٣.

(٣) المعتقدات الدينية لدىٰ الشعوب، ص٥٤.

وعدد الآلهة الأولمبيين اثنا عشر إلها، وكلهم في صورة بشرية، إلا أن سائلا عجيبا يجري في عروقهم فيكفل لهم الخلود، ويظهرون للناس ويختفون كيفما شاءوا، ويتألمون ويتشاتمون ويتضاربون.

وهذه الآلهة الاثنا عشر هي: أبولو إله الفنون، وأثينا إله الحكمة الحرب، ورتميس إلهة الصيد، وفي بعض الأساطير، كانت آلهة للقمر وآريس إله الحرب والانتقام، وأفروديت وهي آلهة الحب والجمال، وبوسيدون إله البحار، وديونيسيوس إله الخمر، وديميتر إله الزراعة والخصوبة، وهيدز إله باطن الأرض، وهيرا آلهة الزواج، وهي زوجة زيوس، وهيرميس إله السفر، وهيستيا إله الموقد، وهيفيستوس إله النار، وزيوس ملك الآلهة وحاكمها، الذي تروىٰ في مولده بعض الأساطير(١).

ومن أهم الاعتقادات التي يؤمن بها أتباع الديانات الشعبية الأولمبية اليونانية في هذه الآلهة، والتي سنتبعها ببيان تأثر النصرانية بها فيما يلي:

أولا: أم الإله أو أم الآلهة: من أبرز هذه الإلهة الاثني عشر، هي الآلهة أفروديت، والتي تسمىٰ عشتار أو عشتاروت، والتي تمثل الإلهة الأم.

فقد انتشرت عبادة الآلهة عشتاروت في مناطق واسعة من الشرق الأدنىٰ، لأنها تمثل قوة الخصوبة في الطبيعة، وفي ذلك إسقاط للنموذج الأنثوي الأصلي عليها، وأطلق عليها

---

(١) انظر: المذاهب الكبرىٰ في التاريخ، ويدجيري ص٧٨ وقصة الحضارة، ول ديورانت ٢/١/٣٣. والأدب اليوناني القديم، س.م. باورا ص١٤. والإمبراطورية الرومانية، أ.ب.تشارلز ورث ص١٦٢ والمعتقدات الدينية لدىٰ الشعوب، جفري بارندر ص٥٤وتاريخ الفلسفة اليونانية، ص٣ وتاريخ الفلسفة الغربية، الجزء الأول، برتراند رسل ص٣٥ ومجمل تاريخ العالم، هلير، ص٥٨

أسماء منوّعة، فهي (الأم) و)الأم العظيمة)،كما أطلق عليها فيمابعد (أم الآلهة).

وكانت كذلك تسمىٰ إننا (Inanna) أوعشتار (Ishtar) عناة (Anat) أو أتارجاتيس (Atargatis) وريا (Rhea) أو ديكتينا (TDictynna) أو باوبو (Baubo) أو ما أو مه (Ma) واللات(Allat) أو سيبيل (.Cybele)

وقد انتقلت عبادتها من قبرص فوصلت ميناء كورنثة، حيث كان معبدها يرتفع عاليا علىٰ الأكروبوليس، مزودا بأكثر من ألف معبد للبغايا، أو بنات الضيافة، اللائي كن - كما يقول بعض المؤرخين-: "مركز الجذب الرئيس، ولهذا اعتمد اتهام القديس بولس للمجتمع الأثيني في الإصحاح الأول من رسالته إلىٰ أهل رومية علىٰ سنتين قضاهما في كورنثوس".

ومثلها كذلك الآلهة هيرا التي روضها اليونان، وجعلوا منها ربة للطبيعة البرية، وصائدة عذراء مع أنها كانت تحمل طفلا،ومثلها كذلك الآلهة العذراء بلاس (pallas) التي تقوم بالإشراف علىٰ المعارك[١].

تأثر المسيحية بها:

إذا ما نظرنا إلىٰ المسيحية سوف نجد أن عقيدة أم الإله انتقلت إليها بحذافيرها، فأصبحت أم المسيح مريم العذراء هي عشتاروت المسيحية الجديدة، وقد نصوا علىٰ ذلك في مقدمة قانون الإيمان المسيحي بقولهم عن مريم: "نعظمك يا أم النور الحقيقي، ونمجدك أيتها العذراء المقدسة، والدة الإله، لأنك ولدت لنا مخلص العالم، أتىٰ وخلص نفوسنا، المجد لك يا سيدنا وملكنا المسيح.."[٢].

---

(١) انظر: المعتقدات الدينية لدىٰ الشعوب، جفري باندر ص٤٩ ص٥١.

(٢) العذراء في التاريخ الكنسي، القس يوسف أسعد، ص٥٣.

ثانيا: قيامة بعض الآلهة من الموت:

فقد كانت عقيدة قيامة بعض الآلهة من الموت منتشرة في الاعتقادات السائدة في الديانات الشعبية اليونانية.

حيث تعد عقيدة القيامة من بين الأموات من العقائد اليونانية المهمة، فقد كان اليونانيون القدماء يحترمون عيد قيام (أدوني) من بين الأموات ويعظمونه جدا، وكانوا يأتون بصنم على أنه (أدوني)، ويتلون عليه جنازة الأموات، وهم يبكون ويرتلون أناشيد الحزن واليأس، ومن بعد ذلك ترتفع أصوات الفرح والسرور وينادي بأن (أدوني) عاد حيا وقام.

وكذلك الإله)دوموزى Tdumuzi) أوتاموز (Tammuz)وأدونيس (Adonis) روح النبات، أوزوج الآلهة عشتاروت، يموت فتحزن عليه، ثم يقوم من بين الأموات بعد ذلك[1].

تأثر المسيحية بها:

لا شك أن اعتقاد النصارى في قيامة المسيح من قبره مقتبس من هذه الوثنيات، التي تؤمن بقيامة الآلهة بعد موتهم، وانتصارهم على الموت.

وقد نصت نصوص العهد الجديد على قيامة المسيح من قبره، ثم نص عليه قانون الإيمان المسيحي النيقوي في قوله: "ثم قام من بين الأموات، وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين الأب."

٣ – الديانات السرية: ويظهر ذلك فيما يلي:

أ–سرية العقائد: تعتبر الديانات السرية من آخر الديانات التي ظهرت في

(١) انظر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، جفري بارندر ص٤٩.

اليونانيين، حيث أن تلك الديانات السرية تقوم علىٰ مبدأ مهم، وهو أن الأسرار تصان ويحرم علىٰ أي إنسان البوح بها.

وتقوم هذه الديانة علىٰ احتفالات مقدسة، وطقوس رمزية للمطلعين علىٰ أسرارها فقط، وتكون في العادة تمثّل عذاب إله من الآلهة وموته وبعثه.

وهذا يذكرنا بالأسرار المقدسة عند المسيحية، والتي ورد ذكرها فيما سبق، ضمن هذه الدراسة، وهي عبارة عن سبعة أسرار تؤمن بها الشعائر المسيحية، ويتبادر إلىٰ الذهن تشابه كلمة أسرار التي تتناولها الوثنية اليونانية بالديانة المسيحية، مما يشعر باقتباسها من اليونان.

ب- عقيد الخلاص: وهي تدور حول آلام إله وموته وبعثه من الأموات، فمن أسس الديانة الديونيسية التي تنسب إلىٰ الإله ديونيسوس ابن الله، وذلك أن الأشرار قد قتلوه وأكلوه، ولم يبقَ منه إلا قلبه، ثم بُعث من جديد، وقضىٰ علىٰ الأشرار، وولد الجنس البشري من رمادهم، وقد مات باختياره لينجي البشر ويخلصهم"(١).

ولا يخفىٰ تقارب العقيدة المسيحية مع مبدأ قيامة المسيح من بين الأموات وبعثه من جديد.

ت- تعميم الخطيئة الأولىٰ بين سائر البشر: من مبادئ الديانات السرية هو أن البشرية كلها ملوثة بشيء من الخطيئة الأولىٰ، وذلك نتيجة لاعتقادهم أن الجبابرة الذين قتلوا ديونيسوس، هم الذين تناسل منهم الآدميون، وعقابهم علىٰ هذه الخطيئة هو أن الروح تسجن في الجسد.

---

(١) قصة الحضارة ٢/ ١/ ٣٣٨. وانظر: تاريخ العلم، ٤جورج سارتون/ ٣٠٨ والمعتقدات الدينية لدىٰ الشعوب، جفري بارندر ص٥٨.

ومن اعتقاداتها أن الروح تذهب بعد الموت إلىٰ الجحيم، حيث يحاسبها آلهة العالم السفلي علىٰ أعمالها، فإذا أدينت فإما أن تعذب عذابا شديدا، أو تولد مرة أخرىٰ لتسعد أو تشقىٰ حسب طهارتها الأولىٰ، فيسمح لها بالدخول إلىٰ النعيم.

وهذا الاعتقاد قد اقتبس في المسيحية، حيث تؤمن المسيحية بأن البشر كلهم ولدوا علىٰ الخطيئة الأصلية، التي تورثت من لدن آدم وحواء ثم في نسلهما، وكذلك تؤمن المسيحية بذهاب الروح بعد الموت إلىٰ الجحيم، أو ذهابها إلىٰ المطهر، وهو في باطن الأرض قبل ذهابها إلىٰ النعيم.

ث- العشاء الرباني: وهذا أحد الشعائر لدىٰ أتباع الديانة السرية عند اليونان، فقد كانوا يتناولون عشاء ربَّانيا جماعيا لحم ثور نيئا، والذي يمثل في اعتقادهم ديونيسوس إحياء لذكرىٰ قتل الإله وأكل لحمه، وامتصاصا للجوهر المقدس من جديد، ومنها التطهير باللبن أو بالماء، مضافا إليه مادة بلون اللبن للطهارة من الدنس(١).

وهذه الشعيرة انتقلت إلىٰ المسيحية بحذافيرها، حيث يعتقد الكاثوليك والأرثوذكس أنهم يأكلون في العشاء الرباني الذي يسمونه سر الأفخارستيا حينما يشربون الخمر ويأكلون الفطير يعتقدون أنهم يأكلون لحم المسيح ويشربون دمه حقيقة في كل يوم أحد.

ويمكن أن نختم الحديث عن المقارنة بين المسيحية بالديانات الشعبية اليونانية بما ذكره ول ديورانت حيث يقول: " إن المسيحية لم تقضِ علىٰ الوثنية بل تبنتها، ذلك أن العقل اليوناني المتحضر عاد إلىٰ الحياة، في صورة جديدة في لاهوت الكنيسة وطقوسها، وأصبحت اللغة اليونانية التي ظلت قرونا عدة، صاحبة السلطان علىٰ أداة

---

(١) انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية، ص٧، وتاريخ الفلسفة الغربية، المجلد الأول، برتراند رسل ص٤٣، قصة الحضارة ١/ ٢/ ٣٤٤.

الآداب والطقوس المسيحية، وانتقلت الطقوس اليونانية الخفية إلىٰ طقوس القداس الخفية، وساعدت عدة مظاهر أخرىٰ من الثقافة اليونانية علىٰ إحداث هذه النتيجة المتناقضة الأطراف، فجاءت من مصر عبادة الثالوث وعبادة أم الطفل، ومنها استمدت الأديرة نشاطها، والصورة التي نسجت علىٰ منوالها...ومن فريجيا جاءت عبادة الأم العظمىٰ، ومن سوريا جاءت عقيدة موت الإله وبعثه.. وقصارىٰ القول: إن المسيحية كانت شيئا ابتدعه العالم الوثني القديم"[1].

القسم الثاني: التأثر بالفلسفات اليونانية:

يعدُّ الحديث عن الفلسفات اليونانية بعد الحديث عن الديانات الشعبية، من باب ذكر الخاص بعد العام في ظاهر الأمر، حيث عاشت الفلسفة اليونانية في كنف الديانات الشعبية لدىٰ اليونان، غير أنه يمكن القول: إن هناك فصلا هلاميا بين الديانات الشعبية والفلسفة اليونانية، حيث إن تلك الفلسفات كانت خاصة بالفلاسفة، لا يستسيغها سوىٰ الصفوة من المجتمع اليوناني، وهم أصحاب الفكر والفلسفة، وهي أيضا لا تغري عامة الشعب باعتناقها، أو لم يكونوا مهتمين بما تفرزه الفلسفة من أفكار، تجاه الكون والطبيعة والروح والإله.

فالفلاسفة اليونان كانت لهم اليد الطولىٰ في إرساء قواعد فلسفية معتمدة علىٰ مبادئ ومقدمات، تقوم علىٰ أسس منتظمة وقواعد مبنية، وأصبح هناك من يدافع عنها بحجج وبراهين عقلية - في نظرهم - مما أدىٰ إلىٰ بروزها البروز الساطع، الذي جعل الكثيرين من فلاسفة الديانات الوثنية الأخرىٰ، ينظرون إلىٰ تلك المبادئ الفلسفية اليونانية نظرة إجلال وإكبار معتقدين أنها هي العلوم اليقينية والنظريات الرصينة.

---

(١) قصة الحضارة، ٣/ ٣/ ٢٧٥.

في خضم ذلك ظهرت المسيحية، فحاول بعض المتسببين إلىٰ المسيحية التوفيق بين عقائد النصارىٰ وبين تلك الفلسفات، أو بتقريب الفلسفة من المسيحية بقصد جذب الفلاسفة إليها، ولكنهم فشلوا في ذلك ففلسفوا النصرانية، ولم ينصّروا الفلسفة.

ونوجز دراسة تأثر المسيحية بالفلسفات اليونانية فيما يلي:

أولا: أسباب تأثر المسيحية بالفلسفة اليونانية:

أ - انتشار الفلسفة الإغريقية لدىٰ بعض علماء اليهود:

يمكن أن يعدَّ انتشار الفلسفة الإغريقية لدىٰ بعض علماء التوراة، عاملا مهما في اقتباس المسيحية، حيث مهد أولئك العلماء الطريق للفلسفة أمام الكنيسة، في اقتباس ما شاءت، وعرضه في قالب فلسفي إغريقي، فأصبحت طريقتهم مسلوكة، وقواعدهم معروفة في عصر النصوص الدينية.

ويظهر الأثر اليوناني علىٰ الفكر اليهودي، منذ القرن الثالث قبل الميلاد بكل وضوح، فقد ترجم العهد القديم ترجمة يونانية، بالإضافة إلىٰ بعض القوانين العقدية اليهودية الأولىٰ، حيث صيغت بعبارات مستقاة من الفلسفة اليونانية، وأصبحت هي اللغة السائدة في كثير من مجامع اليهود،(١) فأفرز ذلك علماء يهود الهوية والديانة، فلاسفة الفكر والتفكير.

يقول دليل كامبردج إلىٰ تاريخ المسيحية: "قد يحصل المراقب الافتراضي للقرون الأولىٰ قبل المسيح وبعده علىٰ انطباع بأن العقائد اليهودية والوثنية تقاربت"(٢).

---

(١) انظر: The Cambridge History of Chritianity, Edited by; Margaret Mary M. Mitchell and Frances M.YOUNG,p444 والمسيحون الأولون، آني جويبر، ص١٠ وعلوم اليونان وسبل انتقالها إلىٰ العرب، لاسي أوليري، ص٥٢.

(٢) انظر: The Cambridge History of Chritianity, Edited by; Margaret Mary M. Mitchell and Frances M.YOUNG,p435

ومن أبرز زعماء هذا الاتجاه اليهودي هو فيلو،[١] اليهودي الإسكندري في القرن الأول الميلادي، حينما حاول أن يجمع بين التوحيد التوراتي والفلسفة الإغريقية والرومانية، حيث ذكر أن الإله ليس له صفات ولا امتداد، وأن هناك وسيط بينه وبين العالم وهو اللوغوس، أي الكلمة، أو العقل، واللوغوس وليد إله، ثم تأتي بدرجة أدنىٰ، القوىٰ الإلهية التي تؤثر في العامل والإنسان والإحساس والرحمة والعدل والقدرة.

وقد ألّف فيلو ٥٠ كتابا، وضعها باليونانية، أراد فيها أن يدمج التوراة بأفلاطون، وأخضع التوراة لتفسير رمزي، فإبراهيم هو التعليم، وإسحق هو الطبيعة، ويعقوب هو الزهد وهكذا.[٢]

وقد أثر هذا الفيلسوف علىٰ الكنيسة من جهات مختلفة في الفكر والتفكير، وقد وصفه المؤرخ الكنسي يوسابيوس القيصري بقوله: "وهو رجل كان معروفا جدا لا بين الكثيرين من بني جنسنا فقط، بل بين الكثيرين من العلماء خارج الكنيسة، أما كيف تعب كثيرا في الكتب المقدسة، وفي دراسات أمته، فهذا واضح للجميع من العمل الذي أتمه."

ولكن ليت تعبه كان مقتصرا علىٰ كتابه المقدس، لا، بل تعداه إلىٰ فلسفات الوثنيين،

---

(١) وهو فيلسوف يهودي، ولد سنة ٢٠ قم وتوفي عام ٥٤ ق م، ولد في الإسكندرية شرح النصوص الدينية بتعابير فلسفية رمزية. انظر: نفس المرجع.

(٢) انظر: Harry Austryn Wolfson; philo-Foundations of Religious philosophy in judaism Christianity and Islam, vol. I Second printing, Harvard University press 1948, p.87 f.f. وانظر: The Cambridge History of Chritianity, Edited by; Margaret Mary M. Mitchell and Frances M.YOUNG,p434

حيث يكمل يوسابيوس فيقول: "وليس من الضروري أن نبين كيف أنه كان خبيرا بالفلسفة، والدراسات الحرة للأمم الأجنبية، طالما عُرف عنه أنه فاق كل معاصريه، في دراسة الفلسفة الأفلاطونية والفيثاغورية، التي كرّس لها جهوده بصفة خاصة"(١).

ومن الغريب أن هذا الرجل كان يفسر العهد القديم علىٰ طريقة تفسير فلاسفة اليونان الرمزية لآلهة الإغريق، والأغرب من ذلك هو أن طريقته هي التي انتشرت، واعتمدت في الكنيسة المسيحية الأولىٰ، وبخاصة في كنيسة الإسكندرية، فقد كان للفيلسوف فيلو أثره في الفكر الإسكندري، بتفسير العهد القديم في ضوء الفلسفة اليونانية(٢).

أ- دخول بعض فلاسفة الإغريق في سلك الكنيسة الغربية أيام اضطهادها:

فمن أولئك من دخل في النصرانية، وفي رأسه تعاليم الوثنية لم تخلع منه ولم تزايله، وإن زايلها بعقله المدرك، إلا أن عقله الباطن ما زال ممازجا لها - كما يقول ول ديورانت - وهؤلاء لا شك أن تفكيرهم أثّر في المسيحية، التي لم يكن لها قوة

---

(١) تاريخ الكنيسة، يوسابيوس القيصري، ص٥٨.

(٢) انظر: مقدمة الترجمة الإنجليزية لكتاب فيلون:

- On the Account of Worlds Creation Given by Mosese; in Roman Philosophy after Aristotle, Edited by Jason L. Sannders, the Free Press, NEW York, 1966,p.199

وأشهر من تأثر به هم أتباع المدرسة الأفلوطينية الحديثة، أتباع أفلوطين الذي جدد مذهب فيلو، في نظرية الوجود وخلق العالم، حيث يرىٰ أن هذا العالم كثير الظواهر دائم التغير، فلا يمكن أن يكون قد وجد نفسه، بل لابد من خالق مبدع، ولا يمكن وصفه إلا بصفات سلبية، فهو ليس مدرك، ولا يوصف بأنه متحرك أو ساكن، وليس موجودا في زمان أو مكان، ولا يوصف بأي صفة، وليس هو نهائيا ولا كاملا ولا يفتقر إلىٰ شيء، ومن هذا الواحد انبثق العقل الأول، ثم تفيض عنها النفس الكلية، ومن هذه تفيض المادة التي هي الخلق.

تحميها، وشكيمة تعقل الأفكار إلىٰ حضيرتها[(١)].

ولهذا دخل كثير من أئمة الفلسفة، الذين أصبحوا بعد دخولهم النصرانية من أعظم القديسين، وكثير من أولئك لم يتخلَ عن الفلسفة، بل أراد التوفيق بين الدين والفلسفة، أو تخريج العقائد الدينية ضمن المبادئ الفلسفية، وأحلىٰ هذين الأمرين مرّ- كما يقال - ومن أبرز أولئك ما يلي:

١- أكليمنضس أو أكليمنت أسقف روما ١٥٠: يذكر أن أسقف روما أقليمس الذي يعتبرونه قديس، وأنه معاون لبولس، وأنه هو الذي ورد ذكره في رسالة بولس إلىٰ أهل فيلبي (فيلبي، ٤/٣) حيث وصف بأنه كان "بصيرا بالثقافة الهلينية، تعلم بالفلسفة الرواقية، يجيد الاستعارة منها، وهو يحب روما ويصلي لأجل أمرائها."[(٢)] ومن أقواله المشهورة: "إن الفلسفة كانت قبل مجيء الرب ضرورية لليونانيين، وقد أصبحت الآن باعثة وحاضة علىٰ التقوىٰ" وقد اعتبر الفلسفة صادرة عن الله صدورا ثانويا[(٣)].

٢- أنتينوس ١٣٠م: فقد كان هذا الرجل من عبيد الإمبراطور آدريان، وكان محبا للفلسفة منغمسا في تعاليم أفلاطون وغيره من الفلاسفة، وقد كان مقربا من الإمبراطور، حتىٰ إنه بنىٰ مدينة وسماها باسمه.

يقول مؤرخ الكنيسة يوسابيوس عن أنتينوس: "كان محبا للفلسفة الحقيقية

---

(١) انظر: قصة الحضارة، ٣/ ٣/ ٢٧٥ وانظر: تاريخ الفلسفة، إميل بربيه،٢/ ٣١٢

(٢) آباء الكنيسة، أسعد رستم، ص١٢.

(3) Clement of Alexandria; The Stromata, B.I-Ch. V, Edited by j.L. Saudres, printed in 'Greel and Roman Philosophy after Aristotle, The Free Press-New York, 166,p.306.

منغمسا في الآداب اليونانية".[١]

وقد نقل الكاتب هيجسبوس –وهو من أقدم كتاب الكنيسة– عن أنتينوس قوله عن نفسه في تحوله للمسيحية: "لأنه أنا نفسي إذ كنت مغتبطا بتعاليم أفلاطون، وسمعت بالافتراءات علىٰ المسيحيين، ورأيت أنهم لا يخشون الموت، ولا يرهبون أي شيء آخر، يعتبر في نظر البشر أمرا مروعا، استنتجت بأنه من المستحيل أن يكونوا عائشين في الشر.."[٢]

فهو يصرح بأن ما دعاه إلىٰ المسيحية هو شجاعة أتباعها، وليس صحة عقيدتهم أو عن قناعة بعقيدتهم.

٣- أوريجانوس ٢٤٥م: وهذا يعد أحد آباء الكنيسة الإسكندرية، ومن أكبر زعمائها، فقد درس الفلسفة الغنوسية علىٰ أحد أشهر رجالها وأثر هذه الغنوصية لا يزال ملموسا في بعض صفحات الأدب القبطي، وفي بعض أوراق البردىٰ التي اكتشفها العماء المنقبون[٣]، ومن أقواله المشهورة في كتابه "المباديء" التوفيق بين المسيحية والفلسفة العقلية حيث يقول: "إن العقيدة واضحة وصريحة يجب الاستمساك بها والباب مفتوح أمام العقل للمناشقة والتحصيل"[٤].

٤- أمونيوس ساكاس ٢٤٥م: من مشاهير الفلاسفة بنتينوس الذي اعتنق المسيحية، فعين مديرا لمدرسة الإسكندرية، فحاول أن يوفق بين فلسفته وتعاليم

---

(١) تاريخ الكنيسة، يوسابيوس ص١٥٨.

(٢) نفس المرجع ص١٥٩.

(٣) انظر: The Encyclopedia Americana International, U.S.a., 1972, VOL.20,P.866

(٤) المباديء، أوريجانوس، نقلا عن تاريخ الفلسفة اليونانية ص٢٧٦.

المسيحية، وحذا حذوه أمونيوس سكاس، الذي قام بالتدريس في مدرسة الإسكندرية في تلك الفترة،"حيث كان يهدف إلىٰ التوفيق بين فلسفة أفلاطون وفلسفة أرسطو"(١).

٥- الغنوصيون: ممن دخل في المسيحية من الفلاسفة جماعة الغنوصيين، الذين حاولوا أن يوفقوا بين فلسفاتهم المبغضة للمادة، وبين لاهوت المسيح الذي تجسد في جسم مادي، وهذا الأمر كان يعد من أكبر العقبات التي واجهتهم، ولهذا ذهب كثير منهم إلىٰ اعتقاد أن مرور المسيح من جسد مريم، كان كاختراق النور للأجسام الشفافة أو المياه للثوب، ولهذا يقولون بأن خروج المسيح من رحم أمه لم يفض عذريتها، بل لم يكن هو بنفسه جسدا لأن الجسد خطية (٢).

ب- تأثر المدارس المسيحية الشرقية الإسكندرية بمبادئ المدارس الفلسفية:

١- تأثر الكنيسة الإسكندرية بالفلسفة: وذلك بعد أن غدت الإسكندرية ومكتبتها العظيمة أهم مركز للهلنستية، فهذه المدينة كانت يونانية علىٰ وجه الحصر، علىٰ الرغم من وجودها في مصر(٣).

وقد شهد بذلك أعظم مؤرخي الكنيسة يوسابيوس، حيث يقول بعد أن ذكر أن مرقس الذي نادىٰ بإنجيله، وأسّسَ الكنائس في الإسكندرية: "وكان جمهور المؤمنين رجالا ونساء الذين اجتمعوا هناك في البداية، وعاشوا حياة الزهد الفلسفية المتطرفة

---

(١) انظر: Porphyry; On The Life Plotinus, The loeb Classical Library,London 1966, Eng. Trans.,p.6.

(٢) انظر: E.f.Scott;"Gnosticism" in the Encyclopaedia of Religion & Ethics, by James Hastings, vol. 2nd ed,. New york, 1937, p.2321.

(٣) انظر: Copleston; A History of Philosophy Vol 1-part II,Image, New york,1962, pp.219-228

كثيرين جدا"[١].

وهذه الحياة الفلسفية المسيحية قد نجحت في أن يحدث تزاوج بين الثقافة الهلينية، التي سادت قرونا طويلة وبين الفكر المسيحي[٢].

يقول الأب متىٰ المسكين: "وكثير من آباء الكنيسة الذين انتفعوا من الدراسات اليونانية، خاصة في الأجيال الأولىٰ، صرحوا أن الفسقة اليونانية هي القنطرة للعبور إلىٰ الإيمان المسيحي... ومنهم كليمندس الإسكندري وأوريجانوس وأغسطينوس"[٣].

فإذا كانت الفلسفة اليونانية هي القنطرة التي لا بد من عبورها تجاه المسيحية لزعماء الكنيسة المسيحية، فلا شك أن المسيحية قد انصهرت انصهارا تاما في دهاليز الفلسفات اليونانية، بعد عبور تلك القنطرة.

٢- الأفلوطونية الحديثة: من أشهر من تبع هذا الاتجاه من بين سائر المدارس المسيحية الشرقية هي المدرسة الأفلوطونية الحديثة، والتي كانت مستقرة في الإسكندرية، وأفردناها هنا لأهميتها، فهذه المدرسة رغم مسيحيتها في القرن الثاني الميلادي، إلا أنها تمثلت كثيرا من المعتقدات الدينية، والأساطير والطقوس، وعبادات اليونان والمشارقة الذين يعددون الآلهة.[٤]

---

(١) تاريخ الكنيسة، يوسابيوس، ص٧٣. وانظر: زمن العهد الجديد، جمس إرماتنغر، ص٨٣.

(٢) انظر: دليل إلىٰ قراءة تاريخ الكنيسة، جان كمبي،٢/ ١٠ و The Cambridge History of Chritianity, Edited by; Margaret Mary M. Mitchell and Frances M.YOUNG,p437

(٣) المسيح حياته وأعماله، الأب متىٰ المسكين، ص٢١.

(٤) انظر: Porphyry On The Life Plotinus, The Loeb Classical Library, London 1966, Eng. TRANS.,P.9

وكان من أبرز عقائدها العقيدة التثليثية القائمة علىٰ الإيمان بالمنشئ الأزلي، الذي انبثق عنه العقل، ومن ثم انبثقت الروح عن هذا العقل،ومن هذا الثالوث يتولد كل شيء

يقول المؤرخ اللاهوتي سانتراك Santrac: "من المعروف علىٰ نطاق واسع أن الفلسفة الأفلاطونية كان لها أثر واضح علىٰ تطور العقيدة المسيحية حول الإله. ووفقا لبعض آباء الكنيسة فإن فكرة أفلاطون عن الإله فكرة الخير ينظر إليها علىٰ أنها مرادفة لمفهوم الإله عند المسيحيين"[1].

ولذا فإنه يمكن القول بأن المسيحية، قد تشربت كثيرا من الآراء والأفكار الفلسفية عن اليونان، ذلك أن اللاهوت المسيحي مقتبس من نفس المعين، الذي كانت فيه الأفلاطونية الحديثة وهي فلسفة أفلاطون، ولذا نجد بينهما تشابهات كثيرة، وإن افترقا أحيانا في بعض التفاصيل، فإنهما ترتكزان علىٰ عقيدة التثليث، والأقانيم الثلاثة واحدة، وأن هذه الأقانيم مصدر كل كمال، وهو الذي دعاه المسيحيون الأب، والثاني هو الابن الذي هو الكلمة، والثالث هو دائما الروح القدس، علىٰ أنه يجب أن يُلاحظ أن هذه الأقانيم الثلاثة، ليست في نظر الأفلوطينية متساوية، ببينما هي متساوية عند المسيحية.

ولهذا فإن بعض المنصفين من لاهوتيي الكنيسة ومؤرخيها، يرون أن مسيحية الرسل مختلفة عن مسيحية السكولاستيين، وهم الذين مزجوا المسيحية بالفلسفة، وحاولوا إخضاع الفلسفة للمسيحية، وحاولوا إيجاد صلة عقلية بين العقل، وبين

(١) انظر: Three I know not what: The influence of Greek philosophy on the doctrine of Trinity', Santrac, A., 2013, P. 2.

الدين المسيحي في العصور الوسطىٰ.[(١)]

ج – دفاع النصارىٰ عن تعاليم المسيحية من خلال الفلسفة:

لم يجد رواد النصارىٰ بدّا من الدفاع عن تعاليم المسيح في خضم ثورة الفلسفة اليونانية، إلا أن يجابهوها بسلاحها – في نظرهم –، فاضطروا إلىٰ عرض المسيحية في قالب متفلسف، يظهر بمظهر عقلي يوناني، لا تمجه العقول في نظرهم، فأنزلوا تعاليم المسيحية علىٰ قواعد الفلسفة الإغريقية، وصاغوا الخصومات اللاهوتية بينهم في مصطلحات فلسفية يونانية، ودارت معاركهم وفقا للأصول الفلسفية، ورأت الكنيسة في هذه الفلسفة التوفيقية خير معين، للدفاع عن تعاليمها ضد الناقدين والمارقين[(٢)].

تقول دائرة المعارف الألمانية: "كان الآباء الكنسيون في القرنين ٢و٣ م، مثل جوستينوس وتيرتوليانوس يعرضون الدين المسيحي بتعابير الفلسفة الإغريقية، في استعارات من فلسفة أفلاطون وفيلو، والفلسفة الرواقية والأفلاطونية الجديدة، وأرادوا بذلك تقريبه من الثقافة المهيمنة آنذاك، وكان كثير من علماء الدين المسيحي الأوائل فلاسفة في الوقت نفسه، وحتىٰ عصر النهضة لم يكن يوجد ما يميّز بين علم الأديان والفلسفة."[(٣)]

---

(١) انظر: الموسوعة الفلسفية المختصرة، مجموعة من ص٢٣٦. وموسوعة الأديان الحية، أديان النبوات، الأديان السماوية، ر.س.زينر،الجزء الأول، اليهودية أو دين إسرائيل، ر.ج. تسفي فيربلوكسي ص٤٠.

(٢) انظر: المشكلة الأخلاقية والفلاسفة، أندريه كريسون ص١٠١. وانظر: علوم اليونان، لاسي أوليري، ص٥٢.وانظر: فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية، لويس غارديه وجورج قنواتي ص٢١٨.

(3) http://de.wikipedia.org/wiki/Apologetik. Apologetik Patristik dad 22.12.2010، p.3

والذي يظهر - والله أعلم - أن تعلم الفلسفة الإغريقية والمنطق اليوناني، كان من أهم المهمات، بل هو الشرط الأساسي لسالكي السلك الكهنوتي في الكنيسة المسيحية، ولذا كان جل زعماء الكنيسة في تلك العصور أئمة في معرفة الفلسفة اليونانية، وكان هناك جملة من آباء الكنيسة المتمسحين بمسوح الرهبان في الظاهر، والمؤمنين بفلاسفة الإغريق الوثنيين في الباطن، بل كانوا كبار مفكري المسيحية، الذين يطلق عليهم عادة لقب الآباء والقديسيين، مثل كلمنت الإسكندري(١٥٠ - ٢١٦)، وأوريجن (١٨٥-٢٥٤)، وجيروم (٣٣١-٤٢٠)، وأمبروز (٣٤٠-٣٩٧)، وأوغسطين(٣٥٤-٣٠)، وكان هؤلاء الآباء علىٰ معرفة بالفلسفة الإغريقية والكلاسيكية،، فأفادوا منها في تبرير آرائهم والتدليل عليها، وتقديم المسيحيين في صورة عملية يتقبلها المثقفون ومن أمثلة ذلك ما يلي:

- القديس أوغسطين (٣٥٤- ٤٤٠) كان مشتغلا بحب الفلسفة، ثم اعتنق المانوية، ثم تعلم مذهب الشك، ثم دخل المسيحية الكاثوليكية، ثم عين كاهنا ثم أسقفا، فقد كان مغرما بإنزال العقائد المسيحية علىٰ قواعد الفلسفة اليونانية، مقدما أفكار الفلسفة علىٰ عقائد المسيحية الكاثوليكية.

- القديس أنيسيوس مانليوس بويس (٤٨٠ - ٥٢٤)، فقد كان له الفضل في أن ينقل إلىٰ الغرب اللاتيني معرفة مناهج اليونان العلمية، عن طريق ترجماته وقد ظل هذا سائدا في العصور المظلمة، في مدارس الأديرة في الغرب، حتىٰ أصبح راسخا كل الرسوخ في النظام الجامعي في العصور الوسطىٰ.

- القديس توما الإكويني (١٢٢٥-١٢٧٤)، الذي هو في عُرْف كثير من علماء اللاهوت "أجمل الورود التي أنتجها اللاهوت في العصور الوسطىٰ"، هو في حقيقته "لم يكن مسجلا للتراث وراصدا له، فلا أحد أكثر اعتقادا منه في اللاهوت، بمعنىٰ

استخدام العقل للتحليل والتركيب، والتوغل والتغلغل بشكل أعمق، التي وصلتنا عن طريق التراث، فالأكثر صحة أن توصف فلسفة توما بالشمولية، لأنه في بحثه طلب العون من كل حدب وصوب، لتحقيق هدفه في فهم موضوعه، تخطىٰ بشكل واضح حدود المكان والزمان"(١)، وتخطيه لهذه يعني أنه رجع بفكره لفلاسفة الإغريق وفلسفاتهم، لاسيما أرسطو الذي استقىٰ منه كثير من مقدمات فلسفاته.

وعلىٰ كل حال فقد كانت آراء أرسطو في الفلسفة والطب، ونظرية العناصر الأربعة، ونظرية بطليموس في أن الأرض مركز الكون، وما أضاف إلىٰ ذلك القديس أوغسطين وكليمان الإسكندري وتوما الإكويني، تعتبر أصولا من أصول الدين المسيحي، وعقائد مقدسة لا يصح أن يتطرق إليها الشك.

فتبين أن جل زعماء الكنيسة وآبائها كانوا فلاسفة، يدينون بقوانين الفلسفة الإغريقية، مظهرين مسوح الرهبانية أمام عموم النصارىٰ.

ثانيا: أهم الأمور التي اقتبستها المسيحية من الفلسفات اليونانية فيما يلي:

أ – كتابة الأناجيل وقوانين الإيمان المسيحي باللغة اليونانية:

من المناسب البدء بذكر كتابة الأناجيل المعتبرة لدىٰ النصارىٰ بتلك اللغة، فالأناجيل القانونية المعتبرة كتبت بلغة اليونان – كما سبق– مع أن المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يعرف عنه أنه كان يعرف تلك اللغة اليونانية، بل علىٰ الأرجح أنه كان يتكلم إحدىٰ لهجات اللغة الآرامية(٢) ولكن الذي حدث بعد المسيح، هو أن أصبحت اللغة

(١) انظر: الكلام عن هؤلاء في موسوعة الأديان الحية، ز،س، ريبنز، القديس توما ولاهوت العصور الوسطىٰ، فرانسيس ديفز، ص٢١٦ وص ٢١٧ وص ٢٢٠ والموسوعة الفلسفية، ص٧٤ و١٠١.

(٢) انظر: زمن العهد الجديد، جمسو إرماتنغر، ص٧٢.

اليونانية هي اللغة التي كانت تقرأ في جميع الأمم وهي التي نشرها الرومان بعد ذلك، وألزموا بها العالم.

يقول دليل كامبردج إلىٰ المسيحية: نحن لا نملك مصدر مسيحي واحد من الأجيال الأولىٰ في الآرامية أو العبرية، جميع الوثائق المسيحية الموجودة من القرون الأولىٰ وأوائل الثانية مكتوبة باللغة اليونانية"[(١)]

وقد ظلت هذه اللغة هي السائدة في جميع البلدان المسيحية حتىٰ القرن الرابع، وبدأت اللاتينية تحل محلها في الغرب منذ القرن الثالث، وفي الشرق ظلت هي المعوّل عليها في الأوساط الإكليريكية العلمية [أي الدينية] حتىٰ يومنا هذا [(٢)].

فكتابة الأناجيل الأربعة باللغة اليونانية، ومن ثم قوانين الإيمان المسيحي، أضفىٰ عليها كثيرا من المفاهيم الفلسفية الهلينية، وقد وقفوا من ذلك الأمر علىٰ ثلاث اتجاهات:

الاتجاه الأول: وهم المقرون بتأثر الكتب الدينية المسيحية بالفلسفات الهلينية مع أسفهم علىٰ ذلك، وذلك نتيجة امتزاج اللغة اليونانية بلغة الكتاب المقدس، ولذا يقول أصحاب هذا الاتجاه: "حين يتناول المرء الكتاب المقدس ويقرأه، فإنه يفعل ذلك بلسانه المحلي ولغته الوطنية، وكثير من المسيحيين نسوا أن العهد الجديد نقل باليونانية وينسىٰ المرء أن هذه ليست سوىٰ ترجمات، غالبا ما يضيع فيها المعنىٰ الأصلي أو يتغير ذلك التغير الغامض".

---

(١) انظر: The Cambridge History of Chritianity, Edited by; Margaret Mary M. Mitchell and Frances M.YOUNG,p106 وانظر: المسيح حياته وأعماله، الأب متىٰ المسكين، ص١٩.

(٢) نقلا عن آباء الكنيسة، أسعد رستم، ص٥ وص١٩.

ثـم يـصلون إلـىٰ نتيجـة حتميـة لـذلك فيقولـون: "فالبحـث في اللغـات يظهـر أن الكتاب المقدس تلك الوثيقة الحية، التي تأثرت بعوامل كثيرة."[١]

وهذه العوامل الكثيرة لا تكاد تخرج في مجملها علىٰ مـا أفرزتـه مفـاهيم فلاسـفة اليونان.

الاتجاه الثاني: وهـم المقرّون أيـضا بتـأثر الكتـب الدينيـة المـسيحية بالفلـسفات الهلينيـة بغيـر أسـف، بـل إقـرارهم بـذلك ممـزوج بافتخـار، ويمكـن أن يطلـق علـىٰ أصحاب هذا الاتجاه بأنهم (المتفاطنون).

وهؤلاء المتفاطنون رأوا أن أسهل وسيلة للتخلص من ذلك، هو الإقرار بـصحة تأثر الأناجيل والعقائد المسيحية باليونانية، واعتبار ذلك ميزة لا رزيـة للمـسيحية، بـل جعلها بمثابة الحروف اليونانية تعبر عن بهاء الله، بـل كأنهـا خارجـة مـن فـم الله – كـما يقـول الأب متـىٰ المـسكين – الـذي يعـدّ مـن أبـرز أقـزام هـذا الاتجـاه: "إن اليونـان ساهمت بتقديم اللغة للإنجيل، التي جعلت منه في لغتها أعظم المنـاهج الأدبيـة طُرّا، فأضفت اللغة علىٰ المعاني جمالا، هو جمال سماوي، أو هو بهـاء الله وشـعاع مجـده، يبهر الفكر والقلب والروح معا..وكأنها خارجة من فم الله."[٢]

ولا نعلم المقصود بقوله: كأنها خارجة من فم الله، أو أنها مضيئة للعقل والـروح، سوىٰ قمة الجهل والغلو والتعصب لأفكار فلاسفة اليونان.

الاتجاه الثالث: وأصحاب هذا الاتجاه حـاولوا أن يوفقـوا بـين الـدين والفلـسفة، حيث يـرون أنـه لـيس هنـاك فـرق بـين المـسيحية والفلسفة، ويـصرحون بـأن الكتـاب المقـدس لا يتعـارض مـع فلـسفة اليونـان، بـل يوافـق مبـادئ الفلـسفة الـصحيحة

(١) زمن العهد الجديد، جمسو إرماتنغر، ص٧١.

(٢) المسيح حياته وأعماله، الأب متىٰ المسكين، ص١٩.

الممزوجة بتعاليم الكتاب المقدس، ويرون أن الفرق الوحيد في ذلك هو ما يعلّمه الكتاب المقدس في شأن الحلال والحرام، ويصرحون بأنه يجب علىٰ اللاهوتي أن يجعل اعتقاداته الفلسفية مطابقة لتعاليم الوحي، ويرون أنه ليس للإنسان أستاذ فلسفة مثل الله، ولا مرشد إليها مثل الكتاب المقدس[١].

وهذا الاتجاه يعد من أخطر الاتجاهات علىٰ المسيحية، إذ إن لازم قولهم هو اعتبار موسىٰ والمسيح والأنبياء ليسوا سوىٰ فلاسفة هلينيين، وليست تعاليمهم سوىٰ اقتباسات فلسفية، استقوها من بنيات أفكار فلاسفة الإغريق، وإلا فما معنىٰ مطابقة تعاليم الكتاب المقدس لتعاليم الفلسفة من كل وجه؟

وإذا كان هذا حال نصوص الأناجيل التي تشبعت بمصطلحات اليونان، فحال تفسير نصوصها من قبل مفسري الكنيسة الأوائل أنكىٰ وأعمق، حيث تبعوا في ذلك فلاسفة اليونان، الذين كانوا يستخدمون المنهج المجازي في تفسير الأساطير، التي نسجت حول الآلهة، فقد تبنىٰ مفكرو مدرسة كنيسة الإسكندرية للاهوت هذا المنهج، لاقتناعهم بأن التفسير الحرفي في أحوال عديدة ليس هو ما يتفق مع فكر الله، وجعلوا من ذلك منهجا لهم.

ب- استخدام المصطلحات الفلسفية اليونانية للتعبير عن العقائد المسيحية:

تعتبر المصطلحات اللاهوتية في المسيحية حاوية لكثير من المصطلحات الفلسفية الإغريقية، وهناك جملة من المفاهيم الإغريقية تضمنتها تعاليم الكنيسة.

فقد امتزجت كثير من المصطلحات الفلسفية بالعقائد المسيحية، فأصبحت تلك المصطلحات الإغريقية مصطلحات صُبغ عليها الصبغة الدينية المسيحية، فمعظم ما وضعه كل من أفلاطون وأرسطو من اصطلاحات لاهوتية استطاعت

(١) انظر: علم اللاهوت النظامي، القس جمس أنس، ص.

المسيحية أن تصب فيها الحقائق المسيحية، والتعابير اللاهوتية الدقيقة جدا، مثل: الأقنوم، الوجه، الجوهر، الطبيعة، الذات، التساوي، التشابه، المطلق الزمني، وكلي الوجود، وواجب الوجود، والمحدود،الخيال، وعالم الإلهيات، والحقيقة، وشبه الحقيقة، ولم تجد المسيحية أي معاناة في استخدام هذه الاصطلاحات، مع تعديل في مفهومها، لتصيغ بها حقائق اللاهوت المسيحي[١].

تقول دائرة المعارف الألمانية عن آباء الكنيسة في القرون المسيحية الأولىٰ: "ورغم رفضهم الفلسفة أخذ المرافعون بمصطلحاتها، ودمجوها في التعاليم المسيحية"[٢].

ومن أمثلة ذلك مثلا عقيدة التثليث المسيحية، فقد كانت فكرة مصطلح الثالوث المقدس أمرا مشاعا بين فلاسفة اليونان، بل ربما اجتمع معظم فلاسفة اليونان علىٰ القول بهذا التثليث، بدءا من هزيود الذي اخترع ثلاثة أصول في بحثه عن أصل العالم، حيث يقول: "في البدء نشأ شاوس (chaos) أي الهاوية أو الخلاء الذي ستحل فيه الموجودات، و جايا (Gaia) أي الأرض، وإيروس (Eros) أي الحب أو قوة التوليد والإنتاج"[٣].

---

(١) انظر: Three I know not what: The influence of Greek philosophy on the doctrine of Trinity', Santrac, A., 2013, P. 2، والمسيح حياته وأعماله، الأب متىٰ المسكين، ص٢٠.

(٢) انظر: Apologetikhttp://de.wikipedia.org/wiki/Apologetik. موسوعة ويكيبيديا الشبكية، النسخة الألمانية، مادة)المرافعة الكنسية) نقلاعن الفلسفة والتثليث، أثر الفرضيات الفلسفية التاريخي علىٰ معتقدات التثليث، نبيل شبيب، علىٰ الشبكة العنكبوتية، ٢٢/ ١٢/ ٢٠١٠م، ص٣.

(٣) شذرات الفلاسفة اليونانيين الأول، هرمن ديلس، ترجمها إلىٰ الروسية: ليبف.أ.ف.موسكو، ص٣٥، فقرة ١١٦-١٢٠.

مرورا بالفترة الكلاسيكية والهلنستية، التي كان شائعا فيها الإيمان بالمنشئ الأزلي، الذي انبثق عنه العقل الأول، الذي انبثق عنهما الروح الكلي.

ويظهر تأثر المسيحية به في نقل الثالوث كما هو، إذ إن المنشئ الأزلي يقابله في المسيحية الأب، ضابط الكل خالق كل الأشياء، والعقل المتولد عن المنشئ الأول يقابله يسوع الابن، المنبثق عن الأب، والروح الكلي يقابله الروح القدس، وكانت نتيجة ذلك أن دفنت التعاليم الأصلية، بطريقة تكاد تكون غير محسوسة، تحت تلك الإضافات المألوفة.(١)

بل إن الأب توما الأكويني نقل عن أرسطو قوله بتعظيم العدد الثلاثي فقال:" في ثالوث الأقانيم، فقال أرسطو في كتاب السماء والعالم بهذا العدد الثلاثي"(٢).

ويقول كتاب التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية في بيانه لمصطلحات التثليث: "لصياغة عقيدة الثالوث اضطرت الكنيسة إلى أن تتوسع في مصطلحات خاصّة، مستعينة بأفكار من أصل فلسفي: (جوهر)، (شخص)، أو)أقنوم)، (علاقة)، إلخ، وفي عملها هذا لم تخضع الإيمان لحكمة بشرية، ولكنها أعطت معنىً جديدا لم يعهد من قبل لهذه الألفاظ، المدعوة أن تعني أيضا من الآن فصاعدا سرًّا عجيبا يسمو سموًّا لا نهائيا"(٣).

وهذا الكلام في بيان مصطلحات التثليث متناقض، حيث ينقض آخره أوله،

---

(١) انظر: Three I know not what: The influence of Greek philosophy on the doctrine of Trinity', Santrac, A., 2013, P.1-2

(٢) انظر: الخلاصة اللاهوتية.

(٣) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، الجزء الأول، طباعة الكنيسة الكلدانية في بريطانيا، همة الشماس، جورج يلدا،لندن، ٢٠١٢م، ص٥٢.

حيث اعترف باقتباس الكنيسة "لألفاظ من أصل فلسفي"، ثم قال: "وفي عملها هذا لم تُخضع الإيمان لحكمةٍ بشريّة".

فهل يُصدّق قوله الأول أنها اقتبست من ألفاظ من أصل فلسفي؟

أم يؤخذ قوله الثاني: وهي أنها لم تخضع لحكمة بشرية؟

لأن الجمع بينهما محال، لأن الفلسفة لم تكن يوما تشريعا أمر الله به عباده، إلا فيما يتصوره بعض فلاسفة اللاهوت المسيحي.

ومن الأمثلة أيضا عقيدة ألوهية الكلمة المسيحية، فقد كان كثير من الفلاسفة القدماء يؤمن بألوهية الكلمة، الواسطة بين البشر وبين المنشئ الأزلي، فعند أرسطو وغيره من أصحاب الفلسفة العقلية يرون أن الكون صادر عن منشئ أزلي دائم، وأن العقل هو الواسطة، وقد صدر هو عن المنشئ الدائم، وعن هذا العقل ينبثق الروح.(١)

وهذا العقل الذي صدر عن المنشئ الأزلي، كان يطلق عليه عدة معانٍ مختلفة، مثل: العقل الإلهي الكائن في الذات الإلهية منذ الأزل، والجوهر، والكلمة، واللغة، والمبدأ، والعلم، وأشهر تلك المعاني التي تطلق عليه هو تسميته باللوغوس (Logos)، ويظهر ذلك من خلال النظر إلىٰ معانيها في أقوال أولئك الفلاسفة الوثنيين، فقد كان هيراقليطس يقول بأن الكلمة (Logos) هي أساس الوجود ووحدة المتناقضات.

ويأتي أنكساغوراس بعد فيثاغورس في الزمن والمكانة، فعمم كلام هراقليطس عن الكلمة (Logos)، وسماها (Nous) أي العقل، ووصفه بأنه جوهر مجرد خالد واحد لا يتعدد، حيث يرىٰ أنكساغوراس أن العقل يدرك جميع الأشياء وهو الذي بث النظام في جميع الأشياء.

---

(١) انظر Three I know not what: The influence of Greek philosophy on the doctrine of Trinity', Santrac, A., 2013, P. 2.

ج- قرر آباء الكنيسة الأوائل مبدأ (اللوغوس) أو (الكلمة)، والذين يمكن أن يطلق عليهم آباء الكنيسة الإغريقيون، مثل أكلمنت الإسكندري أو كليمندس٢١٥م الذي جعل من اللوجوس خالقا للكون، حيث يصفه بقوله: " وهو الذي أظهر الله في ناموس موسىٰ في العهد القديم، وفي فلسفة اليونانيين، وأخيرا بتجسده في ملء الزمان، وهو مع الأب والروح القدس هم الثالوث المقدس، وإنه من خلال اللوجوس أصبح بمقدورنا أن نعرف الله، لأن الأب لا يمكن أن يسمىٰ"[(١)].

وكذلك جوستينوس الذي يقول: "إن التعاليم المسيحية أسمىٰ من سائر التعاليم سواها، لأن اللوجوس الإلهي أصبح إنسانا في المسيح"

وكذلك أوريجينوس الذي اعتقد أن الأب هو لوجوس رقم واحد، والمسيح هو لوجوس رقم اثنين، وقد بقيت معتقداته موضع قبول بين كثير من الكنائس.[(٢)]

وفي الحقيقة أنه لا فرق بين اللوغوس الفلسفي اليوناني واللوغوس المسيحي، سوىٰ كثرة أسماء اللوغوس المسيحي، فيجوز أن يسمىٰ - كما يقول بعض آباء الكنيسة - لوغوس، وأحيانا يدعىٰ العدل، وأحيانا يسوع، وأحيانا المسيح، وأحيانا الباب، وأحيانا الطريق، وأحيانا الخبز، وأحيانا البذرة، وأحيانا القيامة، وأحيانا الابن، وأحيانا الأب، وأحيانا الروح، وأحيانا الحياة، وأحيانا الإيمان، وأحيانا النعمة، ويسمىٰ أيضا طمأنينة الكلمة، وثقب الكلمة، ودم الكلمة، وجراح الكلمة، والكلمة

---

(١) انظر: E.f.Osborn; Clement of Alexandria, Art in 'the Encyclopedia of philosophy' Macmillan pupishing Co.& The Free Press, New york,, vol. 2, Reprinted ed.1972, p.122.

(٢) http://de.wikipedia.org/wiki/Origenes موسوعة ويكيبيديا، النسخة الألمانية، مادة (أوريجينيس) و.http://www.glaubensstimme.de/kirchenvaeter/justin/193

المعلقة، وآلام الكمة، والكلمة المسمّرة، وموت الكلمة[١].

والواقع أنه مهما أهالوا عليه من أسماء العظمة والألقاب الرنانة، فلا يعدو أن تكون هذه العقيدة من اختراع بنات أفكار فلاسفة اليونان، الذين تأثرت بهم المسيحية في قانونها الإيماني، واقتبست عنهم الإيمان باللوغوس.

وفي الحقيقة لا يمكننا أن نأسف ونعتب علىٰ المسيحية، بأكثر مما قاله الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله: "والله إنني لا أرىٰ من عجائب أطوار البشر، وقلبهم للحقائق، ولبسهم الحق بالباطل أعجب وأغرب من وجود الديانة النصرانية في الأرض، ديانة بنيت علىٰ أساس التوحيد الخالص المعقول، جعلوها ديانة وثنية بتثليث غير معقول، أخذوه من تثليث اليونان والرومان، المقتبس من تثليث المصريين والبراهمة، اقتباسا مشوها، ديانة شريعة سماوية نسخوا شريعتها برمتها وأبطلوها، واستبدلوا بها بدعا وتقاليد غريبة عنها، ديانة زهد وتواضع وتقشف وإيثار وعبودية، جعلوها ديانة طمع وجشع وكبرياء وترف وأثرة واستعباد للبشر، ديانة أصولها التي هم عليها مقتبسة من الوثنية الأولىٰ، لم يرد كلمة تدل علىٰ عقيدتها عن أنبياء بني إسرائيل، ولكنهم زعموا أنها مستمدة من جميع كتب أنبياء بني إسرائيل، ديانة نسبوها إلىٰ المسيح عليه السلام، وليس عندهم نص من كلامه في عقيدة التوحيد، التي هي التثليث، وإنما بقي عندهم نصوص قاطعة من كلامه في حقيقة التوحيد والتنزيه وإبطال التثليث."[٢]

---

(١) انظر: المسيحيون الأوائل، إبرهارد آرنولد، ص٣٤٠.

(٢) تفسير المنار، ٦/ ٧٦. والشيخ محمد رشيد رضا، عالم مصري من أصل لبناني، ولد عام ١٢٨٢هـ وتوفي عام ١٣٥٤هـ، له تصانيف مفيدة، من أشهر مؤلفاته مجلة المنار، وتفسير القرآن العزيز، والوحي المحمدي. انظر: المنار والأزهر، ص١٣٩. ومجلة المنار، ٩/ ٢٣.

فتبين من هذا أن المسيحية نشأت في كنف الديانة اليونانية وسطوتها وجبروت أباطرتها، ورغم ذلك انتشرت المسيحية لكنه انتشار مشوه، هجين بين الديانتين خصوصا من الداخلين الجدد في المسيحية الذين لم يتخل كثير منهم عن وثنيته رغم تنصره، ويمكن الفصل بين الديانات الشعبية اليونانية وبين الفلسفات اليونانية، أما الديانة الشعبية فيمكن أيضا تقسيمها إلىٰ ثلاثة أقسام وهي العبادة الأرضية والديانة الأوليمبية، والديانات السرية، أما الديانة الأرضية فهي تهتم بعبادة الأسلاف، ومظاهر الطبيعة وجملة من الحيوانات والأصنام، وأبرز مظاهر هذه الديانة هو عبادة الأباطرة والعظماء والأبطال، ويزعمون أنهم مظاهر للتجلي الإلهي فيهم، مما أرغم عليه النصارىٰ بعد ذلك من تقديم القرابين للأباطرة، وأما الديانة الأوليمبية، فيعتبر آلهتها من أشهر آلهة اليونان القدماء، وأكثرها ذيوعا وانتشارا بينهم، وقد ورد ذكرها بالتفصيل في الرسائل الهومرية (الإلياذة والأوديسيا) وعدد الآلهة الأولمبيين اثنا عشر إلها، وكلهم في صورة بشرية، إلا أن سائلا عجيبا يجري في عروقهم فيكفل لهم الخلود، ويظهرون للناس ويختفون كيفما شاءوا، ويتألمون ويتشاتمون ويتضاربون، ومن أهم الاعتقادات التي يؤمن بها أتباع الديانات الشعبية الأولمبية اليونانية في هذه الآلهة، عقيدة أم الإله أو أم الآلهة: من أبرز هذه الآلهة الاثني عشر، هي الآلهة أفروديت، والتي تسمىٰ عشتار أو عشتاروت، والتي تمثل الآلهة الأم وأما المسيحية فقد ألهت مريم العذراء، ومن العقائد المشتركة أيضا عقيدة قيامة بعض الآلهة من الموت كالإله ادوني الذي قام من الموت، وأما الديانات السرية، فمن أبرز عقائدها عقيد الخلاص: وهي تدور حول آلام إله وموته وبعثه من الأموات، فمن أسس الديانة الديونيسية التي تنسب إلىٰ الإله ديونيسوس ابن الله، وذلك أن الأشرار قد قتلوه وأكلوه، ولم يبقَ منه إلا قلبه، ثم بُعث من جديد، ولذلك يعتقدون أن البشرية كلها ملوثة بشيء من الخطيئة الأولىٰ، وذلك نتيجة لاعتقادهم أن الجبابرة الذين قتلوا

ديونيسوس، هم الذين تناسل منهم الآدميون، ومن الشعائر المشتركة أيضا شعيرة العشاء الرباني فقد كان أتباع الديانة السرية يتناولون عشاء ربانيا جماعيا لحم ثور نيئا، والذي يمثل في اعتقادهم ديونيسوس إحياء لذكرىٰ قتل الإله وأكل لحمه، وهذه الشعيرة انتقلت إلىٰ المسيحية بحذافيرها، حيث يعتقد الكاثوليك والأرثوذكس أنهم يأكلون في العشاء الرباني الذي يسمونه سر الأفخارستيا حينما يشربون الخمر ويأكلون الفطير يعتقدون أنهم يأكلون لحم المسيح ويشربون دمه حقيقة.

وأما القسم الثاني: وهو التأثر بالفلسفات اليونانية: يعدُّ الحديث عن الفلسفات اليونانية بعد الحديث عن الديانات الشعبية من باب ذكر الخاص بعد العام في ظاهر الأمر، إلا أن تلك الفسلفات كانت خاصة بالفلاسفة، لا يستسيغها سوىٰ الصفوة من المجتمع اليوناني، وقد تأثرت المسيحية بالفلسفة اليونانية لا يمكن أن يحجب بغربال، ومن أهم أسباب تأثرها بها، بسبب انتشار الفلسفة الإغريقية لدىٰ بعض علماء اليهود كفيلون اليهودي وغيره، الذي حاول أن يجمع بين التوحيد التوراتي والفلسفة الإغريقية والرومانية، وقال بفكر اللوغوس والوسيط بين الله والإنسان، ومن الأسباب أيضا دخول بعض فلاسفة الإغريق في سلك الكنيسة الغربية أيام اضطهادها مثل أكليمنضس أو أكليمنت أسقف روما ١٥٠ وأنتينوس ١٣٠م وأوريجانوس ٢٤٥م وأمونيوس ساكاس ٢٤٥م وغيرها، ومنها تأثر المدارس المسيحية الشرقية الإسكندرية بمبادئ المدارس الفلسفية، وخصوصا تأثر الكنيسة الإسكندرية، ولا سيما الأفلوطونية الحديثة، ومن الأسباب أيضا دفاع النصارىٰ عن تعاليم المسيحية من خلال الفلسفة بعد أن رأوا أن أجلىٰ سبيل هو محاربة الفلسفة بسلاحها فاضطروا إلىٰ عرض المسيحية في قالب متفلسف، يظهر بمظهر عقلي يوناني، إلا أن ذلك الأمر أعاد الكرة بالطعن في خاصرة المسيحية فتفلسفت النصرانية ولم تتنصر الفلسفة، ومن أبرز أولئك القديس أوغسطين (٣٥٤- ٤٤٠) والقديس

أنيسيوس مانليوس بويس (٤٨٠ - ٥٢٤) والقديس توما الإكوينى (١٢٢٥-١٢٧٤) وبيّنا تأثر كل منهم بالبراهين فيما سبق، ومن أهم الأمور التي اقتبستها المسيحية من الفلسفات اليونانية كتابة الأناجيل وقوانين الإيمان المسيحي باللغة اليونانية، وكذلك استخدام المصطلحات الفلسفية اليونانية للتعبير عن العقائد المسيحية كفكرة مصطلح الثالوث المقدس والمنشئ الأزلي الذي يقابله في المسيحية الأب، ومن الأمثلة أيضا عقيدة ألوهية الكلمة المسيحية، فقد كان كثير من الفلاسفة القدماء يؤمن بألوهية الكلمة الواسطة بين البشر وبين المنشئ الأزلي، فعند أرسطو وغيره من أصحاب الفلسفة العقلية، يرون أن الكون صادر عن منشئ أزلي دائم، وأن العقل هو الواسطة، وقد صدر هو عن المنشئ الدائم، وعن هذا العقل ينبثق الروح، ومثلها كذلك مبدأ (اللوغوس) أو (الكلمة)، الذي نادىٰ به كليمندس الإسكندري ٢١٥م الذي جعل من اللوجوس خالقا للكون، وكذلك أوريجينوس الذي اعتقد أن الأب هو لوجوس رقم واحد، والمسيح هو لوجوس رقم اثنين.

المبحث الرابع

المصدر المصري القديم والفارسي

تمهيد:

تعتبر الديانة المصرية القديمة والديانة الفارسية الزرادشتية من الديانات القديمة التي عرفها البشر، وقد كان لهذه الديانات صولات وجولات أدت الىٰ انتشار الاعتقاد بها، واعتناقها بين بعض أصحاب الديانات الأخرىٰ، والفلسفات المعاصرة لها، بل وامتزجت فيما بينها، وآمن أصحاب كل اعتقاد وديانة بآلهة الأمم المجاورة لها، وغير المجاورة أحيانا، ففي مصر نجد أن آلهة الفرس تُعبد فيها، والعكس صحيح أيضا، مع إضافة المصريين أحيانا لعبادة آلهة أهل الأمم التي تقطن العراق، ونجد أن آلهة الإغريق تعتبر آلهة مقدسة ومعتبرة بين آلهة المصريين القدماء، ونجد العكس أيضا، وهذا "التسامح الديني هو السمة الظاهرة في ديانات الشرك."[(١)] - كما يقول باروسلاف تشرني-.

لقد كانت الديانة الفارسية الساسانية والديانة المصرية الفرعونية، تنتميان إلىٰ أرقىٰ الحضارات والأمم المعاصرة لها آنذاك، مع تفوقها علىٰ الديانة المسيحية في العدد والعدة، الأمر الذي أدىٰ إلىٰ تأثر النصرانية الجديدة بشرائعها، بل وفي أسس عقائدها.

ويرىٰ بعض المؤرخين أن أثر الديانة المصرية علىٰ الديانة المسيحية أبلغ من أثر الديانات الفارسية علىٰ المسيحية، ويرىٰ أن "ما أسهمت به نحلة الإسكندرية في

(١) الديانة المصرية القديمة، ياروسلاف تشرني، ص١٧٣وص ١٧٨ -١٩٩. وانظر: الفلسفة والعقيدة في تعاليم زرادشت ص٩٨-٩٩. وديانات الأسرار، د. وديع بشور،ص ٤٢.

الفكر المسيحي والطقوس المسيحية كان أعظم قدرا، إذ كان يجد المسيحيون في شخصية حورس شبيها مرشدا لهم فيما يبذلون من جهود عنيفة لتفهم ما خلفه لهم بولس من خفايا."(١) غير أننا هنا نريد أن نعرض كلتا الديانتين، ويظهر ذلك من خلال ما يلي:

القسم الأول: تأثر الديانة المسيحية بالديانة المصرية القديمة:

تعددت المعبودات تعددا كبيرا في الديانة المصرية القديمة، شأنها شأن سائر الديانات الوضعية، فبعض آلهة المصريين عبد في موطن واحد، وأخرىٰ عبدت في مواطن مختلفة، كما كانت هناك آلهة اختلفت أوصافها واتحدت في شكلها، وكذلك آلهة اتحدت في اسمها واتخذت أشكالا مختلفة، ولا نكاد نجد في بلد من البلدان إذا ما استثنينا بلاد الرومان والهند، ما نجده من الآلهة الكثيرة في مصر.

فقد عُبد في بلاد مصر القديمة كثير من الحيوانات والنباتات، ومظاهر الطبيعة والبشر وغيرها، فعبد التمساح والبقرة والكبش والعنز والقط والكلب والدجاجة والخطاف وابن آوىٰ وعبدت مظاهر الطبيعة كالشمس والقمر والماء والسماء والأرض، وعبادة بعض الحكام(٢).

ويبدو أن صعوبة تقنين العبادات المصرية القديمة تعود إلىٰ أسباب عدة، لعل من أهمها عدم وجود كتاب مقدس موحد للمصريين، رغم أن لهم كتابات مقدسة

---

(١) معالم تاريخ الإنسانية، ولز، ص٢٩ وديانة مصر القديمة، أدولف إرمان، ص٧

(٢) انظر: انظر: لعنة الفراعنة، فاند نبرغ، ص١٧٩. وقصة الحضارة، ول ديورانت ١/ ٢/ ١٥٨و٢/ ١٥٦ والمعتقدات الدينية لدىٰ الشعوب، ص٣٩-٤٠، وموسوعة آباء الكنيسة، عادل فرج عبدالمسيح، ص٢٢ والديانة المصرية، ياروسلاف تشرني، ص١٣-١٥و حضارة مصر والعراق، برهان الدين دلو، ص١٧٤.

تحفظ في (بيت الكتابات المقدسة)[١].

ومع شطح هذه الديانة المصرية في كثرة تعددها للآلهة، وكثرة طقوسها وعقائدها الوثنية، إلا أننا نجد أن تأثيرها الكبير علىٰ المسيحية بوجه عام.

فقد أضحت الديانة المسيحية في مصر متأثرة إلىٰ حد كبير بالديانة المصرية القديمة، وذلك في طقوسها وعقائدها وأفكارها، يقول المؤرخ باروسلاف تشرني، وهو من أكابر المؤرخين للديانة المصرية: "من المرجح للغاية أن الديانة المصرية كان لها نصيبها في تشكيل الخلفية الحضارية العامة والتربة الخصبة، التي ارتفعت فيها المسيحية وانتشرت... والمصريون قد وصلوا إلىٰ مفهوم، وهو أن كل الآلهة المختلفة هي في النهاية إله واحد (الأب)، الذي يحب الإنسان الذي خلقه، ويوجهه طبقا لإرادته، كما أن فكرة عودة المسيح إلىٰ الحياة (بعثه) هي فكرة مقابلة لبعث أوزيريس"[٢].

وعند عقد المقارنة بين الوثنيات المصرية وبين الديانة المسيحية بوجه عام يبرز أول ما يبرز هو كثرة الرموز والطقوس المختلفة.

فالطقوس المصرية والرموز الفلسفية الفرعونية كان لها أبلغ الأثر في الطقوس المسيحية، حتىٰ إن المسيحيين الأوائل كانوا أحيانا يصلون أمام تمثال إيزيس، الذي يصورها وهي ترضع طفلها حورس.

تقول المؤرخة اللاهوتية أشاريا سي: " تعد قصتا عيسىٰ وحورس متشابهتان جدا، إلىٰ درجة أن حورس المصري ربما يكون قد أسهم في وضع لقب "المسيح".

---

(١) مصر والشرق الأدنىٰ القديم، نجيب ميخائيل، ص٦٢.
(٢) الديانة المصرية، روسلاف تشرني، ص٣٠٥.

فحورس وأباه الحالي والمستقبلي يتم التبادل بينهما بشكل متكرر في الأساطير كما هو الحال في الكتاب المقدس "أنا والأب واحد"(يوحنا ١٠/ ٣٠).

ثم سردت جملة من التشابه بين إله المصريين حورس وإله المسيحيين يسوع المسيح منها ما يلي:

ويشترك حورس (أو أوزوريس) مع عيسىٰ في الجوانب التالية:

- ولد حورس من امرأة عذراء هي إزيس-ميري في ٢٥ من شهر ديسمبر في كهف، وقد أعلن عن مولده بواسطة نجم في الشرق وحضره النبلاء أو الرجال الحكماء.

- كان طفلا معلما في المعبد أو "بيت الأب"، وتم تعميده عندما أصبح عمره ٣٠ عاما.

- تم تعميد حورس بواسطة "أنوب المعمدان" مثل "يوحنا المعمدان".

- كان له ١٢ رفيقا أو تلميذا.

- وقعت له معجزات وأحيا رجلا من الموت وهو إليعازر.

- مشىٰ الرب المصري علىٰ الماء.

- تجلىٰ حورس علىٰ الجبل.

- الرب المصري قتل ودفن في القبر وقام مرة أخرىٰ.

- كان أيضا هو " الطريق والحقيقة والضياء والمسيح ابن الرب، المسيح ابن الإنسان، الراعي الصالح، حمَل الرب، وكلمته"..إلخ.

- كان هو الصياد، وكان مرتبطا بالحمل والأسد والسمكة.

- يبدو أن لقب حورس الشخصي هو "إيوسا" الذي أصبح "ابن بتاح" الأب.

- أطلق على حورس (أو أوزوريس) لقب "المسيح" قبل وقت طويل من قيام المسيحيين بتكرار القصة.

- هناك العديد من الأعمال الفنية القديمة التي تصف حورس الرضيع بأن أمه العذراء "إيزيس" تحمله. وهذه الرسوم والزخارف موجودة في النصوص المصرية القديمة(١).

والمسيحيون أيضا يصورون مريم العذراء، وهي تمسك طفلها المسيح، شبيه جدا إلىٰ حد التطابق بصورة الآلهة إيزيس، وهي تمسك بالإله حورس طفلها الرضيع في حجرها، واختيار يوم ٢٥ ديسمبر عيدا لميلاد المسيح، قد حفظ العيد الشمسي القديم، مولد الإله رع - كما يقول روسلاف تشرني - بل إن "ممارسة التنجيم والسحر الذي ظل محرما لفترة طويلة، أصبح الآن محللا، وقد وصل إلينا عدد كبير من النصوص السحرية من مصر المسيحية، وهي تشبه النصوص الوثنية تماما، عدا أسماء الآلهة المصرية القديمة، التي استبدلت بأسماء (اليسوع) والقديسيين"(٢)

ولا يخفىٰ أن المسيحية الحقة في غنىٰ عن هذه الديانة الوثنية، التي تقدس ما تجابه من هوام وجمادات، لكن المسيحية البولسية تأثرت بها، كغيرها من الديانات الوثنية، ومن الأمثلة علىٰ هذا التشابه ما يلي:

أولا: التجسد:

يتشابه كثيرا مفهوم التجسد عند النصارىٰ في الروح القدس خصوصا، مع مفهوم التجسد في الديانة المصرية القديمة، وذلك كما يلي:

---

(١) انظر: The Origins of Christianity and the Quest for the Historical Jesus Christ. Acharya, S., (2011). P. 12.

(٢) الديانة المصرية، روسلاف تشرني، ص٢٠٦.

أ- مفهوم التجسد:

تعتبر عقيدة التجسد إحدىٰ العقائد الأساسية في الديانة المسيحية- كما سبق بيانه- وقد نص علىٰ ذلك في نصوص العهد الجديد. (تيموثاوس الأولىٰ، ٣/ ١٦)

ولم يقتصر الأمر علىٰ تجسد المسيح عند النصارىٰ، بل تعدىٰ ذلك إلىٰ تجسد الروح القدس أيضا، وظهوره في ظهورات كثيرة، حيث يعتقد النصارىٰ أن هناك العديد من ظهورات الروح القدس، حيث يظهر أحيانًا كنسيم أو كرعد، وأحيانًا كلسان ناري، ويظهر أحيانا "مثل حمامة"، أي اتّخذ شكلها[(١)].

القديس المسيحي يوستينوس الشهيد ١٦٥م كفانا مؤونة إثبات أوجه الشبه بين الديانتين في أم العقائد، وذلك عندما كتب إلىٰ المصريين الوثنيين يدعوهم إلىٰ المسيحية ويبين لهم توافق العقائد فيما بينهم فيقول: " عندما نؤكد لكم أن الكلمة معلمنا يسوع المسيح الذي هو المولود الأول الله، ولم تكن هذه الولادة نتيجة لعلاقة جنسية وأنه صلب ومات وقام من الأموات وصعد إلىٰ السماء فإننا في ذلك لاندعي شيئا جديدا أو مختلفا عما تقولونه عن المدعوين أبناء زيوس"[(٢)]

فمفهوم عقيدة حلول الإله أو تجسده وموته وقيامته من بين الأموات نشأت في اعتقاد المصريين بأن الروح تعود بعد الموت في الحيوانات، ثم تدرَّجوا إلىٰ أن للإنسان عدة شخصيات، بعضها مادي، وبعضها روحي، ثم قاسوا ذلك علىٰ الإله، وأثبتوا أنه له عدة شخصيات، تحل كل واحدة منها في مأوىٰ.

ويبدو أن المصريين لم يكونوا علىٰ اقتناع تام بحلول أرواح الآلهة في الحيوانات،

---

(١) الظهور الإلهي، الميترو بوليت إيروث يوسف، نقلها إلىٰ العربية الأب أنطوان ملكي. نقلا عن مجلة التراث الأرثوذكسي السنة الثالثة- العدد الرابع -كانون الثاني ٢٠٠٥،ص٢٢.

(٢) النصوص المسيحية في العصور الأولىٰ " القديس يوستينوس" الدفاع الأول ص٤٩

لأنهم سرعان ما تدرجوا إلىٰ إحلال أرواح الآلهة في البشر، وخصوصا في فراعنة مصر، الذي يظهر أن أول من نسب إليه حلول لروح الآلهة فيه، هو الملك (مينا) موحد القطرين في حوالي عام ٣٢٠٠ ق.م، الذي أعلن في غير مواربة أن روح الإله حلت فيه.

ولم يلاقِ الملك تذمُّرا من رعيته، بل آمنوا به ربا وإلها، فكان أفراد الرعية يضعون أنوفهم في موضع قدمية ليستنشقوا رائحتها، والمقربون منه يسمح له بشم قدمية مباشرة [(١)]، ولا ضير علىٰ تلك العقول التي قبلت أن تعبد الحيوانات في قبول إله من البشر.

بل تعدىٰ الأمر إلىٰ أنهم عبدوا غير الملوك من الأمراء وأصحاب المناصب مثل: كاجمني، وازي الإله الحي، وإيمحوتب، وإمنحوتب الثالث، وإيمحتب، وغيرهم من الوزراء وأصحاب المناصب.

ومن الفراعنة أيضا من كان إلها وإنسانا في نفس الوقت، كما هو حال رمسيس الرابع، الذي خاطب الشعب بقوله: "لسوف تحبونني بالصحة والعمر الطويل، وبعهد ملكي ممتد وبالقوة لكل أطرافي، البصر لعيني، والسمع لأذني، والهناء لقلبي كل يوم، ولسوف تعطونني الطعام حتىٰ الشبع، والشراب حتىٰ الثمالة.."[(٢)]، وكذلك الملكة حتشبسوت التي تقول: "أنا الله وبدء الوجود"[(٣)].

ولقد ذكر الله في القرآن الكريم عن أحد أولئك الفراعنة أنه قال لأتباعه: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤] ولكن ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ﴾ [النازعات: ٢٥].

---

(١) انظر: الفلسفة الشرقية، محمد غلاب ص٣١ وص ٤٠-٤٢ وانظر: دراسات في تاريخ الشرق الأدنىٰ القديم، الجزء الخامس، ص١٩٩. والديانة المصرية، تشرني ص٤٨.

(٢) انظر: الديانة المصرية، روسلاف تشرني، ص٣٤ وص ٥٤وص ٦١وص٦٨.

(٣) ديانات الأسرار، ص٣٤.

ثانيا: انبثاق الآلهة:

نصت أسس العقائد المسيحية علىٰ وجود فكرة الانبثاق، حيث تؤمن المسيحية بانبثاق الابن وهو المسيح من الأب، وتؤمن بانبثاق الروح القدس من الأب عند الطائفة الأرثوذكسية، وأما الطائفة الكاثوليكية فيعتقدون أن الروح القدس قد انبثق من الأب والابن، ونصوا علىٰ ذلك في قانون إيمانهم المسيحي - كما سبق بيانه-.

وهذا الانبثاق المسيحي له أصوله أيضا في ديانات المصريين القدماء، فقد كان المصريون يعتقدون أن هناك من الآلهة من انبثق نتيجة اجتماع إلهين آخرين، فقد انبثق الإله (جب) إله الأرض، والإله (نوت) إله السماء، نتيجة اجتماع الإله (شو) إله الهواء، والإله (تفنوت) إله الفراغ.

وأما الإله (أوزيريس) إله النيل، والإله (ست) إله الصحراء، والإله (إيزيس) إلهة الخصوبة، والإله (نفتيس) إله الأرض القاحلة،" فكلهم قد انبثقوا من الإله (جب) والإله (نوت)، وهناك من الآلهة من له ابن، كالإله (حورس) الذي كان ابنا للإله (أوزيريس)"[(١)].

وقد كان المصريون يحبون الآلهة (إيزيس) ويعبدونها، وصوَّروا لها صورا من الجواري، لأنها باعتقادهم والدة الإله (حورس)، وكان كهنتها ينشدون لها الأناشيد، ويسبحون بحمدها في العشي والإبكار، وكان من أعظم الصور المقدسة لها تمثالها وهي ترضع طفلها الإله (حورس)، الذي ولد بمعجزة من المعجزات.

---

(١) انظر: فجر الضمير (الفصل السابع)، آلهة مصر، ص٩٩. وديانة مصر القديمة، ص٨٤. والديانة المصرية، روسلاف تشرني، ص٤٠. والمسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية، إ. س. سفينسيسكايا ص٣٢. والمعتقدات الدينية لدىٰ الشعوب، ص٣٨.

ولهذا أصبحت عقيدة نسبة الأبناء المنبثقون من الآلهة عقيدة مشتهرة، عند كثير من ملوكهم الفراعنة، الذين نسب كل واحد منهم نفسه إلىٰ أنه ابن أحد الآلهة، لا سيما الإله (رع) أي الشمس.

يقول باروسلاف تشرني: "كان (خفرع) و(منكاروع) من الأسرة الرابعة، هما أول ملكين يضيفان لقب ابن (رع)، أي ابن الشمس إلىٰ ألقابهما،كما حمل ذلك اللقب ثلاثة ملوك هم: ني وسرع ووجد كارع ووأوناس، ثم أصبح ذلك اللقب جزءا لا ينفصم أبدا عن أسماء الملك منذ الأسرة السادسة، وحتىٰ نهاية التاريخ المصري القديم، كما كان هذا اللقب يتقدم الاسم الشخصي للملك الذي ولد به"[1].

ثالثا: التثليث:

تعتبر عقيدة التثليث المسيحية ضمن أهم العقائد النصرانية، التي قررتها المجامع المكسونية، والتي اعتمدت من كل النصارىٰ المثلثين - كما سبق -.

ومنشأ هذا التثليث المسيحي كان تأثره بشتىٰ الديانات، التي كان ضمن عقائدها هذا المبدأ الغريب، ومن ضمنها الديانات المصرية، فقد كان هناك جملة من الآلهة الثالوثية التي يؤلهها المصريون القدماء، وقد كان في كل قطر من الأقطار آلهة ثالوثية ثانوية[2]، كمثل الآلهة المصرية الآتية:

أ- تثليث الإله (مين):

كثيرا ما يصور كتمثال واحد له ثلاثة رؤوس، كما يظهر ذلك من اكتشاف الإله المصري (Min) (مين)، حيث وجد أنه منحوت علىٰ شكل بشري، وله عضو

(١) الديانة المصرية، روسلاف تشرني، ص٣٨.

(٢) انظر: موسوعة آباء الكنيسة، عادل فرج عبد المسيح، ص٢٣.

الإخصاب، والجسم عار إلا من حزام، والرجلان ملتصقتان ببعضهما، والذراعان مشدودان إلىٰ الجنب، وله ثلاثة رؤوس، وكذلك مثله الإله (آش)[1].

ب- تثليث الملك (هورس) والآلهة (ست):

كان المصريون يصورون الإله أحيانا في صورة أحد ملوكهم، وبجانبه إلاهتان، فيصور هو في وسطهما، فيصبح ذلك الثالوث هو الثالوث الإلهي، كما هو حال الملك (هورس) والآلهة (ست)[2].

ويعتقد المصريون أحيانا بانصهار إلهين ببعضهما، لينتج عنهما إله ثالث، كما هو حال إله الشمس (رع)، الذي انصهر مع (أمون) إله الخلق، فنتج عنهما الإله (أمون راع)، الذي حكم العالم، ثم أبناؤه من بعده.

ج- تلثيث الإله رع:

هناك من الآلهة من كان له جوهر واحد به ثلاثة أقانيم، وهو الإله (رع) الذي كان بداخله ثلاثة أقانيم، أولها أقنوم الشمس أو(رع) نفسه، باعتباره الجوهر الإلهي السماوي، والأقنوم الثاني (حورس) والثالث هو (رع حور آختي)[3].

د- تثليث الآلهة بتاح وسخمت ونفرتم:

وتثليث هذا النوع محبب لدىٰ الفراعنة، حيث تجمع فيه الآلهة علىٰ هيئة ثالوث، يرتبط فيه الإله المحلي الرئيسي بزوجته وابنه، كالآلهة بتاح وسخمت ونفرتم، تجمع علىٰ هذا النحو في منف، وكذلك تجمع الآلهة آمون وموت وخنسو في

---

(١) انظر: الديانة المصرية، روسلاف تشرني، ص.٢٩

(٢) انظر: المرجع نفسه، ص٣٦.

(٣) انظر: الديانة المصرية، روسلاف تشرني، ص٧٩.

ثالوث آخر[١].

ويجدر أن نلمح إلىٰ جانب التوحيد الذي عرف مصر في بعض أحايينها، فقد كان من أبرز من دعا إلىٰ التوحيد الملك أخناتون، من الأسرة الثامنة عشر (١٥٨٠-١٣٥٠)، الذي قام بثورة دينية علىٰ عبدة الأصنام، مماحدا ببعض المؤرخين، إلىٰ أن يرىٰ أن التوحيد هو الأصل في الديانة المصرية، كما يذكر جامبليك، حيث يقول: "إنه سمع من كهنة مصر أنفسهم يعبدون الله وحده، فاطر السماوات والأرض رب كل شيء، وهو المالك لكل شيء، الخالق لكل شيء، الذي لم يخلق ولم يتجزأ، ولا تراه العيون، يعلم ما تكنه الضمائر وماتخفيه الصدور، وهو الفاعل المختار لكل شيء وفي كل شيء"[٢].

وإن كان هذا التوحيد الذي تخلل بعض فترات الدولة المصرية القديمة، إلا أنه من المؤكد هو تعدد الآلهة المصرية وكثرتها، وصرف العبادات المختلفة لها، هو السائد علىٰ الديانة المصرية القديمة.

وعلىٰ كل حال، فقد ألقىٰ التثليث المصري بظلاله - من ضمن ما ألقىٰ - علىٰ الديانة المسيحية، فقد اعترفت الكنيسة بالثالوث المسيحي وأقرته، وذلك بالنص علىٰ ألوهية الأب، وألوهية الابن، وألوهية الروح القدس.

رابعا: القيامة من بين الأموات:

تعتبر عقيدة قيام الآلهة من الموت والتغلب عليه من أبرز أعمال آلهة المصريين القدماء، وقد شاركتهم في ذلك المسيحية، حيث نص قانونها علىٰ تغلب المسيح علىٰ الموت، فيقول: " ثم دفن وقام من قبره في اليوم الثالث، وصعد إلىٰ السماء.."- كما سبق-.

---

(١) انظر: المعتقدات الدينية لدىٰ الشعوب، جفري بارندر ص٤١. وديانات الأسرار، ص٤٣.

(٢) الأثر الجليل لقدماء وادي النيل، أحمد أفندي نجيب. وموسوعة آباء الكنيسة، عادل فرج عبد المسيح، ص٢٣.

وقد كان المصريون القدماء يعتقدون أن هناك من الآلهة من يقوم من بين الأموات، كما حصل للإله أوزيس، حيث كان في الأصل ملكا من البشر، ثم مات بعد معاناة -والتي كانت تشبه كثيرا عقيدة المسيحية، التي أسست علىٰ المعاناة التي لاقاها يسوع عند موته- ثم بعث من بين الأموات، وأصبح يحكم عالم الموتىٰ.

يقول المؤرخ الإنجليزي أندريه إيمار: " كان أوزيس وهو ابن الإله يموت ويبعث حيا."[(١)] ومثله كذلك الإله أدونيس الذي عشقته الإلهة أفروديت، ثم مزقه خنزير بري، وكان الناس يجلدون أنفسهم كل عام، إحياء لذكرىٰ أدونيس، ثم قام بعد ذلك من بين الأموات وصعد إلىٰ السماء[(٢)].

وفكرة قيامة الأموات قد تبنتها نصوص الأهرامات، وخاصة كتاب الموتىٰ (الأموات) حوالي عام ١٤٠٠ق.م، حيث يشير إلىٰ خلود النفس، ويعتقدون فيه من ضمن اعتقاداتهم أنه سوف تعقد محكمة رهيبة للقائمين من الأموات، يحاول فيها المتهم أن يبرر نفسه من كل خطيئة، ويكون الحكام فيها اثنين وأربعين إلها[(٣)].

وهذا شبيه جدا باعتقاد المسيحيين وذلك عندما قام من قبره وصعد إلىٰ السماء، ثم يأتي آخر الزمان ليعقد محكمة عظيمة يحكم فيها بين الخلائق غير أن اعتقاد النصارىٰ يختلف عن اعتقاد المصريين، فالمصريون كانوا يعتقدون أن عدد القضاء في تلك المحكمة الأخروية اثنان وأربعون بينما يعتقد المسيحيون أن عددهم اثنا عشر تلميذا من تلاميذ المسيح.

---

(١) انظر: تاريخ الحضارات العام، المجلد الأول الخاص بالشرق، موريس كروزيه وديانات اليونان القديمة، ص٩٢.

(٢) ا انظر: المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية، إ. س. سفينسيسكايا ص٣٧.

(٣) انظر: تاريخ مصر القديمة، نيقولا جريمال. وموسوعة آباء الكنيسة، عادل فرج عبد المسيح، ص٢٤. المعتقدات الدينية لدىٰ الشعوب، جفري بارندر ص٣١.

فتبين من هذا أن الديانة المصرية قد أرست بظلالها على الديانة المسيحية خصوصا في مصر وما حولها، فقد مزجت المسيحية بكثير من أفكار المصريين القدماء، فقد عُبد في بلاد مصر القديمة كثير من الحيوانات والنباتات، ومظاهر الطبيعة والبشر وغيرها، فعبد التمساح والبقرة والكبش والعنز والقط والكلب والدجاجة والخطاف وابن آوى وعبدت مظاهر الطبيعة كالشمس والقمر والماء والسماء والأرض، وعبادة بعض الحكام، ومع هذا المزج الغريب بين الآلهة نجد أن هناك آلهة كبرى متفق عليه بين المصريين مثل الإلهة إيزيس، وابنها الإله حورس، أما إيزيس فقد كان المسيحيون يصلون أما تمثالها وهي ترضع طفلها حورس، وقد تم تعميد حورس بواسطة "أنوب المعمدان" وكان له ١٢ رفيقا أو تلميذا وقد قتل ودفن في القبر وقام مرة أخرى، ومن أبرز الاعتقادات المتفق عليها بين الديانتين هي عقيدة التجسد، حيث يعتقد المصريون بأن الروح تعود بعد الموت في الحيوانات، ثم تدرجوا إلى أن للإنسان عدة شخصيات، بعضها مادي، وبعضها روحي، ثم قاسوا ذلك على الإله، وأثبتوا أن له عدة شخصيات، تحل كل واحدة منها في مأوى ثم تدرجوا إلى إحلال أرواح الآلهة في البشر، وخصوصا في فراعنة مصر، بل اعتقدوا أن حلول الآلهة في الأمراء وأصحاب المناصب مثل: كاجمني، وازي الإله الحي، وإيمحوتب، وإمنحوتب الثالث، وإيمحتب، وغيرهم من الوزراء وأصحاب المناصب، ومن العقائد المشتركة أيضا عقيدة انبثاق الآلهة، حيث تؤمن المسيحية بانبثاق الابن وهو المسيح من الأب، وتؤمن بانبثاق الروح القدس من الأب عند الطائفة الأرثوذكسية، وأما الطائفة الكاثوليكية فيعتقدون أن الروح القدس قد انبثق من الأب والابن، أما المصريون فقد كانوا يعتقدون أن هناك من الآلهة من انبثق نتيجة اجتماع إلهين آخرين، فقد انبثق الإله جب إله الأرض، والإله نوت إله السماء، نتيجة اجتماع الإله شو إله الهواء، والإله تفنوت إله الفراغ.

وأما الإله أوزيريس إله النيل، والإله ست إله الصحراء، والإله إيزيس إلهة الخصوبة، والإله نفتيس إله الأرض القاحلة، فكلهم قد انبثقوا من الإله جب والإله نوت، ومن العقائد أيضا عقيدة التثليث، فقد كان هناك جملة من الآلهة الثالوثية، التي يؤلهها المصريون القدماء، مثل تثليث الإله (مين) فكان كثيرا ما يصور كتمثال واحد له ثلاثة رؤوس، ومثله الإله (آش) وكذلك تثليث الملك هورس والإلهة ستوكذلك تلثيث الإله رع الذي كان بداخله ثلاثة أقانيم، أولها أقنوم الشمس أو(رع) نفسه، والأقنوم الثاني (حورس) والثالث هو (رع حور آختي) وكذلك تثليث الآلهة بتاح وسخمت ونفرتم، ومن العقائد أيضا عقيدة القيامة من بين الأموات، فقد كان المصريون القدماء يعتقدون أن هناك من الآلهة من يقوم من بين الأموات، كما حصل للإله أوزيس.

القسم الثاني: تأثر المسيحية بالديانات الفارسية:

لقد كان لكثير من اعتقادات فارس التي كان يحكمها الساسانيون أثر كبير علىٰ الديانة المسيحية، شأنها شأن سائر الديانات الوثنية التي كانت قبل المسيحية، والتي عبد بعضها بعض آلهة الفرس[(١)].

وقد تميز تاريخ الفكر الفارسي بظهور أربع ديانات وهي: المزدكية، والمانوية، وعبادة مظاهر الطبيعة المؤثرة، والديانة الزرادشتية، ويمكن إبرازها فيما يلي بإيجاز:

أولا: المزدكية:

بما أن المزدكية قد ظهرت بعد المسيحية في القرن الثالث للميلاد، مع تركيز اهتمامها بالشيوعية بين أفراد الوطن الواحد[(٢)] نرىٰ استبعادها من ميدان هذه الدراسة.

---

(١) انظر: Crucifixion in the Ancient Mediterranean World. Cook, J., 2014,P.1

(٢) انظر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، النشار١/ ١٨٥والمعتقدات الدينية لدىٰ الشعوب، جفري بارندر ص١٠٣

ثانيا: المانوية:

ظهرت الديانة المانوية أيضا بعد المسيحية، وهي التي تنسب إلىٰ ماني بن فاتك، الذي ولد في القرن الثالث للميلاد، مع أنه كان نصرانيا في بداياته، ثم أراد أن يجمع بين المسيحية والزرادشتية، فأنشأ هذا المذهب الجديد[1] ولهذا لا تعتبر من مصادر المسيحية- في نظري- لظهورها بعد المسيحية.

ثالثا: عبادة مظاهر الطبيعة:

تعتبر ديانة عبادة مظاهر قوىٰ الطبيعة من أقدم ديانات الفرس، فقد كانت تعبد مزيجا من الآلهة، إلىٰ جانب تقديسها وعبادتها للعناصر الأربعة، النار والهواء والماء والتراب، وتقديس كل مظاهر الطبيعة، فكانت تؤمن بإله الشمس الذي أسموه (مثرا)، وإله الخصب، وإله المطر وإله الريح، ومجموعة كبيرة من الآلهة غيرها، وعدد كبير من الأصنام والتماثيل التي تصور تلك الآلهة.

وقد كان من أهم مظاهرها هو الاعتقاد السائد في الكهنة، حيث اعتقدوا أنهم وسطاء بين الآلهة وبين البشر، واستعبد الكهان عقول الناس بالسحر والشعوذة، وتنفيرهم من كل دعوة تدعوا إلىٰ الإصلاح.

وهذه الديانة تشبه العقيدة النصرانية، من جهة اعتقاد الوساطات البشرية بين الإله وبين البشر، حيث إن من صميم الديانة النصرانية هو الاعتقاد بأن المسيح هو الوسيط الإلهي البشري، لحمل الفداء عن الناس وإرضاء الأب - كما سبق بيانه.

---

(١) انظر: الملل والنحل، الشهرستاني، ١/ ٢٩٠. والمعتقدات الدينية لدىٰ الشعوب، جفري بارندري ص١٠٠. والدين المقارن، المنوفي، ص١٢٢. والفَرق بين الفِرق، للبغدادي ص٢٧١. والمذاهب الكبرىٰ في التاريخ، ويدجيري، ص١١٥.

وهذا الاعتقاد النصراني لم يقتصر علىٰ المسيح، وإنما سرىٰ ذلك إلىٰ باباوات الكنيسة ورجال الدين، حيث اعتقدوا أنهم الوسطاء البشريين المكلفين من قبل الأب، ولهذا فقد اخترعت عدة طقوس كنسية تؤيد هذا الاعتقاد، كمسألة الاعتراف، ومسألة بيع صكوك الغفران، ومسألة عصمة الباباوات وغيرها - كما سبق -.

وهذه الديانة الفارسية وإن كان لديها نوع تشابه مع المسيحية، إلا أن التأثير الأكبر علىٰ المسيحية من قبل ديانات الفرس كان من قبل الديانة الزرادشتية، وبيان ذلك ما يلي:

رابعا: الزرادشتية:

للزرادشتية تأثيرها الكبير علىٰ الديانة النصرانية، وهي الديانة البارزة عند عقد المقارنات بين الديانات الفارسية وبين النصرانية بوجه عام، وقد ظهرت الزرادشتية، قبل المسيحية بستمائة سنة، والبعض يقدرها بألف عام، أو خمسمائة عام علىٰ أقل تقدير، وبعضهم يقدرها حتىٰ ستة الآف عام قبل الميلاد.

وقد كانت الزرادشتية هي المهيمنة علىٰ كل أقطار الدولة الساسانية، بعد أن تبنتها وقدستها الدولة الساسانية، حيث اعتمدت تعاليم زرادشت وأحكامه، وقد وصلتنا تعاليم زرادشت في سبع عشرة ترنيمة، من ترانيمه المسماة (جاثا)(١).

(١) انظر: تاريخ إيران قبل الإسلام، حسن بيرنيا،إيران قديم،نكارستان كتاب، ط٣، تهران، ١٣٨٨هش ص٣٥ (بالفارسية) نقلا عن، مجلة كلية التربية، واسط، الزرادشتية ثنوية أم توحيد،رنا كاظم معن، العدد الحادي عشر، ص١١٥والمعتقدات الدينية لدىٰ الشعوب، جفري بارندر ص٩٠.

أسباب تأثر المسيحية بالزرادشتية:

أ - انتشار التعاليم الزرادشتية انتشارا واسعا:

لقد كانت للتعاليم الزرادشتية صدىٰ واسع في أرجاء الحضارات المتاخمة للساسانيين، فقد اهتم اليونانيون بها اهتماما كبيرا آنذاك، لما لتعاليمها من أهمية رائدة في عصرها، ولما للساسانيين من قوة وسلطة وحضارة وتقدم.

فقد انتشرت عبادة (مثرا) الفارسي في عهد أفلاطون انتشارا واسعا، واحترمه اليونانيون احتراما كبيرا، وعرف ما بين الهند حتىٰ شمال إنجلترا.

وقد ألقىٰ التأثير الزرادشتي بظلاله علىٰ كل تلك الحضارات والديانات، التي استقت منها الديانة النصرانية الجديدة آراءها.

يقول جفري بارندر: "كان التأثير الإيراني الأعظم قد حدث في تطور الإيمان المسيحي -اليهودي. فقد اتفقت الأخبار علىٰ نطاق واسع، علىٰ أن التصورات اليهودية المتأخرة عن الشيطان، والجحيم، والحياة الأخرىٰ، والبعث، ونهاية العالم، وصورة المخلص، قد صبغتها الزرادشتية بصبغتها، وهي معتقدات كان لها أثرها بغير شك في المفاهيم المسيحية"(١).

ب - انتشار المسيحية في بلاد فارس:

يبدو أن المسيحية جنت علىٰ نفسها بدخولها إلىٰ بلاد فارس، فقد فوجئ الساسانيون بانتشار المسيحية في بلادهم، في القرن الثاني أو الثالث للميلاد، مما حدىٰ بعض ملوك الفرس إلىٰ محاربة المسيحية، وإرادة التخلص منها حتىٰ في عقر دارها، كالملك شابور في القرن الثالث، الذي حارب المسيحية في بعض نفوذ الدولة

---

(١) المعتقدات الدينية لدىٰ الشعوب، جفري بارندر ص١٠٣ - ١٠٥.

الرومانية، وانتصر عليها، وسبى كثيرا من السبايا إلى أرض فارس، ومن عباراته المحفوظة قوله: "إننا استولينا على كل الناس، وأتينا بهم سبايا، وأسكناهم في مملكتنا إيران، وفارس وفرثية وهوزستان وأثورستان، وفي جميع البلدان الأخرى، حيث وجدت ممتلكات أبينا وأجدادنا الأقدمين..."[١]، ثم تعاقب الأكاسرة الذين حذا بعضهم حذو شابور[٢].

ولقد جنى أولئك الأكاسرة على المسيحية بهذا الفعل من طرف خفي، حيث بقيت المسيحية مستكينة أمام سطوة الزرادشتية، وبقي أتباعها أسارى مستعبدين لدى الفرس، فانتشرت مسيحية شوهاء، هجين بين تعاليم مجوسية وزرادشتية، وبين التعاليم المسيحية، أثرت فيما بعد على المسيحية برمتها.

لقد كان للديانة الزرادشتية التي حرفت عن تعاليم زرادشت، أثر لا ينكر في بناء قواعد الدين النصراني الجديد.

مع أنه ينبغي أن يلاحظ أنه عند عقد المقارنات بين الزرداشتية وبين المسيحية، يجب أن يفرّق بين تعاليم زرادشت وبين تعاليم أتباع زرادشت، إذ إن بينهما فرقا كبيرا، فتعاليم زرادشت كانت مبنية على الإيمان بالإله الواحد[٣]. حيث دخلت عليه بعض النصوص الوثنية اللاحقة بعد ذلك، ولم يرد أي نص في كتاب الأفستا أو أي كتاب ينقل عن زرادشت أنه حض على عبادة إلهين، وإنما حض على التخلص من (أهرمن)، الذي هو الشيطان وأصل الشرور، أي أنه قوة شريرة مقابل قوة الخير، وقوة

(١) الكنيسة الشرقية، الأب ألبير أبونا، ص٢٥-٢٨.

(٢) انظر: التاريخ السعردي، أديشير، ١/ ١٢و٩٠.

(٣) انظر: داريوش أحمد، قوم آريا، مجموعة بزوهشيد رزمينه أديان وتاريخ إيران باستان، نشر أديان، ط١، قم، ١٣٨٥ش، ص١٣ (بالفارسية) نقلا عن نقلا عن، مجلة كلية التربية، واسط، الزرادشتية ثنوية أم توحيد،رنا كاظم معن، العدد الحادي عشر.، ص ١١٥.

الخير الذي يمثلها (أهورمازدا) أقوىٰ، وهي منتصرة علىٰ قوة (أهريمن)، وقد أنكر أيضا تعدد الآلهة وعبادة الأصنام[١] وأن النار والشمس لم تكن إلا رمزا له أما الشيطان أو قوة الشر فهو يُعبر عنه بأهريمن عند زرادشت.

وأمام ذلك التداخل في المفاهيم، فقد فهم بعض العلماء والمؤرخين[٢] أن زرادشت يثبت إلهين، ولكن هذا ادعاء علىٰ زرادشت، فزرادشت لا يثبت إلهين البتة، بل يصف إله الظلمة بأنه شيطان لا يستطيع أن يخلق الأمور المادية، من الإنسان والحيوان والجماد، وإنما يحاول إدخال النقص والشرور والمرض عليها.

وهناك نصوص وحدانية نقلها كتاب الأفيستا عن زرادشت، تبين الوحدانية التي دعا إليها زرادشت، حيث يقول مثلا: " إني لأدرك أنك أنت وحدك الإله، وأنك الأوحد الأحد، وإني من صحة إدراكي هذا أوقن تمام اليقين من يقيني هذا الموقن، أنك أنت الإله الأوحد"، وقوله كذلك: " أنا عالم أنك الحق، وأنك مع العقل النير، هكذا أراك وأرىٰ أيضا أن الرب الحكيم بالغ العظمة له العرش، والقصاص بهذا القول من أفواهنا، سنحول بشرا من فرائس للشر إلىٰ كائنات عظيمة" [٣].

فقد كان زرادشت يدعو إلىٰ توحيد إله واحد، لا يرىٰ ولا يدركه بصر، وهو يعلم الغيب والحاضر والمستقبل، وهو قدير علىٰ كل شيء، مع إيمانه بالغائب المنتظر في

(١) انظر: أساطير إيران، مهردار بهار وبزهوشي در، مؤسسة انتشارات اكاه، تهران، ط٨، ص٣٣٦. نقلا عن الزرادشتيةثنوية أم توحيد، للكاتبة رنا كاظم معن، مجلة واسط، كلية التربية، العدد ١١.

(٢) انظر: تلبيس إبليس، ابن الجوزي، ص٦٢. حيث نسب ذلك إلىٰ زرادشت، وخلط بين دعوة مزدك وبين دعوة زرادشت، في شيوعية النساء ونكاح أولي القربىٰ. وانظر: فلاسفة الشرق، أ.و. ف. توملين، ص١٤٨.

(٣) ترنيمة٢/ ٥. من الأفستا زرادشت.

آخر الزمان، الذي يملأ الأرض عدلا، والبعث والقيامة والصراط والشفاعة من زرادشت ولهذا عدّ بعض المؤرخين زرادشت من الأنبياء، ولهذا القول ما يعضده من الأدلة والبراهين- من وجهة نظري-.

أما أتباع زرادشت فقد ألهوه، واعتقدوا أن زرادشت هو روح الله، وأن هذه الروح التي تقمصت جسد هذا المخلوق البشري، هبطت من السماء إلىٰ الأرض، وحلت برحم أمه فحملته وولدته بشرا سويا، وذلك لحلول الروح القدس في جسده بعد أن حل في جسد أمه(١).

وهذه العقيدة توحي بتأليه زرادشت من قبل أتباعه، إذ لا يفهم من حلول روح الله فيه وتقمصها إياه إلا القول بتأليهه، وهي دائرة في فكرة تجسد الإله، وحلوله في بعض المخلوقات البشرية.

ولكن هناك من ينفي ذلك، ويعتقد أن العقيدة الزرادشتية لا تؤمن إلا بالاعتقاد بتوحيد الله وحده، والإيمان بأن زرادشت كان نبيا، مع تقديس النار التي تعد مصدرا للنور، يقول السيد رستم شهزادي، المرجع الديني الأعلىٰ للزرادشتيين: "نحن نعتقد أن نبينا زرادشت، كما نعتقد بوحدانية الله فلا نعبد غيره... إن ما نفعله هو أننا نتجه إلىٰ النار في بعض الأحيان، باعتبارها تمثل النور الذي نعتقد بأنه انعكاس أو مظهر من مظاهر الله، فنحن في الحقيقة عندما نتوجه لعبادة الله نتجه إلىٰ النور، بأي شكل كان، ففي النور تكون قبلتنا الشمس، وفي الليل القمر أو النجوم، أو أي ضياء كان، ومنها النار طبعا، حيث نعتقد أن نور جميع هذه الأشياء يمثل النور الإلهي، فالمهم إذن أن نتجه لأي مصدر للنور،

---

(١) انظر: الفلسفة في الشرق، بول ماسيون، ص١٠٣ والإمبراطورية الرومانية، تشارلز ورث، ص١٧١-١٧٣.

مهما كان شكله أو حجمه، كقبلة لنا نقدسها ولا نعبدها"[(١)].

ولذلك جاء في كتاب الأفستا المقدس أن أول عهد يأخذه الزرادشتي علىٰ نفسه هو أن يقول: "لن أقدم علىٰ سلب أو نهب ولا تخريب أو تدمير، وأن آخذ بالنار... وأقر أنني أعبد الله الواحد (أهورامزدا)، وأني أعتنق دين زرادشت، وأقر أني سألتزم التفكير في الخير، والكلام الطيب، والعمل الصالح"[(٢)].

ويمكن أن يقال: إن هناك بعض الفرق منهم تؤله زرداشت، وبعضها لا تؤلهه، أو أن اعتقاد عدم تأليه زرادشت كان هو الأسبق، ثم أُلِّه بعد ذلك، ولعل أضعفها هو أن يقال: إن العكس هو الصحيح - والله اعلم -.

وأما عبادتهم للنار فإنه مهما أنكر الزرادشتية عبادتهم لها، إلا أن ذلك لازم لهم، وإلا فما معنىٰ تقديس النار، والاعتقاد بأنها مظهر من مظاهر الإله الأوحد؟

وهذا العرض الموجز للتدقيق في مصادر الزرادشتية والتحقيق فيما نسب إلىٰ نسب إلىٰ زرداشت وما نسب إلىٰ أتباعه هو بغرض نسبة العقائد إلىٰ أصحابها من غير تجن عليهم.

وعلىٰ كل حال، فالزرادشتية كان لها بعض العقائد الوثنية الدخيلة علىٰ دين زرادشت، والتي ألقت بظلالها علىٰ المسيحية فيما بعد، ويظهر ذلك من خلال ما يلي:

(١) بطرس البستاني، ص٧٦٩، طبعة طهران.

(٢) موسوعة الأديان في العالم - الديانات القديمة -، رس زينر ص٢٨٨.

أولا: ألوهية الروح المتجسدة:

ويمكن أن نقتبس من الأقوال السابقة للزرادشتية، ما يمكن أن يجعل أساسا من الأسس التي اعتمدت عليها المسيحية بعد ذلك، فيما يتعلق بعقيدة التجسد المسيحية، وذلك كما يلي:

١- يعتقد الرزادشتية "بأن زرادشت هو روح الله، وأن هذه الروح التي تقمصت جسد هذا المخلوق البشري هبطت من السماء إلىٰ الأرض"، وهذا في الحقيقة هو عين قول النصارىٰ في المسيح، وهو ما يسمىٰ بعقيدة التجسد عند النصارىٰ - كما سبق -.

٢- قولهم " العظمة القدسية أو روح القدس، الذي صاحب زرادشت في أثناء حياته مع الناس علىٰ الأرض، كان يسكن ملكوت السموات"، وهذا هو اعتقاد النصارىٰ أيضا في الروح القدس، وقد اعتمدوا في ذلك علىٰ ما ورد في متىٰ، حيث يقول عن نزول الروح القدس من السماء علىٰ المسيح: "فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء، وإذا السماوات قد انفتحت له، فرأىٰ روح الله نازلا مثل حمامة، وآتيا عليه وصوت من السموات قائلا: هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت"(متىٰ، ٣/١٦-١٧)

٣- قولهم عن روح القدس: "وحل قبل ذلك بجسد المرأة، التي قدر لها أن تكون أمًّا لهذا الرجل الرباني"، وهذا هو ما يقوله النصارىٰ في مريم، حيث تقول مقدمة قانون الإيمان المسيحي: "نعظمك يا أم النور الحقيقي، يا والدة الإله، لأنك ولدت لنا مخلص العالم...".

٤- قولهم: " إننا نتجه إلىٰ النار في بعض الأحيان باعتبارها تمثل النور الذي نعتقد بأنه انعكاس أو مظهر من مظاهر الله، بأي شكل كان، ففي النور تكون قبلتنا

الشمس"، وهذا ما يتوجه إليه النصارىٰ حيث يتجهون إلىٰ المشرق في صلواتهم، كالصلاة الفردية السرية، والصلاة العامة في الكنيسة، وأهمها صلاة يوم الأحد.

ثانيا: الفداء والخلاص والقيامة:

لقد كانت فكرة المخلص فكرة سائدة في معظم الديانات الفارسية التي سبقت زرادشت، فقد كان من أهم الآلهة التي كان يؤمن بها الفرس هو الإله (مثرا)، الذي شاعت عبادته قبل ظهور زرادشت، والتي تبنتها الزرادشتية المحرفة بعد ذلك، فقد كان يُعبد علىٰ أنه إله النور، والوسيط بين الإله الأعظم (أهورامازدا) وبين بني الإنسان، بل هو الذي يحاسب أرواح الناس علىٰ ما قدمت وأخرت، وكان دائما محبا للبشر فكانوا يدعونه مثرا الوسيط بين الله والناس، والمخلص الذي بتألمه خلص الناس ففداهم، ويدعونه الكلمة والفادي [1].

وقد كان مثرا إلها شعبيا هاما في تاريخ الفرس، وكان الملوك يتضرعون إليه في النقوش التي بقيت لهم، كما كانت الملوك والعامة معا يركبون أسماءهم من اسم مثرا، مثل (مثرادئيس) وهو لايزال يشغل مكانا هاما في الطقوس الزرادشتية.

وقد وصف مثرا بأنه مات في سبيل البشرية، واحتفل بقيامته من القبر بفرح عظيم، وقد أُطلق عليه اسم المخلص، وحامي الجنس البشري، وتروىٰ عنه بعد قيامته أسطورة قتاله مع الثور، وانتصاره عليه وقتله له [2].

وقد كان الاعتقاد في الأساطير الفارسية عن مثرا، الذي عرف قبل مئات السنين من ظهور المسيح أنه عند ولادة مثراس زار ثلاثة من الحكماء الوليد مثراس، وجلبوا

(١) انظر: Crucifixion in the Ancient Mediterranean World. Cook, J., 2014,p.1-7

(٢) انظر: مقدمة الأفستا، الكتاب المقدس للزرادشتية، ص٤١.

معهم هدايا ومصوغات ذهبية، وقدموها إلىٰ أم الوليد، تبركا بقدومه إلىٰ العالم، وقد كان يوم ميلاده في الخامس والعشرين ٢٥ من شهر كانون الأول، وهو ما يوافق شهر ديسمبر، وهو نفس اليوم الذي سمي فيما بعد بعيد ميلاد الإله الشمس. وفقا لمؤرخي الديانة المثراسية، وقد اعتمد عيد ميلاده رسميا في الإمبراطورية الرومانية عام ٣٠٧م، وقد أصبح بعد ذلك عيد ميلاد المسيح[١]، ونفس قصة الوفود في يوم مولد مثراس نقلت إلىٰ المسيح - كما تذكرها الأناجيل- حيث تذكر الأناجيل أنه جاء وفد المجوس لزيارة المسيح وأمه عندما ولد وقدموا له الهدايا وشهدوا له.

ووفقا للأساطير الفارسية فإن مثرا مات علىٰ الصليب، وقبل موته بأيام حضر العشاء مع اثني عشر من أتباعه المقربين، وسمي ذلك العشاء بالعشاء الأخير، أما أتباعه الاثنا عشر فهم يمثلون دائرة الأبراج الاثني عشر في منظومة الشمس، وبعد موت مثراس علىٰ الصليب وضع جسده في تابوت صخري[٢]وهذا ما ينطبق تماما علىٰ قصة المسيح مع تلاميذه كما تذكرها الأناجيل.

ويبدو أن الأساطير الفارسية القديمة قد ألقت بظلالها فيما بعد علىٰ الديانة الزرادشتية، فقد آمن أتباع زرادشت بمبدأ المخلص، الذي يتوج آفاق الإنسانية ضد الشر بظهور المخلِّص، وهذا المخلِّص رغم تفوقه وآماله إلا أنه إنسان حقيقي، ومن أبوين بشريين، رغم ميلاده الإعجازي.

وهذا الاعتقاد لدىٰ الفرس الأقدمين في مثرا، من أنه الوسيط بين الله والناس، وأنه يحاسب الناس علىٰ أفعالهم، وأنه حضر العشاء مع اثني عشر من تلاميذه، قبل أن يموت في سبيل البشرية علىٰ الصليب، ثم قام من بين الأموات، وهو ما آمن به

(١) انظر: كتاب الأفستا، الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية، ص٤١.

(2) Malandra, William (1983 .(An Introduction to Ancient IranianReligion . Minneapolis: University of Minnesota Press .ISBN 7-1115-8166-0

كذلك أتباع زرادشت في الخلاص فيما بعد -قد أثر تأثيرا كبيرا علىٰ المسيحية في قانونها المسيحي، فقد نص قانون الإيمان المسيحي علىٰ كل تلك الأفكار الفارسية، حيث نص علىٰ مبدأ المسيح المخلص في قوله عن المسيح: "الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء، وتجسد وتألم ثم صلب"، ونص كذلك علىٰ قيامته من بين الأموات، بعد موته علىٰ خشبة الصليب حيث يقول: "ثم مات ودفن، ثم قام من قبره من بين الأموات، وصعد إلىٰ السماء"، ونص كذلك علىٰ محاسبته للناس في قوله: "وسيأتي من هناك ليدين الأحياء والأموات"، فالتأثر المسيحي بالفرس بارز جدا في عقائد الفداء والخلاص والقيامة ومحاسبة الناس.

ثالثا: المعمودية:

كان من أهم الشعائر التي تميز معتنقي الزرادشتية هي المعمودية، وهي أن يغطس الداخل فيها بالماء لإزالة ثقل الخطية والتطهير من الشر، وبعد المعمودية يولد الإنسان فيظهر في ولادة ثانية، إلىٰ جانب المائدة المقدسة التي كان يأكل منها أتباع هذه الديانة مع الإله مثرا، ليشترك معه في موته وقيامته، واختاروا يوم الخامس والعشرين من ديسمبر عيد القيامة لمثرا، وصعوده إلىٰ السماء[1].

وهذه المعمودية أصبحت من ضمن العقائد الأساسية في الديانة المسيحية، التي نص عليها قانون الإيمان المسيحي بعد ذلك، حيث يقول: "ونؤمن بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا لجميع الأمم."

وتكون ممارسة سر المعمودية في المسيحية بالماء، حيث يقام بتغطيس المعتمد ثلاث غطسات في الماء، باسم الأقانيم الثلاثة، باسم الأب والابن والروح القدس، إشارة إلىٰ موت المسيح ودفنه وقيامته، حيث يعتقد النصارىٰ أن المعمد يُعتبر وُلد

---

(١) انظر: المدخل إلىٰ العهد الجديد، القمص فهيم عزيز ص٧٠.

ولادة جديدة، وأنها تحرر العبد من خطيئة آدم، وتحرره كذلك من عبودية إبليس – كما سبق بيانه–.

رابعا: طاعة الخالق لا تستوجب العمل:

فالإله الأعلىٰ إله أخلاقي، والعلاقة بين الله والإنسان علاقة أخلاقية بالدرجة الأولىٰ، أما الطقوس والعبادات فليست وسيلة لإظهار الخضوع للخالق، بل هي تنقية للنفس من شوائب الشر، وتقويتها علىٰ مقاومته(١)، هذا هو مفهوم الزرادشية.

وهذا المعنىٰ لمفهوم طاعة الخالق للزرادشتية أصبح هو المعنىٰ العام، الذي اندرج في الديانة المسيحية، حيث نصت رسائل بولس في مواضع متفرقة علىٰ ما يجب الإيمان به من العقائد، من غير ذكر للأعمال الصالحة التي يجب العمل بها، كقول بولس: **"لاَ الختان ينفع شيئا ولا الغرلة، بل الإيمان العامل بالمحبة"** (غلاطية ٥/ ٦)

ولهذا يرىٰ كثير من النصارىٰ أن العلاقة بين المخلوق والخالق هي مجرد اعتقادات قلبية إيمانية وأخلاقية، وأعمال طقسية لا تستوجب العمل(٢).

---

(١) انظر: الفلسفة والعقيدة في تعاليم زرادشت، ص٨٠.

(٢) انظر: تعليم الكنيسة الكاثوليكية، ص٢٤ وكيف نفهم علم اللاهوت، رت كندل ٣/ ٢١٧. وهذا ما صرح به معظم آباء الكنيسة وقديسيها، أمثال أكلمندس الروماني، ٩٦م. وأغناطيوس الأنطاكي، ١٠٧م. ويوستينوس الشهيد، ١٠٠–١٦٥م. ويوسابيوس القيصري، ٢٧٥–٣٣٩م. وأثناسيوس الكبير، ٣٠٠–٣٧٣م. وباسيليوس الكبير، ٣٣٠–٣٩٧م. وغريغوريوس النيزانزي، ٣٣٠–٣٩٠م. وأمبروسيوس أسقف ميلانو، ٣٣٩–٣٧٩م.ويوحنا فم الذهب، ٣٥٠ – ٤٠٧م. وأغسطينوس أسقف هيبو، ٣٥٤–٤٣٠م. وكيرلس الكبير، ٣٧٨–٤٤٤م. وانظر: Ambrose, Of the Christian Faith 9, NPNF² 10: 236 وانظر: John of Chrysostom, Homilies on Second Corinthians 6, NPNF¹ 12: 335

ولا يخفىٰ أمام الناظر إلىٰ هذه العقائد الفارسية، أنها ألقت بظلالها علىٰ الديانة النصرانية المحرفة، وقد اعترف بعض علماء اللاهوت النصارىٰ بهذا التشابه الكبير، كالقس الدكتور فهيم عزيز الذي يقول: "هذه هي ديانة مثرا، وفيها نجد التشابه الكبير بينها وبين المسيحية في الطقوس: المعمودية، والولادة الثانية، والأكل مع الإله، واختبار الموت والقيامة مع الإله"(١).

فتبين من هذا أن هناك أربع ديانات ظهرت في الإمبرطورية الفارسية وهي المزدكية والمانوية وعبادة مظاهر الطبيعة والزرادشتية، أما المزدكية والمانوية فقد ظهرتا في القرن الثالث للميلاد، ولذلك نستبعدها من الدراسة.

أما عبادة مظاهر قوىٰ الطبيعة فهي من أقدم ديانات الفرس، وهي تعبد مزيجا من الآلهة، إلىٰ جانب تقديسها وعبادتها للعناصر الأربعة، النار والهواء والماء والتراب، وتقديس كل مظاهر الطبيعة، وكانوا يعتقدون أن الكهنة وسطاء بين الآلهة وبين البشر، وبالمقارنة مع النصرانية، نجد أن هناك تشابه في الاعتقاد بالوسطاء، فالمسيح هو الوسيط الإلهي البشري، لحمل الفداء عن الناس وإرضاء الرب، ثم سرىٰ ذلك إلىٰ باباوات الكنيسة ورجال الدين، كما يظهر في مسألة الاعتراف، ومسألة بيع صكوك الغفران، ومسألة عصمة الباباوات وغيرها.

أما الزرادشتية فكان تأثيرها الكبير علىٰ الديانة النصرانية، وذلك بسبب انتشار التعاليم الزرادشتية انتشارا واسعا، وبسبب أيضا انتشار المسيحية في بلاد فارس بعد أن سباهم ملوك الفرس إلىٰ بلادهم فنشأت مسيحية هجين مما بقي من ديانة المسيح مع اختلاطها بالزرادشتية، ونعني بها الزرادشتية المحرفة وليست ديانة الزرادشت التوحيدية، فمن أبرز مظاهر المقارنة بين النصرانية والزرادشتية المحرفة في العقائد

---

(١) المدخل إلىٰ العهد الجديد، القمص فهيم عزيز ص٧١.

يظهر في عقيدة ألوهية الروح المتجسدة، حيث يعتقدون أن زرادشت هو روح الله تجسدت فيه، وذلك بحلول الروح القدس علىٰ جسد أمه، وهو ما يقوله النصارىٰ عن المسيح، وكذلك اتفاق الزرادشتية والنصرانية في اتجاههم نحو المشرق لأداء الصلوات، وكذلك في عقيدة الإله المخلص لبني البشر، فكما هو المسيح عند النصارىٰ هو الإله مثرا عند الزرادشتية، وكان يُعبد علىٰ أنه إله النور، والوسيط بين الإله الأعظم (أهورامازدا) وبين بني الإنسان، بل هو الذي يحاسب أرواح الناس علىٰ ما قدمت وأخرت، وعند ولادة مثراس زار ثلاثة من الحكماء الوليد مثراس، وجلبوا معهم هدايا ومصوغات ذهبية، وقدموها إلىٰ أم الوليد، تبركا بقدومه إلىٰ العالم، وقد كان يوم ميلاده في الخامس والعشرين ٢٥ من شهر كانون الأول، وهو ما يوافق شهر ديسمبر، وهو نفس اليوم الذي سمي فيما بعد بعيد ميلاد الإله الشمس وقد نقلت هذه القصة في ولادة المسيح في الأناجيل وأصبح بعد ذلك هذا اليوم عيد ميلاد المسيح.

ويعتقدون أن زرادشت حضر العشاء مع اثني عشر من تلاميذه قبل أن يموت في سبيل البشرية علىٰ الصليب، ثم قام من بين الأموات، وهذا أثره لا ينكر علىٰ المسيحية، وكذلك شعيرة المعمودية وهي غطس الداخل في الديانة بالماء وهو أمر مشترك بين الديانتين، وكذلك اشتراك الديانتين بأن طاعة الخالق لا تستوجب العمل وهذا بسبب اعتقاد الديانتين بوجود الإله المخلص للبشرية.

الخَاتمة

الخاتمة

وفيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث وإيجازها فيما يلي:

- أن لفظ النصارىٰ أسبق من لفظ المسيحيين إلىٰ أن تلاشىٰ في القرن السابع، وذلك لرغبة النصارىٰ استبدال تسميتهم بالنصارىٰ إلىٰ تسميتهم بالمسيحيين.

- أن النصارىٰ وقفوا علىٰ اتجاهين في مصادر سرد سيرة المسيح ونشأته ودعوته، فذهب اتجاه منهم إلىٰ نفي وجود المصادر التي يمكن الاعتبار بها في نقل سيرة المسيح والاتجاه ثاني وهم من يرون لزوم الأخذ بالمصادر الإنجيلية المعتبرة في سرد سيرة المسيح.

- أن المصادر المسيحية - من وجهة نظر النصارىٰ -تحدثت عن المسيح عليه السلام، وذلك بدأً من البشارة به في كتب العهد القديم.

- وأما الأناجيل فقد تحدث عن المسيح بدا من البشارة بأمه بأنها ستضع مولودها من غير أب ثم تحدثت عن حياته وسيرته بعد ذلك بشكل مقتضب إلىٰ أن فصلت في معجزاته وسيرته بعد بعثته.

- من أبرز معالم دعوته حسب ما تذكر الأناجيل أنه دعا إلىٰ توحيد الله وأن رسالته كانت خاصة إلىٰ بني إسرائيل وأنه كان متبعا لشريعة التوراة.

- أن المصادر الإسلامية متمثلة في القرآن الكريم قد تحدثت عن عيسىٰ عليه السلام في مواضع كثيرة، حيث ذكر أمه والبشارة به، وتثبيتها وأنها ولدته من غير أب في قصة سردية تبين إكرام أم المسيح وإجلالها .

- أن عصر الحواريين أو تلاميذ المسيح وهو العصر الرديف لعصر المسيح

حصلت في جملة من الأمور من أبرزها هو الدعوة لعالمية النصرانية وانتشار التبشير بها بين الأمم.

- من الأحدث التي وقعت في هذا العصر هو عقد أول مجمع للتشاور وقرر فيه نسخ جميع أحكام التوراة سوىٰ الدم والزنىٰ والميتة والذبح للأصنام، علىٰ يد بولس وشيعته.
- أن عصر الاضطهاد من العصور المهمة في تاريخ المسيحية، بعد عصر المسيح، وكان ها الاضطهاد من جهتين، جهة يهودية وجهة رومانية.
- أن الاضطهاد من جهة الرومان فقد بدأ عقب اكتشاف أباطرة الرومان أن المسيحية ليست فرقة يهودية منذ القرن الأول للميلاد، مما أسهم في تشتت وضياع المسيحية الحقيقية أبرزها علىٰ يد نيرون٦٨م وتراجان ١١٧م ومكسيمينوس ٢٣٨م.
- أن هذا العصر يعد من العصور الأولىٰ للمسيحية إذ تفرق النصارىٰ إلىٰ فرق متباينة، ومن أهم أسباب ذلك هو ما حصل لهم من الاضطهاد العنيف إلىٰ جانب دخول جملة من الوثنيين في المسيحية بقصد تشويهها وتحريفها من ويمكننا تقسيم كل تلك الفرق إلىٰ اتجاهين رئيسين ، وهما اتجاه الطوائف الموحدة ، واتجاه الطوائف غير الموحدة.
- أن عصر الملك قسطنطين يعد من العصور المهمة، وذلك لإنهائه عصور الاضطهاد السابقة التي مرت علىٰ النصارىٰ.
- ظهر الانقسام بين أتباع الكنيسة في تحديد طبيعة المسيح هل طبيعته ناسوتية ولاهوتية كما يقول أتباع الكنيسة الغربية أم انها لاهوتية فقط كما يقول أتباع الكنيسة الشرقية.

- أن القرون الوسطيهي عصر تسلط الكنيسة علىٰ رقاب أتباها ومن تلك السُّلُطات أيضا السلطة السياسية، والسلطة المادية، والسلطة الفكرية .

- أن الاصلاح البروتستانتي الكنسي ظهر في نهاية القرن الخامس عشر وامتدّ طيلة القرن السادس عشر، وقد نجحت هذه الحركة نجاحا باهرا علىٰ الصعيد الأوربي علىٰ يد مارتن لوثر.

- من أهم مبادئ الاصلاح البروتستانتي إبطال صكوك الغفران والعودة لقراءة الكتاب المقدس من العامة بعد أن كان محرما، ورفض تفسير من قبل الكنيسة فقط، ونفي عصمة البابا وإبطال الصور والتماثيل وعبادة مريم أم المسيح.

- أن الدعوات الاصلاحية الكاثوليكية يمكن أن تقسم إلىٰ مرحلتين، المرحلة الأولىٰ كانت قبل ظهور الاصلاح البروتستانتيوالمرحلة الثانية كانت بعده.

- أن سبب الخلاف الظاهر بين الكنيسة الكاثوليكية هو عدم اتفاقهم حول تحديد طبيعة المسيح وانبثاقه غير أن هناك أسبابا خفية أشرنا إليها ترتكز حول الصراع حول السيادة علىٰ العالم المسيحي.

- أن العداء بين الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة البروتستانتية كان منذ نشأته عداء مسلح، لأن البروتستانتية ظهرت في كنف نفوذ الكنيسة الكاثوليكية .

- أن الثورة الفرنسية هي أم الثورات الأوربية التي فشت في العالم المسيحي ضد الكنيسة ورجالها.

- أن الكتاب المقدس هو المصدر الأول للديانة النصرانية، وهو يحتوي علىٰ عهدين، العهد الأول هو التوراة وملحقاتها، والعهد الجديد وهو الأناجيل وملحقاتها.

- أن العهد القديم يقسمه اليهود إلىٰ ثلاثة أقسام، القسم الأول أسفار التوراة الخمسة، والقسم الثاني هو أسفار الأنبياء ، والقسم الثالث هي الكتابات، ومجموع أسفار العهد القديم تسعة وثلاثين سفرا، أما الكاثوليك والأرثوذكس فيزيدون عليها سبعة أسفار .
- تبين أن تحريف التوراة يمكن أن يقسم إلىٰ قسمين الأول دراسة تاريخ سند التوراة، فتبين أن التوراة قد كتبت للمرة الأولىٰ، واضطربت التوراة في تعيين كاتبها ثم فقدت تلك الكتابة الأولىٰ ثم ظهرت بعد ذلك علىٰ يد حلقيا الكاهن، ثم أُتلفت تلك النسخة علىٰ يد نبوخذ نصر الملك البابلي ثم كتبت بعد ذلك علىٰ يد عزرا الكاهن بإلهام، وقد اشتملت علىٰ كثير من المتناقضات مما يبطل دعوىٰ الالهام.
- أن المسيحية كانت تعدُّ ضمن دائرة الديانة اليهودية وقد كان المسيح وتلامذته الحقيقيين يسيرون علىٰ هذا المنهج، إلىٰ أن انفصلت النصرانية عن تعاليم التوراة انفصالا تاما، علىٰ يد بولس وأتباعه.
- أن النصارىٰ قننوا أربعة أناجيل من بين سائر الأناجيل المكتوبة وذلك في مجمع نيقية عام ٣٢٥م، وهذه الأناجيل التي كتبت بعد ضياع إنجيل المسيح تحوي شيئا من تعاليم المسيح وكثيرا من التحريفات والتناقضات.
- أن دراسة سند هذه الأناجيل نتج عنها الوقوف علىٰ مقدار التناقض والاضطراب الحاصل في تعيين كتاب هذه الاناجيل وسنة كتاباتها ومترجميها ولغتها الأصلية وغير ذلك من الأمور.
- أن دراسة متن هذا لإنجيل وهو مايتعلق بنقد نصوصه لإثبات تحريفه.
- أن الاناجيل المرفوضة والتي تسمىٰ بـ أبو كريفا باليونانية، قد رفضت في نفس

المجمع الذي قنن فيه الأناجيل الأربعة السابق ذكرها في مجمع نيقية عام ٣٢٥م ومن أبرز تلك الاناجيل إنجيل برنابا، التي اكتشفت نسخة منه باللغة الإيطالية علىٰ يد كريمر، أحد مستشاري ملك بروسيا، سنة ١٧٠٩ م .

- أن المجامع النصرانية أحدثت بعد عصر المسيح بثلاثة قرون وذلك بعد أن مرت علىٰ النصارىٰ كثيرا من الاضطهادات المتلاحقة.
- أن عقيدة ألوهية المسيح وأنه ابن الله هي مفتاح الديانة النصرانية، نص عليها قانون الإيمان المسيحية في قرارات نيقية وهي تقوم علىٰ الاعتقاد بأن المسيح ابن الله وأنه منبثق من الآب ومساو له.
- أن عقيدة التثليث لم تستعمل إلا في القرن الثاني علىٰ لسان أسقف أنطاكية ترتليان، وقد قننت في قانون الإيمان المسيحي.
- أن عقيدة الصلب والفداء من أسس العقائد النصرانية وتسمىٰ أيضا عقيدة الخلاص والكفارة، وقد قررت في قانون الإيمان المسيحي في مجمع نيقية.
- أن عقائدالإيمان باليوم الآخر والجزاء الأخروي تسمىٰ في اللاهوت المسيحي بـ "الإسخاتولوجيا" أي "عِلم الأخرويات" .
- أن الكنيسة من أبرز شعائر النصرانية الظاهرة، وقد ورد ذكرها في العهد الجديد أكثر من خمسين مرة.
- أن الأسرار السبعة هي الشعائر الأساسية في المسيحية ، وهي سر المعمودية، ثم سر الميرون أو التثبيت، وسر العشاء الرباني وسر التوبة والاعتراف، وسر مسحة المرضىٰ، وسر الزواج، وسر الكهنوت.
- أن الصلاة عند النصارىٰ: ليس لها كيفية محددة، ولها عدة أنواع فمنها الصلاة العائلية ومنها صلاة العامة في الكنيسة.

– أن الصوم عند النصارىٰ هو الامتناع عن الطعام من الصباح حتىٰ منتصف النهار، ثم تناول طعام خال من الدسمأو خلال يوم أو أكثر من الغروب إلىٰ الغروب

– أن عبادة الصليب والصور والتماثيل هي من الأمور الدخيلة علىٰ دين المسيح بعد أكثر من سبعة قرون وذلك في مجمع نيس عام ٧٨٧م، وهي شعيرة مخالف لنصوص الكتاب المقدس ومخالفة للعقل كما تبين.

– أن النصارىٰ اخترعوا لهم أعيادا كثيرة تزيد علىٰ مائة وأربعين عيدا، منها عيد الميلاد، وعيد الغطاس، وعيد الشعانيين، وعيد القيامة وعيد الصعود وعيد الخمسين وغيرها.

– أن تقديس يوم الأحد الذي يقدسه النصارىٰ لم يعرف في الشريعة التوراتية، وإنما اخترع بعد ذلك.

– أن الرهبنة عرفت في القرن الثالث للميلاد، علىٰ يد الأنبا أنطونيوس.

– أن بولس قد لعب دورا كبيرا في انحراف المسيحية عن وجهها، حيث نشأ عالما بالفلسفة إلىٰ جانب أنه كان مبغضا للمسيحية بغضا شديدا.

– أن بولس هو صاحب الديانة النصرانية الجديدة، ومن أبرز ما اخترعه في المسيحية القول بألوهية المسيح وألغىٰ العمل بشريعة التوراة والقول بتجسده وعقيدة الصلب والفداء وإباحة لحم الخنزير والميتة وغيرها.

– أن الإمبراطور قسطنطين بعد ان أرسىٰ دعائم الإمبراطورية رأىٰ تعميم الديانة النصرانية درأ للخلاف السياسي والشقاق المجتمعي بين مواطني الإمبراطورية.

– أن الديانة الهندوسية نشأت قبل المسيحية بمئات القرون، وقد تأثر بها زعماء الكنيسة كشيخ المدرسة الاسكندرية (أمنيوس)٢٤٢م وتلميذه (أفلوطين)٢٧٠م،

اللذان تأثرا بالفلسفات الهندية بعد دراستها.

- من أهم المقارنات بين البوذية والمسيحية عقيدة التثليث التي تسمىٰ في البوذية (راتناتري)، باللغة البالية، ومعناها الجواهر الثلاثة ويقدمون لها الهدايا والصلوات وعقيدة التجسد.

- أن المسيحية نشأت في كنف الديانة اليونانية وسطوتها وجبروت أباطرتها، ورغم ذلك انتشرت المسيحية انتشارا يملؤه الوثنيات.

- أن تأثر المسيحية بالديانات والفلسفات اليونانية يمكن أن يكون علىٰ قسمين وهو تأثرها بالديانات الشعبية اليونانية وتأثرها بالفلسفات اليونانية، وقد تقدم تفصيل كل ذلك.

- أن تأثرها بالديانات الشعبية اليونانية يمكن تقسيمها إلىٰ ثلاثة أقسام وهي الديانة الشعبية فيمكن أيضا تقسيمها إلىٰ ثلاثة أقسام وهي العبادة الأرضية والديانة الأوليمبية، والديانات السرية.

- أن تأثرها بالفلسفات اليونانية فقد كان من أهم أسبابه انتشار الفلسفة الإغريقية لدىٰ بعض علماء اليهود ومنها تأثر المدارس المسيحية الشرقية الإسكندرية بمبادئ المدارس الفلسفية.

- أن الديانة المصرية قد أرست بظلالها علىٰ الديانة المسيحية خصوصا في مصر وما حولها، فقد مزجت المسيحية بكثير من أفكار المصريين القدماء.

- أن هناك أربع ديانات ظهرت في الإمبراطورية الفارسية وهي المزدكية والمانوية وعبادة مظاهر الطبيعة والزرادشتية، أما المزدكية والمانوية فقد ظهرتا في القرن الثالث للميلاد، وأما عبادة مظاهر قوىٰ الطبيعة فهي من أقدم ديانات الفرس، وهي تعبد مزيجا من الآلهة، وكانوا يعتقدون أن الكهنة وسطاء بين الآلهة وبين البشر.

- أما الزرادشتية كان تأثيرها الكبير علىٰ الديانة النصرانية، وذلك بسبب انتشار التعاليم الزرادشتية انتشارا واسعا، وبسبب أيضا انتشار المسيحية في بلاد فارس بعد أن سباهم ملوك الفرس إلىٰ بلادهم فنشأت مسيحية هجين مما بقي من ديانة المسيح مع اختلاطها بالزرادشتية.

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة